

رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى

لِلنَّاسِ وَالْحَسَنَاتِ فِي رَمَضَانَ

وَيُتْلَى

وَعَامُ خَتَمِ الْقُرْآنِ

تَأليف

عبد العزيز بن محمد السليمان

١٤٠٩ هـ

طبع على نفقة بعض المحسنين
بإشراف دار عروا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي تفرّد بالجلال ، وَالْعَظَمَةِ وَالْعِزِّ والكِبَرِيَاءِ والجمال ، وأشكره
شُكْرَ عَبْدٍ مُعْتَرِفٍ بالتقصير عَنْ شُكْرِ بَعْضِ ما أُولِيه مِنَ الانعام والافضال ،
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً .

وبعد :

فبما أن صِيَامَ شهر رمضان ، الذي هو أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام
فريضة مُحْكَمَةٌ ، كتبها الله على المسلمين كما كتبها على الذين من قبلهم من الأمم
السَّابِقَةِ ، والأجيال الغابرة تَحْقِيقاً لمصالحهم وتهدياً لأنفوسهم لينالوا من ثَمَرَةِ
التقوى ما يَكُونُ سبباً للفوزِ برضا ربهم ، وحُلُولِ دارِ المقامة .

وحيثُ أُنِيَ أَرَى أَنَّ النَّاسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَبْيِينِ أَحْكَامِ الصِّيَامِ ، والزَّكَاةِ ،
وَصَدَقَةِ الْفَطْرِ ، وَصَدَقَةِ التَّطَوُّعِ ، وَقِيَامِ رَمَضَانَ ، وَأَنَّهُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى ذِكْرِ طَرَفٍ
مِنْ آدَابِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَدُرُوسِهِ ، وَالْحَثِّ عَلَى قِرَائَتِهِ ، وَأَحْكَامِ الْمَسَاجِدِ ،
وَالِاعْتِكَافِ ، فَقَدْ جَمَعْتُ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ ما رَأَيْتُ أَنَّهُ تَنَاسَّبَ قِرَاءَتُهُ
مَعَ عَمُومِ النَّاسِ ، يَفْهَمُهُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ ، وَأَنَّ يَكُونَ جَامِعاً لكَثِيرٍ مِنْ أَحْكَامِ ما
ذَكَرَ ، وَوَافِياً بِالْمَقْصُودِ ، وَقَدْ اعْتَنَيْتُ حَسَبَ قُدْرَتِي وَمَعْرِفَتِي بِنَقْلِ الْحُكْمِ
وَالدَّلِيلِ أَوْ التَّعْلِيلِ أَوْ كِلَيْهِمَا وَسميته :

المتاهل الحسان في دروس رمضان

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَأَنْ يَتَقَعَّ بِهِ نَفْعاً
عَاماً مَنْ قَرَأَهُ ، وَمَنْ سَمِعَهُ . إِنَّهُ سَمِيعٌ ، عَلِيمٌ قَرِيبٌ مَجِيبٌ ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عبد العزيز بن مُحَمَّد السلمان

الفصل الأول : في شهر رمضان

يقول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »

قال ابن كثير على هذه الآية :

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِباً الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَآمِراً لَهُمْ
بِالصِّيَامِ وَهُوَ الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ ، وَالشَّرَابِ ، وَالْوِقَاعِ ، بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ
لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لِمَا فِيهِ مِنْ زَكَاةِ النُّفُوسِ ، وَطَهَارَتِهَا وَتَنْقِيَّتِهَا مِنَ الْأَخْلَاطِ
الرَّدِيئَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ فَقَدْ أَوْجَبَهُ عَلَى
مَنْ كَانَ قَبْلِهِمْ ، فَلَهُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ ، وَلِيَجْتَهِدَ هَؤُلَاءِ فِي أَدَاءِ هَذَا الْفَرَضِ
أَكْمَلَ مِمَّا فَعَلَهُ أُولَئِكَ « انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ » .

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي فَضْلِهِ ، وَمُضَاعَفَةِ أَجْرِهِ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ :

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ .

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ شَهْرِ رَمَضَانَ

فَيَقُولُ :

« جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ ، شَهْرُ مُبَارَكٍ ، كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ فِيهِ تَفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغْلَى فِيهِ الشَّيَاطِينُ ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ » .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : « هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلُ فِي تَهْنِئَةِ النَّاسِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا بِشَهْرِ رَمَضَانَ » .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ :

« لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي رَمَضَانَ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِي أَنْ يَكُونَ رَمَضَانَ السَّنَةَ كُلَّهَا » .

وَعَنْ عُبَادَةَ مَرْفُوعًا :

« أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرُ بَرَكَهٍ ، يَغْشَاكُمْ اللَّهُ فِيهِ ، فَيُنْزِلُ الرَّحْمَةَ ، وَيَحُطُّ الْخَطَايَا ، وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ الدُّعَاءَ ، يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى تَنَافُسِكُمْ فِيهِ ، وَيُبَاهِي بِكُمْ مَلَائِكَتَهُ ، فَأَرَوْا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ فِيهِ رَحْمَةُ اللَّهِ » .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ .

وَلِمُسْلِمٍ فَتَحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ

الصَّائِمُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ غَيْرُهُمْ وَفِي رِوَايَةٍ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ الْبَابُ وَفِي رِوَايَةٍ مَنْ دَخَلَ مِنْهُ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا .

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا : « إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتُحْتِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَأُغْلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ » .

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجَنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرَ » .

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطَرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ : « وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ جَيْنٍ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ وَابْنُ جِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ

قَبْلَهُمْ . خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْحَيَّاتَانِ حَتَّى يُفْطِرُوا ، وَيُزَيِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يُوْشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمْ الْمِثْلَةَ ، وَيَصِيرُوا إِلَيْكَ ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرْدَةُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُوا فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟ .

قَالَ : « لَا ، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوفَّى أَجْرُهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ : « آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّكَ صَعَدْتَ الْمِنْبَرَ فَقُلْتَ : آمِينَ ، آمِينَ » فَقَالَ : « جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَتَانِي فَقَالَ : مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ قُلُ آمِينَ ، فَقُلْتَ آمِينَ الْحَدِيثُ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَظَلَلَكُمْ شَهْرُكُمْ هَذَا ، بِمَخْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَرَّ بِالْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ ، وَلَا مَرَّ بِالْمُنَافِقِينَ شَهْرٌ شَرٌّ لَهُمْ مِنْهُ ، بِمَخْلُوفِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ لَيَكْتُبُ أَجْرَهُ وَنَوَافِلَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، وَيَكْتُبُ اضْرَهُ وَشَقَاءَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُعِدُّ فِيهِ الْقُوَّةَ وَالنَّفَقَةَ لِلْعِبَادَةِ ، وَيَعُدُّ فِيهِ الْمُنَافِقُ اتِّبَاعَ غَفَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَاتِّبَاعَ عَوْرَاتِهِمْ ، فَغَنَمَ يَغْنَمُهُ الْمُؤْمِنُ » .

وَقَالَ بَنْدَارٌ فِي حَدِيثِهِ : « فَهُوَ غَنَمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْتَنِمُهُ الْفَاجِرُ » رَوَاهُ
ابْنُ خَزِيمَةَ فِي صَحِيحِهِ وَغَيْرُهُ .

وَعَنْ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يَدْعُو بِبُلُوغِ رَمَضَانَ ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ قَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا
فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ : « كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ عِنْدَ حُضُورِ
شَهْرِ رَمَضَانَ اللَّهُمَّ قَدْ أَظَلَّنَا شَهْرُ رَمَضَانَ وَحَضَرَ فَسَلِّمَهُ لَنَا وَسَلِّمْنَا لَهُ ،
وَأَرْزُقْنَا صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، وَأَرْزُقْنَا فِيهِ الْجِدَّ وَالْاجْتِهَادَ وَالنَّشَاطَ ، وَأَعِزَّنَا فِيهِ
مِنَ الْفِتَنِ » .

وَقَالَ مُعَلَّى بْنُ الْفَضْلِ : كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ
رَمَضَانَ ثُمَّ يَدْعُونَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمْ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ
كَانَ مِنْ دُعَائِهِمْ : « اللَّهُمَّ سَلِّمْنِي إِلَى رَمَضَانَ وَسَلِّمْ لِي رَمَضَانُ وَتَسَلِّمَهُ
مِنِّي مُتَقَبِّلًا » .

قَالَ النَّاطِمُ :

وَحُذِّ فِي بَيَانِ الصَّوْمِ غَيْرَ مُقْصَرٍ
عِبَادَةَ سِرٍّ ضِدَّ طَبْعِ مَعْوَدٍ
وَصَبْرٌ لِفَقْدِ الْإِلْفِ مِنْ حَالَةِ الصَّبَا
وَقَطْمٌ عَنِ الْمَحْبُوبِ وَالْمُتَعَوِّدِ
فَتَى فِيهِ بِالْوَعْدِ الْقَدِيمِ مِنَ الَّذِي
لَهُ الصَّوْمُ يُجْزِي غَيْرَ مُخْلِفٍ مَوْعِدِ

وَحَافِظٌ عَلَى شَهْرِ الصَّيَامِ فَإِنَّهُ
لَخَامِسُ أَرْكَانِ لِدِينِ مُحَمَّدٍ
تُغْلَقُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ إِذَا أَتَى
وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَانِ لِعُتْبِدِ
تُزْخَرُ جَنَاتُ النَّعِيمِ وَحُورُهَا
لِأَهْلِ الرِّضَا فِيهِ وَأَهْلِ التَّعَبْدِ
وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِلَيْلَةٍ
عَلَى أَلْفِ شَهْرِ فَضَّلَتْ فَلْتَرْصِدِ
فَارْغَمِ بِأَنْفِ الْقَاطِعِ الشَّهْرِ غَافِلًا
وَأَعْظَمِ بِأَجْرِ الْمُخْلِصِ الْمُتَعَبِّدِ
فَقُمْ لَيْلَهُ وَاطْوِ نَهَارَكَ صَائِمًا
وَصُنْ صَوْمَهُ عَنْ كُلِّ مُؤْهِدٍ وَمُفْسِدِ

اللَّهُمَّ أَهْلُ شَهْرِنَا عَلَيْنَا بِالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ ، وَاغْفِرْ
لَنَا كُلَّ قَبِيحٍ سَلَفَ وَكَانَ ، وَأَعْتَقْنَا فِيهِ مِنْ لَفَحَاتِ النَّيْرَانِ وَأَعِنَّا عَلَى
الْخَيْرِ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ
لَحْيَتَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ ، عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى

أَيَّجَازِهِ لِيَحْتَوِيَ عَلَى وَصِيَّةٍ ثَمِينَةٍ مِنْ أُبْلَغِ الرِّصَايَا وَأَقِيمِهَا وَأَجَلِّهَا وَأَنْفَعِهَا
فَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى الْأَمْرِ بِحِفْظِ عُضْوَيْنِ عَلَيْهِمَا مَدَارٌ عَظِيمٌ حَقِيقَتَيْنِ
بِتَعَاهُدِهِمَا بِالرَّعَايَةِ وَالْإِسْتِقَامَةِ وَالرَّقَابَةِ وَالصِّيَانَةِ أَلَا وَهُمَا اللِّسَانُ وَالْفَرْجُ
وَلَا شَكَّ أَنَّهُمَا إِنْ أُطْلِقَ سَرَاحُهُمَا فِي الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَطُرُقِ الْغِيِّ
وَالْفَسَادِ كَانَا أَصْلًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ وَالشَّرِّ وَالْهَلَاكِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وُقِيَ شَرُّ قَبْضِهِ وَذَبَذِبِهِ وَلَقَلَقِهِ فَقَدْ
وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مَنْصُورُ الدَّيْلَمِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ وَالْقَبْقَبُ الْبَطْنُ وَالذَّبْذَبُ الْفَرْجُ وَاللَّقْلُقُ اللِّسَانُ .

فَهَذِهِ الشَّهَوَاتُ بِهَا يَهْلِكُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّارَ فَقَالَ الْأَجُوفَانِ الْفَمُ وَالْفَرْجُ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ يُبْصِرُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ وَيَحْفَظُ لِسَانَهُ مِنَ الْفُضُولِ
وَالْهَذْيَانِ وَلَا يَتَعَدَّى بِفَرْجِهِ زَوْجَتَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَأَعْلَمْ أَنَّ زَلَّاتِ اللِّسَانِ عَظِيمَةٌ
فَزَلَّةٌ مِنْ زَلَّاتِهِ قَدْ تُؤَدِّي بِالْإِنْسَانِ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ وَمُفَارَقَةِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ
وَأَصْدِقَائِهِ وَجِيرَانِهِ فَلْيَحْذَرِ الْإِنْسَانُ مِمَّا يَجْرِي بِهِ لِسَانُهُ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ
وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ الْحَدِيثُ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مَرْفُوعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهُ قَالَ « إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتْ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تُذَكِّرُ اللِّسَانُ أَيْ تَقُولُ
اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا وَرُوي أَنَّ
عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَى أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ
يَمْدُ لِسَانَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو إِلَى اللَّهِ اللِّسَانُ عَلَى حِدَّتِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ عَلَى الصِّفَا يُلَبِّي وَيَقُولُ يَا لِسَانُ قُلْ خَيْرًا
تَغْنَمْ وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ فَقِيلَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَهَذَا
شَيْءٌ تَقُولُهُ أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ فَقَالَ لَا بَلْ شَيْءٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ
سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ اللَّهُ عَذَابَهُ وَمَنْ اعْتَذَرَ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ
اللَّهُ عَذْرَهُ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِخْزَنَ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ
تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوتًا
وَقُورًا فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقِنُ الْحِكْمَةَ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ خَلَادٍ بَلَفَظَ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ
زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقَلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقَى الْحِكْمَةَ .

وَلَا تَحْسَبَنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ قَاصِرًا عَلَى الصُّنْتِ فِي مَوْضِعِهِ أَوْ الْكَلَامِ
بَلْ يَتَعَدَّى إِلَى حِفْظِهِ مِنْ طَعَامٍ مَشْبُوءٍ أَوْ حَرَامٍ وَإِنْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ

اللِّسَانَ هُوَ الْوَسِيلَةُ لِمَضْغِ مَا يَأْكُلُهُ الْمَرْءُ وَقَدْفِهِ فِي الْمَعِدَةِ يَبْتَ الطَّعَامِ
وَمُسْتَقَرُّهُ وَلَيْصُنُهُ مِنَ الزَّلَلِ وَالْحَرَامِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ .

وَأَمَّا حِفْظُ الْفَرْجِ فَبِتَرْكِ التَّعَدِّي عَلَى أَغْرَاضِ النَّاسِ وَحُرْمَاتِهِمْ
وَوَضْعِهِ فِي الْحَلَالِ فِي الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعَةِ وَكَفِّهِ عَنِ الزَّنَا وَالْحَرَامِ وَالزَّنَا
آفَةٌ وَبَيَّةٌ عَلَى الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ وَقَدْ بَيَّنَّا مَضَارَّهُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

إِلَى كَمِّ ذَا التَّرَاخِي وَالتَّمَادِي
فَلَوْ كُنَّا جَمَادًا لَا تَعْظُنَا
تُنَادِينَا الْمَنِيَّةُ كُلَّ وَقْتٍ
وَأَنْفَاسُ النُّفُوسِ إِلَى انْتِقَاصِ
إِذَا مَا الزَّرْعُ قَارَنَهُ أَصْفَرَارُ
كَأَنَّكَ بِالْمَشِيبِ وَقَدْ تَبَدَّى
وَقَالُوا : قَدْ قُضِيَ فَاقْرَأُوا عَلَيْهِ

وَوَفَّ سَبِيلُ الدِّينِ بِالْمَعْرِفَةِ الْوُثْقَى
فَلَا ذِمَّةٌ أَقْوَى هُدَيْتَ مِنَ التَّقْوَى
يَمْنٌ بِهَا فَالشُّكْرُ مُسْتَحْلِبُ النُّعْمَى
فَإِنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ أَبْلَجُ لَا يَخْفَى
وَعُمْرُ قَصِيرٌ لَا يَدُومُ وَلَا يَتَّقَى
مَجْدُتُهُ تَبْلَى وَمُسَدَّتُهُ تَفْنَى
وَنَشْرُ أَعْمَالًا وَأَعْمَارُنَا تُطْوَى
وَتَشَابُنَا فِيهِ النَّوَائِبُ بِالْبَلَوَى

آخِرُ نَجَافٍ عَنِ الدُّنْيَا وَهُوَ لِقَدَرِهَا
وَسَارِعُ بَتَقْوَى اللَّهِ سِرًّا وَجَهْرَةً
وَلَا تَنْسَ شُكْرَ اللَّهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ
فَدَعْ عَنْكَ مَا لَا حَظَّ فِيهِ لِإِعَاقِلٍ
وَشُجَّ بِأَيَّامٍ بَقِيْنَ قِلَابِلٍ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعُمْرَ يَنْمُضِي مُوَلِيًّا
نَخْوُضُ وَنَلْهُو غَفْلَةً وَجَهَالَةً
تَوَاصَلْنَا فِيهِ الْحَوَادِثُ بِالرَّئِي

عَجِبْتُ لِتَفْسِيرِ تَبَصُّرِ الْحَقِّ بَيْنًا لَدَيْهَا وَتَأْنِي أَنْ تَفَارِقَ مَا تَهْوَى
وَتَسْعَى لِمَا فِيهِ عَلَيْهَا مَضْرُوءَةً وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سَوْفَ تُجْزَى بِمَا تَسْعَى
ذُنُوبِي أَخْشَاهَا وَلَشْتُ بِأَيْسَرٍ وَرَبِّي أَهْلٌ أَنْ يُخَافَ وَأَنْ يُرْجَى
وَأَنْ كَانَ رَبِّي غَافِرًا ذَنْبَ مَنْ يَشَاءُ فَإِنِّي لَا أَدْرِي الْأَكْرَمُ أَمْ الْأَخْزَى

عِبَادَ اللَّهِ إِذَا حَضَرْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ مَعَ الْأَبْدَانِ وَقُومُوا بَيْنَ
يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِخُضُوعٍ وَخُشُوعٍ وَهَيْبَةٍ وَوَقَارٍ وَاسْتِكَانَةٍ وَتَعْظِيمٍ أَلَا فَرَّاقِبُوا اللَّهَ
وَاعْرِفُوا قَدْرَ مَنْ قُتِمْتُمْ لَهُ فَعَظُمُوهُ وَهَابُوهُ فَقَدْ رَوَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ « وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ » قَالَ الْقُنُوتُ الْخُشُوعُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَغَضَّ الْبَصَرِ
وَحَفَضَ الْجَنَاحَ مِنْ رَهْبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَكَانَ الْعُلَمَاءُ إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ لِلصَّلَاةِ هَابَ أَنْ يَتَلَفَّتْ أَوْ يَتَعَبَثَ بِشَيْءٍ مِنْ
شُؤْنِ الدُّنْيَا إِلَّا نَاسِيًا لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَذَبَّرَ
وَيَتَفَهَّمُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ قِرَاءَةٍ وَتَسْبِيحٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَهْلِيلٍ وَالْمَقْصُودُ مِنَ الرُّكُوعِ
وَالسُّجُودِ وَیَسْتَحْضِرُ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَى اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ
يَرَاهُ وَكَانَ بَعْضُ التَّابِعِينَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَكَانَ يَقُولُ أَتَذَرُونَ بَيْنَ يَدَيِ
مَنْ أَقِفَ وَمَنْ أُنَاجِيَ مَنْ مِثًا فِي قَلْبِهِ مِثْلُ هَذَا الْإِجْلَالِ وَالْهَيْبَةِ وَالتَّعْظِيمِ لِيَبْدِيعِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ بَلَّغْنَا أَنْ مِنْ تَبْعِظِمِهِمْ لِلَّهِ وَلَا مَرِيهَ أَنْ أَحَدَهُمْ كَانَ إِذَا
فَاتَتْهُ تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ عَزَّوهُ بِمُصِيبَتِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوَفَّقْنَا لِشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَارْزُقْنَا
التَّائِبَ وَالْإِسْتِعْدَادَ لِلِقَائِكَ وَاجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَاعْفُ
لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الأول في التوبة من المعاصي

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهَ وَايَاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ ، أَنَّ الذُّنُوبَ حِجَابٌ عَنِ
اللَّهِ ، وَالْانْصِرَافُ عَنْ كُلِّ مَا يُبْعَدُ عَنِ اللَّهِ وَاجِبٌ ، وَأَمَّا يَتِمُّ ذَلِكَ بِالْعِلْمِ
وَالنَّدَمِ وَالْعَزْمِ ، فَإِنَّهُ مَتَى لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الذُّنُوبَ أَسْبَابُ الْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ لَمْ
يَنْدَمْ عَلَى الذُّنُوبِ وَلَمْ يَتَوَجَّعْ بِسَبَبِ سُلُوكِهِ طَرِيقَ الْبُعْدِ ، وَإِذَا لَمْ يَتَوَجَّعْ
لَمْ يَرْجِعْ ، وَالتَّوْبَةُ : الرَّجُوعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ مِنْ
كُلِّ ذَنْبٍ ، فَإِنْ كَانَتِ الْمَعْصِيَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ تَعَالَى لَا تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ
أَدَمِيٍّ ، فَلَهَا ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ :

الأولُ : الإِقْلَاعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي هُوَ مُتَلَبِّسٌ بِهَا ، وَعَلَامَتُهُ مُفَارَقَةُ
الذَّنْبِ فَوْراً .

الثاني : النَّدَمُ عَلَى فِعْلِهَا ، وَعَلَامَتُهُ طُولُ الْحُزَنِ عَلَى مَا فَاتَ
وَوَرَدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : « النَّدَمُ تَوْبَةٌ » .

الثالثُ : الْعَزْمُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مَعْصِيَةِ أَبَدًا ، وَعَلَامَتُهُ
التَّذَارُكُ لِمَا فَاتَ وَاصْلَاحُ مَا يَأْتِي ، فَإِنْ كَانَ الْمَاضِي تَفْرِيطًا فِي عِبَادَةِ

قَضَاها ، أَوْ مَظْلَمَةً أَدَّاهَا ، أَوْ خَطِيئَةً لَا تُوجِبُ غَرَامَةً حَزَنَ إِذْ تَعَاطَاهَا .

فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الشُّرُوطِ الثَّلَاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ . وَإِنْ كَانَتْ الْمَعْصِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِأَدَمِيٍّ ، فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ ، الثَّلَاثَةُ الشُّرُوطُ الْمَذْكُورَةُ وَالرَّابِعُ : أَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهَا ، فَإِنْ كَانَتْ مَالًا أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِ ، إِنْ كَانَ مُوجُودًا أَوْ رَدَّ بَدَلَهُ عِنْدَ تَلْفِهِ مِنْ قِيَمَةٍ أَوْ مِثْلِ . وَإِنْ كَانَتْ حَدًّا قَذَفَ وَنَحْوَهُ مَكَنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ غِيْبَةً اسْتَحْلَلَهُ مِنْهَا إِنْ كَانَ عَاقِلًا حَلِيمًا ، يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا جَاءَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ نَادِمًا تَائِبًا عَفَا عَنْهُ وَسَامَحَهُ ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَغْفِرْ لَهُ . لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ كَفَّارَةِ الْغِيْبَةِ أَنْ تَسْتَغْفَرَ لِمَنْ اغْتَبَتَهُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » .

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّوْبَةِ ، وَبَيَّنَّ مَا لِلتَّائِبِينَ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْأَجْرِ ، فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَالنُّصْحُ فِي التَّوْبَةِ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةً أَشْيَاءَ ،

الأول : تَعْمِيمُ جَمِيعِ الذُّنُوبِ واستغرافُهَا بِهَا بِحَيْثُ لَا تَدْعُ ذَنْبًا إِلَّا تَنَاوَلْتَهُ
والثاني : اجماعُ العزمِ والصدقِ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَيْهَا بِحَيْثُ لَا يَتَّقَى تَرَدُّدٌ وَلَا
تَلَوُّمٌ وَلَا انْتِظَارٌ بَلْ يُجْمَعُ كُلُّ إِرَادَتِهِ وَعَزِيمَتِهِ مُبَادِرًا بِهَا .

الثالث : تَخْلِيصُهَا مِنَ الشَّوَائِبِ وَالْعِلَلِ الْقَادِحَةِ فِي اخْلَاصِهَا
وَوُقُوعِهَا لِمَحْضِ الْخَوْفِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، والرَّغْبَةِ فِيمَا لَدَيْهِ ، والرَّهْبَةِ
مِمَّا عِنْدَهُ ، لَا كَمَنْ يَتُوبُ لِحِفْظِ جَاهِهِ وَحُرْمَتِهِ وَمَنْصِبِهِ وَرِيَاسَتِهِ ، أَوْ
لِحِفْظِ حَالِهِ أَوْ لِحِفْظِ قُوَّتِهِ وَمَالِهِ أَوْ اسْتِدْعَاءِ حَمْدِ النَّاسِ أَوْ لِهَرَبِ مَنْ
ذَمُّهُمْ أَوْ لِيَثَلَا يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ السُّفَهَاءُ أَوْ لِقَضَاءِ نَهْمَتِهِ مِنَ الدُّنْيَا أَوْ لِإِفْلَاسِهِ
وَعَجْزِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي صِحَّتِهَا وَخُلُوصِهَا لِلَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ أَهـ .

وأخبرَ أَنَّهُ غَفَّارٌ لِلذُّنُوبِ التَّائِبِينَ ، فقال عَزَّ شَأْنُهُ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاجِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ
مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ وأخبرَ سبحانه أَنَّهُ يُحِبُّ التَّوَابِينَ ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ التَّوَابِينَ ﴾ .

وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ
وَاسْتَغْفِرُوهُ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « والله إني لاستغفرُ الله وأتوبُ إليه في اليومِ أكثرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » رواه البخاري .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاجِلَيْهِ بِأَرْضِ فَلَاقَ فَاثْنَيْتَيْنِ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا وَقَدْ أَيْسَ مِنْ رَاجِلَيْهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » الحديث رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » رواه مُسْلِم .

والأحاديثُ في هذا كَثِيرَةٌ ، والاجماعُ مُنْعَقِدٌ عَلَى وَجُوبِ التَّوْبَةِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِهَا ، وَلِأَنَّ الذُّنُوبَ مُهْلِكَاتٌ مُبْعَدَاتٌ عَنِ اللَّهِ فَيَجِبُ الْهَرَبُ مِنْهَا عَلَى الْفَوْرِ ، وَلِيَحْذَرُ الْإِنْسَانُ كُلُّ الْحَذَرِ مِنَ الذُّنُوبِ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ . وَوُجُوبُ التَّوْبَةِ مِنَ الْكَبَائِرِ أَهْمٌ وَآكِدٌ ، وَالْإِضْرَارُ عَلَى الصَّغِيرَةِ أَيْضًا كَبِيرَةٌ ، فَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِضْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ . وَتَوَاتُرُ الصَّغَائِرِ عَظِيمُ التَّأثيرِ فِي تَسْوِيدِ الْقَلْبِ وَهُوَ كَتَوَاتُرِ قَطَرَاتِ الْمَاءِ عَلَى الْحَجَرِ ، فَإِنَّهُ يُحْدِثُ فِيهِ حُفْرَةً لَا مَحَالَةَ مَعَ لَيْنِ الْمَاءِ وَصَلَابَةِ الْحَجَرِ . فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَرِصِدَ قَلْبَهُ بِاسْتِمْرَارٍ وَبِرَاقِبٍ حَرَكَاتِهِ وَيُسَجِّلَ تَصَرُّفَاتِهِ وَلَا يَتَسَاهَلَ وَلَا يَقُولَ إِنَّهَا مِنَ التَّوْفِيقِ الصَّغِيرِ وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ »

فإنهن يجتمعن على الرجل يُهْلِكَنَّهُ .

وإلى هذا المعنى أشار الشاعر :

ولا تَحْتَقِرْ كَيْدَ الضَّعِيفِ فَرُبَّمَا
تَمُوتُ الْأَفَاعِي مِنْ سُمُومِ الْعَقَارِبِ
وَقَدْ هَدَّ قَدَمًا عَرْشَ بَلْقَيْسَ هُذُودُ
وَحَرَّبَ حَفْرُ الْفَارِ سَدَّ مَآرِبِ

وقال الآخر :

لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرًا فِي مُخَاصَمَةٍ
إِنَّ الْبُعُوضَةَ تُذِمِّي مُقَلَّةَ الْأَسَدِ

آخر:

لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صِغَارَهَا فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَتَدَفَّقُ الْخِلْجَانِ

آخر:

خَلِ الذُّنُوبُ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

وكما أن خير الأعمال الصالحة أدومها وإن قل ، وأيضاً الكبائر قلماً
تقع من غير سوابق ومقدمات من الصغائر ، فمثلاً الزنا - والعياذ بالله -
قلماً يقع فجأة بل تتقدم عليه مراودة أو قبلة أو لمس .

اللهم أرزقنا العافية في أبداننا والعصمة في ديننا وأحسن منقلبنا
ووفقنا للعمل بطاعتك أبداً ما أبقيتنا واجمع لنا بين خيري الدنيا والآخرة
واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا
أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الثاني

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : وَلِلْمَعَاصِي مِنَ الْآثَارِ الْمُضِرَّةِ بِالْقَلْبِ
وَالْبَدَنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، فَمِنْهَا أَنَّهَا مَدَدٌ مِنَ
الْإِنْسَانِ يَمُدُّ بِهِ عَدُوَّهُ عَلَيْهِ وَجَيْشٌ يُقَوِّيهِ بِهِ عَلَى حَرْبِهِ وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا أَنَّهَا
تُخَوِّنُ الْعَبْدَ أَخَوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى نَفْسِهِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تُجَرِّئُ الْعَبْدَ عَلَى مَنْ
لَمْ يَكُنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ . وَمِنْهَا الطَّغْيُ عَلَى الْقَلْبِ إِذَا تَكَاثَرَتْ حَتَّى يَصِيرَ
صَاحِبُ الذَّنْبِ مِنَ الْغَافِلِينَ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
« كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » هُوَ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ
وَقَالَ : هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَغْمَى الْقَلْبُ . وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ الْقَلْبَ
يَصْدَأُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فَإِذَا زَادَتْ غَلَبَ الصَّدَأُ حَتَّى يَصِيرَ رَانًا ثُمَّ يَغْلِبُ حَتَّى
يَصِيرَ طَبْعًا وَقَفْلًا وَخَتْمًا فَيَصِيرَ الْقَلْبُ فِي غِشَاوَةٍ وَغِلَافٍ .

ومنها إفساد العقل فإنَّ العقلَ نُورٌ والمَعْصِيَةُ تُظْفِي نُورَ الْعَقْلِ
ومنها أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ يَرْتَكِبُ الذُّنُوبَ حَتَّى تَهْوَنَ عَلَيْهِ وَتَصَغُرَ فِي
قَلْبِهِ .

ومنها أَنَّ يَنْسَلِخَ مِنَ الْقَلْبِ اسْتِقْبَاحُهَا فَتَصِيرَ لَهُ عَادَةً .

ومنها أَنَّ المعاصِيَ تَزْرَعُ أمثالها وَيُولَدُ بعضها بعضاً .

ومنها ظُلْمَةٌ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ يُحِسُّ بِهَا كَمَا يُحِسُّ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ .

ومنها أَنَّ المعاصِيَ تُوهِنُ الْقَلْبَ وَالْبَدْنَ أَمَّا وَهْنُهَا لِلْقَلْبِ فَأَمْرٌ ظَاهِرٌ
بَلْ لَا تَزَالُ تُوهِنُهُ حَتَّى تُزِيلَ حَيَاتُهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَأَمَّا وَهْنُهَا لِلْبَدَنِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ
قُوَّتُهُ فِي قَلْبِهِ وَكُلَّمَا قَوِيَ قَلْبُهُ قَوِيَ بَدَنُهُ .

ومنها أَنَّ المعاصِيَ تَمْحَقُ الْعُمَرَ إِذْ أَنَّ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا شُرُورٌ .
وَمِنْهَا شِمَاتُهُ الْأَعْدَاءِ فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا أَضْرَارٌ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا
وَهَذَا مَا يُفْرِحُ الْعَدُوُّ وَيُسِيءُ الصَّدِيقُ .

وَمِنْهَا تَعْسِيرُ أُمُورِهِ فَلَا يَتَوَجَّهُ لِأَمْرٍ إِلَّا يَجِدُهُ مُغْلَقًا دُونَهُ أَوْ مُتَعَسِّرًا
عَلَيْهِ .

وَمِنْهَا الرُّوحَشَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَلَا سِيَّمًا أَهْلَ الْخَيْرِ .
وَمِنْهَا جَزْمَانُ دَعْوَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعْوَةُ الْمَلَائِكَةِ لِلَّذِينَ
تَابُوا وَمِنْهَا أَنَّ الذُّنُوبَ تَدْخُلُ الْعَبْدَ تَحْتَ لَعْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

وَمِنْهَا أَنَّهَا تُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ فِي الْمِيَاهِ وَالْهَوَاءِ
وَالزَّرْعِ وَالشِّمَارِ وَالْمَسَاكِينِ .

وَمِنْهَا أَنَّهَا تُطْفِئُ مِنَ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ .

وَمِنْهَا ذَهَابُ الْحَيَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْقَلْبِ .

وَمِنْهَا أَنَّهَا تُضْعِفُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ وَتُضْعِفُ وَقَارَهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ .

وَمِنْهَا أَنَّهَا تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ وَتَرْكِهِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تُخْرِجُ الْعَبْدَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ وَتَمْنَعُهُ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تُضْعِفُ سِرَّ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تَصْرِفُ الْقَلْبَ عَنْ صِحَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ .

وَمِنْهَا أَنَّهَا تُعْمِي بَصِيرَةَ الْقَلْبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ وَتَسُدُّ طُرُقَ الْعِلْمِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تُصَغِّرُ النَّفْسَ وَتَحْقِرُهَا وَتَقْمَعُهَا .

وَمِنْهَا أَنَّ الْعَاصِيَ فِي أَسْرِ شَيْطَانِهِ وَسَجْنِ شَهَوَاتِهِ .

وَمِنْهَا سُقُوطُ الْجَاهِ وَالْمَنْزَلَةِ وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تُوجِبُ الْقَطِيعَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تَسْلُبُ صَاحِبَهَا أَسْمَاءَ الْمَدْحِ وَالشَّرَفِ . وَمِنْهَا أَنَّهَا تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مِنَ السَّفَلَةِ انْتَهَى .

شعراً :

أَلَا أَيُّهَا الْمُسْتَطَرِفُ الذَّنْبَ جَاهِداً
هُوَ اللَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ السَّرَائِرُ
فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْرِفْهُ حِينَ عَصَيْتَهُ
فَإِنَّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ اللَّهَ كَافِرٌ
وَإِنْ كُنْتَ عَنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بِهِ
عَصَيْتَ فَأَنْتَ الْمُسْتَهْتِنُ الْمُجَاهِرُ

فَأَيُّهَ حَالِيكَ اعْتَقَدْتَ فَإِنَّهُ
عَلِيمٌ بِمَا تُطَوِّى عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ

وَتَلَحُّظُنِي مُلَاحَظَةً الرَّقِيبِ	تُغَارِزُنِي الْمَنِيَّةُ مِنْ قَرِيبِ
بِحَظِّ الدَّهْرِ أَسْطَرُّهُ مَشِيبِي	وَتَنْشُرُ لِي كِتَاباً فِيهِ طَيِّبِي
يَلُوحُ لِكُلِّ أَوَابٍ مُنِيبِ	كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضٌ
وَقَدْماً كُنْتُ رَيَّانَ الْقَضِيبِ	أَرَى الْأَغْصَارَ تَغْصِرُ مَاءَ عُودِي
فَعَوَّضْتُ الْبَغِيزَ مِنَ الْحَبِيبِ	أَدَالَ الشَّيْبُ يَا صَاحِبَ شَبَابِي
وَمِنْ حُسْنِ النَّضَارَةِ بِالشُّحُوبِ	وَبُدِّلْتُ الشَّاوِلَ مِنْ نَشَاطِي
إِذَا جَنَحَتْ وَمَالَتْ لِلْغُرُوبِ	كَذَاكَ الشَّمْسُ يَغْلُوهَا أَصْفَرَارُ
وَلَا تُتْلَقَى بِأَسَادِ الْحُرُوبِ	تُحَارِبُنَا جُنُودٌ لَا تُجَارِي
فَتَنْزِلُ بِالْمُطَبِّبِ وَالطَّيِّبِ	هِيَ الْأَقْدَارُ وَالْأَجَالُ تَأْتِي
وَمَا أَغْرَاضُهَا غَيْرُ الْقُلُوبِ	تُفَوِّقُ أَتْنَهُمَا عَنْ قَوْسِ غَيْبِ
مُؤَيَّدَةً ثَمَدٌ مِنَ الْغُيُوبِ	فَأَتَى بِاخْتِرَاسٍ مِنْ جُنُودِ
عَلَى مَا قَدْ رَكِبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ	وَمَا آسَى عَلَى الدُّنْيَا وَلَكِنْ
وَيَا وَيْحِي مِنَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ	فِيَا لَهْفِي عَلَى طُولِ اغْتِرَارِي
عَلَى حُؤْلِي بِتَهْتَانِ سَكُوبِ	إِذَا أَنَا لَمْ أَتُخِ نَفْسِي وَأَبْكِي
عَلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبِ؟	فَمَنْ هَذَا الَّذِي بَعْدِي سَيِّكِي

اللَّهُمَّ اسئلكَ بِنَا مَنَاجِجِ السَّلَامَةِ وَعَافِنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْجَسَرَةِ وَالنَّدَامَةِ
وَوَفَّقْنَا لِلِاسْتِعْدَادِ لِمَا وَعَدْتَنَا وَأَدِّمْ لَنَا إِحْسَانَكَ وَلُطْفَكَ كَمَا عَوَّدْتَنَا
وَاتِمِّمْ عَلَيْنَا مَا بِهِ أَكْرَمْتَنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الثالث

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الذُّنُوبَ
وَالْمَعَاصِيَ تَضُرُّ وَلَا بُدَّ ، أَنَّ ضَرَرَهَا فِي الْقَلْبِ كَضَرَرِ السُّمُومِ فِي
الْأَبْدَانِ عَلَى إختلافِ دَرَجاتِها فِي الضَّرَرِ . وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرٌّ
وَدَاءٌ ، إِلَّا بِسَبَبِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي ؟

إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : فَمَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبْرِيْنَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّعِيمِ
وَاللَّذَّةِ وَالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ إِلَى دَارِ الْأَلَامِ وَالْأَحْزَانِ وَالْمَصَائِبِ وَمَا الَّذِي
أَخْرَجَ إِبْلِيسَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ وَمَسَخَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ فَجَعَلَ
صُورَتَهُ أَقْبَحَ صُورَةٍ وَأَشْنَعَهَا وَبَاطِنَهُ أَقْبَحَ مِنْ صُورَتِهِ وَأَشْنَعَ وَبَدَّلَ بِالْقُرْبِ
بُعْدًا وَبِالرَّحْمَةِ لَعْنَةً وَبِالْجَمَالِ قُبْحًا وَبِالْجَنَّةِ نَارًا تَلْظِي وَبِالْإِيمَانِ كُفْرًا ،
وَبِمُؤَالَاةِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ عَدَاوَةً وَمُشَاقَّةَ وَبِزَجْلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ
وَالْتَهْلِيلِ زَجَلَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ ، فَهَانَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى غَايَةُ
الْهَوَانِ وَسَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ غَايَةُ السُّقُوطِ وَحَلَّ عَلَيْهِ غَضَبُ الرَّبِّ تَعَالَى
فَأَهْوَاهُ ، وَمَقَتَهُ أَكْبَرَ الْمَقَاتِ فَأَرْدَاهُ ، فَصَارَ قَوَادًا لِكُلِّ فَاسِقٍ وَمُجْرِمٍ رَضِيَ
لِنَفْسِهِ بِالْقِيَادَةِ بَعْدَ تِلْكَ الْعِبَادَةِ وَالسِّيَادَةِ .

فَعِيادًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَآرْتِكَابِ نَهْيِكَ .

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ حَتَّىٰ عَلَا الْمَاءُ فَوْقَ رُؤُوسِ
الْجِبَالِ . وَمَا الَّذِي سَلَطَ الرِّيحَ عَلَىٰ قَوْمٍ عَادٍ حَتَّىٰ أَلْقَتْهُمْ مَوْتَىٰ عَلَىٰ
وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ وَدَمَّرَتْ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنْ دِيَارِهِمْ
وَحُرُونِهِمْ وَزُرُوعِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ حَتَّىٰ صَارُوا عِبْرَةً لِلْأَمَمِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَىٰ قَوْمٍ ثَمُودَ الصَّيْحَةَ حَتَّىٰ قَطَعَتْ قُلُوبَهُمْ فِي
أَجْوَانِهِمْ وَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَمَا الَّذِي رَفَعَ قُرَى اللُّوطِيَّةِ حَتَّىٰ سَمِعَتْ
الْمَلَائِكَةُ نِبَاحَ كِلَابِهِمْ ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ فَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلَهَا فَأَهْلَكَهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ اتَّبَعَهُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ أَمَرَهَا عَلَيْهِمْ فَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ
مَا لَمْ يَجْمَعْهُ عَلَىٰ أُمَّةٍ غَيْرِهِمْ ، وَلَا خَوَانِهِمْ أَمْثَالُهَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا هِيَ
مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ ﴾ .

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَىٰ قَوْمٍ شُعَيْبٍ سَحَابَ الْعَذَابِ كَالظُّلُلِ فَلَمَّا
صَارَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ نَارًا تَلْظَىٰ . وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ
فِي الْبَحْرِ ثُمَّ نُقِلَتْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ، فَلَا جَسَادَ لِلْغَرَقِ وَالْأَرْوَاحُ
لِلْحَرَقِ ، وَمَا الَّذِي خَسَفَ بِقَارُونَ وَدَارِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ ، وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ
الْقُرُونُ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ وَدَمَّرَهَا تَدْمِيرًا ، وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ
قَوْمَ صَاحِبِ يَسَ بِالصَّيْحَةِ حَتَّىٰ خَمَدُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

وَمَا الَّذِي بَعَثَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا أُولَىٰ بِأَسْرِ شَدِيدٍ فَجَاسُوا
خِلَالَ الدِّيَارِ وَقَتَلُوا الرِّجَالَ وَسَبَّوْا الذَّرِيَّةَ وَالنِّسَاءَ ، وَأَحْرَقُوا الدِّيَارَ وَنَهَبُوا
الْأَمْوَالَ ، ثُمَّ بَغَتْهُمْ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً فَأَهْلَكُوا مَا قَدِرُوا عَلَيْهِ وَتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا
تَبِيرًا ، وَمَا الَّذِي سَلَطَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ مَرَّةً بِالْقَتْلِ وَالسَّبِّ وَخَرَابِ
الْبِلَادِ وَمَرَّةً بِجَوْرِ الْمُلُوكِ وَمَرَّةً بِمَسْخِهِمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ وَآخِرُ ذَلِكَ أَقْسَمَ

الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُؤُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ .

شِعْرًا :

دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنْوَحُ وَأُنْدُبُ
بِذَمِّ غَزِيرٍ وَإِكْفٍ يَتَصَبَّبُ
دَعُونِي عَلَى نَفْسِي أَنْوَحُ فَإِنِّي
أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الضَّعِيفَةِ تَغْطِبُ
وَإِنِّي حَقِيقٌ بِالتَّضَرُّعِ وَالْبُكَاءِ
إِذَا مَا هَذَا النُّوَامُ وَاللَّيْلُ غَيَّهَبُ
وَجَالَتْ دَوَاعِي الْحُزَنِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَعَارَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ وَانْقَضَ كَوْكَبُ
كَفَى أَنْ عَيْنِي بِالدُّمُوعِ بِخَيْلَةٍ
وَإِنِّي بِآفَاتِ الذُّنُوبِ مُعَذَّبُ
فَمَنْ لِي إِذَا نَادَى الْمُنَادِي بِمَنْ عَصَى
إِلَى أَيْنَ الْجَائِي إِلَى أَيْنَ أَهْرَبُ
وَقَدْ ظَهَرَتْ تِلْكَ الْفَضَائِحُ كُلُّهَا
وَقَدْ قُرَّبَ الْمِيزَانُ وَالنَّارُ تَلْهَبُ
فَيَا طُولَ حُزْنِي ثُمَّ يَا طُولَ حَسْرَتِي
لَنْ كُنْتُ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ أَعَذَّبُ
فَقَدْ فَازَ بِالْمُلْكِ الْعَظِيمِ عَصَابَةُ
تَبَيَّتْ قِيَامًا فِي دُجَى اللَّيْلِ تَرْهَبُ

إِذَا أَشْرَفَ الْجَبَّارُ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ
وَقَدْ زُيِّنَتْ حُورُ الْجِنَانِ الْكَوَاعِبُ
فَنَادَاهُمْ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
أَبَحْتُ لَكُمْ دَارِي وَمَا شِئْتُمْ اظْلُبُوا

قال العلماء وتعظم الصغيرة بأسباب منها : أن يستصغرها الانسان ويستهن بها فلا يغتم بسببها ولا يُبالي ، ولكن المؤمن المجلل لله المعظم له هو المستعظم لذنبه وإن صغر فإن الذنب كلما استعظمه العبد صغر عند الله تعالى وكلما استصغره كبر عند الله تعالى فإن استعظامه يكون عن نفور القلب منه وكراهيته له .

قال ابن مسعود : إن المؤمن يرى ذنبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا ، أخرجاه في الصحيحين . وفي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا لننعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات .

وقال بلال بن سعد رضي الله عنه : لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى عظمة من عصيت . ومنها : السرور بها والتبجح بسببها واعتقاد التمكن منها نعمة حتى إن المذنب المجاهر بالمعاصي ليفتخر بها فيقول : ما رأيتني كيف شتمته وكيف مزقت عرضه وكيف خدعته في المعاملة .

ومنها : أن يتهاون بستر الله عليه .

ومنها : أن يُجَاهَرَ بالذنب ويُظْهِرَهُ وَيَذْكُرَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرُونَ » . ومنها : أن تَصُدَّرَ الصَّغِيرَةُ عَنْ عَالِمٍ يُقْتَدَى بِهِ فَذَلِكَ عَظِيمٌ ، لِأَنَّهُ يَتَّبَعُهُ عَلَيْهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَيَبْقَى أَثَرُهَا بَعْدَهُ .

أَسِيرُوا الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَأَقِفْ	لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالَفٌ
قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغَيْرَةً	وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفٌ
ثَزِيدُ سِنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضِلَّةً	فَهَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ غَاكِفٌ
تَطْلُعُ صَبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلِمٌ	فَمَا طَافَ فِيهِ مِنْ سَنَةِ الْحَقِّ طَائِفٌ
ثَلَاثُونَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ كَانُهَا	حُلُومُ مَنَامٍ أَوْ بَرُوقُ خَوَاطِفِ
وَجَاءَ الْمَشِيبُ الْمُنْذِرُ الْمَرءَ أَنَّهُ	إِذَا ارْتَحَلَتْ عَنْهُ الشَّيْبَةُ تَأْلُفُ
أَيُّهَا الْمَغْرُورُ قَدْ أَذْبَرَ الصَّبَا	وَنَادَاكَ مِنْ سَنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفُ
فَهَلْ أَرَقَ الطَّرْفُ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى	وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
فَجُدْ بِاللُّمُوعِ الْحُمْرِ حُزْنًا وَحَسْرَةً	فَدَمْعُكَ يُبَيِّنُ أَنَّ قَلْبَكَ آسِيفُ

اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجُوهَنَا عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ فَصُنْ وَجُوهَنَا عَنِ الْمَسْأَلَةِ لِغَيْرِكَ . اللَّهُمَّ مَنْ كَانَ عَلَى هَوَىٍّ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ فَرَدَّهُ إِلَى الْحَقِّ حَتَّى لَا يَظِلَّ مِنْ هَذِهِ الْأَمَةِ أَحَدٌ . اللَّهُمَّ لَا تَشْغَلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكْفُلْتَ لَنَا بِهِ وَلَا تَجْعَلْنَا فِي رِزْقِكَ خَوَلًا لِغَيْرِكَ وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الرابع

واعلم أن التوبة إذا صحت بأن اجتمعت شروطها وانتفت موانعها قبلت بلا شك إذا وقعت قبل نزول الموت ، لو كانت عن أي ذنب كان وقبل طلوع الشمس من مغربها كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ أَيْ مَا لَمْ تَبْلُغْ رَوْحَهُ حُلُقُومَهُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الشَّيْءِ الَّذِي يَتَغَرَّغُ بِهِ الْمَرِيضُ ، وَالْغَرَّغَةُ أَنْ يُجْعَلَ الْمَشْرُوبُ فِي الْفَمِ وَيُرَدَّدَ إِلَى أَصْلِ الْحَلْقِ وَلَا يُبْلَعُ ، فَهَذِهِ الْحَالَةُ حَالَةُ حُضُورِ الْمَوْتِ وَبَعْدَ حُضُورِ الْمَوْتِ لَا يُقْبَلُ مِنَ الْعَاصِينَ تَوْبَةٌ وَلَا مِنَ الْكَافِرِينَ رُجُوعٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ : ﴿ فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ : آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ .

وَمِنَ الْمَعْقَاتِ الضَّارَّةِ التَّسْوِيفُ بِالتَّوْبَةِ فَمِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى أَنْ يَتُوبَ فَتَارِكُ الْمُبَادَرَةَ بِالتَّوْبَةِ بَيْنَ خَطَرَيْنِ عَظِيمَيْنِ أَحَدُهُمَا

أَنْ تَتَرَكَمُ الظُّلْمَةَ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الْمَعَاصِي حَتَّى تَصِيرَ رَيْنًا وَطَبْعًا وَثَانِيَهُمَا
أَنْ يُعَاجِلَهُ الْمَرَضُ فَلَا يَجِدُ مُهْلَةً لِلِاشْتِغَالِ بِمَحْوٍ مَا وَقَعَ مِنَ الظُّلْمَةِ فِي
الْقَلْبِ فَيَأْتِي رَبَّهُ بِقَلْبٍ غَيْرِ سَلِيمٍ وَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .

وَيَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَمْتَنِعَ مِنَ التَّوْبَةِ خَشْيَةَ الْوُقُوعِ فِي ذَنْبٍ مَرَّةً
أُخْرَى فَإِنْ هَذَا ظَنٌّ يُدْخِلُهُ الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِهِ لِيُؤَخِّرَ التَّوْبَةَ وَلَرَبَّمَا يَقُولُ فِي
نَفْسِهِ سَأَسْتَمِرُّ فِي الْمَعَاصِي أَيَّامَ شَبَابِي وَصَحَّتِي ثُمَّ أَتُوبُ بَعْدَ ذَلِكَ ،
وَهَكَذَا يُسَوِّفُ وَيُؤَخِّرُ ، وَإِذَا بِالْمَوْتِ أَوْ الْمَرَضِ يُفَاجِئُهُ فَلَا يَجِدُ مُتَسَعًّا
لِلتَّوْبَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ . وَلِلذَلِكَ كَانَ
السَّلَفُ الصَّالِحُ تَكَادُ تَخْلُعُ قُلُوبُهُمْ فِي كُلِّ مَرَضَةٍ يَمْرَضُونَهَا ، لِاحْتِمَالِ
أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْمَرَضَةُ إِخْرَاجًا لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَتِمَّكَتُوا مِنْ تَدَارُكِ مَا
فَاتَ مِنْ الْهَفَوَاتِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَلِلِاسْتِكْثَارِ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ .
وَمَرِضَ مَرَّةً بَعْضُ الصَّالِحِينَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ فَقَالُوا لَهُ كَيْفَ
تَجِدُكَ ؟ قَالَ : مُوقَّرًا بِالذُّنُوبِ فَقَالُوا : هَلْ تَشْتَهِي شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ! أَنْ
يَمُنَّ عَلَيَّ رَبِّي بِالتَّوْبَةِ عَنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ قَبْلَ مَوْتِي .

وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ مَا مِثَالُ الْمُسَوِّفِ بِالتَّوْبَةِ إِلَّا مِثَالُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى
قُلْعِ شَجَرَةٍ فَرَأَاهَا قَوِيَّةً لَا تَنْقَلِعُ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ فَقَالَ : أَوْخِرْهَا سَنَةً ثُمَّ
أَعُودُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الشَّجَرَةَ كُلَّمَا بَقِيَتْ أَزْدَادَتْ قُوَّةَ لَرُسُوخِهَا وَكُلَّمَا
طَالَ عُمُرُهُ أَزْدَادَ ضَعْفُهُ فَلَا حِمَاقَةَ فِي الدُّنْيَا أَعْظَمُ مِنْ حِمَاقَتِهِ إِذْ عَجَزَ مَعَ
قُوَّتِهِ عَنْ مُقَاوَمَةِ ضَعِيفٍ فَأَخَذَ يَنْتَظِرُ الْغَلْبَةَ عَلَيْهِ إِذَا ضَعُفَ هُوَ فِي نَفْسِهِ
وَقُوِّيَ الضَّعِيفُ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَهُ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ

التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ اليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب اليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته حتى يقول عدو الله يا ليتني تركته ولم أوقعه وهذا معنى قول بعض السلف إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ويعمل الحسنة يدخل بها النار قالوا : كيف ؟ قال : يعمل الذنب فلا يزال نُصِبَ عينيه خائفاً منه مُشْفِئاً وجلاً باكياً نادماً مُسْتَجِياً مِنْ رَبِّهِ تعالى ناكِسَ الرأسِ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ له فيكون ذلك الذنب أنفع له مِنْ طاعات كثيرة بما ترتب عليه مِنْ هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه حتى يكون ذلك الذنب سبب دخول الجنة .

وَيَفْعَلُ الْحَسَنَةَ فَلَا يَزَالُ يَمُنُّ بِهَا عَلَى رَبِّهِ وَيَتَكَبَّرُ بِهَا وَيَرَى نَفْسَهُ شَيْئاً وَيُعْجَبُ بِهَا وَيَسْتَطِيلُ بِهَا وَيَقُولُ فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ ، فَيُورِثُهُ مِنَ الْعُجْبِ وَالْكِبَرِ وَالْفَخْرِ وَالِاسْتِطَالَةِ مَا يَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ .

فاذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيراً ابتلاه بأمر يكسره به ويدل به غنقه ويصغر به نفسه عنده ، وإذا أراد به غير ذلك خلّاه وعجبه وكبره وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه فإن العارفين كلهم مُجمعون على أن التوفيق هو أن لا يَكِلَكَ اللهُ تعالى إلى نفسك ، والذل أن يَكِلَكَ اللهُ إلى نفسك . انتهى .

يَا مَنْ يُغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
إِرْحَمْ عِبَاداً أَكْفُ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
عَوْدَتَهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلَا سَبَبٍ
سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ انْبَسَطُوا

وَعَدَتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ
بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْجِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
عَوَارِفُ ارْتَبَطَتْ شُمُّ الْأَنْوِفِ بِهَا
وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبِطُ
يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَاعْتَرَفَتْ
بِحَجْمِ إِنْعَامِهِ الْأَطْرَافُ وَالْوَسْطُ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
وَهُمْ يَجُوزُ عَلَيْهِ لَا وَلَا غَلْطُ
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِبَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرًا
مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوَافِيَ حِينَ يَنْضَغِطُ
مَهْمَا أَتَى لِيَمُدَّ الْكَفَّ أَخْجَلُهُ
قَبَائِحُ وَخَطَايَا أَمْرُهَا فَرَطُ
يَا وَاسِعًا ضَاقَ خَطُؤُ الْخَلْقِ عَنْ نِعَمٍ
مَنْهُ إِذَا خَطَبُوا فِي شُكْرِهَا خَبَطُوا
وَنَاشِرًا بِيَدِ الْإِجْمَالِ رَحْمَتُهُ
فَلَيْسَ يُلْحَقُ مِنْهُ مُسْرِفًا قَنْطُ
إِرْحَمْ عِبَادًا بِضَنْكِ الْعَيْشِ مَالَهُمْ
غَيْرُ الدُّجْنَةِ لُحْفٌ وَالثَّرَى بُسْطُ
لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرَى عَلِيَاكَ فِي نَمَطٍ
سَامٍ رَفِيعِ الذُّرَى مَا فَوْقَهُ نَمَطُ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
فَمَا يُيَالِي أَقَامَ الْحَيُّ أَمْ شَحَطُوا

نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى
وَكُلُّ شَيْءٍ يُرْجَى بَعْدَ ذَا شَطَطُ

« موعظة »

فَيَا أَيُّهَا الْمُهْمِلُونَ الْغَافِلُونَ تَقَفُّوا فَإِلَيْكُمْ يُوجَّهُ الْخَطَابُ وَيَا أَيُّهَا
النَّائِمُونَ انْتَبَهُوا قَبْلَ أَنْ تُنَاخَ لِلرَّحِيلِ الرِّكَابُ قَبْلَ هُجُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ
وَمُفْرِقِ الْجَمَاعَاتِ وَمُذِلِّ الرِّقَابِ وَمُشْتِتِ الْأَحْيَابِ فَيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لَا يَعُوقُهُ
عَائِقٌ وَلَا يُضْرَبُ دُونَهُ حِجَابٌ ، وَيَا لَهُ مِنْ نَازِلٍ لَا يَسْتَأْذِنُ
عَلَى الْمُلُوكِ وَلَا يَلْحُ مِنْ الْأَبْوَابِ ، وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ كَبِيرًا وَلَا يَخَافُ
عَظِيمًا وَلَا يَهَابُ إِلَّا وَأَنْ بَعْدَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ،
وَوَرَاءَهُ هَوْلُ الْبَغْتِ وَالْحَشَرِ وَأَحْوَالِهِ الصِّعَابِ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ وَالْأَزْدِحَامِ
فِي الْأَجْسَامِ وَالْمِيزَانِ وَالصَّرَاطِ وَالْحِسَابِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ
وَنُبْهِنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا
تَوَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الخامس

وقال رحمه الله :

إِعْلَمْ أن صاحبَ البصيرة إذا صدرت منه الخطيئة فله نَظَرٌ إلى أمور : أحدها أن ينظرَ إلى أمرِ الله وَنَهْيِهِ فيُحَدِّثَ له ذلك الاعترافَ بكونها خطيئة . والإقرارَ على نفسه بالذنب . والثاني أن ينظرَ إلى الوعدِ والوعيدِ فيُحَدِّثَ له ذلك خوفاً وخشيةً تحمله على التوبة . والثالث أن ينظرَ إلى تَمَكِينِ الله لَهُ مِنْهَا وَتَخْلِيَّتِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا وَتَقْدِيرِهَا عَلَيْهِ وأنه لو شاء لِعَصَمَهُ مِنْهَا فيُحَدِّثَ له ذلك أنواعاً مِنَ المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وحكمته وَرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ وَجَلَمِهِ وَكَرَمِهِ وتوجبُ له هذه المعرفة عبوديةً بهذه الأسماء لا تحصيلُ بدوْنِ لَوَازِمِهَا البتَّةَ وَيَعْلَمُ ارتباطَ الخلق والأمرِ والجزاء والوعدِ والوعيدِ بأسمائه وصفاته وأن ذلك بموجبِ الأسماء والصفات وأثرها في الوجودِ وأن كلَّ اسمٍ وصفيةٌ مُقتَضٍ لآثَرِهِ وَمُوجِبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِهِ لا بُدَّ مِنْهُ .

وهذا المَشْهَدُ يُطْلِعُهُ على رياضٍ مُؤَنِّقَةٍ مِنَ المَعَارِفِ والإيمانِ وأَسْرَارِ القَدَرِ والحِكْمَةِ يَضِيْقُ عن التعبيرِ عنها نطاقُ الكَلِمِ فَمِنْ بَعْضِهَا ما ذكره الشيخ « يُريدُ صاحبُ المنازل » : أن يَعْرِفَ العبدُ عِزَّتَهُ في قَضَائِهِ

وَهُوَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْعَزِيزُ الَّذِي يَقْضِي بِمَا يَشَاءُ وَأَنَّهُ لِكَمَالِ عَزَّتِهِ حَكَمٌ عَلَى الْعَبْدِ وَقَضَى عَلَيْهِ بِأَنْ قَلْبَ قَلْبُهُ وَصَرَفَ إِرَادَتَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ وَحَالَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَهُ مُرِيداً شَائِئاً لِمَا شَاءَ مِنْهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَهَذَا مِنْ كَمَالِ الْعِزَّةِ ، إِذْ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ وَغَايَةُ الْمَخْلُوقِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي بَدَنِكَ وَظَاهِرِكَ ، وَأَمَّا جَعْلُكَ مُرِيداً شَائِئاً لِمَا يَشَاءُ مِنْكَ وَيُرِيدُهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ذُو الْعِزَّةِ الْبَاهِرَةِ ..

فإذا عرف العبدُ عِزَّ سيده ولاحظَ بقلبه وتمكَّنَ شهودُهُ مِنْهُ كَانَ الاشتغالُ بِهِ عَنْ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ أَوْلَى بِهِ وَأَنْفَعَ لَهُ لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَعَ اللَّهِ لَا مَعَ نَفْسِهِ ، وَمِنْ مَعْرِفَةِ عَزَّتِهِ فِي قَضَائِهِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ مُدَبَّرٌ مَقْهُورٌ نَاصِيَتُهُ بِيَدٍ غَيْرِهِ لَا عِصْمَةَ لَهُ إِلَّا بِعِصْمَتِهِ وَلَا تَوْفِيقَ لَهُ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ فَهُوَ ذَلِيلٌ حَقِيرٌ فِي قُبْضَةِ عَزِيزٍ حَمِيدٍ .

وَمِنْ شُهُودِ عَزَّتِهِ فِي قَضَائِهِ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ الْكَمَالَ وَالْحَمْدَ وَالْغِنَى التَّامَّ وَالْعِزَّةَ كُلَّهَا لِلَّهِ وَأَنَّ الْعَبْدَ نَفْسُهُ أَوْلَى بِالتَّقْصِيرِ وَالذَّمِّ وَالْعَيْبِ وَالظُّلْمِ وَالْحَاجَةِ وَكُلَّمَا ازدَادَ شُهُودُهُ لِدَلِّهِ وَنَقْصِهِ وَعَيْبِهِ وَفَقْرِهِ ازدَادَ شُهُودُهُ لِعِزَّةِ اللَّهِ وَكَمَالِهِ وَحَمْدِهِ وَغِنَاهُ وَكَذَلِكَ بِالْعَكْسِ فَنَقْصُ الذَّنْبِ وَذِلَّتُهُ يُطْلَعُهُ عَلَى مَشْهَدِ الْعِزَّةِ .

وَمِنْهَا أَنَّ الْعَبْدَ لَا يُرِيدُ مَعْصِيَةَ مَوْلَاهُ مِنْ حَيْثُ هِيَ مَعْصِيَةٌ فَإِذَا شَهِدَ جَرَيَانَ الْحُكْمِ وَجَعَلَهُ فَاعِلاً لِمَا هُوَ مُخْتَارٌ ، لَهُ مُرِيداً بِإِرَادَتِهِ وَمَشِئَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ فَكَأَنَّهُ مُخْتَارٌ غَيْرُ مُخْتَارٍ مُرِيدٌ شَيْءٍ غَيْرُ شَيْءٍ فَهَذَا يَشْهَدُ عِزَّةَ اللَّهِ وَعَظَمَتَهُ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ بِرَّهٖ سُبْحَانَهُ فِي سَتْرِهِ عَلَيْهِ حَالِ
ارْتِكَابِ الْمَعْصِيَةِ مَعَ كَمَالِ رُؤْيِيهِ لَهُ وَلَوْ شَاءَ لَفَضَّحَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ فَحَذَرُوهُ
وَهَذَا مِنْ كَمَالِ بَرِّهِ وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْبَرُّ، وَهَذَا الْبَرُّ مِنْ سَيِّدِهِ كَانَ عَنْ كَمَالِ
غِنَاهُ وَكَمَالِ فَقْرِ الْعَبْدِ إِلَيْهِ فَيَسْتَغْلُ بِمُطَالَعَةِ هَذِهِ الْجَمَّةِ وَمُشَاهَدَةِ هَذَا
الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ فَيُذْهِلُ عَنْ ذِكْرِ الْخَطِيئَةِ فَيَبْقَى مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ مِنَ الْإِسْتِغَالِ بِجُنَائِيَّتِهِ وَشُهُودِ ذَلِكَ الْمَعْصِيَةِ فَإِنَّ الْإِسْتِغَالَ
بِاللَّهِ وَالْغَفْلَةَ عَمَّا سِوَاهُ هُوَ الْمَطْلَبُ الْأَعْلَى وَالْمَقْصَدُ الْأَسْنَى .

وَمِنْهَا شُهُودُ جِلْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي إِمْهَالِ رَاكِبِ الْخَطِيئَةِ
مُطْلَقاً وَلَوْ شَاءَ لَعَاجَلَهُ بِالْعُقُوبَةِ وَلَكِنَّهُ الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ فَيُحْدِثُ لَهُ
ذَلِكَ مَعْرِفَةَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ بِأَسْمِهِ الْحَلِيمِ وَمُشَاهَدَةَ صِفَةِ الْجِلْمِ وَالتَّعَبُّدُ بِهَذَا
الْاسْمِ . وَالْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ ذَلِكَ بِتَوَسُّطِ الذَّنْبِ أَحَبُّ إِلَى
اللَّهِ وَأَصْلَحُ لِلْعَبْدِ وَأَنْفَعُ مِنْ قَوَّتِهَا ، وَوُجُودُ الْمَلْزُومِ بِدُونِ لَازِمِهِ مُمْتَنِعٌ
وَمِنْهَا مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ كَرَمَ رَبِّهِ فِي قَبُولِ الْعَذْرِ مِنْهُ إِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِنُحُورِ مَا تَقْدُمُ
مِنْ الْإِعْتِذَارِ لَا بِالْقَدَرِ فَإِنَّهُ مَخَاصِمَتُهُ وَمُحَاجَاةُ .

وَمِنْهَا أَنْ يَشْهَدَ فَضْلُهُ فِي مَغْفِرَتِهِ فَإِنَّ الْمَغْفِرَةَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَإِلَّا فَلَوْ
أَخَذَ بِمَحْضِ حَقِّهِ كَانَ عَادِلاً مَحْمُوداً .

وَأَمَّا عَفْوُهُ بِفَضْلِهِ لَا بِاسْتِحْقَاقِكَ فَيُوجِبُ ذَلِكَ شُكْرًا لَهُ وَمَحَبَّةً
وَإِنَابَةً إِلَيْهِ وَفَرَحًا وَابْتِهَاجًا بِهِ وَمَعْرِفَةً لَهُ بِأَسْمِهِ الْغَفَّارِ وَمُشَاهَدَةً لِهَذِهِ الصِّفَةِ
وَتَعَبُّدًا بِمُقْتَضَاهَا وَذَلِكَ أَكْمَلُ فِي الْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ .

وَمِنْهَا أَنْ يُكْمَلَ لِعَبْدِهِ مَرْتَبَةُ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالْإِنْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَالْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ .

ومنها أن أَسْمَاءَ الرَّبِّ تَقْتَضِي آثارها اقتضاء الأسبابِ النَّامَةِ
لِمُسَبِّأَتِهَا فاسمُ السَّمِيعِ البَصِيرِ يَقْتَضِي مَسْمُوعاً وَمُبْصِراً ، واسمُ الرَّزَّاقِ
يَقْتَضِي مَرْزُوقاً واسمُ الرَّحِيمِ يَقْتَضِي مَرْحُوماً وكذلك أَسْمَاءُ « الغُفُورِ
وَالْغُفُورِ وَالتَّوَابِ وَالْحَلِيمِ » يَقْتَضِي مَنْ يَغْفِرُ لَهُ وَيَتُوبُ عَلَيْهِ وَيَعْفُو وَيَحْلُمُ
وَيَسْتَحِيلُ تَعْطِيلُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِذْ هِيَ أَسْمَاءُ حُسْنَى وَصِفَاتُ
كَمَالٍ وَنَعَوْتُ جَلَالٍ وَأَفْعَالُ حِكْمَةٍ وَإِحْسَانٍ وَجُودٍ فَلَا بَدَّ مِنْ ظُهُورِ آثَارِهَا
فِي الْعَالَمِ .

وإلى هذا أشار أعلمُ الخلقِ باللهِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه حيثُ
يَقُولُ لو « لم تُذنبوا لذهب اللهُ بكم وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذِنُونَ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ
فَيَغْفِرُ لَهُمْ » وَأَنْتَ إِذَا فَرَضْتَ الْحَيَوَانَ بِجُمْلَتِهِ مَعْدُوماً فَمَنْ يَرْزُقُ الرِّزَّاقُ
سُبْحَانَهُ وَإِذَا فَرَضْتَ الْمَعْصِيَةَ وَالْخَطِيئَةَ مُتَنَفِّئَةً عَنِ الْعَالَمِ فَلِمَنْ يَغْفِرُ ؟
وَعَمَّنْ يَعْفُو ؟ وَعَلَى مَنْ يَتُوبُ وَيَحْلُمُ ؟ وَإِذَا فَرَضْتَ الْفَاقَاتِ كُلَّهَا قَدْ
سُدَّتْ وَالْعَبِيدَ أَغْنَاءَ مُعَافِينَ فَأَيْنَ السُّؤَالُ وَالتَّضَرُّعُ وَالِابْتِهَالُ وَالْإِجَابَةُ
وَشُهُودُ الْمَنَةِ وَالتَّخْصِيصُ بِالْإِنْعَامِ وَالْإِكْرَامِ فَسُبْحَانَ مَنْ تَعَرَّفَ إِلَى خَلْقِهِ
بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ التَّعَرُّفَاتِ وَذَلَّهِمْ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الدَّلَالَاتِ انْتَهَى .

شعراً :

حَتَّى مَتَى تُسْقَى النُّفُوسُ بِكَأْسِهَا
رَيْبَ الْمَنُونِ وَأَنْتَ لَا إِلَهَ تَلْعَبُ
عَجَباً لِأَمْنِكَ وَالْحَيَاةِ قَصِيرَةً
وَبِفَقْدِ الْإِلَهِ لَا تَزَالُ تُرَوِّعُ

أَفَقَدْ رَضِيتَ بِأَنْ تُعَلَّلَ بِالْمُنَى
وَالِى الْمُنْيَةِ كُلَّ يَوْمٍ تُدْفَعُ
لَا تَخْدَعَنَّكَ بَعْدَ طَوْلِ تَجَارُبِ
دُنْيَا تَغُرُّ بِوَضْلِهَا وَتَقْطَعُ
أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظَلِّ زَايِلِ
إِنَّ اللَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ
وَتَزَوَّدَنَّ لِيَوْمٍ فَفَرِّكَ دَائِمًا
الْغَيْرِ نَفْسِكَ لَا أَبَالَكَ تَجَمُّعُ

اللهم أحيينا في الدنيا مؤمنين طائعين وتوفنا مسلمين تائبين واغفر
لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل السادس

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِلتَّوْبَةِ الْمَقْبُولَةِ علاماتٌ :

مِنْهَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِمَّا قَبْلَهَا وَمِنْهَا أَنَّهُ لَا يَزَالُ الْخَوْفُ مُصَاحِبًا لَهُ لَا يَأْمَنُ مَكَرَ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَخَوْفُهُ مُسْتَمِرٌّ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ قَوْلَ الرُّسْلِ لِقَبْضِ رُوحِهِ (٤١) : ٣٠ ﴿ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فَهَذَا يَزُولُ الْخَوْفُ .

وَمِنْهَا انْخِلَاعُ الْقَلْبِ وَتَقَطُّعُهُ نَدَمًا وَخَوْفًا وَهَذَا عَلَى قَدْرِ عَظَمِ الْجَنَاحَةِ وَصِغَرِهَا . وَهَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ عُيَيْنَةَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (٩ : ١١٠) ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ . قَالَ : تَقَطُّعُهَا بِالتَّوْبَةِ . وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ مِنَ الْعُقُوبَةِ الْعَظِيمَةِ يُوجِبُ انْصِدَاعَ الْقَلْبِ وَانْخِلَاعَهُ .

وَهَذَا هُوَ تَقَطُّعُهُ وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ لِأَنَّهُ يَنْقَطِعُ قَلْبُهُ حَسْرَةً عَلَى مَا فَرَّطَ مِنْهُ وَخَوْفًا مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِ فَمَنْ لَمْ يَنْقَطِعْ قَلْبُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَا فَرَّطَ حَسْرَةً وَخَوْفًا تَقَطَّعَ فِي الْآخِرَةِ إِذَا حُقِّتِ الْحَقَائِقُ وَعَايَنَ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ وَعِقَابَ الْعَاصِينَ فَلَا بُدَّ مِنْ تَقَطُّعِ الْقَلْبِ إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ .

وَمِنْ مُوجِبَاتِ التَّوْبَةِ الصَّحِيحَةِ أَيْضًا كَسْرَةُ خَاصَّةٌ تَحْصُلُ لِلْقَلْبِ لَا يَشْبِهُهَا شَيْءٌ ، وَلَا تَكُونُ لِغَيْرِ الْمُذْنِبِ لَا تَحْصُلُ بِجُوعٍ وَلَا رِيَاضَةٍ وَلَا حُبٍّ مُجَرَّدٍ وَإِنَّمَا هِيَ أَمْرٌ ، وَرَاءَ هَذَا كُلِّهِ ، تُكْسَرُ الْقُلُوبُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ كَسْرَةً تَامَةً قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ وَالْقَتَّةُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ طَرِيحًا ذَلِيلًا خَاشِعًا كَحَالِ عَبْدٍ جَانٍ أَبَقَ مِنْ سَيِّدِهِ فَأَخَذَ فَأَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُنْجِيهِ مِنْ سَطْوَتِهِ وَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ بُدَاءً وَلَا عَنْهُ غَنَاءً وَلَا مِنْهُ مَهْرَبًا وَعَلِمَ أَنَّ حَيَاتَهُ وَسَعَادَتَهُ وَفَلَاحَهُ وَنَجَاحَهُ فِي رِضَا عَنْهُ ، وَقَدْ عَلِمَ إِحَاطَةَ سَيِّدِهِ بِتَفَاصِيلِ جَنَائِيَّتِهِ ، هَذَا مَعَ حُبِّهِ لِسَيِّدِهِ وَشِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ وَعَلْمِهِ بِضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ وَذُلِّهِ وَقُوَّةِ سَيِّدِهِ وَعِزَّتِهِ . فَيَجْتَمِعُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ كَسْرَةُ وَذُلٌّ وَخُضُوعٌ مَا أَنْفَعَهَا لِلْعَبْدِ وَمَا أَجْدَى عَائِدَتُهَا عَلَيْهِ وَمَا أَعْظَمَ جَزَاءُهَا بِهَا وَمَا أَقْرَبُهُ بِهَا مِنْ سَيِّدِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى سَيِّدِهِ مِنْ هَذِهِ الْكَسْرَةِ وَالْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالْإِخْبَاتِ وَالانْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالاسْتِسْلَامِ لَهُ .

فَلِلَّهِ مَا أَحْلَى قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ وَذُلِّي إِلَّا رَحِمْتَنِي . أَسْأَلُكَ بِقُوَّتِكَ وَضَعْفِي ، وَبِغِنَاكَ عَنِّي وَفَقْرِي إِلَيْكَ هَذِهِ نَاصِيَّتِي الْكَاذِبَةُ الْخَاطِئَةُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، عَبِيدُكَ سِوَايَ كَثِيرٌ وَلَيْسَ لِي سَيِّدٌ سِوَاكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْخَاضِعِ الذَّلِيلِ ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ ، سُؤَالَ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ ، وَذُلَّ لَكَ قَلْبُهُ .

فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنْ آثَارِ التَّوْبَةِ الْمَقْبُولَةِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ فَلْيَتَّهَمْ تَوْبَتَهُ وَلْيَرْجِعْ إِلَى تَصْحِيحِهَا فَمَا أَصْعَبَ التَّوْبَةَ الصَّحِيحَةَ بِالْحَقِيقَةِ

وَمَا أَسْهَلَهَا بِاللِّسَانِ وَالذُّعْوَى ، وَمَا عَالَجَ الصَّادِقُ بِشَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ
التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ الصَّادِقَةِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَحَقَائِقُ التَّوْبَةِ ثَلَاثَةٌ : وَعَدَّ مِنْهَا اتِّهَامَ التَّوْبَةِ قَالَ : لِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَيْهِ لَا
يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ أَدَّى هَذَا الْحَقَّ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَنْ
يُؤَدِّيَهُ عَلَيْهِ ، فَيَخَافُ أَنَّهُ مَا وَفَّاهَا حَقَّهَا وَأَنَّهَا لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ وَأَنَّهُ لَمْ يَبْذُلْ
جُهِدَهُ فِي صِحَّتِهَا ، وَأَنَّهَا تَوْبَةٌ عِلَّةٌ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِهَا كَتَوْبَةِ أَرْبَابِ الْحَوَائِجِ
وَالْإِفْلَاسِ وَالْمُحَافِظِينَ عَلَى حَاجَاتِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ .

أَوْ أَنَّهُ تَابَ مُحَافَظَةً عَلَى حَالِهِ فَتَابَ لِلْحَالِ لَا خَوْفًا مِنْ ذِي
الْجَلَالِ ، أَوْ أَنَّهُ تَابَ طَلَبًا لِلرَّاحَةِ مِنَ الْكَدِّ فِي تَحْصِيلِ الذَّنْبِ أَوْ اتِّقَاءَ مَا
يَخَافُهُ عَلَى عَرَضِهِ وَمَالِهِ وَمَنْصِبِهِ أَوْ لِضَعْفِ دَاعِيِ الْمَعْصِيَةِ فِي قَلْبِهِ وَخُمُودِ
نَارِ شَهْوَتِهِ أَوْ لِمُنَافَاةِ الْمَعْصِيَةِ لِمَا يَطْلُبُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالرِّزْقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ
الْعِلَلِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي كَوْنِ التَّوْبَةِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لَهُ وَلِحُرْمَاتِهِ
وَإِجْلَالًا لَهُ وَخَشْيَةً مِنْ سُقُوطِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ وَعَنِ الْبُعْدِ وَالطَّرْدِ عَنْهُ
وَالْحِجَابِ عَنْ رُؤْيَاهُ وَجِهِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَهَذِهِ التَّوْبَةُ لَوْنٌ وَتَوْبَةُ
أَصْحَابِ الْعِلَلِ لَوْنٌ قَالَ :

وَمِنْ اتِّهَامِ التَّوْبَةِ ضَعْفُ الْعَزِيمَةِ وَالْتِفَاتُ الْقَلْبِ إِلَى الذَّنْبِ الْفَيْئَةِ
بَعْدَ الْفَيْئَةِ وَتَذَكُّرُ حَلَاوَةِ مُوَاقِعَتِهِ . وَمِنْ اتِّهَامِ التَّوْبَةِ طُمَأْنِينَتُهُ وَوُثُوقُهُ مِنْ
نَفْسِهِ بِأَنَّهُ قَدْ تَابَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ مَنْشُورًا بِالْأَمَانِ فَهَذِهِ مِنْ عِلَامَاتِ
التُّهْمَةِ .

وَمِنْ عِلَامَاتِهَا جُمُودُ الْعَيْنِ وَاسْتِمْرَارُ الْعَقْلَةِ وَأَنْ لَا يَسْتَحْدِثَ بَعْدَ
التَّوْبَةِ أَعْمَالًا صَالِحَةً لَمْ تَكُنْ لَهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ .

« موعظة »

كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى وَلَدِهِ الْحُسَيْنِ مِنْ عَبْدِ
 اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَالِدِ الْفَانِي الدَّامِ لِلدُّنْيَا السَّاكِنِ مَسَاكِنِ
 الْمَوْتَى ، إِلَى الْوَلَدِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ،
 عُرْضَةُ الْأَسْقَامِ وَرَهِينَةُ الْأَيَّامِ وَأَسِيرُ الْمَنَآيَا وَقَرِينُ الرَّزَايَا وَصَرِيْعُ الشَّهَوَاتِ
 وَنُصْبُ الْآفَاتِ وَخَلِيفَةُ الْأُمُوتِ . يَا بُنَيَّ إِنْ بَقِيتُ أَوْ فَنِيتُ فَإِنِّي أُوصِيكَ
 بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَالْأَعْتَصَامِ بِحَبْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ
 وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ الْآيَةَ وَأَيُّ
 سَبَبٍ يَا بُنَيَّ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحْيِ قَلْبَكَ
 بِالْمَوْعِظَةِ وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ وَقَوِّهِ بِالزُّهْدِ وَذَلِّلْهُ بِالْمَوْتِ وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ وَحَذِّرْهُ
 صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَتَقَلُّبَ اللَّيَالِي وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ
 وَآثَارِهِمْ فَانْظُرْ مَا فَعَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ أُنْقَلَوْا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ
 وَنَزَلُوا دَارَ الْغُرْبَةِ وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ يَا بُنَيَّ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَبِعْ دُنْيَاكَ
 بِآخِرَتِكَ وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ وَدَعْ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْأَمْرَ فِيمَا لَا
 تُكَلِّفُ وَمُرَّ بِالْمَعْرُوفِ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ
 وَلِسَانِكَ وَبَيِّنْ مَنْ فَعَلَهُ وَخُضْ الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ
 لَوْمَةٌ لَا تَيْمَ وَاحْفَظْ وَصِيَّتِي فَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا غِنَى بِكَ
 عَنْ حُسْنِ الْارْتِيَادِ مَعَ بَلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ فَإِنْ أَصَبْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ
 يَحْتَمِلُ عَنْكَ زَادَكَ فَيُؤَافِيكَ بِهِ فِي مَعَادِكَ فَاعْتَنِمْهُ فَإِنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَوُودًا
 لَا يُجَاوِزُهَا إِلَّا أَخْفُ النَّاسِ جَمَلًا وَأَجْمَلُ فِي الطَّلَبِ وَأَحْسِنُ فِي
 الْمَكْسَبِ فَرُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ وَإِنَّمَا الْمَحْرُوبُ مَنْ حُرِبَ دِينُهُ

وَالْمَسْلُوبُ مَنْ سُلِبَ يَقِينَهُ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا غِنَى يَعْدِلُ الْجَنَّةَ وَلَا فَقْرَ يَعْدِلُ
النَّارَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

قال الناظم رحمه الله :

وَكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ وَالرَّجَا عَامِلًا لِمَا
تَخَافُ وَلَا تَقْنَطُ وَثُوقًا بِمَوْعِدِ
تَذَكَّرْ ذُنُوبًا قَدْ مَضَيْنَ وَتُبْ لَهَا
وَتُبْ مُطْلَقًا مَعَ فَقْدِ عِلْمِ التَّعْمِيدِ
وَبَادِرْ مَتَابًا قَبْلَ يُغْلَقُ بَابُهُ
وَتُطَوَّى عَلَى الْأَعْمَالِ صُحُفُ التَّزْوِيدِ
فَحِينَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الْمَرْءَ تَوْبَةٌ
إِذَا عَايَنَ الْأَمْلاكَ أَوْ غَرَّغَرَ الصَّيْدِ
وَلَا تَجْعَلِ الْأَمَالَ حِصْنًا فَإِنَّهَا
سَرَابٌ يَغُرُّ الْغَافِلَ الْجَاهِلَ الصَّيْدِ
فَبَيْنَا هُوَ مُغْتَرًّا يُفَاجِئُهُ الرَّدَى
فَيُضْبِحُ نَدْمَانًا يَعْضُ عَلَى الْيَدِ
وَتَوْبَةٌ حَقٍّ اللَّهُ يَسْتَغْفِرُ الْفَتَى
وَيَنْدُمُ يَنْوِي لَا يَعُودُ إِلَى الرَّدَى
وَإِنْ كَانَ مِمَّا يُوجِبُ الْحَدَّ ظَاهِرًا
فَسِتْرُكَ أَوْلَى مِنْ مُقَرٍّ لِيُحْدَدَ
وَإِنْ تَابَ مِنْ غَضَبٍ فَيُشْرَطُ رَدُّهُ
وَمَعَ عَحْزِهِ يَنْوِي مَتَى وَاتَ يَرُدُّ

وَمِنْ حَدِّ قَذْفٍ أَوْ قِصَاصٍ مَتَابُهُ
بِتَمْكِينِهِ مِنْ نَفْسِهِ مَعَ مَا أَبْتَدِي
وَتَحْلِيلُ مَظْلُومٍ مَتَابٌ لِنَادِمٍ
تَدَارُكُ عُدْوَانِ اللِّسَانِ أَوْ الْيَدِ

اللهم يا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقُظْنَا مِنْ نَوْمِ
الْغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا لَاغِيَتَنَا أَوْقَاتِ الْمُهِلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا
وَلَا تَوَاجِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا عَنَّا كُلَّ
ذَنْبٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

موعظة

قَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنَ الْمَعَاصِي فَإِنَّهَا سَيِّئَةُ الْعَوَاقِبِ ، وَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنَ الذُّنُوبِ خُصُوصاً ذُنُوبَ الْخَلَوَاتِ ، فَإِنَّ الْمُبَارَزَةَ لِلَّهِ تَعَالَى تُسْقِطُ الْعَبْدَ مِنْ عَيْنِهِ سُبْحَانَهُ وَلَا يَنَالُ لَذَّةَ الْمَعَاصِي إِلَّا دَائِمُ الْغَفْلَةِ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ الْيَقْظَانُ فَإِنَّهُ لَا يَلْتَذُّ بِهَا ، لِأَنَّهُ عِنْدَ التَّذَاذِهِ يَقِفُ بِأَزَائِهِ عِلْمُهُ بِتَحْرِيمِهَا وَحَذَرُهُ مِنْ عُقُوبَتِهَا ، فَإِنْ قَوِيَتْ مَعْرِفَتُهُ رَأَى بِعَيْنِ عِلْمِهِ قُرْبَ النَّاهِي وَهُوَ اللَّهُ فَيَتَنَعَّصُ عَيْشُهُ فِي حَالِ التَّذَاذِهِ فَإِنْ غَلَبَهُ سُكْرُ الْهَوَى كَانَ الْقَلْبُ مُتَنَعِّصاً بِهَذِهِ الْمُرَاقَبَاتِ وَإِنْ كَانَ الطَّبْعُ فِي شَهَوَتِهِ فَمَا هِيَ إِلَّا لَحِظَةٌ ثُمَّ حَزْزِي دَائِمٌ وَنَدَمٌ مُلَازِمٌ وَبُكَاءٌ مُتَوَاصِلٌ وَأَسْفٌ عَلَى مَا كَانَ مَعَ طُولِ الزَّمَانِ حَتَّى إِنَّهُ لَوْ تَيَقَّنَ الْعَفْوَ وَقَفَّ بِأَزَائِهِ حِذَارَ الْعِتَابِ فَأَفِئَ لِلذُّنُوبِ مَا أَقْبَحَ آثَارَهَا وَأَسْوَأَ أَخْبَارَهَا انْتَهَى .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقُّنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل السابع

فيما يُنبغي التَّنبُّه عليه والتحذيرُ من ارتكابه .

قال ابن الجوزي رحمه الله : المسلمون المُغتَرَّبون طبقات :

الطبقةُ الأولى (طبقة العلماء) : وَهُمْ قَوْمٌ أَحْكَمُوا الْعِلْمَ وَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِهِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ حَفِظُوا الشَّرِيعَةَ فَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرٌ ، وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ ، لَعَلِمُوا أَنَّ الْعِلْمَ لَا يُرَادُ إِلَّا لِلْعَمَلِ وَكَأَنَّهُمْ يَزِيدُونَ مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَمِنْهُمْ قَوْمٌ أَحْكَمُوا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُصْلِحُوا الصِّفَاتِ الْبَاطِنَةَ الْمَذْمُومَةَ مِنَ الْكِبَرِ وَالْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَلَمْ يَذَرُوا أَنَّ هَذِهِ شُعْلٌ تَعْمَلُ فِي بَيْتِ الْقَلْبِ فَتُحْرِقُ بَوَاطِنَ الْمَعْرِفَةِ .

قُلْتُ وَهَؤُلَاءِ كَمَرِيضٍ ظَهَرَ بِهِ جُرُوحُ أَصْلُهَا فِي الْبَاطِنِ فَأَمَرَ الطَّبِيبُ مَنْ بِهِ ذَلِكَ أَنْ يَغْسِلَ الظَّاهِرَ بِدَوَاءٍ وَأَمَرَهُ بِشُرْبِ دَوَاءٍ آخَرَ لِمَا نَشَأَ عَنْهُ الظَّاهِرُ فَاسْتَعْمَلَ مَا لِلظَّاهِرِ وَتَرَكَ مَا لِلْبَاطِنِ فَأَزَالَ مَوْقَتًا مَا بظَاهِرِهِ وَأَمَّا مَا فِي بَاطِنِهِ فَعَلَى حَالِهِ ، فَلَوْ شَرِبَ مَا لِلْبَاطِنِ مِنَ الدَّوَاءِ بَرِيَ الظَّاهِرُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ وَاسْتَرَاحَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ فَكَذَلِكَ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي إِذَا اخْتَفَتْ فِي الْقَلْبِ ظَهَرَ أَثَرُهَا عَلَى جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ .

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ قَوْمٌ سَلِمُوا مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ ، لَكِنَّهُمْ فِي خِدْمَةِ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ فَهَمْ يُصَنِّفُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ وَمُرَادُهُمْ ذِكْرُهُمْ بِذَلِكَ وَمَذْحُهُمْ وَكَثْرَةُ اتِّبَاعِهِمْ وَهَذِهِ الْآفَةُ مِنْ خَبَايَا النُّفُوسِ لَا يَفْطِنُ لَهَا إِلَّا الْأَكْيَاسُ مِنَ النَّاسِ .

الطبقة الثانية (طبقة العباد) : فمنهم مَنْ حَقَّقُوا التَّعَبُّدَ إِلَّا أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ فَهوَ مَغْرُورٌ بِذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَ كَثِيراً مِنَ الْفَرَائِضِ شُغْلاً بِالنَّوَافِلِ . فَمِنْهُمْ مَنْ يَذْكُرُهُ الْوَسْوَاسُ فِي نِيَّةِ الصَّلَاةِ ثُمَّ يَتْرُكُ قَلْبَهُ فِي بَاقِيهَا يُسْرَحُ فِي الْغَفَلَاتِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُكْثِرُ التِّلَاوَةَ وَلَا يَعْمَلُ بِمَا يَتْلُو ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصُومُ وَلَا يَتَحَفَّظُ مِنْ غَيْبَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ إِلَى الْحَجِّ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَظَالِمِ ، وَلَا يَنْظُرُ فِي نَفَقَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجَاوِرُ بِمَكَّةَ وَيَنْسَى الْحَرَمَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْسَى نَفْسَهُ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْهَدُ فِي الْمَالِ وَهُوَ رَاغِبٌ فِي الرِّيَاسَةِ بِالزُّهْدِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ الْفُقَرَاءِ فِي صُورِ ثِيَابِهِمْ وَمُرَقَّعَاتِهِمْ وَيَتْرُكُ أَخْلَاقَهُمُ الْبَاطِنَةَ ، فَيَشْبَعُ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَيَنَامُ اللَّيْلَ وَلَا يَعْرِفُ وَاجِبَاتِ الشَّرْعِ ، قُلْتُ وَهَؤُلَاءِ غُرُورُهُمْ عَظِيمٌ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ ، لِأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يُجِيبُونَ فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا قَدَرُوا عَلَى تَحْقِيقِ دَقَائِقِ الْإِخْلَاصِ إِلَّا وَهُمْ مُخْلِصُونَ ، وَلَا وَقَفُوا عَلَى خَبَايَا النَّفْسِ إِلَّا وَهُمْ مُنْزَهَوْنَ ، وَهُمْ أَحَبُّ فِي الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَيُظْهِرُونَ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا لَشِدَّةِ جِرْصِهِمْ عَلَيْهَا وَقُوَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِيهَا .

يَحْتُونُ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَهُمْ غَيْرُ مُخْلِصِينَ وَيُظْهِرُونَ الدُّعَاءَ إِلَى اللَّهِ وَهُمْ مِنْهُ فَارُونَ وَيُخَوِّفُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ مِنْهُ آمِنُونَ . وَيُذَكِّرُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ

له ناسون ، ويحُثُون على التمسكِ بالسنةِ بالدقيقِ والجليلِ وهم لها نابذون وَيَذَمُّون الصفاتِ المذمومةَ وهم بها مُتَّصِفُونَ ، وكأنه لَمْ يَطْرُقَ أَسْمَاعُهُمْ قَوْلُهُ تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . وقوله تعالى حكايةً عَمَّا قَالَ شُعَيْبٌ ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ وَوَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ . قَالَ أَبْلَغْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَرْجُو . قَالَ : إِنْ لَمْ تَخْشَ أَنْ تَفْتَضِحَ بِثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَافْعَلْ يَشِيرُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِلَى الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ .

الطَبَقَةُ الثَّالِثَةُ : « أَرْبَابُ الْأَمْوَالِ » فَمِنْهُمْ قَوْمٌ يَحْرِصُونَ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ وَيَكْتُبُونَ أَسْمَاءَهُمْ عَلَيْهَا لِتَخْلِيدِ ذِكْرِهِمْ وَمَنْ أَرَادَ وَجَهَ اللَّهِ لَمْ يُبَالِ بِذِكْرِ الْخَلْقِ وَهَؤُلَاءِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِنَّهُمْ اغْتَرُّوا مِنْ وَجْهِهِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ اكْتَسَبُوهَا مِنَ الظُّلْمِ وَالشُّبُهَاتِ وَالرُّشَاءِ وَالجِهَاتِ الْمَحْظُورَةِ فَهَؤُلَاءِ تَعَرَّضُوا لِسَخَطِ اللَّهِ فِي كَسْبِهَا فَإِذَا عَصَوْا اللَّهَ فِي كَسْبِهَا فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةُ وَرَدَّ الْأَمْوَالِ إِلَى أَرْبَابِهَا إِنْ كَانُوا أَحْيَاءَ وَإِلَى وَرَثَتِهِمْ إِنْ كَانُوا أَمْوَاتًا ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ وَرَثَةٌ فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصْرِفُوهَا فِي أَهَمِّ الْمَصَالِحِ وَرُبَّمَا يَكُونُ الْأَهَمُّ تَفْرِقَتُهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ .

والوجهُ الثاني : أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ بِأَنْفُسِهِمُ الْإِخْلَاصَ وَقَصَدَ الْخَيْرَ فِي الْإِنْفَاقِ وَعُذِلُوا الْأَبْيَّةَ . وَلَوْ كُفِّلَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُنْفِقَ دِينَارًا عَلَى مِسْكِينٍ لَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ ، لِأَنَّ حُبَّ الْمَدْحِ وَالثَنَاءِ مُسْتَكِينٌ فِي بَاطِنِهِ .

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ يَتَصَدَّقُونَ وَلَكِنْ فِي الْمَحَافِلِ وَيُعْطُونَ مَنْ عَادَتُهُ الشُّكْرُ
وَأَفْشَاءَ الْمَعْرُوفِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يُكْثِرُ الْحَجَّ وَرُبَّمَا تَرَكَ حَيْرَانَهُ جِيَاعاً .

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ يَجْمَعُونَ الْمَالَ وَيَبْخُلُونَ بِإِخْرَاجِهِ ، ثُمَّ يَسْتَغْلُونَ
بِالْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى نَفَقَةٍ كَالصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ ، وَلَا يَذَرُونَ
أَنْ جِهَادَ النَّفْسِ فِي الْبَخْلِ الْمُهْلِكِ أَوْلَى .

شعراً :

لَقَدْ خَابَ مَنْ غَرَّتْهُ دُنْيَا دَنِيَّةُ
وَمَا هِيَ أَنْ غَرَّتْ قُرُونًا بِطَائِلِ
أَتْنَا عَلَى زِيِّ الْعَزِيزِ بُشِينَةٍ
وَزِينَتِهَا فِي مِثْلِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ
فَقُلْتُ لَهَا غُرِّي سِوَايَ فَإِنِّي
عَزُوفٌ عَنِ الدُّنْيَا وَلَسْتُ بِجَاهِلِ
وَهَبْهَا أَتْنَا بِالْكُنُوزِ وَدُرِّهَا
وَأَمْوَالِ قَارُونٍ وَمُلْكِ الْقَبَائِلِ
أَلَيْسَ جَمِيعاً لِلْفَنَاءِ مَصِيرُهَا
وَيُطْلَبُ مِنْ خُزَانِهَا بِالطَّوَائِلِ
فَغُرِّي سِوَايَ إِنِّي غَيْرُ رَاغِبٍ
لِمَا فِيكَ مِنْ عِزٍّ وَمُلْكٍ وَنَائِلِ
وَقَدْ قَنِعْتُ نَفْسِي بِمَا قَدْ رَزَقْتُهُ
فَسَانِكَ يَا دُنْيَا وَأَهْلَ الْغَوَائِلِ

فإني أخافُ اللهَ يَوْمَ لِقَائِهِ
وأخشى عِقَاباً دائماً غيرَ زائلٍ

اللهمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الطبقة الرابعة طبقة العوام وغُرورهم من وجوه : فمنهم من يُصلي
كَيْفَمَا اتَّفَقَ ولا يَسْأَلُ عَمَّا يُصْلِحُ الصلاةَ وما يُفْسِدُها . ومنهم من يَواظِبُ
على النوافل كالترابيح ، ولا تكادُ تَجِدُهُ في صلاة الجماعة ومنهم من
يُلازِمُ مَجَالِسَ الوَعظِ ولا يعملُ بما يَسْمَعُ ولا يَنْتَهِي عن قبيحٍ ما يَأْتِي ،
كَأَنَّ المَقْصودَ الحُضورَ فقط قُلْتُ : لَأَنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ والإرشادِ إِنَّمَا
تُفِيدُ لِكُونِهَا مُرَغِبَةً في الخَيْرِ وباعِثَةً في الغالبِ عليه فَإِنَّ لَمْ يَنْشَأْ عنها
ذلك فلا خَيْرَ فيها وَصِفَةُ هؤلاءِ كما قال بعضُ العلماءِ : كَمِثْلِ مريضٍ
يَحْضُرُ مَجَالِسَ الأطباءِ وَيَسْمَعُ منهم ما يَصِفُونَهُ مِنَ الأدويةِ ولا يَفْعَلُهَا وَلَا
يَسْتَفِيزُ بها فَأَيُّ فائِدَةٍ يَحْصُلُ عليها .

فَكُلُّ وَعْظٍ لا يُغَيِّرُ مِنْكَ صِفَةً تَتَغَيَّرُ بها أفعالُكَ حتى تُقْبَلَ على اللهِ
عَزَّ وَجَلَّ وَتُعْرِضَ عن الدنيا وتُقْبَلَ إقبالاً قوياً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَذلكَ كانَ
زِيادَةَ حُجَّةٍ عَلَيْكَ ، وهذا غُرورٌ عَظِيمٌ .

ومنهم مَنْ يَتَنَفَّلُ بالعباداتِ وَيُهْمِلُ الفرائضَ .

ومنهم مَنْ يَتَطَوَّعُ بالخَيْرِ وَيُكْثِرُ التَّسْبِيحَ مَعَ مَعَامَلَتِهِ بِالرِّبَا وَاسْتِعْمَالِ

الْغِشْرَ ، وَرُبَّمَا صَاحَ عَلَى وَالِدَيْهِ وَأَخَذَ أَغْرَاضَ النَّاسِ ، وَجُمُهورُ النَّاسِ
قَدْ أَتَكَلَّوْا عَلَى الْعَفْوِ وَالْحِلْمِ فَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى ذُنُوبٍ وَخَطَايَا فَإِذَا ذَكَرَتْ
لَهُمُ الْعُقُوبَةُ قَالُوا : هُوَ كَرِيمٌ وَيَسُونُ أَنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، وَمِنْهُمْ أَقْوَامٌ
يَسْتَعْجِلُونَ الْمَعْصِيَةَ مُوَافِقَةً لِلْهَوَى وَيُضْمِرُونَ أَنَا سَتُتُوبُ وَيُسَوِّفُونَ
بِالتَّوْبَةِ ، وَمِنَ الْعَصَاةِ مَنْ يَغْتَرُّ بِفِعْلٍ خَيْرٍ فَرُبَّمَا تَصَدَّقَ أَوْ سَبَّحَ وَظَنَّ أَنَّ
هَذَا يُقَاوِمُ ذُنُوبَهُ .

وَيَنْسَى مَا حَصَلَ مِنْهُ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالْكَذِبِ وَالرِّيَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ
الْمَعَاصِي الَّتِي تَقْضِي عَلَى الْحَسَنَاتِ الَّتِي أَمْثَالُ الْجِبَالِ .

وَمِنَ الْمَغْتَرِّينَ مَنْ يَغُرُّهُ صَلَاحُ آبَائِهِ وَرُبَّمَا قَالَ : أَبِي يَشْفَعُ لِي وَلَا
يُذِرِي أَنَّ أَبَاهُ فَضِّلَ بِالتَّقْوَى وَكَانَ مَعَ التَّقْوَى خَائِفًا ؟ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ
لَهُ ، أَوْ مَا سَمِعَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ .

وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ ابْنَهُ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ
فَمُنِعَ مِنْ ذَلِكَ وَأَغْرَقَ اللَّهُ ابْنَهُ مَعَ الْمُغْرَقِينَ .

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« يَا فَاطِمَةُ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » فَالْعَاقِلُ مَنْ عَمِلَ عَلَى الْجِرْصِ
وَأَخَذَ بِالْأَحْوَطِ فَمَنْ تَأَمَّلَ الْعِلْمَ وَتَصَفَّحَهُ وَشَاوَرَ الْعَقْلَ ذَلِكَ عَلَى الْحَزْمِ
فَسَلِمَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وَطَبَقَةُ أُخْرَى أَكْبُوا عَلَى تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَرَكُوا تَذَبُّرَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ ،
وَرُبَّمَا خَتَمُوهُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِالسِّيْتِهِمْ ، أَمَا قُلُوبُهُمْ فَهِيَ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا
تَرَدَّدُ ، وَلَا تَتَفَكَّرُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ لِتَنْزَجَرَ بِزَوَاجِرِهِ وَتَتَعَطَّ بِمَوَاعِظِهِ وَتَقِفَ
عِنْدَ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَتَعْتَبِرَ بِمَوَاضِعِ الْإِعْتِبَارِ . فَمَنْ قَرَأَ كِتَابًا عِدَّةَ مَرَّاتٍ

وترك العمل به يُخشى عليه من العقوبة .

وَطَبَقَةُ اغْتَرَوْا وَأَكْثَرُوا الصَّيَامَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَحْفَظُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ
الْغِيَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالتَّمَلُّقِ عِنْدَ الْفُسَّاقِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ وَلَا يَعْرِفُونَ
الْوَلَاءَ وَالْبِرَّاءَ وَلَا يَحْفَظُونَ بُطُونَهُمْ عَنِ الْحَرَامِ وَلَا أَعْيُنَهُمْ عَنِ النَّظَرِ
الْمُحَرَّمِ وَلَا أَسْمَاعَهُمْ عَنِ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَقُومُونَ عَلَى أَوْلَادِهِمْ
وَيَأْمُرُونَهُمْ .

وطبقه أخرى أكثر من نوافل الحج من غير خروج من المظالم
وقضاء الديون واسترضاء الوالدين ولا طلبوا لذلك الزاد الحلال وربما
ضيعوا صلاة الجماعة أو الصلاة المكتوبة ، وربما كانوا لا يسألون
بالنجاسات ، وربما كان نفقة أحدهم حراماً كله هو ورفقائه ، وربما كان
مرايياً في إنفاقه فيعصي الله في كسب الحرام أولاً وفي إنفاقه للرياء ثانياً
نعوذ بالله من الغرور . وفرقة أخذت في طريق الأمر بالمعروف وإرشاد
الخلق وأنكروا على الناس وتركوا أنفسهم وأولادهم ومن يخشونهم أو
يرجونهم . وفرقة أخرى غلب عليها البخل فلا تسمح نفوسهم بأداء الزكاة
كاملة مكملة يخرج مقدار ربعها فقط ويتأول الباقي ويعيد أنه إذا وجد فقيراً
أعطاه ويرى أن ما يدفعه إذا تقدم فقير في بعض الأيام أعطاه كافياً
وربما كانت زكاته عدد أيام السنة مئاة من الريالات نعوذ بالله من
الغرور .

شعراً :

الموت في كل حين ينشر الكفنا
ونحن في غفلة عما يراد بنا

لَا تَطْمِئِنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا
 وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحَسَنَاتِ
 أَيْنَ الْأَجِبَّةُ وَالْجِيرَانُ مَا فَعَلُوا
 أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنَاتِ
 سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأْساً غَيْرَ صَافِيَةٍ
 فَصَيَّرَتْهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رَهْنَاتِ
 تَبْكِي الْمَنَازِلُ مِنْهُمْ كُلُّ مُنْسَجِمٍ
 بِالْمَكْرُمَاتِ وَتَرْتِي الْبِرَّ وَالْمِنَاتِ
 حَسْبُ الْجَمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَمَهَلَهُمْ
 أَلَا يَظُنُّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنَاتِ

موعظة

خطب عمرُ بنُ عبد العزيز آخرَ خطبةٍ خطبها فقالَ فيها : أما بعدُ
 « إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولَنْ تُترَكُوا سُدى ، وإنَّ لَكُمْ مَعَاداً ينزلُ اللهُ فيه
 للفضلِ بينَ عبادِهِ ، فقد خَابَ وخَسِرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ التي
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَحُرِّمَ جَنَّةُ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ
 فِي أَسْلَابِ الْهَالِكِينَ ، وَسَيَرُثُهَا بَعْدَكُمْ الْبَاقُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تُرَدَّ إِلَى خَيْرِ
 الْوَارِثِينَ ، وفي كُلِّ يَوْمٍ تُشَيِّعُونَ غَادِيًا وَرَاحِيًا إِلَى اللَّهِ قَضَى نَحْبَهُ
 وَانْقَضَى أَجَلُهُ فَتَدْعُوهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ غَيْرِ مُوسِدٍ وَلَا مُمَهَّدٍ ، قَدْ
 خَلَعَ الْأَسْبَابَ ، وفَارَقَ الْأَحْبَابَ ، وَسَكَنَ التَّرَابَ ، وَوَاجَهَ الْحِسَابَ ،
 غَنِيًّا عَمَّا خَلَفَ ، فَقِيرًا إِلَى مَا أَسْلَفَ ، فاتقوا اللهَ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ
 وَانْقِضَاءِ مَوَاقِيْتِهِ ، وَإِنِّي لَأَقُولُ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ وَمَا أَعْلَمُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ

الذنوبِ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْلَمُ عِنْدِي ، وَلَكِنْ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَ
طَرَفَ رِدَائِهِ وَبَكَى حَتَّى شَهَقَ ثُمَّ نَزَلَ ، فَمَا عَادَ إِلَى الْمَنْبَرِ بَعْدَهَا حَتَّى
مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .

أَتَبْكِي لِهَذَا الْمَوْتِ أَمْ أَنْتَ عَارِفٌ
بِمَنْزِلَةِ تَبَقَى وَفِيهَا الْمَتَالِفُ
كَأَنَّكَ قَدْ غُيِّتَ فِي اللَّحْدِ وَالثَّرَى
فَتَلَقَى كَمَا لَأَقَى الْقُرُونُ السُّوَالِفُ
أَرَى الْمَوْتَ قَدْ أَفْنَى الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
فَلَمْ يَبْقَ ذُو الْإِلْفِ وَلَمْ يَبْقَ آلِفُ
كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَغْنُ فِي النَّاسِ سَاعَةً
إِذَا عُصِبَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ اللَّفَائِفُ
وَقَامَتْ عَلَيْهِ عُضْبَةٌ يَنْدُبُونَهُ
فَمُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي وَآخِرُ هَاتِفُ
وَعُودِرَ فِي لَحْدٍ كَرِيهِ حُلُولُهُ
وَتَعَقْدُ مِنْ لَبَنِ عَلَيْهِ السَّقَائِفُ
يَقِيلُ الْغِنَى عَنْ صَاحِبِ اللَّحْدِ وَالثَّرَى
بِمَا ذَرَفَتْ فِيهِ الْعُيُونُ الذُّوَارِفُ
وَمَا مَنْ يَخَافُ الْبَعْثَ وَالنَّارَ آمِنُ
وَلَكِنْ حَزِينٌ مَوْجَعُ الْقَلْبِ خَائِفُ
إِذَا عَنُ ذِكْرُ الْمَوْتِ أَوْجَعَ قَلْبَهُ
وَهَيْجَ أَحْزَانًا ذُنُوبُ سَوَالِفُ

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ حَزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ
الْمُخْلِصِينَ وَآمِنًا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

الفصل الثامن

الحث على صيانة الوقت وصرفه فيما فيه النفع :

ومما يتأكد اجتنابه والتحذير منه في رمضان وغيره الجلوس في المجالس التي هي كفيلة بالخسران والندامة كمجالس آلات اللهو من الأسطوانات - والمذياع (الراديو) - وأعظم من ذلك السينما - والتلفزيون والفيديو - ومجالس شرب الدخان ونحوه والغيبة - والبهت - والسخرية والاستهزاء - وملاعب الكرة - والورق والكثيرم والرد ونحو هذه المجالس الدنيئة التي كم قتلت من أوقات وم ضاع فيها من أموالكم جنت على أصحابها وغيرهم من آثام وأوزار وشُرُور وأضرار .

نسأل الله العصمة لنا ولإخواننا المسلمين من تعاطيها بيعاً وشراءً واستعمالاً واقتناءً وحضوراً وإعانةً وتشجيعاً .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رمية بقوس وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنهن من الحق » .

ففي هذا الحديث دليل على أن كل ما يلهو به الإنسان فهو باطل أي محرم ممنوع ما عدا هذه الثلاث التي استثناهما رسول الله ﷺ فإنهن من الحق أو وسيلة إلى الحق .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في الكلام على حديث عقبة كل هو يلهو به الرجل فهو باطل الحديث ما معناه الباطل ضد الحق فكل ما لم يكن حقاً ووسيلة إليه ولم يكن نافعاً فإنه باطل مشغل للوقت مفوت على الإنسان ما ينفعه في دينه ودنياه فيستحيل على الشرع إباحة مثل هذا . أ.هـ .

وقال ابن القيم رحمه الله إذا أشكل حكم شيء هل هو الإباحة أو التحريم فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته فإن كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته بل العلم بتحريمه من شرعه قطعي ولا سيما إذا كان مفضياً إلى ما يغضب الله ورسوله موصلاً إليه عن قرب وقال شيخ الإسلام لا يجوز اللعب بالطاب والمنقلة وكل ما أفضى كثيره إلى محرمٍ وإذا لم يكن فيه مصلحة راجحة لأنه يكون سبباً للشر والفساد وما ألهى أو شغل عن ما أمر الله به فهو منهي عنه وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة وسائر ما يلهي به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به على حق شرعي فكل حرام أهـ .

وكذا ينبغي أن يحذر مما يعوق سيره إلى الله والدار الآخرة كالمطالعة في المجلات والصحف والكتب التي لا يعود على صاحبها منها إلا الضرر وضياح عمره الذي هو رأس ماله فيها وسوف يسأل الإنسان عما أفناه فيه فقد قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل بما علم » .

قال شيخ الإسلام : « بذل المال لا يجوز إلا لمنفعة في الدين والدنيا وهذا متفق عليه بين العلماء ومن خرج عن هذا كان سفياً مبذراً لماله ، فالحي ينفق ماله في منافع دينه أو مباحات دنياه ، وأما الميت ففي أوقافه ووصاياهم فتتبع منافع الدين في حقه ، ولهذا اشترط في الوقف القرية فلا يصير إلى جهة محرمة أو مكروهة أو مباحة ، بل إما إلى واجب أو مستحب ، وعلى هذا فالشروط المتضمنة للأمر بما نهى الله عنه ورسوله أو النهي عما أمر الله به ورسوله مخالفة للنص والإجماع .

قال ابن القيم رحمه الله : العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه ، ومدة سفره هي عمره ، والأيام والليالي مراحل فلا يزال يطويها حتى ينتهي السفر ، فالكيّس لا يزال مهتماً بقطع المراحل فيما يقربه إلى الله ليجد ما قدم محضراً ثم الناس منقسمون إلى أقسام ، منهم من قطعها متزوداً بما يقربه إلى دار الشقاء من الكفر وأنواع المعاصي ، ومنهم من قطعها سائراً إلى الله وإلى دار السلام ، وهم ثلاثة أقسام : سابقون أدوا الفرائض وأكثروا من النوافل بأنواعها ، وترك المحارم ، والمكروهات وفضول المباحات ، ومقتصدون أدوا الفرائض وتركوا المحارم ، ومنهم الظالم لنفسه الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهم في ذلك درجات متفاوتون تفاوتاً عظيماً أ.هـ .

والموفق من يغتنم الزمن فيصرفه في طاعة الله عز وجل من دراسة كتابه وسنة رسول الله ﷺ وتدبرهما وتفهمهما والنظر في كتب التفسير كتفسير ابن جرير وابن كثير ونحوهما من المحققين ، والمطالعة في شرح البخاري ومسلم وسائر السنن ، ومُصَنَّفَاتِ العلماء المحققين ، كالموفق والمجد وشيخ الإسلام وابن القيم ونحوهم من الأئمة جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً

وقال بعضهم يُوبِخُ نفسه ويبحثها على حفظ الوقت :

ما بَالُ قَلْبِكَ قَدْ أَلْهَاهُ عَاجِلُهُ	من أَمْر دُنْيَاهُ حَتَّى فَاتَ آجِلُهُ
يَا غَافِلًا وَالْمَنَايَا غَيْرُ غَافِلَةٍ	هَلْ رَدَّ حَتَفَ امْرِئٍ عَنْهُ تَغَافُلُهُ
دُنْيَاكَ وَالنَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ قَدْ نَصَبُوا	لَكَ الْحَبَائِلَ فَانْظُرْ مَنْ تَقَاتِلُهُ
يَا عَالِمًا حُبُّهُ دُنْيَاهُ يُذْهِلُهُ	عَنْ رُشْدِهِ فَهُوَ بِالتَّحْقِيقِ جَاهِلُهُ
أَعْطَيْتَ مُلْكًا فَسُسْ مَا أَنْتَ مَالِكُهُ	مَنْ لَمْ يَسُسْ مُلْكَهُ فَالْمُلْكُ قَاتِلُهُ
وَبَادِرِ الْعُمَرَ فَالسَّاعَاتُ تَنْهَبُهُ	وَمَا انْقَضَى بَعْضُهُ لَمْ يَبْقَ كَامِلُهُ
وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْمَوْتِ عِضُّ يَدٍ	مِنْ نَادِمٍ وَلَوْ اثْبَتَتْ أَنَامِلُهُ

يا مُسْمِنَ الْجِسْمِ مُخْتَاراً مَا كَلَهُ
 وحاسِبِ النَّفْسِ فيما أَنْتَ آخِذُهُ
 يا طَالِبَ الْجَاهِ كَيْ يَسْمُوَ بِذَوْلَتِهِ
 هَلْ نَالَ قَطُّ امْرُؤٌ عِزًّا عَلَى نَفَرٍ
 اِعْمَلْ بِعِلْمٍ وَعَامِلٍ بِهِ التَّقَى مَلِكاً
 إِنْ ثَبَتَ بَجَادٍ وَإِنْ أَحْسَنْتَ زَادَ وَإِنْ
 يَا عَبْدُ جَوَّدْتَ فيما أَنْتَ قَائِلُهُ
 فالقُولُ والفِعْلُ مَعْرُوضَانِ مِنْكَ عَلَى
 لَا تُرَضَّ بِالْقَوْلِ دُونَ الْفِعْلِ مَنَقِبَةٌ
 فَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ عَمَّا فَاتَ مِنْ زَلَلٍ
 وَارْتَحْ أَوَاخِرَ عُمْرٍ لَا بَقَاءَ لَهُ
 هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الدَّوْدَ آكَلَهُ
 قَبْلَ الْحَسَابِ الَّذِي تُعْجِي مَسَائِلُهُ
 عَلَى جَهُولٍ بِدُنْيَاهُ يُطَاوِلُهُ
 إِلَّا بِالنَّعْمِ الْعُظْمَى مُعَامِلُهُ
 يَفُوزُ بِالنَّعْمِ الْعُظْمَى مُعَامِلُهُ
 أَعْرَضْتَ أَوْلَاكَ مَعْرُوفًا يُوَاصِلُهُ
 فَهَلْ تُجَوِّدُ فيما أَنْتَ عَامِلُهُ
 مَنْ يَفْصِلُ الْجَدَّ مِمَّا أَنْتَ هَا زِلُهُ
 فَإِنَّ ذَاكَ خَسِيسُ الْحِظِّ نَا زِلُهُ
 وَانْهَضْ لِتُصْلِحَ مِنْهُ مَا يُقَابِلُهُ
 فَقَدْ تَقَضَّتْ بِخُسْرَانٍ أَوَائِلُهُ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا وَتَسْمَعُ كَلَامَنَا وَتَرَى مَكَانَنَا لَا يَخْفَى
 عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِنَا نَحْنُ الْبُؤْسَاءُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ الْمُسْتَغِيثُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ
 بِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تُقَبِّضَ لِدِينِكَ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيُزِيلُ مَا حَدَثَ مِنَ الْبِدْعِ
 وَالْمُنْكَرَاتِ وَيُقِيمَ عِلْمَ الْجِهَادِ وَيَقْمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ وَنَسْأَلُكَ
 أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

فصل

١ - حُكْمُ صَوْمِ رَمَضَانَ :
صَوْمُ رَمَضَانَ فَرِيضَةٌ : وَالْأَصْلُ فِي فَرِيضَتِهِ : الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ ،
وَالْإِجْمَاعُ .

أَمَّا الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
وَأَمَّا السُّنَّةُ ، فَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ
رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ » .

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ ، فَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى فَرِيضَةِ صَوْمِ شَهْرِ
رَمَضَانَ .

٢ - بَيَانُ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الصَّوْمُ :

وَيُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عَاقِلٍ بَالِغٍ قَادِرٍ أَذَاءً وَقَضَاءً ، وَلَا يَجِبُ
عَلَى كَافِرٍ - سَوَاءً كَانَ أَصْلِيًّا أَوْ مُرْتَدًّا - لِإِنَّ الصَّوْمَ عِبَادَةٌ لَا تَصِحُّ مِنْهُ فِي
حَالِ كُفْرِهِ ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ قَضَاءُهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ
يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ .

وَلَاَنْ فِي إِجَابِ قَضَاءِ مَا فَاتَ فِي حَالِ كُفْرِهِ تَنْفِيرًا عَنِ الْإِسْلَامِ
وَلَوْ أَسْلَمَ فِي أَثْنَائِهِ لَمْ يَلْزَمْهُ مَا مَضَى مِنَ الْأَيَّامِ وَيَصُومُ مَا بَقِيَ مِنْ

الشَّهْر .

وَلِحَدِيثِ ابْنِ مَاجَه فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ : قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي رَمَضَانَ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً بِالْمَسْجِدِ فَلَمَّا أَسْلَمُوا ، صَامُوا مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ الشَّهْرِ ، اذْ أَنْ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ عِبَادَةٌ مُفْرَدَةٌ .

وَلَا يَجِبُ الصَّوْمُ عَلَى مَجْنُونٍ ، وَلَا صَبِيٍّ حَتَّى يَبْلُغَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيْقَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ » .

وَأَمَّا اسْتِرَاطُ الْقُدْرَةِ عَلَى الصَّوْمِ فَلَأَنَّ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِحَالٍ وَهُوَ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ - اذَا كَانَ الصَّوْمُ يُجْهِدُهُمَا وَيَشُقُّ عَلَيْهِمَا مَشَقَّةً شَدِيدَةً - فَلَهُمَا أَنْ يُفْطِرَا وَيُطْعِمَا لِكُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا ، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ : لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ فِي الشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، وَالْمَرْأَةِ الْكَبِيرَةِ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعَانِ الصَّوْمَ فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا .

وَرَوَى أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - ضَعُفَ عَنْ الصَّوْمِ فَصَنَعَ جَفَنَةً مِنْ ثَرِيدٍ ، فَذَعَا ثَلَاثِينَ مِسْكِينًا فَأَطْعَمَهُمْ .

وَالْمَرِيضُ الَّذِي لَا يُرْجَى بَرْؤُهُ ، حُكْمُهُ حُكْمُ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، يُطْعِمُ لِكُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا .

٣ - مَا يَثْبُتُ بِهِ الشَّهْرُ :

وَيَجِبُ صَوْمُ رَمَضَانَ بِرُؤْيَا هِلَالِهِ ، أَوْ اكْتِمَالِ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ

يَوْمًا وَتَثَبْتُ رَوْيَهُ هِلَالِ رَمَضَانَ بِخَبَرِ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ عَدْلٍ وَلَوْ عَبْدًا أَوْ
أُنْتَى .

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا ، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ
فَافْطَرُوا ، فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فاقْدُرُوا لَهُ » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « تَرَى النَّاسَ الْهِلَالَ
فَأُخْبِرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي رَأَيْتُهُ ، فَصَامَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : إِنَّ اغْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ الْهِلَالَ ، فَقَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قَالَ :
نَعَمْ ، قَالَ : « فَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَا بِلَالُ أَنْ يَصُومُوا غَدًا » .

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ أَنْ يَقُولَ مَا وَرَدَ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى
الْهِلَالَ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ
وَالْإِسْلَامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى » .

وَمِنْهُ حَدِيثُ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ
وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، هِلَالٌ رُشِدٍ وَخَيْرٍ » .

وَأَنَّ حَالَ دُونَ مَطْلَعِ الْهِلَالِ لَيْلَةُ الثَّلَاثَيْنِ مِنْ شَعْبَانَ غَيْمٌ أَوْ قَتَرٌ أَوْ غَيْرُهُمَا ، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ صَوْمُهُ وَلَا يُسْتَحَبُّ ، بَلْ الْمَشْرُوعُ فِطْرُهُ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤْيَايِهِ . وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَايِهِ ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ » .

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يَشْكُ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤْيَايِهِ ، فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ فَكَمِّلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ وَلَا تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالًا » .

وَيُسْتَشَى الْقَضَاءُ ، وَالنَّذْرُ وَالْعَادَةُ ، فَيَجُوزُ صَوْمُهَا فِيهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقْدُمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمه » .

٤ - فِيمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ثُبُوتِ رُؤْيَا الْهِلَالِ :

وَإِذَا ثَبَتَ رُؤْيَا هِلَالِ رَمَضَانَ يَبْلُغُ لَزِمَ النَّاسَ كُلُّهُمْ الصَّوْمُ إِذَا اتَّفَقَتِ الْمَطَالِغُ لِمَا رَوَى « كُرَيْبٌ » قَالَ : قَدِمْتُ الشَّامَ ، وَاسْتَهْلْتُ عَلَيَّ رَمَضَانَ وَأَنَا بِالشَّامِ ، فَرَأَيْتُ الْهِلَالَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَسَأَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . ثُمَّ ذَكَرَ الْهِلَالَ فَقَالَ : مَتَى رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ ؟ قُلْتُ : رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ : أَنْتَ رَأَيْتَهُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ وَرَأَاهُ النَّاسُ ، وَصَامُوا ، وَصَامَ مُعَاوِيَةُ ، فَقَالَ : لَكِنَّا رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ فَلَا نَزَالَ

نَصُومُ حَتَّى نَكْمَلَ ثَلَاثِينَ أَوْ نَرَاهُ . فَقُلْتُ : أَفَلَا تَكْتَفِي بِرُؤْيَا مُعَاوِيَةَ وَصِيَامِهِ ؟ فَقَالَ لَا ، هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمَنْ رَأَى وَحْدَهُ هِلَالَ رَمَضَانَ وَرَدَّ قَوْلُهُ لَزِمَهُ الصَّوْمُ وَجَمِيعُ أَحْكَامِ الشَّهْرِ مِنْ طَلَاقٍ وَعِتْقٍ ، وَغَيْرِهِمَا مُعَلَّقِينَ بِهِ ، لِعُمُومِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صُومُوا لِرُؤْيَايِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَايِهِ ، وَلِأَنَّهُ تَيَقَّنَ أَنَّهُ مِنْ رَمَضَانَ فَلَزِمَهُ صَوْمُهُ وَأَحْكَامُهُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ رَأَى وَحْدَهُ هِلَالَ شَوَّالٍ لَمْ يُفْطِرْ لِحَدِيثِ « الْفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُ النَّاسُ ، وَالْأَضْحَى يَوْمَ يُضْحِي النَّاسُ » .

وَحَدِيثِ : « الْفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُونَ ، وَالْأَضْحَى يَوْمَ يُضْحُونَ » .
وَرَوَى أَبُو رَجَاءٍ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ :

أَنَّ رَجُلَيْنِ قَدِمَا الْمَدِينَةَ وَقَدْ رَأَيَا الْهِلَالَ ، وَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ صِيَامًا فَاتَّيَا عُمَرَ ، فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا : أَصَائِمُ أَنْتَ ؟ قَالَ : بَلَى مُفْطِرٌ . قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِالصَّوْمِ وَقَدْ رَأَيْتُ الْهِلَالَ وَقَالَ لِلْآخَرِ ، قَالَ : أَنِّي صَائِمٌ ، قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : لَمْ أَكُنْ لِإِفْطَرِ وَالنَّاسِ صِيَامًا . فَقَالَ لِلَّذِي أَفْطَرَ : لَوْلَا مَكَانُ هَذَا لَأَوْجَعْتُ رَأْسَكَ ، ثُمَّ نُودِيَ فِي النَّاسِ أَنْ أُخْرَجُوا .

وَأِنَّمَا أَرَادَ ضَرْبَهُ لِإِفْطَارِهِ بِرُؤْيَايِهِ وَحْدَهُ ، وَدَفَعَ عَنْهُ الضَّرْبَ لِكَمَالِ الشَّهَادَةِ بِهِ ، وَلَوْ جَازَ لَهُ الْفِطْرُ لَمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَلَا تَوَعَّدَهُ ، وَإِنْ صَامَ النَّاسُ بِشَهَادَةِ اثْنَيْنِ : ثَلَاثِينَ يَوْمًا فَلَمْ يَرَوْا الْهِلَالَ أَفْطَرُوا لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ ثُمَّ أَفْطَرُوا » .

وَإِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَثْنَاءَ النَّهَارِ لَزِمَ أَهْلَ وَجُوبِ الصَّوْمِ الْإِمْسَاكُ وَلَوْ
بَعْدَ أَكْلِهِمْ لِتَعَدُّرِ إِمْسَاكِ الْجَمِيعِ فَوَجِبَ أَنْ يَأْتُوا بِمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ وَحَدِيثُ : « إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ
مَا اسْتَطَعْتُمْ » .

٥ - لَا يَصِحُّ صِيَامُ رَمَضَانَ إِلَّا بَيِّنَةً مِنَ اللَّيْلِ :
وَلَا يَصِحُّ صَوْمُ رَمَضَانَ ، وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الصَّيَامِ الْوَاجِبِ إِلَّا بَيِّنَةً
مِنَ اللَّيْلِ لِكُلِّ يَوْمٍ ، رَوَتْ حَفْصَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يُبَيِّنِ الصَّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ
لَهُ » .
وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرْفُوعاً : « مَنْ لَمْ يُبَيِّنِ الصَّيَامَ قَبْلَ
طُلُوعِ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ » .

وَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ أَتَى بَعْدَ النِّيَّةِ فِي اللَّيْلِ بِمَا يُبْطِلُ
الصَّيَامَ كَالْأَكْلِ لَمْ تَبْطُلِ النِّيَّةُ لِظَاهِرِ الْخَبَرِ وَلَأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ الْأَكْلَ إِلَى آخِرِ
الَّيْلِ فَلَوْ بَطَلَتْ بِهِ فَاتَ مَحَلُّهَا وَمَنْ خَطَرَ بِبَالِهِ أَنَّهُ صَائِمٌ غَدًا فَقَدْ
نَوَى ، لَأَنَّ النِّيَّةَ مَحَلُّهَا الْقَلْبُ ، وَالْأَكْلُ وَالشُّرْبُ بَيِّنَةُ الصَّوْمِ نِيَّةً قَالَ
الْشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ هُوَ جَيِّنَ يَتَعَشَّى عِشَاءً مَنْ يُرِيدُ الصَّوْمَ ، وَلَوْ نَوَتْ
حَائِضٌ أَوْ نَفْسَاءُ صَوْمَ غَدٍ وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا تَطْهَرُ لَيْلًا صَحَّ لِمَشَقَّةِ الْمُقَارَنَةِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سِلْكِ الْفَائِزِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ
الَّذِينَ أُعِدَّتْ لَهُمْ فَسِيحُ جَنَّاتِكَ ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ ،
وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلْ لَنَا مِنْ مَوَاهِبِ

فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَيَبْتَحثُ فِي :

١ - حُكْمُ صَوْمِ التَّطَوُّعِ بِنِيَّةٍ مِنَ النَّهَارِ .

٢ - فِيمَنْ يُبَاحُ لَهُ الْفِطْرُ وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ .

٣ - مَنْ عَرَضَ لَهُ جُنُونٌ أَوْ اِغْمَاءٌ .

١ - حُكْمُ صَوْمِ التَّطَوُّعِ بِنِيَّةٍ مِنَ النَّهَارِ :

وَيَصِحُّ صَوْمُ التَّطَوُّعِ بِنِيَّةٍ مِنَ النَّهَارِ قَبْلَ الزَّوَالِ وَيَعْدُهُ لِمَا وَرَدَ عَنْ
عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ : « هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ فَقُلْنَا لَا ، فَقَالَ : فَإِنِّي إِذْ
صَائِمٌ ، ثُمَّ أَتَانَا يَوْمًا آخَرَ ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْدِي لَنَا خَبِيسٌ ،
فَقَالَ : « أَرَيْنِيهِ ، فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا فَأَكَلْتُ » .

وَرَادَ النَّسَائِيُّ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّمَا مَثَلُ صَوْمِ التَّطَوُّعِ ، مَثَلُ الرَّجُلِ
يُخْرِجُ مِنْ مَالِهِ الصَّدَقَةَ ، فَإِنْ شَاءَ أَمْضَاهَا وَإِنْ شَاءَ حَبَسَهَا ، وَمِنْ لَفْظِ
لَهُ أَيْضًا قَالَ : « يَا عَائِشَةُ ، إِنَّمَا مَنَزَلُهُ مَنْ صَامَ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ أَوْ فِي
التَّطَوُّعِ بِمَنَزَلَةِ رَجُلٍ أَخْرَجَ صَدَقَةَ مَالِهِ فَجَادَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْضَاهُ ،
وَبَخِلَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ فَأَمْسَكَهُ » .

قَالَ الْبُخَارِيُّ ، وَقَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ : كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : عِنْدَكُمْ طَعَامٌ ؟ فَإِنْ قُلْنَا : لَا ، قَالَ : فَإِنِّي صَائِمٌ يَوْمِي . قَالَ وَقَعَلَهُ أَبُو طَلْحَةَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ ، وَحَدَّثَنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَيُحَكِّمُ بِالصَّوْمِ الْمُثَابَ عَلَيْهِ ، مِنْ وَقْتِ النِّيَّةِ ، لِحَدِيثِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » ، وَمَا قَبْلَهُ لَمْ يُوجَدْ فِيهِ قَضَاءُ الْقُرْبَةِ ، لَكِنْ يُشْتَرَطُ أَنْ لَا يُوجَدْ مُنَافٍ غَيْرُ نِيَّةِ الْإِفْطَارِ ، اقْتِصَاراً عَلَى مُقْتَضَى الدَّلِيلِ ، وَنَظْراً إِلَى أَنَّ الْإِمْسَاكَ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ ، فَلَا يُغْفَى عَنْهُ أَصْلاً ، فَإِنْ فَعَلَ قَبْلَ النِّيَّةِ مَا يُفْطَرُهُ لَمْ يَجْزِ الصِّيَامُ ، فَلَا يَصِحُّ صَوْمٌ مَنْ أَكَلَ ثُمَّ نَوَى بَقِيَّةَ يَوْمِهِ لِعَدَمِ حُصُولِ حِكْمَةِ الصَّوْمِ ، وَيَصِحُّ تَطَوُّعُ حَائِضٍ وَنَفْسَاءٍ طَهَّرَتْ فِي يَوْمٍ بِصَوْمِ بَقِيَّتِهِ وَتَطَوُّعُ كَافِرٍ أَسْلَمَ فِي يَوْمٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ بِمُفْسِدٍ مِنْ أَكْلِ أَوْ شَرِبٍ وَنَحْوِهِمَا وَإِنْ بَلَغَ صَبِيٌّ ، أَوْ أَسْلَمَ كَافِرٌ ، أَوْ أَفَاقَ مَجْنُونٌ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ ، وَهُمْ مُفْطَرُونَ ، لِرِمَهُمُ الْإِمْسَاكَ عَنْ مُفْسِدَاتِ الصَّوْمِ ، لِحُرْمَةِ الْوَقْتِ وَلِزَوَالِ الْمُبِيحِ ، وَإِنْ طَهَّرَتْ حَائِضٌ أَوْ نَفْسَاءٌ ، أَوْ قَدِمَ مُسَافِرٌ مُفْطِرٌ .

فَعَلَيْهِمُ الْإِمْسَاكَ وَالْقَضَاءُ وَلَا خِلَافٌ فِي وَجُوبِ الْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ... فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا ، أَوْ عَلَى سَفَرٍ ، فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

وَلِقَوْلِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كُنَّا نَحِيضُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَوَمَّرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ ، وَكَذَا الْحُكْمُ فِي الْمَرِيضِ إِذَا صَحَّ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ ، وَكَانَ مُفْطِرًا .

وَيُسْنُ الْفِطْرُ لِمَسَافِرٍ يُبَاحُ لَهُ الْقَصْرُ ، وَلِمَرِيضٍ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ وَلِلْحَدِيثِ
« لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ » .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« ... عَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللَّهِ الَّتِي رَخَّصَ لَكُمْ فَاقْبَلُوهَا » وَإِنْ صَامَ أَجْزَأُهُ .

وَلِلْحَدِيثِ : « هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ ، وَمَنْ أَحَبَّ
أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ » .

وَعَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَصُومُ فِي السَّفَرِ ؟ قَالَ : « إِنْ شِئْتَ فَصُمْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ » .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل

٢ - فَيَمَنْ يُبَاحُ لَهُ الْفِطْرُ وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ :

وَيُبَاحُ الْفِطْرُ ، لِحَاضِرٍ سَافِرٍ فِي أَثْنَاءِ النَّهَارِ . لِلْحَدِيثِ أَبِي بَصْرَةَ
الْعِفَارِيُّ : أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ مِنَ الْفِسْطَاطِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَدَفَعَ ،
ثُمَّ قَرَّبَ عَدَاءَهُ ، فَلَمْ يُجَاوِزِ الْبُيُوتَ حَتَّى دَعَا بِالسُّفْرَةِ ، ثُمَّ قَالَ :
اقْتَرِبْ ! قِيلَ : أَلَسْتَ تَرَى الْبُيُوتَ ؟ قَالَ أَتَرَعَّبُ عَنْ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَأَكَلَ .

وَأَنْ صَامَ أَجْزَأُهُ ، لِلْحَدِيثِ : « هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهَا
فَحَسَنٌ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ » .

وَيُبَاحُ الْفِطْرُ لِحَامِلٍ ، وَمُرْضِعٍ ، إِذَا خَافَتَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا ،
فَيُفْطَرَانِ وَيَقْضِيَانِ كَالْمَرِيضِ الْخَائِفِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَإِنْ خَافَتَا عَلَى
وَلَدَيْهِمَا أَفْطَرَتَا وَقَضَتَا ، وَلَزِمَ وَلِيُّ الْوَلَدِ أَطْعَامُ مِسْكِينٍ لِكُلِّ يَوْمٍ لِقَوْلِهِ

تَعَالَى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « كَانَتْ رُخْصَةً لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ وَهُمَا يُطِيقَانِ الصَّيَّامَ أَنْ يُفْطِرَا وَيُطْعِمَا مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا وَالْحُبْلَى وَالْمُرْضِعُ إِذَا خَافَتَا عَلَى أَوْلَادِهِمَا أَفْطَرْنَا وَأَطْعَمْنَا » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَلَا مُخَالَفَ لَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَيْسَ لِمَنْ جَازَ لَهُ الْفِطْرُ بِرَمَضَانَ أَنْ يَصُومَ غَيْرَهُ فِيهِ لِأَنَّهُ لَا يَسَعُ غَيْرَ مَا فُرِضَ فِيهِ وَلَا يَصْلَحُ لِسِوَاهُ ، وَيَجِبُ الْفِطْرُ عَلَى مَنْ احْتَجَّاهُ لِإِنْقَاضِ مَعْصُومٍ مِنْ مَهْلَكَةٍ . كَغَرَقٍ لِأَنَّهُ يُمَكِّنُهُ تَذَارُكَ الصَّوْمِ بِالْقَضَاءِ بِخِلَافِ الْغَرِيقِ وَنَحْوِهِ ، وَيَجِبُ الْفِطْرُ عَلَى الْحَائِضِ وَالنَّفْسَاءِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تُصُمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٣ - مَنْ عَرَضَ لَهُ جُنُونٌ أَوْ اِغْمَاءٌ :

وَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ ثُمَّ جُنَّ أَوْ اِغْمِيَ عَلَيْهِ جَمِيعَ النَّهَارِ ، وَلَمْ يُفِقْ جُزْءًا مِنْهُ لَمْ يَصِحَّ صَوْمُهُ لِأَنَّ الصَّوْمَ : الْإِمْسَاكُ مَعَ النِّيَّةِ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي . . . » ، فَأُضَافَ التَّرْكُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ لَا يُضَافُ إِلَى الْمَجْنُونِ وَالْمَغْمَى عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَجْزِ وَالنِّيَّةُ وَخَدَهَا لَا تُجْزَى ، وَيَصِحُّ الصَّوْمُ مِمَّنْ أَفَاقَ جُزْءًا مِنْهُ حَيْثُ نَوَى لَيْلًا لِصِحَّةِ إِضَافَةِ التَّرْكِ إِلَيْهِ إِذَا ، وَيَفَارِقُ الْجُنُونُ الْحَيْضَ بِأَنَّهُ لَا يَمْنَعُ الْوُجُوبَ بَلْ يَمْنَعُ

الصَّحَّةَ وَيَحْرُمُ فِعْلُهُ ، وَيَصِحُّ صَوْمُ مَنْ نَامَ جَمِيعَ النَّهَارِ لِأَنَّ النَّوْمَ عَادَةٌ لَا يَزُولُ الْإِحْسَاسُ بِهِ بِالْكُلِّيَّةِ لِأَنَّهُ مَتَى نُبِّهَ انْتَبَهَ . وَيَقْضِي مُغْمَى عَلَيْهِ زَمَنَ إِغْمَائِهِ لِأَنَّهُ مُكَلَّفٌ ، وَلِأَنَّ مُدَّةَ الْإِغْمَاءِ لَا تَطُولُ غَالِبًا ، وَلَا تَثْبُتُ الْوِلَايَةُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقْضِي مَجْنُونٌ زَمَنَ جُنُونِهِ لِعَدَمِ تَكْلِيفِهِ .

مَوْعِظَةٌ

أَخَوَانِي إِنَّ الْغَفْلَةَ عَنِ اللَّهِ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فَمَنْ غَفَلَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْهَيْئَةِ الدُّنْيَا عَنِ الْعَمَلِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ أَنْسَاهُ الْعَمَلَ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ فَلَا يَسْعَى لَهَا بِمَا فِيهِ نَفْعُهَا وَلَا يَأْخُذُ فِي أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَاصْلَاحِهَا وَمَا يُكْمِّلُهَا وَيُنْسِي كَذَلِكَ أَمْرَاضَ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَالْأَمَّةُ فَلَا يَخْطُرُ بِإِلَهِ مُعَالَجَتِهَا وَلَا السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ عِلَلِهَا وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَوَلُّ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْدَّمَارِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَاتِ فَأَيُّ عُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا وَحَيَاتِهَا الْأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ قَدْ نَسُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا حَظَّهَا وَبَاعُوهَا بِشَيْءٍ بَخْسٍ بَيْعِ الْمَغْبُورِ وَيُظْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ كُلُّهُ يَوْمَ التَّغَابُنِ « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ » الْآيَةُ .

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ إِنَّهَا لَحَسْرَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ دُونَهَا كُلُّ حَسْرَةٍ ، هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ اعْظِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِلْوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَيَبْحَثُ فِي :

١ - ذِكْرُ أَشْيَاءَ تَحْرُمُ عَلَى الصَّائِمِ وَيُفْطَرُ بِهَا .

٢ - حُكْمُ مَا إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا .

٣ - بَعْضُ فَوَائِدِ الصُّومِ .

١ - ذِكْرُ أَشْيَاءَ تَحْرُمُ عَلَى الصَّائِمِ وَيُفْطَرُ بِهَا :

يَحْرُمُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عَاقِلٍ تَنَاوُلُ مُفْطَرٍ مِنْ غَيْرِ عَذْرِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ وَلَا مَرَضٍ ، لَمْ يَقْضِهِ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَإِنْ صَامَهُ » .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَتَانِي رَجُلَانِ فَأَخَذَا بَضْبِعِي فَأَتَيَا بِي جَبَلًا وَغَرًّا فَقَالَا اصْصَعْدْ فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَطِيقُهُ فَقَالَا إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ فَصَعَدْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي سَرَاةِ الْجَبَلِ إِذَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ قُلْتُ مَا هَذِهِ

الْأَصْوَاتُ قَالَا هَذَا عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ
بِعَرَاقِيهِمْ مُشَقَّةً أَشْدَقَهُمْ تَسِيلُ أَشْدَقَهُمْ دَمًا قَالَ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ
الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ « الْحَدِيثُ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ جَبَّانَ
فِي صَحِيحِهِمَا .

وَمِمَّا يَحْرَمُ عَلَى الصَّائِمِ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ بَعْدَ تَبَيُّنِ الْفَجْرِ الثَّانِي
لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ... حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ
مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ .

فَمَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ مُخْتَارًا ذَاكِرًا لَصَوْمِهِ أَبْطَلَهُ ، لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا يُنَافِي
الصَّوْمَ لِغَيْرِ عُدْرٍ .

٢ - حُكْمُ مَا إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا :

وَلَا يُفْطَرُ مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَسِيَ وَهُوَ
صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ ، فَلْيُتِمِّمْ صَوْمَهُ ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ » .

وَرَوَى الْحَاكِمُ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ
نَاسِيًا فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلَا كَفَّارَةَ ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ فَسَدَ صَوْمُهُ ، وَعَلَيْهِ
قَضَاءٌ » .

وَمَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ ذَرَعَهُ
الْقَيْءُ فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ » .

وَمِمَّا يُفْطَرُ : الْحِجَامَةُ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَتَى عَلَى رَجُلٍ بِالْبَقِيعِ وَهُوَ يَحْتَجِمُ فِي رَمَضَانَ ، فَقَالَ : أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ .

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ » .

وَمِمَّا يَحْرُمُ عَلَى الصَّائِمِ ، وَيُبْطِلُ صِيَامَهُ الْجِمَاعُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ ، وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ ، وَهِيَ عِتْقُ رَقَبَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مُسْكِينًا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : « هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا أَهْلَكَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : اجْلِسْ . وَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ ، وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ الضَّخْمُ ، قَالَ : أَيُّنَ السَّائِلِ ؟ قَالَ أَنَا قَالَ : خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعَلَى أَفْقَرِ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا - يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ؟ فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ قَالَ « أَطْعِمُهُ أَهْلَكَ » مُتَفَقِّ عَلَيْهِ . وَتَحْرُمُ الْمُبَاشَرَةُ فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ إِنْ ظَنَّ إِنْزَالًا ، فَإِنْ بَاشَرَ فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ ، فَأَنْزَلَ مَنِيًّا فَسَدَ صَوْمُهُ ، لِأَنَّهُ إِنْزَالٌ عَنْ مُبَاشَرَةٍ ، فَأَشْبَهَ الْجِمَاعَ .

وَمِمَّا يُفْطَرُ : (الرَّدَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ - أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا) قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى : ﴿ لَيْتَنُ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الزُّمَرِ

٦٥ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ المائدة ٥ .

وَمِمَّا يُفْطَرُ : إِنْصَالَ الْأَغْذِيَّةَ بِالْأَبْرَةِ إِلَى الْجَوْفِ مِنْ طَعَامٍ أَوْ
شَرَابٍ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ وَأَمَّا الْحُبُوبُ الْغِذَائِيَّةُ
وَالدَّوَائِيَّةُ وَالْمُشْتَرَكَةُ فَيُفْطَرُ مَنْ أَكَلَهَا .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ قَوَارِعَ الْأَيَّامِ خَاطِبَةٌ ، فَهَلْ أَدُنَّ لِعِطَاتِهَا وَاعِيَةٌ ، وَإِنْ
فَجَائِعَ الْمَوْتِ صَائِيَةٌ فَهَلْ نَفْسٌ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ مُرَاعِيَةٌ ، إِنَّ مَطَالِيعَ الْأَمَالِ
إِلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ سَاعِيَةٌ أَلَا فَانْظُرُوا بِثَوَاقِبِ الْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ فِي
نَوَاجِي الْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارِ فَمَا تَرَوْنَ فِي حُشُودِكُمْ وَجُمُوعِكُمْ إِلَّا الشَّتَاتِ
وَلَا تَسْمَعُوا فِي رُبُوعِكُمْ إِلَّا فُلَانٌ مَرِيضٌ وَفُلَانٌ مَاتَ أَيْنَ الْأَبَاءُ الْأَكَابِرُ أَيْنَ
الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمُ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا تَمُوتُ الْمُنَاصِحُونَ
لِوَلَاتِهِمْ وَأَمَّتِهِمُ الزَّاهِدُونَ فِي حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ أَيْنَ الْكُرَمَاءُ الْأَفَاضِلُ
الَّذِينَ يَغَارُونَ إِذَا انْتَهَكَتِ الْمَحَارِمُ أَيْنَ الْهَاجِرُونَ الْمُصَاحِرُونَ لِلْفَاسِقِ
وَالْفَاجِرِ أَيْنَ الْمُنَاصِرُونَ لِلْقَائِمِ عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ أَيْنَ أَهْلُ
الْوَلَاءِ وَالْبِرِّ الْمُحِبُّونَ فِي اللَّهِ الْمُبْغِضُونَ لِأَعْدَائِهِ .

أَيْنَ الْمُتَّقُونَ لِمَا كَلِمَتُهُمْ وَمَلَأَتْهُمْ وَمَسَاكِينُهُمْ عَنِ الْحَرَامِ وَالْمُشْتَبِهِ وَهُوَ
مَا كَانَ الْقَلْبُ فِي الْأَقْدَامِ عَلَيْهِ وَالْكَفُّ عَنْهُ حَائِثٌ .

أَيْنَ الَّذِينَ لَا يَسْكُنُونَ إِلَّا بِرِضَا صَاحِبِ الْمُلْكِ خَوْفًا مِنَ الْمُخَاطَرَةِ

فِي صَلَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَنِكَاحِهِمْ وَمُكْنِهِمْ فِي الْأَمْلَاقِ الْمَسْكُونَةِ قَهْرًا
وَعُصْبًا .

أَيُّنَ الْمُتَفَقِّدُونَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَوَارِدُ .
عَثَرَتْ وَاللَّهُ بِهِمُ الْعَوَائِرُ وَأَبَادَتْهُمْ السِّنِينَ الْغَوَابِرُ وَبَتَرَتْ أَعْمَارُهُمُ
الْحَادِثَاتُ الْبَوَائِرُ وَاخْتَطَفَهُمْ عَقَبَاتُ كَوَاسِرِ . وَخَلَّتْ مِنْهُمْ الْمَشَاهِدُ
وَالْمَحَاضِرُ وَعَدِمَتْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ تِلْكَ الْجَوَاهِرُ وَطِفَتْ مِنْ وُجُوهِهِمُ الْأَنْوَارُ
الزَّوَاهِرُ وَابْتَلَعَتْهُمْ الْحُفَرُ وَالْمَقَابِرُ إِلَى يَوْمِ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَلَوْ كُشِفَتْ عَنْهُمْ
أَعْطِيَةُ الْقُبُورِ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ لَرَأَيْتِ الْأَحْدَاقَ عَلَى الْخُدُودِ سَائِلَةً
وَالْأَوْصَالَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مَائِلَةً وَدِيدَانِ الْأَرْضِ فِي نَوَاعِمِ تِلْكَ
الْأَبْدَانِ جَائِلَةً وَالرُّؤُوسَ الْمُسَوَّدَةَ عَلَى الْإِيمَانِ زَائِلَةً يُنْكِرُهَا مَنْ كَانَ عَارِفًا
بِهَا وَيَنْفِرُ عَنْهَا مَنْ لَمْ يَزَلْ آلِفًا بِهَا .

فَلَا يُعْرِفُ السَّيِّدُ مِنَ الْمَسُودِ وَلَا الْمَلِكُ مِنَ الْمَمْلُوكِ وَلَا الذَّكِيُّ مِنَ
الْبَلِيدِ وَلَا الْغَنِيُّ مِنَ الْفَقِيرِ فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا بَادَرَ بِالْأَفْلَاحِ عَنْ السَّيِّئَاتِ
وَوَاصَلَ الْإِسْرَاعَ وَالْمَبَادِرَةَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ قَبْلَ انْقِطَاعِ مُدَدِ
الْأَوْقَاتِ وَطَيَّ صَحَائِفَ الْمُسْتَوْدَعَاتِ وَنَشَرَ فُضَائِحَ الْاِقْتِرَافَاتِ وَالْجِنَايَاتِ
فَلَا تَغْتَرُّوا بِحَيَاةِ تَقْوُدَ إِلَى الْمَمَاتِ قَوْرَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَا تِ فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ قَبْلَ أَنْ تَتَمَّنَّوْا الْمُهْلَةَ وَهَيْهَاتَ .

شِعْرًا :

نَمْضِي عَلَى سُبُلٍ كَانُوا لَهَا سَلَكُوا
أَسْلَافُنَا وَهُمْ لِالَّذِينَ قَدْ شَادُوا

لَنَا بِهِمْ أَسْوَةٌ إِذْ هُمْ أَئِمَّتُنَا
وَنَحْنُ لِلْقَوْمِ أَبْنَاءُ وَأَحْفَادُ
وَالصَّبْرُ يَا نَفْسُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَهُ
عَوَاقِبُ كُلِّهَا نُجَحُّ وَإِمْدَادُ
فَاصْبِرْ هُدَيْتَ فَإِنَّ الْمَوْتَ مُشْتَرَكُ
بَيْنَ الْأَنَامِ وَإِنْ طَاوَلَنَ آمَادُ
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَاتٍ عَنْ مَصَارِعِهِمْ
كَأَنَّهُمْ وَهُمْ الْأَيْقَاطُ رُقَادُ
دُنْيَا تَغُرُّ وَعَيْشٌ كُلُّهُ كَذَرُ
لَوْلَا النُّفُوسُ الَّتِي لِلْوَهْمِ تَنْقَادُ
كُنَّا عَدَدُنَا لِهَذَا الْمَوْتِ عُذَّتُهُ
قَبْلَ الْوَفَاةِ وَأَنْ تُخْفَرْنَ أَلْحَادُ
فَالدَّارُ مِنْ بَعْدِ هَذِي الدَّارِ آخِرَةٌ
تَبْقَى دَوَاماً بِهَا حَشَرٌ وَمِينَعَادُ
وَجَنَّةٌ أُرْلِفَتْ لِلْمُتَّقِينَ وَأَهْدُ
لِلْحَقِّ وَالصَّبْرِ أَبْدَالُ وَأَوْتَادُ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ وَلَا
تَعْجَلْ وَتَكْسَلْ فَإِنَّ الْمَرْءَ جَهَادُ
لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ إِلَّا مَا يُقَدِّمُهُ
فَبَادِرِ الْمَوْتَ وَاصْطَدْ قَبْلَ تَضْطَادُ
وَالْمَوْتُ لِلْمُؤْمِنِ الْأَوَابِ تُخَفِّتُهُ
وَفِيهِ كُلُّ الذِّئْبِ يَنْغِي وَيَرْتَادُ

لَقَا الْكَرِيمِ تَعَالَى مَجْدُهُ وَسَمَا
 مَعَ النَّعِيمِ الَّذِي مَا فِيهِ أَنْكَادُ
 فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ إِحْسَانٌ وَمَرْحَمَةٌ
 فَالْفَضْلُ لِلَّهِ كَالْأَزَالِ أَبَادُ
 فَالظَّنُّ بِاللَّهِ مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا
 ظَنٌّ جَمِيلٌ مَعَ الْأَنْفَاسِ يَزْدَادُ
 نَرْجُوهُ يَرْحَمُنَا نَرْجُوهُ يَسْتُرُنَا
 فَمِنْهُ لِكُلِّ إِمْدَادٍ وَإِجَادُ
 نَدْعُوهُ نَسْأَلُهُ عَفْوَاً وَمَغْفِرَةً
 مَعَ حُسْنِ خَاتِمَةٍ فَالْعُمْرُ نَقَادُ
 وَقَدْ رَضِينَا قَضَاءَ اللَّهِ كَيْفَ قَضَا
 وَاللُّطْفُ نَرْجُو وَحُسْنَ الصَّبْرِ إِرْشَادُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ مَنَاهِجِ الْمُتَّقِينَ ، وَخُصَّنَا بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ،
 وَاجْعَلْنَا بِفَضْلِكَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ،
 وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

٣ - بَعْضُ فَوَائِدِ الصَّيَامِ :

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لَشَهْرِ رَمَضَانَ شَرَفَهُ اللَّهُ فَوَائِدَ عَظِيمَةً وَمَنَافِعَ جَمَّةً وَأَثَارَ
 حَسَنَةً فَهُوَ يَضْبِطُ النَّفْسَ وَيُطْفِئُ شَهَوَاتَهَا فَإِنَّهَا إِذَا شَبِعَتْ تَمَرَدَتْ فِي
 الْغَالِبِ وَسَعَتْ فِي شَهَوَاتِهَا ، وَإِذَا جَاعَتْ سَكَنْتْ وَخَضَعَتْ وَأَمْتَنَتْ
 عَنْ مَا تَهْوَى ، فَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصُّومِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ذَلِكَ أَنَّهُ يَكْبِرُ مِنْ شَهْوَةِ الشَّبَابِ حَتَّى لَا تَطْفَى عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ ، فَكَانَ الصُّومُ وَسِيلَةً إِلَى كَفِّ النَّفْسِ عَنِ الْمَعَاصِي ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ، فَالصِّيَامُ يُرَبِّي فِي الْإِنْسَانِ الْفَضَائِلَ وَالْإِخْلَاصَ وَالْأَمَانَةَ وَالصَّبْرَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، لِأَنَّهَا إِذَا انْقَادَتْ لِلْامْتِنَاعِ عَنِ الْحَلَالِ مِنَ الْغِذَاءِ الَّذِي لَا غِنَى لَهَا عَنْهُ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَوْفًا مِنَ أَلِيمِ عِقَابِهِ .

فَالْأُخْرَى بِهَا أَنْ تَتَمَرَّنَ عَلَى الْامْتِنَاعِ عَنِ الْحَرَامِ الَّذِي هِيَ غِيَّةٌ عَنْهُ وَتُبْعِدَ عَنْهُ كُلُّ الْبُعْدِ فَلَا يَغْدُرُ وَلَا يَخُونُ وَلَا يُخْلِفُ وَعْدًا وَلَا يَكْذِبُ وَلَا يُرَائِي .

فَإِذَا وَفَّقَهُ اللَّهُ لِصَوْنِ صِيَامِهِ عَنِ الْمُفْسِدَاتِ وَالْمُنْقِصَاتِ فَالصُّومُ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ سَبَبٌ فِي اتِّقَاءِ الْمَحَارِمِ وَقُوَّةِ الْعَزِيمَةِ وَالتَّحَلِّيِ بِالْفَضَائِلِ وَالتَّخَلِّيِ عَنِ الرَّذَائِلِ ، وَالْإِشَارَةُ بِهَذَا أَشَارٌ جَلُّ وَعَلَا بِقَوْلِهِ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فَالصُّومُ يَدْعُو إِلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ ، إِذْ هُوَ كَفَّ النَّفْسَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمُبَاشَرَةِ النِّسَاءِ ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ جَلَائِلِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ .

وَالْامْتِنَاعُ عَنْ هَذِهِ النِّعَمِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى آخِرِهِ يُعَرِّفُ الْإِنْسَانَ قُدْرَتَهَا ، إِذْ لَا يُعْرِفُ فَضْلَ النِّعْمَةِ إِلَّا بَعْدَ فَقْدِهَا فَيَبْغِيهِ ذَلِكَ عَلَى الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا وَشُكْرُ النِّعْمَةِ وَاجِبٌ عَلَى الْعِبَادِ ، وَالْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ .

وَأَيْضاً فَالصَّيَامُ يَتَعَثُّ فِي الْإِنْسَانِ فَضِيلَةَ الرَّحْمَةِ بِالْفُقَرَاءِ وَالْعَطْفِ عَلَى الْبَائِسِينَ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ذَاقَ أَلَمَ الْجُوعِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ تَذَكَّرَ الْفَقِيرَ الْجَائِعَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فَيَسَارِعُ إِلَى رَحْمَتِهِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ . قِيلَ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْجُوعِ : لِمَ تَجُوعُ وَأَنْتَ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ؟ فَقَالَ : أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَشْبَعَ فَأَنْسِيَ الْجَائِعِ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الصَّيَامِ مَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ يُنْقَى الْجِسْمُ مِنَ الْفَضَلَاتِ الرَّدِيئَةِ وَرُطُوبَاتِ الْأَمْعَاءِ ، وَيَشْفَى كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرَاضِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِيهِ مِنَ الْمَزَايَا الصَّحِيَّةِ مَا شَهِدَ بِهِ الْعَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيقِ ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ عَلِيمٍ حَكِيمٍ .

وَمِنْ فَوَائِدِ الصَّيَامِ أَنَّهُ يُقَوِّي النَّفْسَ عَلَى الْبِرِّ وَالْجَلَمِ وَهَذَا تَجَنَّبُ كُلُّ مَا مِنْ شَأْنِهِ اثَارَةُ الْغَضَبِ لِأَنَّ الصَّوْمَ يَنْصِفُ الصَّبْرَ ، وَالصَّبْرُ يَنْصِفُ الْإِيمَانَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمَّا رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : (أَلَا أَدْلِكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَالصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ) .

وَمَنْ يُلَاحِظْ حَالَ الصَّائِمِينَ الْمُؤَفَّقِينَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَحَرِّيِ الطَّاعَةِ وَتَحَرِّيِ سُبُلِ الْخَيْرَاتِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالرَّغْبَةِ فِي الْإِحْسَانِ يُذَرِّكُ أَنَّ الصَّوْمَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ ، وَيُذَرِّكُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وَيُذَرِّكُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّوْمُ جُنَّةٌ » وَيُذَرِّكُ مَا فِيهِ مِنْ تَهْذِيبِ النَّفْسِ .

وَتَطْهِيرُهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَرُوءَةِ وَتَرْوِضُهَا عَلَى الطَّاعَاتِ وَإِعْدَادِهَا
لِلْسَعَادَتَيْنِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ ، وَحَسْبُكَ ، فِي فَضْلِ الصَّيَامِ قَوْلُهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ
اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » .

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأَجْلِي فَالصَّوْمُ لِي
وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي وُجُودِ هَذِهِ
الرَّائِحَةِ مِنَ الصَّائِمِ هَلْ هِيَ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ وَفَضَّلُ
النِّزَاعِ فِي الْمَسْأَلَةِ أَنْ يُقَالَ حَيْثُ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ ذَلِكَ
الطَّيْبُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَأَنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي يَظْهَرُ فِيهِ ثَوَابُ الْأَعْمَالِ
وَمُوجِبَاتُهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَيَظْهَرُ لِلْخَلْقِ طَيِّبُ ذَلِكَ الْخُلُوفِ عَلَى الْمِسْكِ
كَمَا يَظْهَرُ فِيهِ دَمُ الْمَكْلُومِ فِي سَبِيلِهِ كَرَائِحَةُ الْمِسْكِ وَكَمَا تَظْهَرُ فِي
السَّرَائِرِ وَتَبْدُو عَلَى الْوُجُوهِ وَتَصِيرُ عَلَانِيَةً وَيَظْهَرُ فِيهِ قُبْحُ رَائِحَةِ الْكَفَّارِ
وَسَوَادُ وَجُوهِهِمْ وَحَيْثُ أَخْبَرَ بِأَنَّ ذَلِكَ حِينَ يَخْلُفُ وَحِينَ يُمَسُونَ فَلَأَنَّهُ
وَقْتُ ظُهُورِ أَثَرِ الْعِبَادَةِ وَيَكُونُ حِينَئِذٍ طَيِّبُهَا عَلَى رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى وَعِنْدَ مَلَائِكَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الرَّائِحَةُ كَرِيهَةً لِلْعِبَادِ .

فَرُبَّ مَكْرُوهٍ عِنْدَ النَّاسِ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالْعَكْسِ فَإِنَّ
النَّاسَ يَكْرَهُونَهُ لِمُنَافَرَتِهِ لِطَبَاعِهِمْ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَبْطِئُهُ وَيُحِبُّهُ لِمُوَافَقَتِهِ
لِأَمْرِهِ وَرِضَاهُ وَمَحَبَّتِهِ فَيَكُونُ عِنْدَهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَنَا فَإِذَا كَانَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهَرَ هَذَا الطَّيْبُ لِلْعِبَادِ وَصَارَ عَلَانِيَةً .

وَهَكَذَا سَائِرُ آثَارِ الْأَعْمَالِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَإِنَّمَا يَكْمُلُ ظُهُورُهَا
وَيَصِيرُ عَلَانِيَةً فِي الْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . نَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِيَنَا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

وَيَبْحَثُ فِي

- ١ - ذِكْرُ أَشْيَاءٍ تَخْفَى عَلَى بَعْضِ النَّاسِ .
- ٢ - ذِكْرُ أَشْيَاءٍ تَحْرُمُ وَيَتَأَكَّدُ تَحْرِيمُهَا فِي حَقِّ الصَّائِمِ .
- ٣ - الْحَثُّ عَلَى صِيَانَةِ الْوَقْتِ وَصَرْفِهِ فِيمَا فِيهِ النِّفْعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

٤ - فِيمَا يُسْتَحَبُّ لِلصَّائِمِ أَنْ يَقُولَهُ أَوْ يَفْعَلَهُ .

٥ - أَحْكَامُ الْقَضَاءِ .

١ - ذِكْرُ أَشْيَاءٍ تَخْفَى عَلَى بَعْضِ النَّاسِ :

يَجُوزُ لِمَنْ جَامَعَ بِاللَّيْلِ أَنْ لَا يَغْتَسِلَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ، وَصَوْمُهُ صَحِيحٌ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُذَرِكُنِي الصَّلَاةَ وَأَنَا جُنُبٌ أَفَأَصُومُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَأَنَا تُذَرِكُنِي الصَّلَاةَ وَأَنَا جُنُبٌ أَفَأَصُومُ » ، فَقَالَ : لَسْتُ بِمِثْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَقِي » .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، وَأُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ جَمَاعٍ غَيْرِ احْتِلَامٍ ، ثُمَّ يَصُومُ فِي رَمَضَانَ » .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ جَمَاعٍ لَا حُلْمَ ، ثُمَّ لَا يُفْطِرُ وَلَا يَقْضِي .

لَكِنْ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لَزِمَهُ الْغُسْلُ لَيْلًا مِنْ جُنْبٍ وَحَائِضٍ وَنُفْسَاءٍ انْقَطَعَ دَمُهَا ، وَكَافِرٍ أَسْلَمَ ، أَنْ يَغْتَسِلَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي .

وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الصَّوْمُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ نَاسِيًا أَوْ جَاهِلًا وَجَبَ عَلَى مَنْ رَأَاهُ اِعْلَامُهُ . لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمِنْ بَابِ النَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِ .

وَمَنْ أَكَلَ شَاكًا فِي طُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَدَامَ شُكُّهُ ، فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ لِظَاهِرِ الْآيَةِ ، وَإِنْ أَفْطَرَ يَظُنُّ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَابَتْ ، وَلَمْ تَغِبْ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ ، لِمَا رَوَى هِشَامٌ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ فَاطِمَةَ امْرَأَتِهِ عَنْ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « أَفْطَرْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمٍ غَيْمٍ ، ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، قِيلَ لِهَشَامِ بْنِ عُرْوَةَ - وَهُوَ رَاوِي الْحَدِيثِ - أَمَرُوا بِالْقَضَاءِ ؟ قَالَ : لَا بُدَّ مِنْ قَضَاءٍ . »

وَلَا يَفْسُدُ صَوْمٌ مَنْ طَارَ إِلَى خَلْقِهِ ذُبَابٌ ، أَوْ غُبَارٌ مِنْ طَرِيقٍ ، أَوْ دَقِيقَتِي أَوْ دُخَانٍ ، لِعَدَمِ امْتِكَانِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ وَأَمَّا الدُّخَانُ الَّذِي بُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمُحَرَّمٌ وَيُفْطَرُ مَنْ شَرِبَهُ .

وَلَا يُفْطِرُ أَنْ فَكَّرَ فَأَنْزَلَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَفَى
لِأُمِّي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَتَكَلَّمَ » .

وَلَا يُفْطِرُ إِنْ اخْتَلَمَ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِسَبَبٍ مِنْ جِهَتِهِ .
وَمَنْ اغْتَسَلَ ، أَوْ تَمَضَّمَصَ ، أَوْ اسْتَنَشَقَ فَدَخَلَ الْمَاءُ إِلَى خَلْفِهِ بِلاَ
قَصْدٍ ، لَمْ يَفْسُدْ صَوْمُهُ ، لِمَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ عَائِشَةَ ، وَأُمَّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - قَالَتَا : « نَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ
لِيُصْبِحَ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ اخْتِلَامٍ ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ » .

وَتُكْرَهُ الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ لِلصَّائِمِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ
لَقِيطِ بْنِ صَبْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ . « أَسْبَغِ الْوُضُوءَ ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ ، وَبَالَغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا
أَنْ تَكُونَ صَائِمًا » .

وَيَجُوزُ لِلصَّائِمِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يُخَفِّفُ عِنْدَ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْعَطَشِ وَذَلِكَ كَالْتَّبَرُّدِ
بِالْمَاءِ لِمَا وَرَدَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبَّ عَلَى رَأْسِهِ
الْمَاءَ وَهُوَ صَائِمٌ مِنَ الْعَطَشِ وَمِنَ الْحَرِّ وَوَرَدَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ بَلَ ثَوْبًا فَأَلْقَاهُ عَلَى نَفْسِهِ
وَهُوَ صَائِمٌ وَكَانَ لَأَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ حَجَرٌ مَقْقُورٌ يُشَبِّهُ الْحَوْضَ إِذَا أَصَابَهُ الْحَرُّ وَهُوَ
صَائِمٌ نَزَلَ فِيهِ وَقَالَ الْحَسَنُ لَا بَأْسَ بِالْمَضْمَضَةِ وَالتَّبَرُّدِ لِلصَّائِمِ ذَكَرَ هَذِهِ الْآثَارَ
الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

- ذَكَرُ أَشْيَاءَ تَحَرَّمُ وَيَتَأَكَّدُ تَحْرِيمُهَا فِي حَقِّ الصَّائِمِ :

يَجِبُ اجْتِنَابُ كُلِّ كَذِبٍ مُحَرَّمٍ ، أَمَّا الْكَذِبُ لِتَخْلِيصِ مَعْصُومٍ مِنْ قَتْلِ فَوَاجِبٍ ، قُلْتُ وَتَرَجَّحُ عِنْدِي مِثْلُهُ أَيْضاً تَخْلِيصُ مَالِهِ مِنْ ظَالِمٍ أَوْ قَاطِعِ طَرِيقٍ أَوْ غَاصِبٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَالْمَالُ مُثَمَّنٌ وَالْأَخْسَنُ يَتَأَوَّلُ ، وَلَا ضَلَّاحَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فَمُبَاحٌ لِمَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كَلْثُومٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي بَصُلِحَ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا أَوْ يَنْجِي خَيْرًا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى الْكَذِبِ مَحَبَّةُ النَّفْعِ الدُّنْيَوِيِّ وَحُبُّ التَّرَاثِ

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُخْبَرَ يَرَى أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى الْمُخْبَرِ بِمَا عَلَّمَهُ فَهُوَ يَتَشَبَّهُ بِالْعَالِمِ الْفَاضِلِ فَيُظَنُّ أَنَّهُ يَجْلِبُ بِمَا يَقُولُهُ فَضْلاً وَمَسْرَةً وَهُوَ يَجْلِبُ بِهِ نَقْصاً وَفَضِيحَةً فَالْكَذِبُ رَذِيلَةٌ مَحْضَةٌ مِنْ أَرْذَلِ الرَّذَائِلِ يُنْبِئُ عَنْ تَغْلُغِلِ الْفَسَادِ فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا وَعَنْ سُلوِكِ يُنْشِئُ الشَّرَّ أَنْشَاءً فَالْكَذِبُ يَتَصَدَّعُ بِهِ بُنْيَانُ الْمَجْتَمَعِ وَبِهِ يَخْتَلُّ سَيْرُ الْأُمُورِ ، وَيُسْقِطُ صَاحِبُهُ مِنَ الْعُيُونِ وَلَا يُوثِقُ فِي قَوْلِهِ ، وَلَا يُوثِقُ بِهِ فِي عَمَلٍ ، وَلَا يُرْغَبُ لَهُ مَجْلِسٌ ، وَأَحَادِيثُهُ عِنْدَ النَّاسِ مَتْرُوكَةٌ ، وَشَهَادَتُهُ مَرْدُودَةٌ وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مَرْفُوعاً وَبِلِ اللِّذِيِّ يُحَدِّثُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَبِلِ لَهُ وَبِلِ لَهُ .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ مَا كَانَ خُلُقُ أَبِغَضَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْكَذِبِ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَذْبَةَ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ أَحَدٌ مِنْهَا تَوْبَةً رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا قَالَ لَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ مَالِكٌ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ تَصَوُّرَ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَيُفْسِدُ عَلَيْكَ تَصَوُّرَهَا وَتَعْلِيمَهَا لِلنَّاسِ فَإِنَّ الْكَاذِبَ يُصَوِّرُ الْمَعْدُومَ مَوْجُودًا وَالْمَوْجُودَ مَعْدُومًا وَالْحَقَّ بَاطِلًا وَالْبَاطِلَ حَقًّا وَالْخَيْرَ شَرًّا فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ تَصَوُّرَهُ وَعِلْمَهُ عُقُوبَةً لَهُ ثُمَّ يُصَوِّرُ ذَلِكَ فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِ الْمُغْتَرِّ بِهِ الرَّائِكُنِ إِلَيْهِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ تَصَوُّرَهُ وَعِلْمَهُ وَنَفْسُ الْكَاذِبِ مُعْرِضَةٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ الْمَوْجُودَةِ تَرَاغَةً إِلَى الْعَدَمِ مُؤَثِّرَةٌ لِلْبَاطِلِ وَلِهَذَا كَانَ الْكَذِبُ أَسَاسُ الْفُجُورِ .

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَأَوَّلُ مَا يَسْرِي الْكَذِبُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى اللِّسَانِ فَيُفْسِدُهُ ثُمَّ يَسْرِي إِلَى الْجَوَارِحِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهَا أَعْمَالَهَا كَمَا أَفْسَدَ عَلَى اللِّسَانِ أَقْوَالَهُ فَيَعْمُ الْكَذِبُ أَقْوَالَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَحْوَالَهُ فَيَسْتَحْكِمُ عَلَيْهِ الْفَسَادَ وَيَتَرَامَى ذَاؤُهُ إِلَى الْهَلَكَةِ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللَّهُ بِدَوَاءِ الصَّدَقِ يَقْلَعُ تِلْكَ الْمَادَّةَ مِنْ أَصْلِهَا .

وَلِهَذَا كَانَ أَضَلُّ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ كُلِّهَا الصُّدُقُ وَأَضْدَادُهَا مِنَ الرِّيَاءِ
وَالْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ وَالْبَطْرِ وَالْأَشْرَ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ
وَالْمَهَانَةِ وَغَيْرِهَا أَضْلَاهَا الْكَذِبُ فَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فَمَنْشُؤُهُ
الصُّدُقُ وَكُلُّ عَمَلٍ فَاسِدٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ فَمَنْشُؤُهُ الْكَذِبُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يُعَاقِبُ الْكَذَّابَ بِأَنْ يُقْعِدَهُ وَيُثَبِّطَهُ عَنْ مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ وَيُثَبِّبُ الصَّادِقَ بِأَنْ
يُوفِّقَهُ لِلْقِيَامِ بِمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ .

فَمَا اسْتَجَلِبْتَ مَصَالِحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الصُّدُقِ وَلَا مَفَاسِدُهُمَا
وَمَضَارُهَا بِمِثْلِ الْكَذِبِ قَالَ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وَقَالَ ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ وَقَالَ ﴿فَإِذَا
عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صدَّقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ .

شِعْرًا :

عَوْدَ لِسَانِكَ قَوْلَ الصُّدُقِ تَحْظُ بِهِ
إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوْدَتْ يَعْتَادُ
مُوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ
فِي الصُّدُقِ وَالْكَذِبِ فَاَنْظُرْ كَيْفَ يَرْتَادُ

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقُّنَا بِعِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ) فِي بَيَانِ أَنْوَاعِ الْكَذِبِ

وَيَتَنَوَّعُ الْكَذِبُ إِلَى أَنْوَاعٍ ، فَمَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بِأَمْوَالِ النَّاسِ
وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ هُوَ مِنْ أَشَدِّ الْكِبَائِرِ وَأَقْبَحِ الْجَرَائِمِ الَّتِي تُضِرُّ
بِالْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِي ، وَتَقْضِي عَلَى الْعَدْلِ ، فَإِنَّ الَّذِي يَقُولُ الزُّورَ
لَيَقْطَعُ حُقُوقَ عِبَادِ اللَّهِ أَوْ يُلْهِمُهُمْ فِي أَعْرَاضِهِمْ مِنْ كُلِّ مَا يَضُرُّ الْإِنْسَانِيَّةَ
وَيُؤْلِمُهَا .

وَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِعِصَابِ اللَّهِ وَكَانَ سَبَبًا فِي بَثِّ الْفَوَاضِي وَإِغْرَاءِ
الْمُجْرِمِينَ عَلَى اقْتِرَافِ الْجَرَائِمِ فَيَنَالُونَ مِنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ مَا
يَشْتَهُونَ وَهُمْ آمِنُونَ مِنَ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ شَاهِدَ الزُّورِ يُسَاعِدُهُمْ عَلَى
الْإِفْلَاتِ مِنْهَا ، وَقَدْ أَكْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَرَ قَوْلِ الزُّورِ وَأَعْظَمَ
جُرْمَهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ قَالَ : « الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ
مُتَكِبًا فَجَلَسَ ، فَقَالَ : أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ
سَكَتَ » ، فَجَلُوسُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ اتِّكَائِهِ إِهْتِمَامًا بِشَأْنِهِ ،
وَصَدَرَ قَوْلُهُ بِأَدَاةِ التَّنْبِيهِ وَكَرَّرَ كَلِمَتَهُ حَتَّى شَقَّ عَلَى نَفْسِهِ وَبَدَأَ الْغَضَبُ فِي
وَجْهِهِ ، وَتَمَنَّى أَصْحَابُهُ لَوْ سَكَتَ .

وَقَوْلُ الزُّورِ يَشْمَلُ الشَّهَادَةَ بِالْبَاطِلِ وَالْحُكْمَ الْجَائِرَ وَرَمَى الْأَبْرِيَاءِ
وَالْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ .

وَعَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
صَلَاةَ الصُّبْحِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَامَ قَائِمًا فَقَالَ عِدَلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ بِالْإِشْرَاكِ

بِاللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَرَأَ : « فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ
الزُّورِ حُنْفَاءُ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَشَاهِدُ الزُّورِ يُسِيءُ إِلَى نَفْسِهِ إِذْ يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَيُسِيءُ
إِلَى مَنْ شَهِدَ لَهُ بِإِعَانَتِهِ عَلَى ظُلْمِهِ ، وَيُسِيءُ إِلَى مَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ فِي
إِضَاعَةِ حَقِّهِ وَيُسِيءُ إِلَى الْقَاضِيِ الَّذِي جَلَسَ يَتَحَرَّى الْعَدْلَ لِيُحْكَمَ بِهِ
وَيُنْصَفَ الضَّعْفَاءُ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ وَيَتَنَزَّعَ حَقُّ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ بَأَنَّهُ بِشَهَادَتِهِ
بِالزُّورِ يُظْلَلُ وَيَسُدُّ أَمَامَهُ طَرِيقَ الْحَقِّ وَيَفْتَحُ بَابَ الْبَاطِلِ .

وَبِهَذَا يَشُلُّ يَدَ الْعَدَالَةِ أَنْ تَقْتَصِرَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ وَيُسِيءُ
شَاهِدُ الزُّورِ إِلَى أَوْلَادِهِ وَأَسْرَتِهِ لِأَنَّهُ يُلَوِّثُهَا بِهَذِهِ السُّمْعَةِ السَّيِّئَةِ وَالْفَائِثَةِ
الْقَبِيحَةِ وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا لَهُمْ عَائِلَةُ الْمَزُورِ ، وَأَعْظَمُ بِهَا مِنْ
أَذْيَةٍ لِلْمُسْتَقِيمِينَ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ
الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى
الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ ، يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ
عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْكَذِبَ مِنْ صِفَاتِ النِّفَاقِ .

اللَّهُمَّ أَتِمِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ الْوَافِيَةَ وَأَرْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ فِي أَعْمَالِنَا
وَالصَّدْقَ فِي أَقْوَالِنَا وَعُدَّ عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ قُلُوبِنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلُ)

في التحذير من الغيبة

وَيَجِبُ اجْتِنَابُ الْغَيْبَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾
أَيُّ لَا يَتَنَاوَلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِظَهْرِ الْغَيْبِ بِمَا يَسُوؤُهُ ثُمَّ ضَرَبَ تَعَالَى لِلْغَيْبَةِ
مَثَلًا فَقَالَ : « أَيَجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » ، وَعَنْ
الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنْ أَرَبَى
الرَّبِّي اسْتَطَالَهُ الرَّجُلُ فِي عِرْضِ أَخِيهِ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ
وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا أَنَّ مِنَ الْكَبَائِرِ اسْتَطَالَةُ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ رَجُلٍ
مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنْ مِنْ
أَرَبَى الرَّبَا اسْتَطَالَهُ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

فَإِنْ قِيلَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قِيلَ قَدْ حَدَّثَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ
بِمَا يَكْرَهُ ، قَالَ (أحدهم) : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟

قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتْهُ ،
أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

وَمِنْ الْغَيْبَةِ التَّمَثِيلِيَّاتِ لِلْأَشْخَاصِ وَالْهَيْئَاتِ وَمُحَاكَاتِهِمْ فِي اللَّبَاسِ

عَلَى وَجْهِ التَّنْقِصِ وَالْأَسْتِهْتَارِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُتَهَمُونَ فِي أَكْلِ لُحُومِ
الْغَوَافِلِ . فَتَكُونُ الْغَيْبَةُ بِالتَّعْرِيفِ وَبِالْكِنَايَةِ وَبِالْحَرَكَةِ وَبِالرَّمْزِ وَالْإِشَارَةِ
بِالْيَدِ وَكُلُّ مَا يُفْهَمُ مِنْهُ الْمَقْصُودُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْغَيْبَةِ وَهُوَ حَرَامٌ .

فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ دَخَلَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ فَلَمَّا
وَلَّتْ أَوْمَأْتُ بِيَدِي أَيْ قَصِيرَةً فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اغْتَبْتَهَا وَقَدْ رَوَى
أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ قَوْلُ عَائِشَةَ عَنْ صَفِيَّةَ أَنَّهَا قَصِيرَةٌ وَأَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مَزَجْتُ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجْتُهُ .

وَأُخْرِجَ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ لَيْلَةَ أُسْرِي
بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَنَظَرْتُ فِي الْبَابِ فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ
الْجِيفَ ، قَالَ : « مَنْ هَؤُلَاءِ يَا أَخِي يَا جِبْرِيلُ ؟ » قَالَ : « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
لُحُومَ النَّاسِ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا فِي جَهَنَّمَ ، وَمَنْ كَسَى ثَوْباً بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّهُ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ فِي
جَهَنَّمَ وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةَ وَرِبَايَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةَ وَرِبَايَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

فَالْغَيْبَةُ عَادَةٌ مَرْدُودَةٌ ، كَثِيرًا مَا تَقْطَعُ الصَّلَاةَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَتُثِيرُ
الْأَحْقَادَ ، وَتُشْتَتِ الشُّمْلَ ، ثُمَّ هِيَ مَعَ ذَلِكَ مَضِيعَةٌ لِلْوَقْتِ بِالْأَسْتِغَالِ بِمَا
يُضُرُّ الْإِنْسَانَ ، وَلَا يَنْفَعُهُ . وَمِمَّا تَقْدَمُ يَتَبَيَّنُ تَحْرِيمُ الْغَيْبَةِ وَخَطَرُهَا وَشَرُّهَا
فَإِذَا يَجِبُ الْإِنْكَارُ عَلَى الْمُغْتَابِ وَرَدُّعُهُ .

وَقَدْ رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ أَمْرٍ يُخَذَّلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ وَمَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِزِّهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَتِهِ : لَا يُعْجِبُنْكُمْ مِنَ الرَّجُلِ طَفَافَتُهُ وَلَكِنْ مَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَكَفَّ عَنْ أَغْرَاضِ النَّاسِ فَهُوَ الرَّجُلُ وَقَالَ أَيْضًا كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ مِنَ النَّاسِ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَيَمَقَّتْ النَّاسَ عَلَى مَا يَأْتِي .

وَقَالَ الْحَسَنُ يَا ابْنَ آدَمَ لَنْ تَنَالَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى لَا تَعِيبَ النَّاسَ بِعَيْبٍ هُوَ فِيكَ وَتَبْدَأَ بِذَلِكَ الْعَيْبِ مِنْ نَفْسِكَ فَتُضْلِحَهُ فَمَا تُضْلِحُ عَيْبًا إِلَّا تَرَى عَيْبًا آخَرَ فَيَكُونُ شُغْلُكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَقِيلَ لِرُبَيْعِ بْنِ خَيْثَمٍ مَا نَرَاكَ تَعِيبُ أَحَدًا وَلَا تَذُمَّهُ فَقَالَ مَا أَنَا عَلَى نَفْسِي بِرَاضٍ فَأَتَفَرَّغُ مِنْ عَيْبِهَا إِلَى غَيْرِهَا وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

شَرُّ الْوَرَى مَنْ يَعْيبُ النَّاسَ مُشْتَغِلًا
مِثْلُ الذُّبَابِ يُرَاعِي مَوْضِعَ الْعِلَلِ .

آخر :

إِذَا مَا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرُكْ عُيُوبَهُمْ
فَلَا عَيْبَ إِلَّا دُونَ مَا مِنْكَ يُذَكَّرُ
فَإِنْ عِبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي فِيكَ مِثْلُهُ
فَكَيْفَ يَعِيبُ الْعَوْرَ مَنْ هُوَ أَعْوَرُ
وَإِنْ عِبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي هُوَ فِيهِمْ
فَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مُنْكَرُ

وَبِالتَّالِي فَخَطَرُ اللِّسَانِ عَظِيمٌ لَيْسَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ فَإِنَّ الْعَيْنَ لَا
تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَلْوَانِ وَالصُّوَرِ وَالْأَذْنَ لَا تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَصْوَاتِ وَالْيَدُ لَا
تَصِلُ إِلَى غَيْرِ الْأَجْسَامِ وَاللِّسَانُ يَجُولُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَبِهِ يَبِينُ الْإِيمَانُ مِنَ
الْكُفْرِ .

وَقَدْ رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ
حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنَّ مَا فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي
النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَلَفْظُهُ إِنَّ الرَّجُلَ
لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ الشَّرِّ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطُهُ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ رَوَاهُ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ وَرَوَاهُ مَالِكٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ نَحْوَهُ .

فَالْغِيَّةُ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ وَمِنْ الذُّنُوبِ الَّتِي قَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهَا

كَالْكَذِبِ وَالرِّيَاءِ وَالرَّبَا وَالْمَدَاهِنَةِ .

وَإِذَا فَهَمْتَ مَا سَبَقَ فَأَعْلَمْ أَنَّ الذُّنُوبَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِحُقُوقِ الْعِبَادِ لَا تُمَحَى إِلَّا أَنْ عَفَوْا عَنْهَا أَوْ رُدَّتْ لَهُمْ مَظَالِمُهُمْ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ : دِيْوَانُ لَا يَغْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا ، وَدِيْوَانُ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَدِيْوَانُ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ ، فَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَالشِّرْكَ بِاللَّهِ » .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ الْآيَةِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ وَأَمَّا الَّذِي لَا يَغْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا فَظَلَمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ صَوْمٍ يَوْمٍ تَرَكَهُ أَوْ صَلَاةٍ ، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ وَأَمَّا الدِّيْوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فَظَلَمَ الْعِبَادَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ فَظَلَمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ هُوَ أَخَفُ الدَّوَاوِينِ وَأَسْرَعُهَا مَحْوًا فَإِنَّهُ يُمَحَى بِالتَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ وَالْحَسَنَاتِ الْمَاجِيَةِ وَالْمَصَائِبِ الْمُكَفِّرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْغِيْبَةَ جَنَابَةً عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَهُمْ غَافِلُونَ فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يَتَحَلَّلَ مِمَّنْ اغْتَابَهُ وَيَطْلُبَ مِنْهُ الْعَفْوَ إِنْ كَانَ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ وَيَتُوبُ وَيَتَنَدَّمُ وَيَسْتَغْفِرُ لِمَنْ اغْتَابَهُ وَيَذْكُرُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَسَنَةِ عِنْدَ مَنْ اغْتَابَهُ عِنْدَهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَهُ وَيَغْفِرَ لَهُ إِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ .

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَنَسٍ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ كَفَّارَةٍ الْغِيْبَةِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ اغْتَابَتْهُ تَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » .

وَاعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا تَرْتَّبَ عَلَى الْغِيْبَةِ مَصْلَحَةٌ أَوْ دَرَّةٌ مَفْسَدَةٌ كَانَتْ لَازِمَةً
وَإِذَا تَرْتَّبَ عَلَيْهَا أَمْرٌ جَائِزٌ فَجَائِزَةٌ ، وَيُمْكِنُ ضَبْطُ الْأَوَّلِ فِي خَمْسَةِ أُمُورٍ أَوْ
سِتَّةِ أُمُورٍ .

الأَوَّلُ : الْمَظْلُومُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَشْكُو لِمَنْ يَرْفَعُ مَظْلَمَتَهُ ، فَلَهُ أَنْ
يَذْكُرَ عَيْبَ ظَالِمِهِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي بَيَانِ حَقِّهِ .

الثَّانِي : الْأَسْتِعَانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ لِمَنْ يَظُنُّ أَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى
إِزَالَتِهِ ، فَإِنْ لَهُ أَنْ يَقُولَ : إِنْ فُلَانًا ارْتَكَبَ كَذًّا وَفَعَلَ كَذًّا .

الثَّالِثُ : الْأَسْتِفْتَاءُ فَإِنَّهُ يَجُوزُ لِلْمُسْتَفْتَى أَنْ يَقُولَ لِلْمُفْتَى : إِنْ فُلَانًا
ظَلَمَنِي فِي كَذًّا وَكَذًّا ، فَهَلْ يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ مَثَلًا ؟

الرَّابِعُ : التَّحْذِيرُ فَيُحَذَّرُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّ مَنْ يَتَصَدَّى لِلزُّعَامَةِ فِي
أُمُورِهِمُ الْعَامَّةِ ، أَوْ مَنْ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ فِي مَصَالِحِهِمْ ؛ أَوْ مَنْ
يَتَصَدَّى لِإِفْتَائِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ ، كَالزُّعَمَاءِ فِي الشُّوْنِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُّنْيَوِيَّةِ
وَالشُّهُودِ وَالْمُدْرِسِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّنْ يُشْتَرَطُ فِيهِمُ الْأَمَانَةُ وَالْإِتِّصَافُ
بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، فَيَصِحُّ أَنْ يُبَيِّنَ مَا فِيهِمْ مِنَ النِّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ وَيَرْفَعُ
بِأَمْرِهِمْ لِيُبْعَدُوا .

الخَامِسُ : أَنْ يَتَجَاهَرَ بِفِسْقِهِ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرُونَ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا

يُسَخِّطُكَ وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَدُرِّيَاتِنَا وَأَعِزَّنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا
وَأَعِزَّنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِلْوَالِدَيْنَا وَلِلْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَأَسْبَابُ الْغِيْبَةِ أَحَدَ عَشَرَ :

١ - تَشْفِي الْغَيْظِ بِذِكْرِ مَسَاوِي الْمَوْقُوعِ فِي عِرْضِهِ بِالْغِيْبَةِ قَوْلًا أَوْ
فِعْلًا .

٢ - مُوَافَقَةُ الْأَقْرَانِ وَالزَّمَلَاءِ وَمُسَاعَدَتُهُمْ وَيَرَى ذَلِكَ فِي حُسْنِ
الْمُعَاشَرَةِ .

٣ - أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنْ إِنْسَانٍ سَيَقْصِدُهُ وَيَطُولُ لِسَانُهُ عَلَيْهِ أَوْ يُقَبِّحَ حَالَهُ
عِنْدَ مُحْتَشِمٍ فَيُبَادِرَهُ فَيَقْطَعَنَّ فِيهِ لِيُسْقِطَ شَهَادَتَهُ .

٤ - أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فَيَذْكُرَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ فَلَانٌ وَيَتَبَرَّأَ مِنْهُ مَعَ أَنَّ
التَّبَرُّأَ يَحْصُلُ بِدُونِ أَنْ يَذْكُرَ الْغَيْرَ بِشَخْصِهِ .

٥ - أَنْ يَنْطَوِي عَلَى عِدَاوَةِ شَخْصٍ وَيَحْسِدَهُ فَيَرْمِيهِ بِمَسَاوِيءٍ
وَمَعَائِبَ يُنْسِبُهَا إِلَيْهِ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ عَنْهُ وَيُسْقِطَ مَهَابَتَهُ وَمَكَانَتَهُ مِنْ
النَّفُوسِ وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ أَثْنَاتُ فَضْلِ نَفْسِهِ وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ اللَّيِّبَ يَعْرِفُ أَنَّهُ
مَا أَضَرَّ عَلَى الْإِعْدَاءِ وَلَا أَشَدَّ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْإِعْتِرَافِ
بِالْفَضْلِ لِأَهْلِهِ كَمَا قِيلَ :

وَمَا عَبَّرَ الْإِنْسَانُ عَنْ فَضْلِ نَفْسِهِ
بِمِثْلِ اعْتِقَادِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ فَاضِلٍ .
وَلَيْسَ مِنَ الْأَنْصَافِ أَنْ يَدْفَعَ الْفَتَى
يَدَ النَّقْصِ عَنْهُ بِإِنْتِقَاصِ الْأَفَاضِلِ

٦ - أَنْ يَقْدَحَ عِنْدَ مَنْ يُحِبُّ ذَلِكَ الشَّخْصَ حَسْداً لِأَكْرَامِهِمْ
وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ .

٧ - أَنْ يَقْصِدَ اللَّعِبَ وَالْهَزَلَ وَالْمُزَاحَ وَالْمُطَالَبَةَ وَيُضْحِكَ النَّاسَ .

٨ - السُّخْرِيَّةُ وَالْأَسْتِهْزَاءُ بِالشَّخْصِ اسْتِحْقَاراً لَهُ وَهُوَ يَجْرِي فِي
الْحُضُورِ وَالْغَيْبَةِ وَمَنْشَوُهُ التَّكْبِيرُ وَاسْتِصْغَارُ الْمُسْتَهْزَأِ بِهِ وَتَنْقُصُهُ وَازْدِرَاءُهُ .

٩ - أَنْ يَتَعَجَّبَ مِنْ فِعْلِ الْغَائِبِ لِلْمُنْكَرِ وَهَذَا مِنَ الدِّينِ لَكِنْ أَدَّى
إِلَى الْغَيْبَةِ بِذِكْرِ اسْمِهِ فَصَارَ مُغْتَاباً مِنْ حَيْثُ لَا يَذِرِي .

١٠ - أَنْ يَغْتَمَّ لِسَبَبٍ مَا يُبْتَلَى بِهِ فَيَقُولُ مَسْكِينُ فَلَانٌ قَدْ غَمَّنِي أَمْرُهُ

وَمَا أُبْتَلَى بِهِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَغَمَّهُ وَرَحِمَتُهُ خَيْرٌ لَكِنْ سَأَفُهُ إِلَى شَرٍّ وَهُوَ الْغَيْبَةُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَذِرِي أَنَّهُ صَاغَهَا بِصِغَةِ التَّرْحِمِ وَالتَّوَجُّعِ .

١١ - أَظْهَارُ الْغَضَبِ لِلَّهِ عَلَى مُنْكَرٍ قَارَفَهُ إِنْسَانٌ فَيَذْكُرُ الْإِنْسَانَ
بِاسْمِهِ وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُظْهَرَ غَضَبُهُ عَلَى فَاعِلِهِ وَلَا يُظْهَرَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ بَلْ
يَسْتُرُ اسْمَهُ وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ رُبَّمَا تَخْفَى عَلَى الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ فَضْلاً عَنِ
الْعَوَامِ وَلِذَلِكَ تَسْمَعُ مِنْهُمْ كَثِيراً مَا يَقُولُونَ فَلَانٌ وَنَعَمْ لَوْلَا أَنَّهُ يَفْعَلُ كَذَا
وَكَذَا يُعَامِلُ بِالرَّبِّ مَثَلاً وَكَانَ الْوَاجِبُ نَصْحُهُ بِدَلِ الْغَيْبَةِ .

ولقد كثرت التهمة والغيبة والبهت والكذب والوشاية والسعاية بعد ظهور
التلفون والمسجلات فبعد أن كانت لا توجد إلا مع اجتماع الأبدان صارت توجد
أيضاً مع التفرق ويُعَد المسافات وتضاعفت أضعافاً مضاعفة وصار السالم منها أعز
من الكبريت الأحمر . نسأل الله الحي القيوم العلي العظيم أن يعصمنا وإخواننا
المسلمين منها اللهم صل على محمد .

يُشَارِكُكَ الْمُغْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ
وَيُعْطِيكَ أَجْرِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
وَيَحْمِلُ وِزْرًا عَنْكَ ظَنٌّ بِحَمْلِهِ
عَنْ النُّجَبِ مِنْ أَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ
فَكَافِيهِ بِالْحُسْنَى وَقُلْ رَبِّ جَارِهِ
بِخَيْرٍ وَكَفَّرْ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ
فَيَا أَيُّهَا الْمُغْتَابُ زِدْنِي فَإِنْ بَقِيَ
ثَوَابُ صَلَاةٍ أَوْ زَكَاةٍ فَهَاتِهِ
فَغَيْرُ شَقِيٍّ مَنْ يَبِيتُ عَدُوَّهُ
يُعَامِلُ عَنْهُ اللَّهَ فِي غَفْلَاتِهِ
فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ
بِامْعَانِهِ فِي نَفْعٍ بَعْضِ عِدَائِهِ

وَأَعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلٌ بَاتَ سَاخِطاً
عَلَى رَجُلٍ يُهْدِي لَهُ حَسَنَاتِهِ
وَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ
وَيَهْلِكُ فِي تَخْلِيصِهِ وَنَجَاتِهِ
فَمَنْ يَحْتَمِلُ يَسْتَوْجِبُ الْأَجْرَ وَالثَنَا
وَيُحْمَدُ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ
وَمَنْ يَنْتَصِفُ يَنْفَخُ ضِراً قَدْ انْطَفَى
وَيَجْمَعُ أَسْبَابَ الْمَسَاوِي لِذَاتِهِ
فَلَا صَالِحٌ يُجْزِي بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَلَا حَسَنٌ يُشِي بِهِ فِي حَيَاتِهِ
يَظَلُّ آخِرُ الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ
كَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ حَالُ مَمَاتِهِ
وَلَا يَسْتَجِي مِمَّنْ يَرَاهُ وَيَدْعِي
بِأَنَّ صِفَاتِ الْكَلْبِ دُونَ صِفَاتِهِ
وَقَدْ أَكَلَا مِنْ لَحْمٍ مَيِّتٍ كِلَاهُمَا
وَلَكِنْ دَعَى الْكَلْبُ اضْطِرَّارُ اقْتِيَاتِهِ
تَسَاوَيْتُمَا أَكَلًا فَأَشْفَاكُمَا بِهِ
غَدَاً مَنْ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْ تَبَعَاتِهِ
وَمَا لِكَلَامٍ مَرَّ كَالرَّيْحِ مَوْقِعُ
فَيَبْقَى الْإِنْسَانُ بَعْضُ سِمَاتِهِ
اللَّهُمَّ أَرْزُقْنَا حِفْظَ جَوَارِحِنَا عَنْ الْمَعَاصِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنُ وَنَقِّ

قُلُوبَنَا مِنْ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْإِجْنِ . اللَّهُمَّ انا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ
وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخِيَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ النِّعْمَةِ اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا
بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَلَا يَتِمُّ الصِّيَامُ لِمَنْ لَمْ يَجْتَنِبْهُ ، النَّظَرُ إِلَى الْمَرْأَةِ
الْأَجْنَبِيَّةِ وَالرَّجُلِ الْأَمْرَدِ لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ أَوْ حَاجَةٍ شَرْعِيَّةٍ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ كُلَّهَا
عَوْرَةٌ لَا يَصِحُّ أَنْ يَرَى مَنْ لَيْسَ مِنْ مَحَارِمِهَا شَيْئًا مِنْ جَسَدِهَا وَلَا شَعْرِهَا
الْمُتَّصِلِ بِهَا وَمَا تَفَعَّلُهُ بَعْضُ نِسَاءِ هَذَا الزَّمَانِ مِنَ التَّبَرُّجِ وَالتَّجَمُّلِ فِي
الْأَسْوَاقِ مَا هُوَ إِلَّا مُجَاهَرَةٌ بِالْمَعَاصِي وَتَشَبُّهُ بِنِسَاءِ الْإِفْرَنْجِ .

فَمِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ وَأَفْظَعِهَا خُرُوجُ الْمَرْأَةِ كَاشِفَةً رَأْسِهَا أَوْ عُنُقَهَا
أَوْ نَحْرَهَا أَوْ ذِرَاعَيْهَا أَوْ سَاقَيْهَا أَوْ وَجْهَهَا أَوْ الْجَمِيعَ أَوْ الشَّيْبَ الْمُظْهَرَةَ
لِلْمَفَاتِنِ أَوْ اللَّبَاسِ الشُّفَافِ الَّذِي وَجُودُهُ كَعَدَمِهِ لَا يَسْتُرُ مَا تَحْتَهُ فَهَذَا
دَاخِلٌ فِي التَّبَرُّجِ فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَمْنَعَ نِسَاءَهُ وَمَنْ لَهُ عَلَيْهِنَّ وَلَايَةٌ
وَيَقْبَلَنَّ مِنْهُ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ وَيُلْزِمُهُنَّ السُّتْرَ وَالتَّحْفُظَ وَيَنْصَحَ إِخْوَانَهُ
الْمُهْمِلِينَ لِلْمُتَّصِفَاتِ بِذَلِكَ .

وَمِنْ الْأَدَابِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّهُنَّ الْقُدُّوَةُ الْحَسَنَةُ فِي الْعِفَافِ وَالتَّقَى وَالتَّسْتُرِ وَالْحَيَاءِ وَالْإِيمَانِ
وَمَعَ حَيَاءِ النَّاسِ مِنْهُنَّ وَاحْتِرَامِهِمْ لَهُنَّ مَا ذَكَرَهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ

بقوله : ﴿ وَقُرْنُ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ .
 قَالَ مُقَاتِلُ : التَّبَرُّجُ أَنَّهَا تُلْقَى الْخِمَارَ عَلَى رَأْسِهَا وَلَا تُشَدُّ فَيُؤَارَى
 فَلَا يَدَهَا وَقَرَطُهَا وَعُنُقُهَا وَيَبْدُو ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْهَا وَذَلِكَ التَّبَرُّجُ .
 وَقَالَ تَعَالَى أَمِراً لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَمَّا حَرَّمَ
 عَلَيْهِمْ فَلَا يَنْظُرُوا إِلَّا لِمَا أَبَاحَ لَهُمْ النَّظَرُ إِلَيْهِ : « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ
 أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ » .

قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي تَفْسِيرِهِ : قُدِّمَ غَضُّ الْبَصَرِ عَلَى حِفْظِ الْفُرُوجِ لِأَنَّ
 النَّظَرَ بَرِيدُ الزَّنا وَرَأَيْدُ الْفُجُورِ وَالْبَلَوَى فِيهِ أَشَدُّ وَكَثُرَ لَا يَكَادُ يَقْدَرُ عَلَى
 الْإِحْتِرَازِ مِنْهُ ، وَهُوَ الْبَابُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْقَلْبِ وَأَعْمَرُ طُرُقِ الْحَوَاسِّ إِلَيْهِ
 وَيَكْثُرُ السَّقُوطُ مِنْ جِهَتِهِ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ
 مَسْئُولاً ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾ قَالَ الْبَغَوِيُّ : أَيُّ
 خِيَانَتِهَا ، وَهِيَ اسْتِرَاقُ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَجِلُّ .

قَالَ مُجَاهِدٌ : هُوَ نَظَرُ الْأَعْيُنِ إِلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : « كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الزَّنا ، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ،
 الْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظَرُ ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا الْاسْتِمَاعُ ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ »
 مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّظَرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ

مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبَدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ .

وَرَوَى الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيةٌ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنًا غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ وَعَيْنًا سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَيْنًا خَرَجَ مِنْهَا مِثْلُ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ جِبَّانَ فِي حَيْجِهِ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَاعْتَرَضَهُ الْمُنْذِرِيُّ .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا اتَّيَمَّتُمْ واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم . وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالنَّظَرُ أَصْلُ غَاثَةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي تُصِيبُ الْإِنْسَانَ فَإِنَّ النَّظْرَةَ تُؤَلِّدُ خَطَرَةً ثُمَّ تُؤَلِّدُ الْخَطَرَ فِكْرَةً ثُمَّ تُؤَلِّدُ الْفِكْرَةَ شَهْوَةً ثُمَّ تُؤَلِّدُ الشَّهْوَةَ إِرَادَةً ثُمَّ تَقْوَى فَتَصِيرُ عَزِيمَةً جَارِمَةً فَيَقَعُ الْفِعْلُ وَلَا بُدَّ مَا لَمْ يَمْنَعْ مَانِعٌ .

وَفِي هَذَا قِيلَ : الصَّبْرُ عَلَى غَضِّ النَّظَرِ أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَلَمِ بَعْدِهِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ
وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْفَرِ الشَّرِّ
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا
فَتَكَ السَّهَامَ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرٍ

وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا
فِي أَعْيُنِ الْغَيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَطَرٍ
يَسُرُّ نَظَرُهُ مَا ضَرَّ خَاطِرُهُ
لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرِّ

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ « يَا عَلِيُّ لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ .

وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظْرَةِ الْفَجَاءَةِ فَقَالَ : اصْرِفْ بَصْرَكَ وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَاثِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجْتَ اسْتَشْرِفْهَا الشَّيْطَانُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَائِيلَ فِي النِّسَاءِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوْ لَمَمَةٍ ثُمَّ يَغْضُ بَصَرَهُ إِلَّا أَحَدَّثَ اللَّهُ لَهُ

عِبَادَةُ يَجِدُ حَلَاوَتَهَا ، رَوَاهُ أَحْمَدُ .

شِعْرًا :

لَا تَخُلْ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيَّةٍ
لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَاكِ مِثْلَ بَنَانٍ
وَاعْغُضْ جُفُونَكَ عَنْ مُلَاحَظَةِ النِّسَاءِ
وَمَحَاسِنِ الْأَحْدَاثِ وَالصُّبْيَانِ
إِنَّ الرِّجَالَ النَّاطِرِينَ إِلَى النِّسَاءِ
مِثْلُ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللَّحْمَانِ
إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللَّحُومَ أُسْوَدَّهَا
أَكَلَتْ بِلاَ عَوْضٍ وَلَا أَثْمَانِ

اللَّهُمَّ إِنَّ نَوَاصِيئَنَا بِيَدِكَ وَأُمُورُنَا تَرْجِعُ إِلَيْكَ وَأَحْوَالُنَا لَا تَخْفِي
عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ مَلَجُوتُنَا وَمَلَاذُنَا ، وَإِلَيْكَ تَرْفَعُ بَشْنَا وَحُزْنَنَا وَشِكَايَتَنَا ، يَا مَنْ
يَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا ن تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَكَفَيْتُهُ وَاسْتَهْدَاكَ
فَهَدَيْتُهُ وَهَبْ لَنَا مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ وَجْ عَلَيْنَا بِإِحْسَانِكَ الْعَمِيمِ ، وَاعْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ : يُقَالُ إِنَّ غَضَّ الْبَصَرِ عَنِ الصُّورَةِ
الَّتِي يُنْهَى عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا كَالْمَرَأَةِ وَالْأَمْرِدِ الْحَسَنِ يُورِثُ ثَلَاثَ فَوَائِدَ :

أَحَدَاهَا : حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ ، وَلَذَتُهُ الَّتِي هِيَ أَخْلَى وَأَطْيَبُ مِمَّا تَرَكَهُ
لِلَّهِ ، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ .

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَّةُ : أَنَّ غَضَّ الْبَصَرِ يُورِثُ نُورَ الْقَلْبِ وَالْفِرَاسَةَ .

الْفَائِدَةُ الثَّلَاثَةُ : قُوَّةُ الْقَلْبِ وَثَبَاتُهُ وَشَجَاعَتُهُ فَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ سُلْطَانَ
الْبَصِيرَةِ مَعَ سُلْطَانِ الْحُجَّةِ ، فَإِنَّ فِي الْأَثَرِ « الَّذِي يُخَالِفُ هَوَاهُ يَفْرُقُ
الشَّيْطَانَ مِنْ ظِلِّهِ » .

وَإِذَا كَانَ النَّظَرُ إِلَى مَنْ لَا يَجِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مُحَرَّمًا فَالْخُلُوةُ بِمَنْ لَا
تَجِلُّ مُحَرَّمَةٌ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَآخَرَى لِأَنَّ الْوَسَاوِسَ الشَّيْطَانِيَّةَ تَجِدُ لَهَا مَجَالًا
فِي هَذِهِ الْحَالَةِ وَتُورِثُ الشَّهْوَةَ يَجِدُ لَهُ مَبَرِّرًا فَيَضَعُفُ الْعَقْلُ عِنْدَ هَذَا ، وَلَا
يَكُونُ لَهُ تَأْثِيرٌ عَلَى زَجْرِ الشَّهْوَةِ فَتَسُوْقُهُ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ إِلَى
الْفَاحِشَةِ ، لِهَذَا نَهَى الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخُلُوةِ فَقَدْ
رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا
يَخْلُونُ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمَمُ؟
قَالَ : الْحَمَمُ الْمَوْتُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَالْحَمَمُ : قَرِيبُ الزَّوْجِ كَأَخِيهِ وَابْنِ أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ .

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَخْلُو رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ رَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ

أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَخْلُونَ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مُحْرَمٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَيْضاً عَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِيَّاكَ وَالْخَلْوَةَ بالنِّسَاءِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَدَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا وَلَئِنْ يَزْحَمَ الرَّجُلُ خَنْزِيراً مُتَلَطِّخاً بِطِينٍ أَوْ حِمَاةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَزْحَمَ مِنْكِبُهُ مِنْكِبَ امْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ .

وَمِنْ أخطرِ مَا يَكُونُ عَلَى النِّسَاءِ خِدْمَةُ الرِّجَالِ فِي الْبُيُوتِ إِذَا كَانَ هُنَاكَ اخْتِلَاطٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ خُصُوصاً إِذَا كَانَ الرَّجُلُ الْمُسْتَعْدِمُ مِنَ الشُّبَّانِ وَإِنْ كَانَ لَهُ وَسْمَةٌ جَمَالٍ فَأَقْرَبُ إِلَى الْخَطَرِ وَقَدْ يَكُونُ أَشْبُ مِنْ صَاحِبِ الْبَيْتِ وَأَجْمَلُ وَهُوَ مُلَازِمٌ لِلْبَيْتِ لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ وَهُوَ تَحْتَ أَمْرِ الزَّوْجَةِ أَوْ نَحْوِهَا وَفِي إِمكَانِهَا لِبَقَاؤُهُ أَوْ طَرْدُهُ فَالْخَطَرُ عَظِيمٌ ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ ذَا شَرَفٍ وَمَكَانَةٍ وَتَأَمَّلْ قِصَّةَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ مَعَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِنَّ وَكَيَّدِهِنَّ فَعَصَمَهُ اللَّهُ عِصْمَةً عَظِيمَةً وَحَمَاهُ فَاغْتَنَعَ أَشَدَّ الْإِمْتِنَاعِ عَنْهَا وَاخْتَارَ السُّجْنَ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا فِي غَايَةِ مَقَامَاتِ الْكَمَالِ أَنَّهُ مَعَ شَبَابِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ تَدْعُوهُ سَيِّدَتُهُ وَهِيَ امْرَأَةُ عَزِيزٍ مُضَرٍّ وَهِيَ مَعَ هَذَا فِي غَايَةِ الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ وَيَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ وَيَخْتَارُ السُّجْنَ عَلَى ذَلِكَ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ وَرَجَاءً ثَوَابِهِ وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ مِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظْلِمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَنِ كُلِّهِ عَجَائِبُ يُعْجِبُ الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ وَمِنْ
أَعْجَبِ مَا فِيهِ أَنَّ الرِّجَالَ أَصْبَحُوا لَا سُلْطَانَ لَهُمْ عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا النَّادِرُ
الْقَلِيلُ ، نَعَمْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَنِ لِلنِّسَاءِ فِيهِ جَبَرُوتُ أَمَامَهُ الرِّجَالُ فِي حَالِ
ضَيْلٍ انْعَكَسَ الْأَمْرُ فَصَارَ الْقَوِيُّ ضَعِيفًا وَالضَّعِيفُ قَوِيًّا فَإِنْ كُنْتَ فِي
شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ فَاخْرُجْ وانظر في الشُّوَارِعِ تَرَى النِّسَاءَ تَجُولُ فِي الشُّوَارِعِ
ذَاهِبَاتٍ أَيْبَاتٍ وَتَتَشَيَّنُ فِي تَبَخُّرِهِنَّ عَلَيَّهِنَّ مِنَ الزَّيْنَةِ مَا يُرْغِمُ عَلَى النَّظَرِ
إِلَيْهِنَّ كُلُّ مَنْ لَهُ عَيْنَانِ .

وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا يُحْدِثُهُ ذَلِكَ النَّظَرِ فِي نَفُوسِ الشُّبَّانِ وَأَشْبَاهِ الشُّبَّانِ
نَرَاهُ إِذَا لَمَحَهَا أَتْبَعَهَا نَظْرَهُ ثُمَّ جَرَى وَرَاءَهَا لِأَنَّهُ يَفْهَمُ مِنْ هَيْئَتِهَا وَتَشْيِئِهَا
وَتَلَفُّتِهَا فَهَمًّا لَا يُقَالُ لَهُ إِنَّهُ فِيهِ غُلْطَانٌ ، إِنَّهُ يَفْهَمُ أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ تُرِيدُ مِنْهُ
مَا تُرِيدُ مَا عَرَضَتْ نَفْسَهَا فِي الشَّارِعِ بِذَلِكَ التَّهْتِكِ وَذَلِكَ الْإِزْدِيَانِ وَهِيَ
فِي بَيْتِهَا أَمَامَ زَوْجِهَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَجَمَّلَ لَهُ تَكُونُ بِحَالَةٍ تَشْمِئُزُ مِنْ
رُؤْيَيْهَا نَفْسُ الْإِنْسَانِ ، تَلْبَسُ لَهُ أُرْدَى الْمَلَابِسِ وَلَا تَمَسُّ طِيْبًا وَلَا تَعْتَنِي
لَهُ ، فَاذَا أَرَادَتْ الْخُرُوجَ بِذَلِكَ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي تَجْمِيلِ نَفْسِهَا مَا يُلْهَبُ نَارَ
الشَّوْقِ إِلَيْهَا فِي نَفُوسِ النَّاطِرِينَ .

وَهَذِهِ حَالَةٌ تَجْعَلُ الْعُيُونَ وَقَفًا عَلَى النَّظَرِ إِلَى تِلْكَ الْأَجْسَامِ وَتَشْغَلُ
الْقُلُوبَ شُغْلًا بِهِ تَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى نَفْسَهَا وَرَبَّهَا وَمَا لَهُ عَلَيْهَا مِنْ
رَاجِبَاتٍ ، وَتُوجَّهُ الْأَفْكَارُ إِلَى أُمُورٍ دُنْيَوِيَّةٍ يَقْصِدُهَا مِنْ أَوْلِيَاكِ النِّسَاءِ أَرْبَابُ
النَّفُوسِ الدُّنْيَوِيَّاتِ ، بَلْ وَتَدْفَعُ النُّفُوسَ دَفْعًا تَسْتَعِثُّ مِنْهُ الْفَضِيلَةُ وَيَغْضَبُ
لَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

إِنَّ أَوْلَئِكَ النِّسَاءَ زَوَّجَاتُ وَبَنَاتُ وَأَخَوَاتُ رِجَالٍ يَرَوْنَهُنَّ بِأَعْيُنِهِمْ فِي الشُّوَارِعِ بِتِلْكَ الْحَالِ يَرَوْنَهُنَّ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُفْهِمُ أَنَّهُمْ مِنْ صِنْفِ الرِّجَالِ ، وَأَمَامَهُمْ يُجْرِينَ الزَّيْنَةَ الَّتِي يَخْرُجْنَ بِهَا إِلَى تِلْكَ الْمِيَادِينِ الْمَلَأَى بِالْأَنْذَالِ ، وَبَعْضُهُمْ يَسْتَصْحِبُ زَوْجَتَهُ مَعَهُ سَافِرَةً فِي الشُّوَارِعِ وَرُبَّمَا فِيهِمْ بَعْضُ الْفُسَاقِ أَنَّهُ يَتَصَيَّدُ لَهَا وَذَلِكَ يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ .

أَيُّهَا الْأَخُ عَصَمْنَا اللَّهُ وَلِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنْتَ أَقْوَى عَقْلاً وَأَقْوَى دِيناً مِنَ الْمَرْأَةِ لَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَعْصِمَكَ اللَّهُ تَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِنْكَ مَعَ الْمَرْأَةِ مَا يَكُونُ إِذَا وَقَعَ نَظْرُكَ عَلَى مَا لَهَا مِنْ بَهَاءٍ وَجَمَالٍ فَتَأْكُذُ كُلَّ التَّأْكُذِ أَنْ تَمَنَّى الْمَرْأَةُ أَقْوَى مِنْ تَمَنَّى الرَّجُلِ إِذَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَى جَمِيلٍ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَشْكُ أَنَّهَا بَعْدَ رُؤْيَيْهَا الْجَمِيلِ تَتَمَنَّى فِرَاقَكَ إِلَيْهِ وَرُبَّمَا دَعَتْ عَلَيْكَ ، نَحْنُ فِي جَوْ مَوْبُوءٍ بِفَسَادِ الْأَخْلَاقِ ، مَنْ تَعَرَّضَ لَهُ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ مَا يُضِيعُهُ فِي دُنْيَاهُ وَفِي الدِّينِ .

فَصُنْ نِسَاءَكَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَيْهِ إِنْ أَرَدْتَ الْعَافِيَةَ وَالْأَفْلَ تَلُمُ الْإِنْفَسِكَ إِذَا أَصْبَحْتَ فِي عِدَادِ الضَّائِعِينَ وَالضَّائِعَاتِ أَنْتَ تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَا يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ لِنِسَاءٍ غَيْرِكَ فَلَا تَشْكُ أَنْ نِسَاءَكَ يُلَاقِينَ مِثْلَهُ وَأَشَدَّ مِنْهُ وَأَيُّ رَجُلٍ يَرْضَى أَنْ تَخْرُجَ نِسَاؤُهُ لِيَلْعَبَ بِعَفَافِهِنَّ وَشَرَفِهِنَّ مَنْ لَا دِينَ لَهُ وَلَا شَرَفَ وَلَا أَخْلَاقَ ، إِنَّ الْبَهِيمَ يَغَارُ وَمَعَارِكُ ذُكُورِ الْبَهَائِمِ عَلَى إِنَائِهَا مَعْرُوفَةٌ ، فَلَا تَكُنْ أَقَلَّ غَيْرَةٍ مِنَ الْبَهِيمِ ، وَلَوْلَا أَنَّنَا نَرَى بِأَعْيُنِنَا مَبْلَغَ ضَعْفِ رِجَالِنَا أَمَامَ النِّسَاءِ مَا صَدَّقْنَا أَنْ يَسْتَصْحِبَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ سَافِرَةً رَاكِبَةً أَوْ غَيْرَ رَاكِبَةٍ تَقْدُمُهُ .

أَيُّهَا الْأَخُ أَنْتَ الَّذِي تَلْقَى الْمَشَاقَّ مِنْ حَرٍّ وَبَرْدٍ وَأَنْتَ مَشْغُولٌ بِالْكَدِّ
لِأَجْلِ جَلْبِ الرِّزْقِ ، يَكُونُ مِنْكَ ذَلِكَ لِتُطْعِمَ الْمَرْأَةَ وَتَكْسُوَهَا وَتُنْعِمَ عَلَيْهَا
فَفَضَّلْتُكَ عَلَيْهَا كَثِيرٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا
فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وَأَنْتَ أَرْجَحُ مِنْهَا
عَقْلاً وَأَكْمَلُ دِيناً ، فَمِنْ الْغَلْطِ أَنْ تَكُونَ مَعَهَا كَالْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ يُصَرِّفُهُ
مَوْلَاهُ كَيْفَ شَاءَ . وَإِذَا كُنْتَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ قَوَّاماً عَلَيْهَا فَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَنْهَا
لِأَنَّكَ رَاعِيهَا وَالرَّاعِي مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَأَنْتَ مُثَابٌّ إِنْ وَجَّهْتَهَا إِلَى
عَمَلٍ الْخَيْرِ وَأَثِمٌ إِنْ سَكَتَ عَنْهَا وَهِيَ تَعْمَلُ أَعْمَالاً لَيْسَتْ مَرْضِيَّةً ، فَاظْطُرْ
مَاذَا عَلَيْكَ مِنَ الْإِثْمِ فِي خُرُوجِ زَوْجَتِكَ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ بَلَايَا مَرِيئَةٍ
وغير مَرِيئَةٍ ، فَحُلْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ فِيهِ ضَرَرٌ عَلَيْهَا وَكُلُّ عَمَلٍ
يُغْضِبُ رَبَّكَ ، وَالْأَفْأَنْتَ شَرِيكَ لَهَا فِي كُلِّ مَا لَهَا مِنْ أَوْزَارٍ . أ هـ .

كُلُّ هَذَا سَبِيهُ مُخَالَطَةِ رَبَائِبِ الْإِسْتِعْمَارِ الَّذِينَ تَشَبَّهُوا بِهِ وَقَلْدُوهُ فِي
الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَقَلْدَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ نِسَائِنَا ، وَصَدَقَ الْمُصْطَفَى صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ يَقُولُ : لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ
وَفِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلَتْهُمُوهُ وَحَتَّى لَوْ أَنَّ
أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلَتْهُمُوهُ ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . أ هـ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِجَرَائِمِنَا وَمَا وَقَعَ
مِنَّا مِنَ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ وَاعْفُرْ لَنَا وَلَوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِيمَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَهُ أَوْ يَفْعَلَهُ

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَسَحَّرَ لِلصُّومِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَهٌ » .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ فَضْلَ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السُّحْرِ » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ » .

وَعَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السُّحُورِ فِي رَمَضَانَ فَقَالَ : « هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارِكِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نِعَمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمَرُ » .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُخَفَّفَ عِشَاءُهُ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ لِيَهْضِمَ طَعَامَهُ قَبْلَ السُّحُورِ وَلِأَنَّ الْإِمْتِلَاءَ مِنَ الطَّعَامِ رُبَّمَا يَكُونُ سَبَبًا لِلتُّخْمِ .

وَعَنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٍ يُقِمِّنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلْتِ طَعَامٌ وَتَلْتِ شَرَابٌ وَتَلْتِ نَفْسٌ » .

وَالشَّبَعُ مَذْمُومٌ لِأَنَّهُ يُوجِبُ تَكَاسُلَ الْبَدَنِ وَكَثْرَةَ النَّوْمِ وَبِلَادَةِ الذَّهْنِ
وَذَلِكَ يُكْثِرُ الْبُخَارَ فِي الرَّأْسِ حَتَّى يُغْطِيَ مَوْضِعَ الذِّكْرِ وَالْفِكَرِ ، وَالْهَيْطَنَةُ
تَذْهَبُ الْفِطْنَةُ وَتَجْلِبُ أَمْرَاضاً عِيسَةً ، وَمَقَامُ الْعَدْلِ أَنْ لَا يَأْكُلَ حَتَّى
تَصْدُقَ شَهْوَتُهُ وَأَنْ يَرْفَعَ يَدَهُ وَهُوَ يَشْتَهِي وَنَهَايَةُ مَقَامِ الْحُسْنِ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ طَعَامٌ
وَثَلَاثٌ شَرَابٌ وَثَلَاثٌ نَفْسٌ » .

وَالْإِكْلُ عَلَى مَقَامِ الْعَدْلِ يُصِحُّ الْبَدَنَ وَيُبْعِدُ الْمَرَضَ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَيُقَلِّلُ النَّوْمَ وَيُخَفِّفُ الْمَوَازِنَ وَيُرَقِّقُ الْقَلْبَ وَيُصَفِّيه فَتَحْسُنُ فِكْرَتُهُ وَتُسَهِّلُ
الْحَرَكَاتِ وَالتَّعْبِيرَاتِ ، وَالشَّبَعُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَمِنْهُ يَكُونُ الْفَرَحُ وَالْمَرَحُ
وَالضُّجُكُ .

وَيُسْتَحَبُّ تَأْخِيرُ السُّحُورِ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ ابْنِ
ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : تَسْحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ أَنَسٌ : قُلْتُ لِزَيْدٍ : كَمْ كَانَ بَيْنَ الْأَذَانِ
وَالسُّحُورِ ؟ قَالَ : قَدَرُ خَمْسِينَ آيَةً مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَلَمَّا وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ
سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَتَسَحَّرُ فِي أَهْلِي ثُمَّ تَكُونُ
سُرْعَتِي أَنْ أَذْكُرَ السُّجُودَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا الْفِطْرَ وَأَخْرَوْا
السُّحُورَ » .

وَعَنْ ابْنِ عَطِيَّةٍ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عَائِشَةَ ، فَقُلْنَا : يَا

أَمُ الْمُؤْمِنِينَ ، رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ الْإِفْطَارَ وَيُعَجِّلُ الصَّلَاةَ وَالْآخَرُ يُؤَخِّرُ الْإِفْطَارَ وَيُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ ، قَالَتْ : أَيُّهُمَا يُعَجِّلُ الْإِفْطَارَ وَيُعَجِّلُ الصَّلَاةَ ؟ قُلْنَا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَتْ : هَكَذَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ أَبُو مُوسَى .

وَلَأَنَّ السُّحُورَ يُرَادُّ بِهِ التَّقْوَى عَلَى الصَّوْمِ . فَكَانَ التَّأَخِيرُ أُبْلَغَ فِي ذَلِكَ وَأَوَّلَى ، وَيُسْنُ تَعْجِيلُ فِطْرِ إِذَا تَحَقَّقَ الْغُرُوبُ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرًا » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ » . وَلِحَدِيثِ سَهْلِ وَحَدِيثِ أَبِي عَطِيَّةٍ وَقَدْ تَقَدَّمَا قَرِينًا

وَيُسْنُ أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلَى رُطَبٍ ، فَإِنْ عَدِمَ فَتَمْرٌ فَإِنْ عَدِمَ فَمَاءٌ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٍ فَتَمْرَاتٍ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرَاتٍ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ ، وَعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ ، فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا فَالْمَاءُ فَإِنَّهُ طَهُورٌ » .

وَالْفِطْرُ قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ أَفْضَلُ ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيَ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَلَوْ شَرَبَ مَاءً » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

وَيُسْتَحَبُّ قَوْلُ الصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ :

اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ ، سُبْحَانَكَ وَيُحْمَدُكَ
اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . لِمَا وَرَدَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ :
أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : « ذَهَبَ الظَّمَأُ
وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ لَا تَرُدُّ » وَلِحَدِيثِي ابْنِ
عَبَّاسٍ وَأَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَا : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : « اللَّهُمَّ لَكَ صُومْنَا ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا ، اللَّهُمَّ
تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَقَالَ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ
الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامُكُمْ الْأَبْرَارُ وَصَلَتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ » .

وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ أَنْ يَكُونَ فِطْرُهُ عَلَى حَلَالٍ ، وَأَنْ يَحْذَرَ
أَنْ يَكُونَ عَلَى حَرَامٍ ، فَإِنْ أَكَلَ الْحَرَامَ مِنْ جُمْلَةِ مَوَانِعِ قَبُولِ الدُّعَاءِ ،
فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا
صَالِحًا » وَقَالَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ » ، ثُمَّ
ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ : يَا رَبُّ
يَا رَبُّ ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغَذِيَّتِي بِالْحَرَامِ
فَأَنِّي يُسْتَجَابُ لَهُ » .

وفي الحديثِ ألا إنَّ أوَّلَ ما يُنتَبَنُ مِنَ الإنسانِ بطنُهُ فَمَنْ اسْتَطَاعَ
ألا يَأْكُلَ إلا طَيِّباً فَلْيَفْعَلِ الحديثِ .

وَمِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْعُوا اللَّهَ
وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبُ غَافِلٍ لَاهٍ
وَأَنْ يَكُونَ دُعَاؤُهُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَرَّهُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرِّخَاءِ وَأَنْ
يَكُونَ بِالتَّضَرُّعِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اذْعُوا رَبِّكُمْ تَضَرُّعاً
وَخُفْيَةً ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً
وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ وَقَالَ فِي حَقِّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ وَأَنْ يَفْتَبِحَ الدُّعَاءَ بِالشَّيْءِ
عَلَى اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّيْتَ
فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ قَالَ ثُمَّ صَلِّ رَجُلٌ
آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي ادْعُ تُجِبُ .

وَعَنْ عُمَرَ قَالَ إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ

شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يُخْفِيَ الدُّعَاءَ ،
 قَالَ الْحَسَنُ بَيْنَ دَعْوَةِ السِّرِّ وَدَعْوَةِ الْعَلَانِيَةِ سَبْعُونَ ضِعْفًا وَأَنْ كَانَ الرَّجُلُ
 لَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ وَأَنْ كَانَ الرَّجُلُ لَقَدْ فَقِهَ الْفِقْهَ الْكَثِيرَ
 وَمَا يَشْعُرُ بِهِ النَّاسُ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ الطَّوِيلَةَ فِي بَيْتِهِ وَعِنْدَهُ
 الزُّوَارُ مَا يَشْعُرُونَ بِهِ وَلَقَدْ أَدْرَكْنَا أَقْوَامًا مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَمَلٍ
 يَقْدَرُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ فِي السِّرِّ فَيَكُونُ عِلَانِيَةً أَبَدًا وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ
 يَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَمَا يُسْمَعُ صَوْتُ إِنْ كَانَ الْأَهْمَسَاءُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ
 وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ
 عَبْدًا صَالِحًا رَضِيَ فِعْلُهُ فَقَالَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿

قال ابن الجوزي رحمه الله :

رَأَيْتُ مِنَ الْبَلَاءِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَدْعُو فَلَا يَجَاب ، فَيَكُرِّرُ الدُّعَاءَ وَتَطُولُ الْمُدَّةُ فَلَا
 يَرَى أَثَرًا لِلْإِجَابَةِ ، فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هَذَا مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ ،
 وَمَا يَعْرِضُ لِلنَّفْسِ مِنَ الْوَسْوَاسِ فِي تَأْخِيرِ الْجَوَابِ مَرَضٌ يَحْتَاجُ إِلَى طِبِّ ، وَلَقَدْ
 عَرَّضَ لِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ ، فَانْزَلْتُ بِي نَازِلَةً ، فَدَعَوْتُ وَبَالَغْتُ ، فَلَمْ أَرِ
 الْإِجَابَةَ ، فَأَخَذَ إِبْلِيسُ يَجُولُ فِي حَلَبَاتِ كَيْدِهِ ، فَتَارَةً يَقُولُ : الْكَرَمُ وَاسِعٌ وَالْبَخْلُ
 مَعْدُومٌ ، فَمَا فَائِدَةُ تَأْخِيرِ الْجَوَابِ ؟ .

فَقُلْتُ لَهُ : اخْسَأْ يَا لَعِينُ ، فَمَا أَحْتَاجُ إِلَى تَقَاضٍ ، وَلَا أَرْضَاكَ وَكَيْلًا .

ثُمَّ عُدْتُ إِلَى نَفْسِي فَقُلْتُ : إِيَّاكَ وَمُسَاكَنَةَ وَسْوَاسَتِهِ ، فَانْهَ لَوْلَمْ يَكُنْ فِي تَأْخِيرِ
 الْإِجَابَةِ إِلَّا أَنْ يَلْبُوكَ الْمُقَدَّرُ فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ لَكَفَى فِي الْحِكْمَةِ .

قَالَتْ : فَسَلِّتْنِي عَنْ تَأْخِيرِ الْإِجَابَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ النَّازِلَةِ .

فقلتُ : قد ثَبَّتَ بالبرهان أن الله عز وجل مالك ، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء ، فلا وجه للاعتراض عليه .

والثاني : أنه قد ثَبَّتَ حكمته بالأدلة القاطعة ، فرمى رأيت الشيء مصلحة والحكمة لا تقتضيه ، وقد يخفى في الحكمة فيما يفعله الطيب ، من أشياء تؤذي في الظاهر يقصد بها المصلحة ، فلعل هذا من ذاك .

والثالث : أنه قد يكون التأخير مصلحة ، والاستعجال مضره ، وقد قال النبي ﷺ : « لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل ، يقول : دعوت فلم يُستجب لي » .

والرابع : أنه قد يكون امتناعُ الإجابة لآفة فيك فرمى يكون في مأكولك شبهة ، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة ، أو تزايدُ عُقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت في التوبة منه ، فأبَحْثِي عن بعض هذه الأسباب لعلك تقعين بالمقصود .

والخامس : أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب ، فرمى كان في حصوله زيادة إثم ، أو تأخير عن مرتبة خير ، فكان المنع أصح .

شِعْرًا :

الى مَتَى يَا عَيْنُ هَذَا الرُّقَادُ
أَمَا أَنَّ أَنْ تَكْتَحِلِي بِالسُّهَادِ
تَنْبِيْهِ مِنْ رَقْدَةٍ وَأَنْظُرِي
مَا فَاتَ مِنْ خَيْرٍ عَلَى ذِي الرُّقَادِ
يَا أَيُّهَا الْغَافِلُ فِي نَوْمِهِ
قُمْ لَتَرَى لُطْفَ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ
مَوْلَاكَ يَدْعُوكَ إِلَى بَابِهِ
وَأَنْتَ فِي النَّوْمِ شَبِيهُ الْجَمَادِ

وَيَبْسُطُ الْكَفَّيْنِ هَلْ تَائِبٌ
 مِنْ ذَنْبِهِ هَلْ مَنْ لَهُ مِنْ مُرَادٍ
 وَأَنْتَ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَانِبٍ
 تَدُورُ فِي الْفُرْشِ وَلَيْنِ الْمِهَادِ
 يَدْعُوكَ مَوْلَاكَ إِلَى قُرْبِهِ
 وَأَنْتَ تَخْتَارُ الْجَفَا وَالْبِعَادِ
 كَمْ هَكَذَا التَّسْوِيفُ فِي غَفْلَةٍ
 لَيْسَ عَلَى الْعُمَرِ الْعَزِيزِ اعْتِمَادِ
 لَقَدْ مَضَى لَيْلُ الصَّبَا مُسْرِعاً
 وَنَيْرُ صُبْحِ الشَّيْبِ فَوْقَ الْفُؤَادِ
 أَفْنَى فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
 رَحْمَتُهُ غَمَتْ جَمِيعَ الْعِبَادِ

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَآلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي أَحْكَامِ الْقَضَاءِ

وَيُسْتَحَبُّ قَضَاءُ رَمَضَانَ قَوَّراً مَعَ سَعَةٍ وَقْتُ مُسَارَعَةٍ لِبَرَاءَةِ الذِّمَّةِ
 وَيُسَنُّ التَّتَابُعُ فِي قَضَائِهِ لِأَنَّهُ أَشْبَهُ بِالْأَدَاءِ وَأَبْعَدُ عَنِ الْخِلَافِ . وَيَجُوزُ
 تَفْرِيقُهُ لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ : « قَضَاءُ رَمَضَانَ إِنْ شَاءَ فَرَّقَ وَإِنْ شَاءَ تَابَعَ » .

وَرَوَى الْأَثَرُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنِّدِ أَنَّهُ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ تَقْطِيعِ قَضَاءِ رَمَضَانَ ، فَقَالَ : « لَوْ كَانَ عَلَى أَحَدِكُمْ دَيْنٌ فَقَضَاهُ مِنَ الدَّرْهِمِ وَالذَّرْهَمَيْنِ حَتَّى يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ ، هَلْ كَانَ قَاضِيًا دَيْنَهُ ؟ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ مِنْكُمْ » .

قَالَ الْبُخَارِيُّ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - لَا بَأْسَ أَنْ يُفَرَّقَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَبِعِدَّةٍ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ » مُتَتَابِعَاتٍ ، فَسَقَطَتْ مُتَتَابِعَاتٌ .

وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ قَضَاءِ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ آخَرَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ ، لِمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : إِنْ كَانَتْ إِحْدَانَا لَتُفْطِرُ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا تَقْدِرُ أَنْ تَقْضِيَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ . وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ : قَالَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَا كُنْتُ أَقْضِي مَا يَكُونُ عَلَيَّ مِنْ قَضَاءِ رَمَضَانَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ حَتَّى تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَإِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ شَعْبَانَ لَا قَدْرٌ مَا عَلَيْهِ ، وَجَبَ الْقَضَاءُ فَوْرًا مُتَابِعًا لِضَيْقِ الْوَقْتِ ، كَأَذَاءِ رَمَضَانَ فِي حَقِّ مَنْ لَا عُذْرَ لَهُ .

وَلَا يُكْرَهُ الْقَضَاءُ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ ، فَإِنْ أَخَّرَ الْقَضَاءُ لِغَيْرِ عُدْرٍ
 حَتَّى أَدْرَكَهُ رَمَضَانُ أَخَّرَ فَعَلَيْهِ مَعَ الْقَضَاءِ إِطْعَامُ مِسْكِينٍ لِكُلِّ
 يَوْمٍ : وَيُرَوَّى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَابْنِ عُمَرَ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُمَا - وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَلَمْ يُرَوْ عَنْ غَيْرِهِمْ خِلَافَهُ .
 قَالَ فِي الشَّرْحِ .

وَمَنْ فَاتَهُ رَمَضَانُ قَضَا عَدَدَ أَيَّامِهِ تَامًا كَانَ أَوْ نَاقِصًا لِأَنَّ الْقَضَاءَ
 يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ مَا فَاتَهُ كَالْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ
 تَعَالَى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ وَيجوزُ أَنْ يَقْضِيَ يَوْمَ صَيْفٍ عَنْ يَوْمٍ
 شِتَاءٍ وَأَنْ يَقْضِيَ يَوْمَ شِتَاءٍ عَنْ يَوْمٍ صَيْفٍ
فائدة

قال ابن الجوزي رحمه الله :

ينبغي للانسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في
 غير قرية ، ويُقدِّم الأفضل فالأفضل من القول والعمل . ولتكن نيته في الخير قائمة
 من غير فتور . (وقد كان جماعة من السلف يُبَادِرُونَ اللحظات) فنقل عن عامر
 ابن عبد قيس : ان رجلاً قال له : « كَلِّمْنِي » فقال له : « امسك الشمس » .
 ودخلوا على بعض السلف عند موته ، وهو يُصَلِّي ، فقيل له ، فقال : « الآن
 تُطَوِّى صحيفتي » . فاذا علم الانسان أنه وإن بالغ في الجِدْ بِأَنْ الموتَ يقطعُه عن
 العمل ، عجل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته ، فإن كان له شيء في الدنيا ،
 وقَفَّ وَقْفًا ، وغرسَ غرسًا ، وأجرى نهراً ، ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله
 بعده ، فيكون الأجر له ، أو أن يصنف كتاباً في العلم فإن تصنيف العالم ولدُه
 المخلد وأن يكون عاملاً بالخير عالماً فيه فينقل من فعله ما يقتدي به الغير فذلك
 الذي لم يمت . والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

فصل

لَعَلَّمْ وَفَقْنَا وَإِيَّاكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ أَنَّ لِلصَّيَامِ مَحَاسِنَ كَثِيرَةً وَهِيَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ثَبَّتَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَمِنْهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ ائْتَدَعَ جُوعٌ كَثِيرٌ مِنْ حَوَاسِيهِ فَأَذَا شَبَعَ بَطْنُهُ جَاعَ عَيْنُهُ وَلِسَانُهُ وَيَدُهُ وَفَرْجُهُ فَكَانَ تَشْبِيعُ النَّفْسِ تَجْوِيعاً لِهَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ وَفِي تَجْوِيعِ النَّفْسِ تَشْبِيعُهَا فَكَانَ هَذَا التَّجْوِيعُ أَوْلَى وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا جَاعَ عِلِمَ حَالُ الْفُقَرَاءِ فِي جُوعِهِمْ فَيَرْحَمُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ مَا يَسُدُّ بِهِ جُوعَهُمْ إِذْ لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ لَا يَعْلَمُ الرَّايِبُ مَشَقَّةَ الرَّاجِلِ إِلَّا إِذَا تَرَجَّلَ .

وَمِنْ مَحَاسِنِ الصَّيَامِ فِي فَرْضِهِ وَشَرْعِهِ أَنَّهُ لَمْ يُفَرَضْ فِي كُلِّ الْعُمُرِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ بَلْ فُرِضَ شَهْراً مِنْ كُلِّ سَنَةٍ شَهْرَ رَمَضَانَ وَرُخِصَ فِي الْإِفْطَارِ عِنْدَمَا يَحْصُلُ لِمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ عُذْرٌ وَأَيْضاً أُمِرَ بِالصَّوْمِ فِي النَّهَارِ وَأُبِيحَ فِي اللَّيْلِ الْإِفْطَارُ وَهَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ أَمَرَ عِبَادَهُ عَلَى وَجْهِ يُمَكِّنُ لَهُمْ فِيهِ إِحْرَارُ الْفَضِيلَةِ وَاكْتِسَابُ الْوَسِيلَةِ وَمِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ خَصَّ الصَّيَامَ بِالنَّهَارِ لِأَنَّ الْأَكْلَ فِيهِ مُعْتَادٌ ، وَالنَّوْمَ فِي اللَّيْلِ مُعْتَادٌ وَمِنْ مَحَاسِنِ

الصَّوْمِ اكْتِسَابَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لِأَنَّ قِلَّةَ الْأَكْلِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ .

وَلِذَلِكَ لَمْ يُحْمَدْ أَحَدٌ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ وَيُحْمَدُ عَلَى قِلَّةِ الْأَكْلِ يَحْمَدُهُ كُلُّ ذِي دِينٍ فِي كُلِّ حِينٍ وَلَمْ يُرَوْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَثْرَةُ الْأَكْلِ وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ فِي الصَّيَامِ أَنَّ اللَّهَ مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ لَمْ يَشْتَرِطْ فِي الْقَضَاءِ مَا فِي الْأَدَاءِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ فَلَمْ يَشْتَرِطْ فِي الْقَضَاءِ طُولَ الْيَوْمِ بِالْيَوْمِ وَلَا حَرَارَتَهُ وَلَا بُرُودَتَهُ فَإِذَا أَفْطَرَ فِي أَطْوَلِ يَوْمٍ ثُمَّ قَضَاهُ فِي أَقْصَرِ يَوْمٍ أَجَزَاهُ وَكَفَّاهُ .

وَمِنْ جُمْلَةِ الْمَحَاسِنِ فِي الصَّوْمِ أَنَّهُ لَمْ يَشْتَرِطْ فِيهِ قِرَانُ النَّيَّةِ عِنْدَ الشُّرُوعِ كَمَا فِي سَائِرِ الْعِبَادَاتِ لِأَنَّ هَذَا الْوَقْتُ وَقْتُ نَوْمٍ وَغَفْلَةٍ فَلَمَّا يَقِفُ الْعَبْدُ عَلَيْهِ فَلَوْ شَرِطَ لَصَاقَ الْأَمْرِ عَلَى النَّاسِ فَيَسَّرَ الْأَمْرَ عَلَى عِبَادِهِ حَتَّى أَجَازَ الصَّوْمَ بِنِيَّةٍ مُتَقَدِّمَةٍ تَقَعُ بِجُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ وَإِنْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالرَّفْتُ لِأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ الْأَكْلَ وَالشُّرْبَ إِلَى آخِرِ اللَّيْلِ فَلَوْ بَطَلَتْ بِهِ فَاتَ مَحَلُّهَا .

مَوْعِظَةٌ

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْقُرَظِيِّ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَعْظِيئِي وَتَذَكُّرُ مَا هُوَ لِي حَظٌّ وَعَلَيْكَ حَقٌّ وَقَدْ أَصَبْتَ بِذَلِكَ أَفْضَلَ الْأَجْرِ إِنَّ الْمَوْعِظَةَ كَالصَّدَقَةِ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا وَابْقَى نَفْعًا وَأَحْسَنُ ذُخْرًا وَأَوْجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَقًّا ، لِكَلِمَةِ يَعِظُ بِهَا الرَّجُلُ أَخَاهُ لِيَزْدَادَ بِهَا فِي هُدًى رَغْبَةً خَيْرٌ مِنْ مَالٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَلَمَّا يُدْرِكُ

أُخْوِكَ بِمَوْعِظَتِكَ مِنَ الْهُدَى خَيْرٌ مِمَّا يَنَالُ بِصَدَقَتِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَأنَّ يَنْجُو
رَجُلٌ بِمَوْعِظَتِكَ مِنْ هَلَكَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَنْجُو بِصَدَقَتِكَ مِنْ فَقْرٍ .

فَعِظْ مَنْ تَعِظُ لِقَضَاءِ حَقِّ عَلَيْكَ وَاسْتَعْمِلْ كَذَلِكَ نَفْسَكَ حِينَ تَعِظُ
وَكُنْ كَالطَّبِيبِ الْمُجَرَّبِ الْعَالِمِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ الدَّوَاءَ حَيْثُ لَا
يَنْبَغِي أَغْنَتْ نَفْسَهُ وَإِذَا أَمْسَكَ مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِي جَهَلَ وَأَثِمَ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ
يُدَاوِيَ مَجْنُونًا لَمْ يَدَاوِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ حَتَّى يَسْتَوْثِقَ مِنْهُ وَيُوثِقَ لَهُ خَشْيَةً أَنْ لَا
يَبْلُغَ مِنْهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَتَّقَى مِنْهُ مِنَ الشَّرِّ وَكَانَ طِبُّهُ وَتَجَرِبَتُهُ مِفْتَاحُ عَمَلِهِ
وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يُجْعَلِ الْمِفْتَاحُ عَلَى الْبَابِ لِكَيْمَا يُغْلَقَ فَلَا يُفْتَحَ أَوْ لِيُفْتَحَ فَلَا
يُغْلَقَ وَلَكِنْ لِيُغْلَقَ فِي حِينِهِ وَيُفْتَحَ فِي حِينِهِ .

وَكُنْ نَاصِحاً لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ
بِإِشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ
وَمُرَهُمْ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَأَنْهَهُمْ
عَنِ السُّوءِ وَارْجُزْ ذَا الْخَنَا عَنْ خَنَائِهِ
وَعِظْهُمْ بِآيَاتِ الْكِتَابِ بِحُكْمَةٍ
لَعَلَّكَ تُبْرِئِي دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ
فَإِنْ يَهْدِ مَوْلَانَا بِوَعِظِكَ وَاجِداً
تَنَلْ مِنْهُ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ
وَلَا فَقْدَ أُدِّيَتْ مَا كَانَ وَاجِباً
عَلَيْكَ وَمَا مُلِكْتَ أَمْرَ اهْتِدَائِهِ
اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقُدْرَتِهِ

الَّتِي لَا يُعْجِزُهَا شَيْءٌ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ نَسْأَلُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ

وَيَبْحَثُ فِي :

- ١ - مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ .
- ٢ - صِفَةُ أَوْ كَيْفِيَّةُ التَّرَاوِيحِ .
- ٣ - مَذَاهِبُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي عَدَدِ رَكَعَاتِهَا .
- ٤ - مَا يُسْتَحَبُّ فِيهَا .

١ - مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ :

التَّرَاوِيحُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَسَّ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ ثُمَّ صَلَّى الثَّانِيَةَ فَكَثُرَ النَّاسُ ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَلَمَّا أَضْبَحَ قَالَ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي رِوَايَةٍ : قَالَتْ : « كَانَ النَّاسُ يُصَلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ فِي رَمَضَانَ بِاللَّيْلِ أَوْزَاعاً مَعَ الرَّجُلِ الشَّيْءُ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَيَكُونُ مَعَهُ النِّفْرُ الْخَمْسَةُ ، أَوِ السَّبْعَةُ ، أَوْ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ ، يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ ، قَالَتْ : فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَنْصِبَ لَهُ حَصِيراً عَلَى بَابِ حُجْرَتِي ، فَفَعَلْتُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِهِمْ . وَذَكَرْتُ الْقِصَّةَ بِمَعْنَى مَا تَقَدَّمَ ، غَيْرَ أَنَّ فِيهَا أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ . »

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يُصَلِّ بِنَا حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ مِنَ الشَّهْرِ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ نَقَلْنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ : فَقَالَ « مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ » ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا حَتَّى بَقِيَ ثَلَاثٌ مِنَ الشَّهْرِ فَصَلَّى بِنَا فِي الثَّالِثَةِ ، وَدَعَا أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ حَتَّى تَخَوْفُنَا الْفَلَاحَ ، قُلْتُ لَهُ : وَمَا الْفَلَاحُ ؟ قَالَ السُّحُورُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْغَبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِعَزِيمَةٍ ، فَيَقُولُ : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . »

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ ، وَسَنَنْتُ قِيَامَهُ فَمَنْ صَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي حَصِيرٍ ، فَصَلَّى فِيهَا لَيْلًا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ نَاسٌ ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً فَظَنُّوا أَنَّهُ نَامَ ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحَّنَجُ لِيُخْرِجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا زَالَ بِكُمْ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ صَنِيعِكُمْ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا قُمْتُمْ بِهِ ، فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنْ أَفْضَلَ صَلَاةَ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ،

إِلَى اللَّهِ نَشْكُوا قَسْوَةً وَتَوَحُّدًا وَنَرْجُوهُ غُفْرَانًا فَرَبِّكَ أَوْحَدُ
وَدُونَكَ مِنِّي النُّصْحَ يَا ذَا الْمُوَحِّدُ قُمْ اللَّيْلَ يَا هَذَا لَعَلَّكَ تَرْشُدُ
إِلَى كَمْ تَنَامُ اللَّيْلَ وَالْعَمْرُ يُنْفَدُ

تَيْقِظُ وَتُبِّ فَاللَّهُ لِلْخَلْقِ رَاحِمٌ وَإِنِّي لِنَفْسِي نَاصِحٌ وَمُؤَلِّمٌ
فَقُمْ لَا تَنَمْ فَالْشَّهْمُ بِاللَّيْلِ قَائِمٌ أَرَاكَ يَطُولُ اللَّيْلُ وَيَحْكُ نَائِمٌ
وَعَيْرُكَ فِي مَخْرَابِهِ يَتَهَجَّدُ

لَقَدْ فَازَ أَقْوَامٌ وَنَحْنُ نُشَاهِدُ أَمَا تَسْتَحْيِي أَوْ تَرْعَوِي أَوْ تُجَاهِدُ
فَلَيْسَ سِوَاهُ قَائِمٌ ذَا وَرَاقِدُ وَلَوْ عَلِمَ الْبَطَالُ مَا نَالَ زَاهِدُ
مِنْ الْأَجْرِ وَالْإِحْسَانِ مَا كَانَ يَرْقُدُ

فَكُمْ قَدْ أَكَلْنَا وَالتَّقِيُّونَ صُومٌ وَنُومًا وَهُمْ بِاللَّيْلِ يَبْكُونَ قَوْمٌ
وَلَوْ مُفْلِسٌ يَدْرِي وَهَلْ أَيْنَ خَيْمُوا لَصَامَ وَقَامَ اللَّيْلُ وَالنَّاسُ نَوْمٌ
إِذَا مَا دَنَى مِنْ عَبْدِهِ الْمُتَفَرَّدُ

وَأَسْبَلَ فِي الدَّاجِي دُمُوعًا بَعْبَرَةً وَتَابَ وَأَبْدَى الْخَوْفَ مِنْ كُلِّ هَيْبَةٍ
وَقَامَ وَصَلَّى خَائِفًا فِي مَحَبَّةٍ بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَرَغْبَةٍ
وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ذُو الْعَرْشِ يُعْبَدُ

فَحَازِرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْ لَذَغِ صَلَّيْهَا فَلَيْسَ لَهَا عَهْدٌ يَفِي لَوْ لِيَخْلَهَا
فَسَافِرٌ وَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا وَخَلَّهَا وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا
لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهَا مُخَلَّدٌ
أَلَمْ يَأْنِ أَنْ نَخْشَعَ وَأَيْنَ التَّهَجُّدُ أَفِي سِنَةِ كُنَّا أَمِ الْقَلْبُ جَلَمَدُ
تَيْقُظُ أَخِي وَاحْذَرُ وَإِيَّاكَ تَرَقُدُ أَتَرَقُدُ يَا مَغْرُورُ وَالنَّارُ تُوَقَّدُ
فَلَا حَرَّهَا يَطْفَى وَلَا الْجَمْرُ يَخْمَدُ
أَمَّا لَوْ عَلَّمْنَاهَا نَهَضْنَا إِذَا شَطَى نَعِجُ وَبَعْضُ الْقَوْمِ لِلْبَعْضِ أَيْقَظَا
وَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنًا بِتَذْكَارِنَا اللَّظَى أَلَا إِنَّهَا نَارٌ يُقَالُ لَهَا لَظَى
فَتَخْمَدُ أَخْيَانًا وَأَخْيَانًا تُوَقَّدُ
عَلَى الْخَمْسِ تَوَدِّعًا بَوَقْتِ فَصَلَّيْهَا وَحَافِظُ عَلَى تِلْكَ النَّوَافِلِ كُلَّهَا
وَتُبْ عَنْ ذُنُوبٍ لَا تَذِلُّ بِذُلِّهَا فَيَا رَاكِبَ الْعُصَيَانِ وَيَحْكُ خَلَّهَا
سَتُخْشَرُ عَطْشَانَا وَوَجْهَكَ أَسْوَدُ
أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ فِي عِلْمٍ غَيْبِ لَهُمْ كُلُّ خَيْرٍ مِنْ إِلَهِي بِقُرْبِهِ
سَمَوْ بِالْهُدَى وَالنَّاسُ مِنْ فَوْقِ تَرْبِهِ فَكَمْ بَيْنَ مَسْرُورٍ بِطَاعَةِ رَبِّهِ
وَأَخَرُ بِالذَّنْبِ الثَّقِيلِ مُقْبِدُ
إِذَا كُوِّرَتْ شَمْسُ الْعِبَادِ وَأَنْجُمُ وَقُرْبَتِ النَّارُ الْعَظِيمَةُ تُضْرَمُ
وَكُجِّبَ هَذَا ثُمَّ هَذَا مُسَلَّمُ
هَذَا سَعِيدٌ فِي الْجَنَانِ مُنْعَمُ وَهَذَا شَقِيٌّ فِي الْجَحِيمِ مُخَلَّدُ
وَقَدْ كَانَ هَذَا الْحَكَمُ مِنْ رَبِّنَا مَضَى وَلَا بَدْ هَذَا الْحَكَمُ فِي الْحَشْرِ يَمْتَضَى
إِلَهِي أُنِلْنِي الْعَفْوُ مِنْكَ مَعَ الرِّضَى إِذَا نُصِبَ الْمِيزَانُ لِلْفُضْلِ وَالْقَضَى

وقد قام خيرُ العالمين مُحَمَّدُ
 نبيُّ الهدى المعصومُ عن كُلِّ زَلَّةٍ شَفِيعُ الْوَرَى أَكْرَمُ بِهَا مِنْ فَضِيلَةٍ
 وَمِلَّتُهُ يَا صَاحِبِي خَيْرُ مَلَّةٍ عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 مَعَ الْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا دَارُ فَرَقْدِ

فصل

٢ - صِفَةُ أَوْ كَيْفِيَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ :

صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ بِجَمَاعَةٍ أَفْضَلُ ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : « كَانَ عَلِيٌّ
 وَجَابِرٌ وَعَبْدُ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يُصَلُّونَهَا جَمَاعَةً » ، وَرَوَى عَنْ
 عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ لِلرُّجَالِ إِمَامًا وَلِلنِّسَاءِ إِمَامًا .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَقَالَ : أَنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى
 يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ » .

وَيَجْهَرُ الْإِمَامُ بِالْقِرَاءَةِ لِنَقْلِ الْخَلْفِ عَنِ السَّلَفِ . وَيُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ
 رَكَعَتَيْنِ ، وَوَقْتُهَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، قَبْلَ الْوُتْرِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ ، وَفِعْلُهَا
 فِي الْمَسْجِدِ أَفْضَلُ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّاهَا ثَلَاثَ
 لَيَالٍ مُتَوَالِيَةٍ ، كَمَا رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَمرَّةً ثَلَاثَ لَيَالٍ
 مُتَفَرِّقَةٍ كَمَا رَوَى أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ : « مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ ،
 وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَفْعَلُونَهَا فِي الْمَسْجِدِ أَوْزَاعًا فِي جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ فِي
 عَهْدِهِ .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَارِيءِ قَالَ : « خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِيءٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَل . ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِيهِمْ ، فَقَالَ عُمَرُ : « نِعِمَّتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ ، وَالتَّيَّيْنِ يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ التَّيَّيْنِ يَقُومُونَ » يَعْنِي أُخِرَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ . فَذَلَّتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ وَغَيْرُهَا عَلَى أَنَّ فِعْلَ التَّرَاوِيحِ جَمَاعَةً أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْفِرَادِ وَكَذَا أَجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ عَلَى ذَلِكَ .

وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ ، وَتَجُوزُ فُرَادَى وَاخْتَلَفَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ لِلْقَارِيءِ ، قَالَ الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ : الْخِلَافُ يَمْنُ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ ، وَلَا يَخَافُ الْكَسَلَ عَنْهَا لَوْ أَنْفَرَدَ ، وَلَا تَخْتَلُ الْجَمَاعَةُ بِتَخْلُفِهِ ، فَإِنْ فَقَدَ أَحَدُ هَذِهِ الْأُمُورِ فَالْجَمَاعَةُ أَفْضَلُ بِلا خِلَافٍ وَأَمَّا عِدَّةُ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ ، فَقَالَ الْقَاضِي : لَا خِلَافَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ حَدٌّ لَا يَزَادُ عَلَيْهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ .

فَاخْتَارَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عِشْرِينَ رَكْعَةً : لِمَا رَوَى مَالِكٌ فِي « الْمَوْطِئِ » عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ قَالَ : كَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِ عُمَرَ يَقُومُونَ فِي رَمَضَانَ بِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ رَكْعَةً .

وَقَالَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ : لَمَّا جَمَعَ عُمَرُ النَّاسَ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، وَكَانَ يُصَلِّي بِهِمْ عِشْرِينَ رَكْعَةً : وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي كِتَابِهِ « الشَّافِي » عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي

في شهر رَمَضَانَ عِشْرِينَ رَكْعَةً .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : لَهُ أَنْ يُصَلِّيَهَا عِشْرِينَ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَالشَّافِعِيِّ ، وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَهَا سِتًّا وَثَلَاثِينَ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَكُلُّهُ حَسَنٌ ، فَيَكُونُ تَكْثِيرُ الرُّكْعَاتِ أَوْ تَقْلِيلُهَا بِحَسَبِ طُولِ الْقِيَامِ وَقِصَرِهِ : وَقَالَ : الْأَفْضَلُ ، يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمُصَلِّينَ فَإِنْ كَانَ فِيهِمْ اِحْتِمَالُ بَعْشَرِ رَكْعَاتٍ وَثَلَاثٍ بَعْدَهَا ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي لِنَفْسِهِ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ فَهُوَ الْأَفْضَلُ ، وَإِنْ كَانُوا لَا يَحْتَمِلُونَهُ ، فَالْقِيَامُ بِعِشْرِينَ هُوَ الْأَفْضَلُ وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ بِهِ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ وَسَطٌ بَيْنَ الْعَشْرِ وَالْأَرْبَعِينَ . وَإِنْ قَامَ بِأَرْبَعِينَ وَغَيْرَهَا جَازَ ، وَلَا يُكْرَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ قِيَامَ رَمَضَانَ فِيهِ عَدَدٌ مُؤَقَّتٌ لَا يَزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقُصُ مِنْهُ فَقَدْ أَخْطَأَ ، وَقَدْ يَنْشَطُ الْعَبْدُ فَيَكُونُ الْأَفْضَلُ فِي حَقِّهِ تَخْفِيفُهَا .

وَقَالَ : قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي التَّرَاوِيحِ سُنَّةٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ مِنْ أَجْلِ مَقْصُودِ التَّرَاوِيحِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِيهَا لِيَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ ، فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ فِيهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ - فِيهِ كَانَ جِبْرِيلُ يُدَارِسُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

فائدة

قال ابن القيم رحمه الله :

لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها ، وخداع الأمل لأربابه ، وتملّك الشيطان ، وقيادة النفوس ، رأوا الدولة للنفس الأمارة ، لجأوا إلى حصن التضرع

والالقاء ، كما يأوي العبدُ المدعورُ إلى حَرَمِ سيده .

شهوات الدنيا كُلَّعَبِ الخيال ، ونظرُ الجاهلِ مقصور على الظاهر ، فأما ذو العقل فيرى ما وراء الستر . لاح لهم المشتهى ، فلما مَدُّوا أيدي التناول بان لأبصار البصائر خَبْطُ الفَحْ ، فطاروا بأجنحة الخذر ، وصَوَّبُوا إلى الرحيل الثاني (ياليت قومي يعلمون) تَلَمَّحَ القومُ الوجودَ فَفَهِمُوا المقصودَ ، فأجمعوا الرحيلَ قبل الرحيل ، وشَمَرُوا لِلسَّيْرِ في سواءِ السبيل ، فالتاسُ مشغولون بالفضلات ، وهم في قطع الفلوات ، وعصافير الهوى في وثاق الشبكة ينتظرون الذبح ، « وقع ثعلبان في شبكة . فقال أحدهما للآخر : أين المُلْتَقَى بعد هذا ؟ فقال : بعد يومين في الدَّبَاغَةِ » . تالله ما كانت الأيامُ إلا مناماً فاستيقظوا ، وقد حَصَلُوا على الظفر . ما مَضَى مِنَ الدنيا أحلام ، وما بَقِيَ منها آماني ، والوقتُ ضائعٌ بينهما .

كيف يَسْلَمُ مَنْ له زوجة لا ترحمه ، وولد لا يعذره ، وجار لا يأمنه ، وصاحب لا ينصحه ، وشريك لا يُنصِفُه ، وعدو لا ينامُ عن مُعاداته ، ونفسُ أمارة بالسوء ، ودنيا متزينة ، وهوى مردٍ ، وشهوة غالبة له ، وغضب قاهر ، وشيطان مزين ، وضعف مستولٍ عليه ، فإن تولاه الله وجذبه إليه ، انقهرت له هذه كُلُّهَا ، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه ، اجتمعت عليه ، فكانتِ الهلكة .

اللهم قوي إيماننا بكَ وَبِمَلَأَتِكَ وَبِكَتَبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ وَوَقَّفْنَا لَأَمْتِنَالِ أَوَامِرِكَ ، واجْتَنَابِ نَوَاهِيكَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

٤ - مَا يُسْتَحَبُّ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ

وَعَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ، فَلَا يُسْرِعُ سُرْعَةً تَمْنَعُ الْمَأْمُومَ مِنَ الْأَثْيَانِ بِرُكْنٍ كَالطَّمَأْنِينَةِ ، أَوْ وَاجِبٍ كَتَسْبِيحِ رُكُوعٍ وَتَسْبِيحِ سُجُودٍ ، أَوْ قَوْلٍ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي » وَمَنْ الْمُؤَسِّفُ أَنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ، أَثْقَلَ الْأَيْمَةَ عِنْدَهُ مَنْ يُصَلِّي التَّرَاوِيحَ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَاطْمِئْنَانٍ ، وَلِذَا يَقْرُونَ مِنْهُ وَيَذْهَبُونَ إِلَى مَنْ يُسْرِعُ بِهَا وَلَا يُتِمُّهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ ، وَلَا يَطْمَئِنُّ بِهَا ، وَالطَّمَأْنِينَةُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسَيِّءِ فِي صَلَاتِهِ لَمَّا أَخْلَ بِالطَّمَأْنِينَةِ : ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ تُصَلِّ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي » وَكَانَ السَّلَفُ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْعَصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ .

وَعَنْ الْأَعْرَجِ قَالَ : مَا أَدْرَكْنَا النَّاسَ إِلَّا وَهُمْ يَلْعَنُونَ الْكُفْرَةَ فِي رَمَضَانَ وَقَالَ : وَكَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ فِي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ ، وَإِذَا قَامَ بِهَا فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً رَأَى النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ خَفَّفَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كُنَّا نَنْصَرِفُ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْقِيَامِ فَتُسْتَعْجَلُ الْخَدَمُ بِالطَّعَامِ مَخَافَةَ قَوْتِ السُّحُورِ ، وَفِي أُخْرَى : « مَخَافَةَ الْفَجْرِ » .

وَعَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : أَمَرَ عُمَرُ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ ، وَتَمِيمًا الدَّارِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَنْ يَقُومَا لِلنَّاسِ فِي رَمَضَانَ بِإِحْدَى عَشْرَةَ

رُكْعَةٍ ، فَكَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ بِالْمِثْنَيْنِ حَتَّى كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى الْعَصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ ، فَمَا كُنَّا نَنْصِرِفُ إِلَّا فِي قُرُوعِ الْفَجْرِ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ بِسُورَةِ الْقَلَمِ فِي عِشَاءِ الْآخِرَةِ مِنَ اللَّيْلِ الْأُولَى مِنْ رَمَضَانَ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ . وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يَنْقُصَ عَنْ خَتْمَةٍ فِي التَّرَاوِيحِ لِيَسْمَعَ النَّاسُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ . وَيَتَخَرَّى أَنْ يَخْتِمَ آخِرَ التَّرَاوِيحِ قَبْلَ رُكُوعِهِ وَيَدْعُو .

وَلِشَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ دُعَاءُ جَامِعٍ شَامِلٌ . وَقَالَ : رُوِيَ أَنَّ عِنْدَ كُلِّ خَتْمَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ :

وقال العلماء يستحب لقارئ القرآن إذا ختمه أن يجمع أهله فإنه روي عن أنس بن مالك أنه كان يجمع أهله عند ختم القرآن وعنه أنه كان إذا أشفى على ختم القرآن بالليل بقي أربع سور أو خمس سور فإذا أصبح جمع أهله فتختمه ودعا ويستحب لمن علم بالختم أن يحضره .

وروي عن قتادة أن رجلاً كان يقرأ القرآن في مسجد رسول الله ﷺ فكان ابن عباس يجعل عليه رقيباً . فإذا أراد أن يختم قال لجلسائه قوموا بنا حتى نحضر الخاتمة وعن مجاهد : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقولون الرحمة تنزل .

وعن الحكم بن عيينه قال : كان مجاهد وعنده ابن أبي لبابة وأناس يعرضون القرآن فإذا أرادوا أن يختموه أرسلوا إلينا وقالوا : إنا نريد أن نختم فأحبينا أن تشهدونا فإنه يقال : إذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند ختمة أو حضرت الرحمة عند ختمه .

وقال وهيب بن الورد قال لي عطاء : بلغني أن حميد الأعرج يريد أن يختم القرآن فانظر إذا أراد أن يختم فاخبرني حتى أحضر الختمة .

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى
وَلَا تَكُ بِذَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ النَّبِيِّ
أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحُ
وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا
بِذَلِكَ دَانَ الْإِتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً
كَمَا الْبَدُو لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ
وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ
وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا
بِمُضْدَاقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثُ مُصَحَّحُ
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالٍ مُحَمَّدٍ
فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجُحُ
وَقَدْ يُنَكِّرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينُهُ
وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تُفْتَحُ
وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
بِلَا كَيْفٍ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ
فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرًا يَلْقَى غَافِرًا
وَمُسْتَمِنَحًا خَيْرًا وَرِزْقًا قِيمَنَحُ
رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ
أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبُّحُوا
وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَزِيرَاهُ قَدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ
عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنَّحُ
وَأَنَّهُمُوا لِلرَّهْطِ لَا شَكَّ فِيهِمْ
عَلَى نَجَبِ الْفِرْدَوْسِ بِالْخُلْدِ تَسْرَحُ
سَعِيدٌ وَسَعْدُ وَابْنُ عَصَفٍ وَطَلْحَةُ
وَعَامِرٌ فَهْرٌ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدِّحُ
وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصُّحَابَةِ كُلِّهِمْ
وَلَا تَكُ طَعْنًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ
وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصُّحَابَةِ تَمْدَحُ
وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَتَقِنُ فَإِنَّهُ
دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالِدِّينِ أَفِيحُ
وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا
وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ
وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ
مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْقَحْمِ تُطْرَحُ

عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحِيًّا بِمَا فِيهِ
 كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
 وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعُ
 وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْحَقِّ مُوضَعُ
 وَلَا تُكْفِرُونَ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَأَنْ عَصَوْا
 فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَضْحَكُ
 وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيِي الْخَوَارِجُ إِنَّهُ
 مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
 وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ
 إِلَّا إِنَّمَا الْمُرْجِي بِالَّذِينَ يَمْرُحُ
 وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ
 وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحُ
 وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً
 بِطَاعَتِهِ يَنْمَى وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ
 وَدَعِ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ
 فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَرْجَحُ
 وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ
 فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
 إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ
 فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبَيَّنَتْ وَتَضَبَّحُ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْبَرِّيَّةُ جُودُهُ وَإِنْعَامُهُ نَسْأَلُكَ أَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِعَفْوِ

وَعُفْرَانِكَ ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلُ)

فِي صَلَاةِ الْوُتْرِ

وَيَبْحَثُ فِي :

١ - مَشْرُوعِ صَلَاةِ الْوُتْرِ ، وَحُكْمُهَا .

٢ - وَقْتِ صَلَاةِ الْوُتْرِ .

٣ - الْقِرَاءَةِ الْمُسْتَحَبَّةِ فِيهَا .

٤ - عَدَدِ رَكَعَاتِهَا .

٥ - دُعَاءِ الْقُنُوتِ فِي الْوُتْرِ .

١ - مَشْرُوعِيَّةُ صَلَاةِ الْوُتْرِ ، وَحُكْمُهَا :

الْوُتْرُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ لِمُدَاوَمَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فِي حَضَرِهِ
وَفِي سَفَرِهِ ، وَلَمَّا وَرَدَ عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَيْسَ الْوُتْرُ بِحَتْمٍ
كَهَيْئَةِ الْمَكْتُوبَةِ ، وَلَكِنْ سُنَّةٌ سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رَوَاهُ
التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَحُسْنُهُ ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ)
وَلَفْظُهُ : إِنَّ الْوُتْرَ لَيْسَ بِحَتْمٍ وَلَا كَصَلَاتِكُمْ ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْتَرَ ، فَقَالَ : « يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ وَتُرَّ يُحِبُّ
الْوُتْرَ » .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ ، ثُمَّ انْتَظَرُوهُ مِنَ الْقَابِلَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ ، وَقَالَ :

« خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمُ الْوُتْرُ » . رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْتَرَ عَلَى بَعِيرِهِ . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ .

٢ - وَقْتُ صَلَاةِ الْوُتْرِ :

وَوَقْتُ الْوُتْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَسُنَّتُهَا لِمَا رَوَى خَاجَةُ بْنُ حُذَافَةَ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَقَالَ : « لَقَدْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِصَلَاةٍ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ ، قُلْنَا : وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْوُتْرُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ » . رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ .

وَرَوَى أَبُو بَصْرَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ زَادَكُمْ صَلَاةً فَصَلُّوْهَا مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ ، الْوُتْرُ » . رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ . وَلِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا : « أَوْتَرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَالْأَفْضَلُ فِعْلُهُ سَحْرًا ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ : مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْتَهَى وَتَرَّهُ إِلَى السَّحْرِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَمَنْ كَانَ لَهُ تَهَجُّدٌ جَعَلَ الْوُتْرَ بَعْدَهُ ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَقُومَ ، أَوْتَرَ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ ، فَلْيُوتِرْ آخِرَهُ ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ » ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَتَرَا ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَنْ أَحَبُّ مَنْ لَهُ تَهَجُّدٌ مُتَابَعَةٌ الْإِمَامِ فِي وَتَرِهِ قَامَ إِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ وَأَتَى بِرَكْعَةٍ بَعْدَ الْوِتْرِ شَفَعَ بِهَا رَكْعَةَ الْوِتْرِ . ثُمَّ إِذَا تَهَجَّدَ أُوتِرَ فَيُنَالُ فَضِيلَةَ مُتَابَعَةِ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ » . صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَيُنَالُ فَضِيلَةَ جَعْلِ وَتَرِهِ آخِرُ صَلَاتِهِ لِحَدِيثِ : « اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَتَرَا » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَيَقْضِيهِ مَعَ شَفْعِهِ إِذَا قَاتَ وَقْتَهُ لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَامَ عَنِ الْوِتْرِ أَوْ نَسِيَ فَلْيُصَلِّ إِذَا أَصْبَحَ أَوْ ذَكَرَهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَلَا يَصِحُّ الْوِتْرُ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ لِعَدَمِ دُخُولِ وَقْتِهِ ، وَأَقْلُّ الْوِتْرِ رَكْعَةٌ ، وَلَا يُكْرَهُ الْاِثْنَانُ بِهَا مُفْرَدَةً وَلَوْ بِلَا عُذْرٍ مِنْ سَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ وَنَحْوِهِمَا لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهِمَا سَمِعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « الْوِتْرُ رَكْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْوِتْرُ حَقٌّ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ

بِثَلَاثٍ فَلْيَفْعَلْ . رَوَاهُ الْخُمْسَةُ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ .

وَبَيَّنَتْ عَنْ عَشْرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ الْوُتْرَ رَكْعَةٌ مِنْهُمْ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِطِهِمْ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ » .

وَفِي لَفْظٍ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يُصَلِّي بِاللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ . وَأَدْنَى الْكَمَالِ فِي الْوُتْرِ ثَلَاثُ رَكْعَاتٍ بِسَلَامَتَيْنِ ، لِمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْوُتْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْصِلْ بَيْنَ الْوَاحِدَةِ وَالثَّانِيَةِ بِالتَّسْلِيمِ » . رَوَاهُ الْأَثَرُمُ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ كَانَ يُسَلِّمُ بَيْنَ الرُّكْعَتَيْنِ وَالرُّكْعَةَ بِالتَّسْلِيمِ فِي الْوُتْرِ ، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِبَعْضِ حَاجَتِهِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَيَجُوزُ سَرْدُ الثَّلَاثِ بِسَلَامٍ وَاحِدٍ ، فَلَا يَجْلِسُ إِلَّا فِي آخِرِهِمْ ، وَتَجُوزُ كَمَغْرِبٍ . وَمَنْ أَدْرَكَ مَعَ الْإِمَامِ رَكْعَةً مِنَ الثَّلَاثِ فَإِنْ كَانَ الْإِمَامُ يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ اثْنَتَيْنِ أَجْزَاءً لَأَنَّ أَقْلَ الْوُتْرِ رَكْعَةٌ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِمَامُ يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ اثْنَتَيْنِ قَضَى ، لِحَدِيثٍ : « مَا أَدْرَكْتُمُوهُ فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ فَاقْضُوا » وَلِأَنَّ الْقَضَاءَ يَحْكِي الْأَدَاءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى : ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ، وَفِي الثَّانِيَةِ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَفِي الثَّلَاثَةِ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ : «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ بِثَلَاثٍ لَا يَفْصِلُ فِيهِنَّ» . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ .

وَعَنْ أَبِي بِن كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ؟ قَالَ : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ بِـ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَزَادَ : وَلَا يُسَلِّمُ إِلَّا فِي آخِرِهِمْ ، وَلَا بِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ نَحْوَهُ ، وَفِيهِ كُلُّ سُورَةٍ فِي رُكْعَةٍ ، وَفِي الْأَخِيرَةِ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمَعُودَتَيْنِ .

وَالسُّنَّةُ لِمَنْ أَوْتَرَ بِمَا زَادَ عَلَى رُكْعَةٍ أَنْ يُسَلِّمَ مِنْ كُلِّ رُكْعَتَيْنِ لِمَا رَوَى ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْصِلُ بَيْنَ الشُّفْعِ وَالْوُتْرِ ، وَيُسِّنُّ فِعْلَ الرُّكْعَةِ عَقِبَ الشُّفْعِ بِلا تَأْخِيرٍ لَهَا عَنْهُ ، وَإِنْ صَلَّى الْآخِذَى عَشْرَةَ كُلُّهَا بِسَلَامٍ وَاحِدٍ بِأَنْ سَرَدَ عَشْرًا وَتَشَهَّدَ التَّشَهُدَ الْأَوَّلَ ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى بِالرُّكْعَةِ حَازٍ ، أَوْ سَرَدَ الْجَمِيعَ وَلَمْ يَجْلِسْ إِلَّا فِي الْأَخِيرَةِ جَازٍ لَكِنْ الصُّفَّةُ الْأُولَى أَوْلَى لِأَنَّهَا فِعْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٤ - عَدَدُ رُكْعَاتِهَا :

يَجُوزُ الْوُتْرُ بِخَمْسٍ وَيَسْبَعٍ وَيَتِسَعٍ ، فَإِنْ أَوْتَرَ بِتِسْعٍ سَرَدَ تَمَامًا وَجَلَسَ وَتَشَهَّدَ التَّشَهُدَ الْأَوَّلَ وَلَمْ يُسَلِّمَ ، ثُمَّ إِذَا صَلَّى التَّاسِعَةَ وَتَشَهَّدَ سَلَّمَ ، لَمَّا وَرَدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ انْطَلَقْتُ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ : يَا

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، أُتْبِثْنِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، أُتْبِثْنِي عَنْ وَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : كُنَّا نَعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهْرَهُ فَيَعْتَهُ اللَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَعْتَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَيَبُولُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّيُ تِسْعَ رَكَعَاتٍ ، لَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهَ وَيَحْمَدُهُ ، وَيَدْعُوهُ ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ ، فَيُصَلِّيُ التَّاسِعَةَ ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللَّهَ ، وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا فَيُسْمِعُنَا ، ثُمَّ يُصَلِّيُ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ ، فَبِتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكَعَةً يَا بُنَى . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَنْ أُوتَرَ بِسَبْعٍ إِنْ بَخَمَسَ لَمْ يَجْلِسْ إِلَّا فِي آخِرِهَا لِمَا وَرَدَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتِرُ بِسَبْعٍ وَيَخْمَسُ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ سَلَامٌ وَلَا كَلَامٌ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيُ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكَعَةً ، يُؤْتِرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ وَلَا يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي آخِرِهِمْ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٥ - دُعَاءُ الْقُنُوتِ فِي الْوُتْرِ :

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْنُتَ فِي الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ بَعْدَ الرُّكُوعِ لِأَنَّهُ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . مِنْ رَوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنْسٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ غَمْرٍو وَعَلِيٍّ أَنَّهُمَا كَانَا يَقْنُتَانِ بَعْدَ الرُّكُوعِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْأَثَرُمُ ، وَلَوْ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَنَتَ قَبْلَ الرُّكُوعِ جَازَ لِحَدِيثِ أَبِي بَنْ كَعْبٍ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْنُتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَرَوَى الْأَثَرُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْنُتُ فِي الْوُتْرِ ، وَكَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَنَتَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْخَطِيبِ : وَالْقُنُوتُ : الدُّعَاءُ وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَنَتَ فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهِدُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَنَشْكُرُكَ ، وَلَا نَكْفُرُكَ وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ . اللَّهُمَّ إِنَّاكَ نَعْبُدُ وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ ، إِنَّ عَذَابَكَ الْجِدِّ بِالْكَفَّارِ مُلْحَقٌ .

وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهَا فِي قُنُوتِ الْوُتْرِ وَهِيَ : « اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ ، أَنَّهُ لَا تَذِيلَ مَنْ وَالَيْتَ ، وَلَا يَعْزُ مَنْ عَادَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ » .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي وَتْرِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَبِكَ مِنْكَ ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » . رَوَاهُ الْخُمْسَةُ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِحَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَفِي آخِرِهِ « وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ » . رَوَاهُ النَّسَائِيُّ .

وَعَنْ عُمَرَ : « الدُّعَاءُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ ، هُنَا

وَخَارِجَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا . لِعُمُومِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ ، لَا يَحُطُّهُمَا
حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ « فَأَذَا فَرَعْتَ
فَامْسَحْ بِهِمَا وَجْهَكَ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه . وَيُؤَمِّنُ الْمُنْفِرُ
الضُّمِيرَ ، وَإِذَا سَلَّمَ مِنَ الْوُتْرِ سُنَّ قَوْلُهُ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ » -
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - يَرْفَعُ صَوْتَهُ فِي الثَّلَاثَةِ ، لِمَا رَوَى أَبِي بَنْ كَعْبٍ قَالَ : كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَلَّمَ فِي الْوُتْرِ قَالَ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ
الْقُدُّوسِ » . وَزَادَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يُطِيلُ فِي آخِرِهِنَّ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِزَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ
يَقُولُ إِذَا سَلَّمَ : « سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ » ثَلَاثًا ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ
بِالثَّلَاثَةِ .

وَصَلِّ بِشَهْرِ الصَّوْمِ عِشْرِينَ رَكْعَةً
تَرَاوَحَ فِي جَمْعٍ وَبِالْوُتْرِ شَبْدٍ
وَقُمْ بَعْدَهَا وَاشْفَعْ هُدَيْتَ بِرَكْعَةٍ
لِتُوتِرَ إِمَّا شِئْتَ بَعْدَ التَّجَهُّدِ
وَأَفْضَلُ نَقْلِ الْمَرْءِ لَيْلًا بَيْنَهُ
فَقُمْ تَلَوْ نِصْفَ مِثْلِ دَاوُدَ فَاسْجُدِ
وَأَنْ شِئْتَ اِجْهَرْ فِيهِ مَا لَمْ تَخَفْ أَذَى
لِلْإِبْعَادِ شَيْطَانٍ وَإِنْقَاطِ رُقْدِ

وَحُذِّ قَدْرَ طَوِّقِ النَّفْسِ لَا تَسْأَمْنَهُ
وَقِيلَ تَسْتَعِينُ بِالنُّومِ عِنْدَ التَّجَهُّدِ
فَإِنْ لَمْ تُصَلِّ فَادْكُرِ اللَّهَ جَاهِدًا
وَتُبِّ وَاسْتَقْبَلْ مِمَّا جَنَيْتَ وَسَدِّدِ
فَلَا خَيْرَ فِي عَبْدٍ نَوُومٍ إِلَى الضُّحَى
أَمَّا يَسْتَجِي مَوْلَا رَقِيبًا بَمَرْصِدِ
يُنَادِيهِ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلُهُ
وَمُسْتَغْفِرُ يُغْفَرُ لَهُ وَيُؤَيَّدِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنْ مَعَاصِيكَ وَأَرْشِدْنَا إِلَى السَّعْيِ فِيمَا
يَرْضِيكَ وَأَجِرْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خِزْيِكَ وَعَذَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَ لِأَوْلِيَائِكَ
وَأَحْبَابِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

كِتَابُ الْفَضَائِلِ

وَيَبْحَثُ فِي :

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْأَجْتِهَادِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ .
وَالْحَثِّ عَلَى الْقِيَامِ عُمُومًا .

٢ - مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذَا الْعَشْرِ الْأَخِيرِ ، وَالْحَثِّ عَلَى الْقِيَامِ
عُمُومًا .

٣ - مَا وَرَدَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مِنَ الْفَضْلِ وَذِكْرِ عِلَامَتِهَا .

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الاجْتِهَادِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرَةِ مِنْ رَمَضَانَ :

يُسْتَحَبُّ الاجْتِهَادُ وَالْجِرْصُ عَلَى مَدَاوِمَةِ الْقِيَامِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَإِحْيَاؤُهَا بِالْعِبَادَةِ وَاعْتِزَالُ النِّسَاءِ وَأَمْرُ الْأَهْلِ بِالاسْتِكْتَارِ مِنَ الطَّاعَةِ فِيهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ أَحْيَا اللَّيْلَ ، وَأَيَّقَظُ أَهْلَهُ ، وَشَدَّ الْمِئْزَرَ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْهَا قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ الصَّلَاةَ » .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إِذَا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ عَشْرَةُ أَيَّامٍ يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلَّا أَقَامَهُ » .

٢ - مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذَا الْعَشْرِ الْأَخِيرِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَهَ .

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا ؟ قَالَ : « قُولِي اللَّهُمَّ
إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَغْتَسِلَ ، وَيَتَطَيَّبَ فِي اللَّيَالِي
الَّتِي تَكُونُ أَرْجَى لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ .

وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ إِذَا كَانَ لَيْلَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ
اغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَلَبَسَ حُلَّةً وَازَارًا وَرِدَاءً ، فَإِذَا أَصْبَحَ طَوَّاهُمَا فَلَمْ يَلْبَسْهُمَا
إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ .

وَقَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ : كَانَ ثَابِتٌ وَحَمِيدٌ يَلْبَسَانِ أَحْسَنَ ثِيَابِهِمَا
وَيَتَطَيَّبَانِ وَيُطَيِّبَانِ الْمَسْجِدَ بِالنُّضُوحِ وَالِدُّخْنَةِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا
لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَيُسْتَحَبُّ فِي اللَّيَالِي الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ التَّنَظُّفُ
وَالْتَّطَيُّبُ وَالتَّزْيِينُ بِالْغُسْلِ وَالطَّيِّبِ وَاللِّبَاسِ الْحَسَنِ كَمَا شَرَعَ ذَلِكَ فِي
الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ ، وَكَذَلِكَ يُشْرَعُ اخْتِذُ الزَّيْنَةِ مِنَ الثِّيَابِ فِي سَائِرِ
الصَّلَوَاتِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ
مَسْجِدٍ ﴾ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُتَزَيَّنَ لَهُ » .

وَرَوَى عَنْهُ مَرْفُوعًا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا يَكْمُلُ
التَّزْيِينُ الظَّاهِرُ إِلَّا بِتَزْيِينِ الْبَاطِنِ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَطْهِيرِهِ
مِنْ أَذْنَابِ الذُّنُوبِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَجْسَامِكُمْ ،
وَأِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ .

فَمَنْ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَزَيِّنْ ظَاهِرَهُ بِاللِّبَاسِ ، وَبَاطِنَهُ بِلِبَاسِ
التَّقْوَى ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي
سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ : إِنَّ عَشْرَكُمْ هَذَا هُوَ الْعَشْرُ الْأَخِيرُ ، وَفِيهِ الْخَيْرَاتُ
وَالْأَجُورُ الْكَثِيرَةُ تَكْمُلُ فِيهِ الْفَضَائِلُ ، وَتَتِمُّ فِيهِ الْمَفَاجِرُ ، وَيَطْلُعُ عَلَى
عِبَادِهِ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الْغَافِرُ وَيُنِيلُهُمُ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ الْوَافِرُ ، فِيهِ تَزْكُو
الْأَعْمَالُ ، وَتُنَالُ الْأَمَالُ ، وَقَدْ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا مِنْ مَحَاسِنِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ،
أَنَّهُمْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾
قَالَ : هِيَ قِيَامُ الْعَبْدِ أَوَّلَ اللَّيْلِ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ ثَارَ مِنْ وَطْأَتِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ جَبْهِ
وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي » الْحَدِيثُ .

وَقَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَمَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَغَيْرُهُمْ : « إِنَّ الْمَرَادَ
بِالتَّجَافَى الْقِيَامُ لصلَاةِ النَّوَافِلِ بِاللَّيْلِ » ، وَفِي آيَةِ سُورَةِ الذَّارِيَاتِ . أَخْبَرَ
جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَنَامُونَ الْقَلِيلَ مِنَ اللَّيْلِ ، وَيَتَهَجَّدُونَ مُعْظَمَهُ قَالَ
تَعَالَى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا تَأْتِي عَلَيْهِمْ لَيْلَةٌ يَنَامُوا حَتَّى يُصْبِحُوا إِلَّا يُصَلُّونَ
فِيهَا شَيْئًا ، إِمَّا مِنْ أَوَّلِهَا أَوْ مِنْ أَوْسَطِهَا . وَقَالَ الْحَسَنُ : كَانُوا قِيَامَ
اللَّيْلِ فَلَا يَنَامُوا مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلَهُ .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ ذَابُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَهُوَ قُرْبُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَمَغْفِرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاجٌ عَنِ الْإِثْمِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : كَانَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ : عَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ بَايَنُونَا بَوْنًا بَعِيدًا ، وَإِذَا قَوْمٌ لَا تُبْلَغُ أَعْمَالُهُمْ ، كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَعَرَضْتُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَإِذَا قَوْمٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ مُكَذَّبُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَلِرُسُلِ اللَّهِ مُكَذَّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَقَدْ وَجَدْتُ مِنْ خَيْرِنَا مَنَزِلَةً قَوْمًا خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لِأَبِي : يَا أَبَا أُسَامَةَ صِفْ لَنَا أَجَدَهَا فِينَا ، ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمًا فَقَالَ : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ وَنَحْنُ وَاللَّهِ قَلِيلًا مَا نَقُومُ ، فَقَالَ لَهُ أَبِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : طُوبَى لِمَنْ رَقَدَ إِذَا نَعَسَ ، وَاتَّقَى اللَّهَ إِذَا اسْتَيْقَظَ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ عَنْهُ ، فَكُنْتُ فِيمَنْ انْجَفَلَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الْأَرْحَامَ وَأَفْشُوا السَّلَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » .

مَوْعِظَةٌ

اخواني : إِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ كَمَا عَلِمْتُمْ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَزِيلٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ، وَهُوَ مِنْ أَثْقَلِ شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ وَلَا سِيَّما بَعْدَ أَنْ يَرْقُدَ الْإِنْسَانُ ، وَأَنَّمَا يَكُونُ خَفِيفاً بِالْإِعْتِيَادِ ، وَتَوْطِينِ النَّفْسِ وَتَمْرِينِهَا عَلَيْهِ وَالْمَدَاوِمَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَالْمُجَاهَدَةِ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْشَرِّحُ وَيَنْفَتِحُ بَابُ الْأُنْسِ بِاللَّهِ وَتَلَدُّ لَهُ الْمَنَاجَاةُ وَالْخُلُوعُ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَشْبَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَسْتَيْقِلَهُ أَوْ يَكْسَلَ عَنْهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمُ الْإِلَهُ مِنْ أَهْلِ الْلَّهِ فِي لَيْلِهِمْ ، وَأَبْعَدَ بِحُكْمَتِهِ وَعَذْلِهِ آخَرِينَ فَهُمْ عَنْ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي حَاضِرِهِمْ وَمَالِهِمْ غَافِلُونَ .

شِعْرًا :

ذُنُوبُكَ يَا مَغْرُورٌ تُحْصِي وَتُحْسِبُ
وَتُجْمَعُ فِي لَوْحٍ حَفِيفٍ وَتُكْتَبُ
وَقَلْبُكَ فِي سَهْوٍ وَلَهْوٍ وَغَفْلَةٍ
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا حَرِيصٌ مُعَذِّبُ
تَبَاهِي بِجَمْعِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ
وَتَسْعَى حَيْثُأُ فِي الْمَعَاصِي وَتُذْنِبُ
أَمَا تَذْكُرُ الْمَوْتَ الْمُفَاجِئَكَ فِي غَدٍ
أَمَا أَنْتَ مِنْ بَعْدِ السَّلَامَةِ تَغْطِبُ

أَمَّا تَذَكُّرُ الْقَبْرِ السَّوْحِشِ وَلَحْدَهُ
بِهِ الْجِسْمُ مِنْ بَعْدِ الْعِمَارَةِ يَخْرُبُ
أَمَّا تَذَكُّرُ الْيَوْمِ الطَّوِيلِ وَهُوَ لَهُ
وَمِيزَانٌ قَسِطٌ لِلْوَفَاءِ سَيُنْصَبُ
تَرْوُحٌ وَتَغْدُو فِي مَرَاكِكَ لَاهِيًا
وَسَوْفَ بِأَشْرَاكِ الْمَنِيَّةِ تَنْشَبُ
تُعَالِجُ نَزْعَ الرُّوحِ مِنْ كُلِّ مَفْصِلٍ
فَلَا رَاحِمٍ يُنْجِي وَلَا ثَمَّ مَهْرَبُ
وَعُمُضَتِ الْعَيْنَانِ بَعْدَ خُرُوجِهَا
وَبُسُطَتِ الرَّجْلَانِ وَالرَّأْسُ يُعْصَبُ
وَقَامُوا سِرَاعًا فِي جَهَاذِكَ أَحْضَرُوا
خُنُوطًا وَأَكْفَانًا وَلِلْمَاءِ قَرُبُوا
وَعَاسِيْلُكَ الْمَحْزُونُ تَبْكِي عُيُونُهُ
بِذَمْعٍ غَزِيرٍ وَإِكْفٍ يَنْصَبُ
وَكُلُّ حَبِيبٍ لُبُّهُ مُتَحَرِّقُ
يُحَرِّكُ كَفِّهِ عَلَيْكَ وَيَنْدُبُ
وَقَدْ نَشَرُوا الْأَكْفَانَ مِنْ بَعْدِ طَيِّهَا
وَقَدْ بَخَرُوا مَنْشُورَهُنَّ وَطَيَّبُوا
وَأَلْقَوْكَ فِيْمَا بَيْنَهُنَّ وَأَذْرَجُوا
عَلَيْكَ مَثَانِي طَيِّهِنَّ وَعَصَبُوا
وَفِي حُفْرَةِ الْقَوَاكِبِ حَيْرَانٌ مُفْرَدًا
تَضُمُّكَ بَيْدَاءُ مِنَ الْأَرْضِ سَبَسَبُ

إِذَا كَانَ هَذَا حَالَنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
 فَكَيْفَ يَطِيبُ الْيَوْمَ أَكْلٌ وَمَشْرَبٌ ؟!
 وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالْقَبْرُ مَنْسُكُنْ
 بِهِ ظُلُمَاتٌ غَيْهَبٌ ثُمَّ غَيْهَبٌ
 وَهَوْلٌ وَدَيْدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْشَةٌ
 وَكُلُّ جَدِيدٍ سَوْفَ يَبْلَى وَيَذْهَبُ
 فَيَا نَفْسُ خَافِي اللَّهَ وَارْجِي ثَوَابَهُ
 فَهَادِمٌ لَذَاتِ الْفَتَى سَوْفَ يَقْرُبُ
 وَقُولِي إِلَهِي أُولِيي مِنْكَ رَحْمَةً
 وَعَفْوَاً فَإِنَّ اللَّهَ لِلذَّنْبِ يُذْهَبُ
 وَلَا تُحْرِقَنَّ جِسْمِي بِنَارِكَ سَيِّدِي
 فَجَسْمِي ضَعِيفٌ وَالرَّجَا مِنْكَ أَقْرَبُ
 فَمَا لِي إِلَّا أَنْتَ يَا خَالِقَ الْوَرَى
 عَلَيْكَ إِتْكَالِي أَنْتَ لِلْخَلْقِ مَهْرَبُ
 وَصَلِّي إِلَهِي كُلَّمَا ذُرَّ شَارِقُ
 عَلَى أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ مَا لَاحَ كَوْكَبُ

اللهم انا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّكِّ بَعْدَ الْيَقِينِ ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ،
 وَمِنَ شِدَائِدِ يَوْمِ الدِّينِ ، وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ
 وَالنَّارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْأَيْنُ ، وَاعْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ .

لَيْلَةُ الْقَدْرِ فَضَائِلُهَا وَعَلَامَاتُهَا

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ - أو قال - : تَحَرُّوْهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، يَعْنِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ . رواه أحمد باسناد صحيح .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّ رَجُلًا أَتَى نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ يَشْقُ عَلَيَّ الْقِيَامُ فَأَمْرُنِي بِلَيْلَةٍ لَعَلَّ إِلَهَ الْوُفْقَيْنِ فِيهَا لِلَّيْلِ الْقَدْرِ ، فَقَالَ : « عَلَيْكَ بِالسَّابِغَةِ » رواه أحمد .

وعن زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ يَقُولُ : وَقِيلَ لَهُ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ : مَنْ قَامَ السَّنَةَ أَصَابَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، فَقَالَ أَبِي : وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ يَخْلِفُ مَا يَسْتَشْنِي ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ ، هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَامِهَا هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا لَا شُعَاعَ لَهَا . رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي وصححه .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : اعْتَكَفْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَشَرَ الْأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَخَرَجَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ فَخَطَبَنَا وَقَالَ : « إِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ انْسِيْتُهَا أَوْ نَسَيْتُهَا ، فَالْتَمَسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي الْوَتْرِ ، إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ

وَطَيْنَ فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَرْجِعْ «
فَرَجَعْنَا وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً ، فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ
سَقْفُ الْمَسْجِدِ - وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ - وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَرَأَيْتُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ ، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ
فِي جَبْهَتِهِ .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أَنْسِيْتُهَا وَإِذَا بِي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي مَاءٍ
وَطَيْنٍ » . قَالَ : فَمَطَرْنَا فِي لَيْلَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَانصَرَفَ ، وَأَنَّ أَثَرَ الْمَاءِ وَالطِّينِ عَلَى جَبْهَتِهِ
وَأَنفِهِ . رواه أحمد ومسلم وزاد .

وعن أَبِي بَكْرَةَ : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« التَّمَسُّوْهَا فِي تِسْعٍ بَقِيْنَ ، أَوْ سَبْعٍ بَقِيْنَ ، أَوْ خَمْسٍ بَقِيْنَ ، أَوْ ثَلَاثٍ
بَقِيْنَ أَوْ آخِرَ لَيْلَةٍ » . قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرَةَ يُصَلِّي فِي الْعِشْرَيْنِ مِنْ رَمَضَانَ
صَلَاتَهُ فِي سَائِرِ السَّنَةِ فَاذَا دَخَلَ الْعَشْرُ اجْتَهَدَ . رواه أحمد ، والترمذي
وصححه .

وعن أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فِي حَدِيثٍ لَهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ . إِنَّهَا كَانَتْ أُبَيِّنْتُ
لِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَإِنِّي خَرَجْتُ لِأَخْبِرْكُمْ بِهَا فَجَاءَ رَجُلَانِ يَحْتَقَانِ مَعَهُمَا
الشَّيْطَانُ فَنَسِيْتُهَا ، فَالتَّمَسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْوَاحِدِ مِنْ رَمَضَانَ ، التَّمَسُّوْهَا
فِي التَّاسِعَةِ وَالْخَامِسَةِ وَالسَّابِعَةِ » . قَالَ : قُلْتُ يَا أَبَا سَعِيدٍ : إِنَّكُمْ أَعْلَمُ
بِالْعَدَدِ مِنَّا ، فَقَالَ : أَجَلُ ! نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكُمْ ، قَالَ : قُلْتُ : مَا

التاسعة والسابعة والخامسة؟ قال : إذا مَضَتْ وَاحِدَةٌ وَعِشْرُونَ فَالَّتِي تَلِيهَا
اِثْنَانِ، وَعِشْرُونَ فَهِيَ التَّاسِعَةُ ، فإذا مَضَتْ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ فَالَّتِي تَلِيهَا
السَّابِعَةُ ، فإذا مَضَتْ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ فَالَّتِي تَلِيهَا الْخَامِسَةُ . رواه
أحمد ، ومسلم .

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال : « التَّمَسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ
تَبْقَى ، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى ، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى » . رواه أحمد ، والبخاري ،
وأبو داود .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هِيَ فِي الْعَشْرِ
الْأَخِيرِ سَبْعٌ يَمْضِينَ أَوْ تِسْعٌ يَبْقَيْنَ ، يَعْنِي لَيْلَةُ الْقَدْرِ رواه البخاري .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي
السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ » .

وَلِمُسْلِمٍ قال : أَرَى رَجُلًا أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، فَقَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي الْعَشْرِ
الْأَوَاخِرِ فَاطْلُبُوهَا فِي الْوَتْرِ مِنْهَا » .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال : « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ » رواه مسلم
والبخاري .

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : « خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ » رواه البخاري .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ لِي بِأَدِيَّةٍ أَكُونُ فِيهَا وَأَنَا أَصِلِي فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ ، فَمُرْنِي بِلَيْلَةٍ أَنْزِلَهَا إِلَيَّ هَذَا الْمَسْجِدَ فَقَالَ : « أَنْزِلْ ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ » رواه أبو داود .

قِيلَ لِابْنِهِ : كَيْفَ كَانَ أَبُوكَ يَصْنَعُ ؟ قَالَ : كَانَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ الصُّبْحَ ، فَإِذَا صَلَّى الصُّبْحَ ، وَجَدَ دَابَّتَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَجَلَسَ عَلَيْهَا وَلَحِقَ بِأَدِيَّتِهِ .

قال البَغَوِيُّ : وفي الْجُمْلَةِ أَبْهَمَ اللَّهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ لِيَجْتَهِدُوا بِالْعِبَادَةِ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ طَمَعًا فِي إِدْرَاكِهَا ، كَمَا أَخْفَى سَاعَةَ الْإِجَابَةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَأَخْفَى الصَّلَاةَ الْوُسْطَى فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَاسْمَهُ الْأَعْظَمَ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَرِضَاهُ فِي الطَّاعَاتِ لِيَرْغَبُوا فِي جَمِيعِهَا وَسَخَطُهُ فِي الْمَعَاصِي لِيَنْتَهُوا عَنْ جَمِيعِهَا ، وَأَخْفَى قِيَامَ السَّاعَةِ لِيَجْتَهِدُوا فِي الطَّاعَاتِ حَذَرًا مِنْ قِيَامِهَا .

إِذَا تَقَرَّرَ هَذَا وَعِلِمَتْ مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَيْهَا ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُنْبَغِي لِكُلِّ مُؤَفَّقٍ مُرِيدٍ لِلْكَمَالِ وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ أَنْ يَبْذُلَ وَسْعَهُ وَيَسْتَفْرِغَ جُهِدَهُ فِي إِحْيَاءِ لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ وَقِيَامِهَا لَعَلَّهُ أَنْ يُصَادِفَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الْجَلِيلَةَ

التي اختَصَّ الله تعالى بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةَ ، وَأَتَاهُمْ فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يَحْصُرُهُ الْعَدَدُ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا عَشْرُ . شَهْرٍ . مُبَارَكٍ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَهُوَ سَبَبٌ لِمَحْوِ الذُّنُوبِ وَالْإِثَامِ ، وَفِيهِ يَتَوَفَّرُ جَزِيلُ الشُّكْرِ وَالْإِنْعَامِ ، فَاعْتَذِرُوا فِيهِ إِلَى الْمَوْلَى الْكَرِيمِ ، وَأَقْبِلُوا بِقُلُوبِكُمْ إِلَيْهِ وَقِفُوا بِالْخُضُوعِ لَدَيْهِ ، وَانْكَسِرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ رَحِيمٌ كَرِيمٌ .

عِبَادَ اللَّهِ : إِنَّكُمْ الْآنَ فِي رَمَضَانَ ، وَهُوَ وَحْدَهُ عُمُرٌ طَوِيلٌ لِمَنْ رَامَ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ ، فَإِنْ فِي لَيْلِيهِ لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ فَاجْتَهِدُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِاخْلَاصِ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ جَلُّ وَعَلَا وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالِابْتِهَالِ إِلَى ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى زِيَادَةِ فِي أَعْمَالِهِمْ بِتَسْبِيحَةٍ أَوْ تَحْمِيدَةٍ أَوْ رُكْعَةٍ ، رُئِيَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ : مَا عِنْدَنَا أَكْثَرَ مِنَ النَّدَامَةِ ، وَمَا عِنْدَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَرُئِيَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ : قَدِمْنَا عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ نَعْلَمُ وَلَا نَعْمَلُ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَلَا تَعْمَلُونَ وَاللَّهُ لَتَسْبِيحَةٍ أَوْ تَسْمِيحَتَيْنِ ، أَوْ رُكْعَةٍ أَوْ رُكْعَتَيْنِ فِي صَحِيفَةِ أَحَدِنَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ : مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ أَزْدَادًا ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ اسْتَعْتَبَ .

قال الشاعر :

تَذْكُرْ وَلَا تَنْسَ الْمَعَادَ وَلَا تَكُنْ
كَأَنَّكَ مُخْلَى لِلْمَلَاعِبِ مُمَرِّجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُؤَلَّوْلُ حَوْلَهُ
وَنَفْسُكَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ تَخْرُجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُسْجَى بِثَوْبِهِ
وَإِذْ أَنْتَ فِي كَرْبِ السَّيَاقِ تُحْشِرُجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ أَنْتَ الْمُعْزَى قَرِيبُهُ
وَإِذْ أَنْتَ فِي بَيْضٍ مِنَ الرِّيطِ مُدْرَجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ يَهْدِيكَ قَوْمٌ إِلَى الثَّرَى
إِذَا مَا هَدَوْكَاهُ انْثَنُوا لَمْ يُعْرِجُوا
وَلَا تَنْسَ إِذْ قَبْرٌ وَإِذْ مِنْ تُرَابِهِ
عَلَيْكَ بِهِ رَذْمٌ وَلَبَنٌ مُشْرِجُ
وَلَا تَنْسَ إِذْ تُكْسَى غَدًا مِنْهُ وَحْشَةً
مَجَالِسُ فِيهِنَّ الْعَنَاكِبُ تَنْسِجُ
وَلَا بُدَّ مِنْ بَيْتِ انْقِطَاعٍ وَوَحْدَةٍ
وَأَنْ سَرَّكَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ الْمُدْبِجُ
أَلَا رَبُّ ذِي طُمْرِ غَدَاً فِي كَرَامَةٍ
وَمَلِكُ بَيْتِجَانِ الْهَوَانِ مُتَوِّجُ
لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ
وَإِنْ زَخْرَفَ الْغَاوُونَ فِيهَا وَزَبْرَجُوا

★ ★ ★

اللهم يا مَنْ خلق الانسانَ وَبَنَاهُ وَاللِّسَانَ وَأَجْرَاهُ ، يا مَنْ لا يُخَيِّبُ مَنْ دَعَاهُ ، هَبْ لِكُلِّ مِنَّا مَا رَجَاهُ ، وَبَلِّغْهُ مِنَ الدَّارَيْنِ مُنَاهُ ، اللهم اغفر لنا جميعَ الزلات ، واستر علينا كُلَّ الخطيئاتِ وسامِحْنَا يَوْمَ السُّؤَالِ وَالْمُنَاقَشَاتِ ، وانفَعْنَا وَجَمِّعِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا أَنْزَلْتَهُ مِنَ الْكَلِمَاتِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

★ ★ ★

فصل في ذكر بعض الأدعية الواردة

عباد الله اغتنموا هذه الأوقات الشريفة وأكثروا فيها من الدعاء فإن الدعاء له أثر عظيم وموقع جسيم وهو مخ العباداة لاسيما إذا كان بقلب حاضر وصادفا إخباتاً وخشوعاً وانكساراً وتضرعاً ورقة وخشية واستقبل القبلة حال دعائه وكن على طهارة وجدد توبة وأكثر من الاستغفار وبدأ بحمد الله وتنزيهه وتمجيده وتقديسه والثناء عليه وشكره ثم صلي على النبي ﷺ بعد ذلك ودعا بدعاء مشروع باسم من أسماء الله الحسنی مناسب لمطوبه فان كان يريد علماً قال يا علیم علمني وان كان يطلب رحمة قال يا رحمن ارحمني وان كان يطلب رزقاً قال يارزاق إرقني ونحو ذلك ولم يمنع من الدعاء مانع كأكل الحرام وقطيعة رحم وعقوق ونحو ذلك وتحري أوقات الإجابة وأتى بأسبابها وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره والانتفاء عن ما نهى عنه فالله أصدق القائلين وأوفى الواعدين قال تعالى « أدعوني استجب لكم » وقال عز من قائل « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان » وقال جل وعلا « أدعوا ربكم تضرعاً وخفية » وقال تبارك وتعالى « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » وقال تعالى « وعد الله لا يخلف الله وعده » وقال « ومن أصدق من الله قيلاً » .

ومن أوقات إجابة الدعاء إذا اجتمعت الشروط وانتفتت الموانع ثلث الليل الأخير ، ويوم الجمعة عند صعود الامام المنبر أو في آخر ساعة من يومها ، وعند الأذان ، وبين الأذان والاقامة ، وعند نزول الغيث ، وعند فطر الصائم ، وعشية عرفة ، وفي حالة السجود ، وفي ليلة القدر ، وفي أدبار الصلوات وفي أدبار النوافل . وعند ختم القرآن وعند البكاء والخشية من الله

قال بعضهم :

قالوا شروطُ الدعاءِ المُستجابِ لنا عَشْرٌ بها بَشِّرِ الداعي بافلاح طَهارةً وصالَةً مَعَهُمَا نَدَمٌ وقت خُشوعٍ وحُسْنُ الظنِّ يا صاح وحُلٌّ قُوْتٍ ولا يُدعى بِمَعْصِيَةٍ واسمٌ يُناسِبُ مَقْرُونُ بِالْحَاحِ فعليكم عبادَ اللهِ بالاجتهادِ بالدعاءِ ، وعليكم بِجوامِعِ الدُّعاءِ التي تَجْمَعُ خَيْرَ الدنيا والآخرةِ ، وفي الصحيحين : « كان أَكْثَرُ دُعاءِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم : اللهم آتِنَا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

ومن دعائِهِ صلى اللهُ عليه وسلم إذا سَافَرَ : « أَنه كان يَتَعَوَّذُ مِنْ وَغْثائِ السَّفَرِ وكآبةِ الْمَنْظَرِ ، وَالْحَوَرِ بَعْدَ الْكَوْرِ ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ ، وَسَوْءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ » رواه مسلم .

وَمِنْ ما وَرَدَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رضي اللهُ عنه - قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ « اللهم رَحِمَتَكَ أَرْجُو فلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسي طَرَفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . رواه أبو داود وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال : قال رَجُلٌ لِرَبِّمَنِّي هُمُومٌ وَدَيُّونٌ يا رسولَ اللهِ ، قال : أَفلا أَعْلِمُكَ كَلاماً إذا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ قال : قُلْتُ : بَلَى ، قال : « قُلْ إذا أَصْبَحْتَ وإذا أَمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ

بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ » قَالَ :
فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَازْهَبْ هَبِّي وَقْضَى عَنِّي دَيْنِي ، رواه أبو داود .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى
وَالْتَقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي
وَارْزُقْنِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفَجَاءَةٍ
نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ
لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا . »

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : « كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ . »

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا
قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ
وَعَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ،
وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ . »

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَذَرِكِ
الشَّقَاءَ وَسُوءَ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ . »

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا
أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا . »

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ
وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُفْضِلَنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ
يَمُوتُونَ . »

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ » .

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ خَمْسٍ : مِنَ الْجُبْنِ ، وَالْبُخْلِ ، وَسُوءِ الْعُمُرِ ، وَفِتْنَةِ الصَّدْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ » رواه أبو داود والنسائي .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّقَاكِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ » رواه أبو داود .

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ يَشْسُ الضَّجِيعَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا يَفْسِتُ الْبِطَانَةَ » رواه أبو داود ، والنسائي وابن ماجة .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُدَامِ وَالْجُنُونِ وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ » رواه أبو داود والنسائي .

وَعَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ » رواه الترمذي .

وَعَنْ شُتَيْبِ بْنِ شَكْلٍ بن حُمَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، عَلَّمَنِي تَعَوِذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ قَالَ : « قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي

وَشَرِّ بَصْرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَشَرِّ قَلْبِي وَشَرِّ عَيْنِي « رواه أبو داود ،
والترمذي ، والنسائي .

وَعَنْ أَبِي الْيُسْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو :
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي وَمِنَ الْغَرَقِ
وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ ،
وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُذْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ لِدَيْعَا »
رواه أبو داود والنسائي .

وَمِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي
وَجَهْلِي وَاسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي
وَهَزْلِي وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا
أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ
الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا عَلَّمَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّدِيقُ قَالَ لَهُ : « قُلْ
اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي
مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « ائْطُوا بَيَازَ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » أَيِ الزَّمُوا هَذِهِ وَالْحُوا بِهَا وَدَاوُمُوا
عَلَيْهَا .

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَغْرَمِ وَالْمَأْثَمِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلَجِ وَالْبَرْدِ وَنَقِّ قَلْبِي كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ وَبَاعِذْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطَمِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ اللَّهُمَّ مَا رَزَيْتَ عَنِّي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ قَرَأَةً فِيمَا تُحِبُّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَمَالِي وَأَهْلِي وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَعَنْ أُمِّ مَعْبِدٍ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ الْبَغَايِ وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ وَلِسَانِي مِنَ الْكَذِبِ وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ الْكَبِيرِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصُّحَّةَ وَالْعِفَّةَ وَالْأَمَانَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَالرُّضَى بِالْقَدَرِ) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ الْكَبِيرِ .

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما أستطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أخرجه البخاري « والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

وقال بعضهم في سؤال الرحمن تعالى :

لا تَطْلُبَنَّ مِنْ غَيْرِ رَبِّكَ حَاجَةً
وَمَنْ الَّذِي يَسْتَبْدِلُ الضَّعْفَاءَ
أَوْ يَشْتَرِي الظُّلُمَاتِ بِالْأَنْوَارِ أَوْ
فَوْضُ إِلَى الْمَعْبُودِ أَمْرَكَ كُلَّهُ
وَأَقْرَعُ إِذَا نَامَ الْأَنَامُ وَغَلَّقُوا
بَابَ الَّذِي بَسَطَ الْيَدَيْنِ بِلَيْلِهِ
وَيَدَاهُ مَبْسُوطَتَيْنِ لِإِحْسَانٍ مَا
بَابَ الَّذِي إِنْ لَمْ تَسْأَلْهُ فَضْلَهُ
بَابَ الْجَبِيبِ إِذَا دَعَاهُ مُرْتَجٍ
الْوَاعِدُ الْعَبْدَ الْإِجَابَةَ إِنْ دَعَا
بَابَ الَّذِي نَبَّأَ الرَّسُولَ بِقُرْبِهِ
بَابَ إِذَا لَمْ تَأْتِهِ مُتَذَلِّلاً
وَحَسِرْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ تُقْزَ
بَابَ الَّذِي يُغْنِيكَ عَنْ زَيْدٍ وَعَنْ
بَابَ الَّذِي إِنْ يُعْطِيَ كُلًّا سؤْلُهُ
بَابَ الَّذِي لَوْ يَتَّقِيهِ الْخَلْقُ مَا

إِنْ كُنْتَ بِالرَّحْمَنِ ذَا إِيْمَانٍ
وَالْفُقَرَاءَ وَالْبَخِلَاءَ بِالرَّحْمَنِ
يَرْضَى يَعُوذُ بِأَخْسَرِ الْخُسْرَانِ
وَأَفْرَغَ إِلَى الْمَوْلَى بِغَيْرِ تَوَانِي
أَبْوَابُهُمْ بَابَ النَّوَالِ الْهَانِي
وَنَهَارِهِ رَلْتَدَارِكَ الْعَصِيَّانِ
قَبَضَتْ يَدَ خَوْفًا مِنَ النِّقْصَانِ
يَغْضَبُ فَكَيْفَ يَرُدُّ بِالْحَرَمَانِ
لَاجٍ إِلَيْهِ مَا لَهُ مِنْ ثَانِي
فِي آتِيٍّ بُشِّرَى مِنَ الْقُرْآنِ
لِيُبَشِّرَ الْجُهْلَاءَ مِنَ الْعُبْدَانِ
لَمْ تُحِظْ بِالْإِيْمَانِ وَالْغُفْرَانِ
بِمُنَى وَعُدَّتْ بِحَيِّيةٍ وَهَوَانِ
عَمْرٍو وَعَنْ ثَانٍ وَعَنْ أَعْوَانِ
لَمْ يُلَفْ مُنْتَقِصاً مَدَى الْأَزْمَانِ
زَادُوهُ فِي مُلْكٍ وَلَا سُلْطَانِ

بَابُ الَّذِي انْ يَكْفُرُوهُ الْخَلْقُ مَا
 بَابُ الَّذِي أَهْلُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
 بَابُ الَّذِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَهُوَ فِي
 بَابُ الَّذِي لِأَخِيرٍ إِلَّا عِنْدَهُ
 بَابُ الَّذِي يُرَجَى لِكُلِّ مُلِمَةٍ
 بَابُ الْمُعِزِّ وَالْمُذِلِّ لِمَنْ يَشَاءُ
 الْحَيُّ قَبُومُ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا
 الْمُرْتَجَى وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً
 آتَى كِتَابَهَا وَجُوباً فَهُوَ مُحَدِّ
 بَابُ الَّذِي عَلَّمَ الْغُيُوبَ مُقَدِّراً
 بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمِ الْخَفِيَّةِ لَمْ يَكُنْ
 فَاعْبُدْهُ وَارْتَجِ رَاضِياً بِقَضَائِهِ
 فَالْعَبْدُ لَيْسَ لَهُ عَلَى الْمَعْبُودِ مِنْ
 وَلِذَاكَ حَادَّ الرُّسُلُ مِنْ أَنْ يَشْفَعُوا
 أَوْ مَا سَمِعَتْ بَلَوْ إِلَى مِنْ دَابَّةٍ
 فَالْخَوْفُ حَقٌّ مُصْلِحٌ لِلْعَبِيدِ أَوْ
 فَيَقَرُّ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ بِذَنْبِهِ
 إِلَّا الْمُنَافِقَ وَالْكَافِرَ كِلَاهُمَا
 فَهَنَّاكَ تُحْطَى بِالْأَمَانِ بِفَضْلِهِ
 إِنَّ السُّوَابِقَ وَالْخَوَاتِمَ حُجِّبَتْ
 فَالْعَارِفُونَ بِذَا عَلَى خَوْفٍ وَإِنْ
 فَيَقَرُّ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ بِذَنْبِهِ
 إِلَّا الْمُنَافِقَ وَالْكَافِرَ كِلَاهُمَا
 فَهَنَّاكَ تُحْطَى بِالْأَمَانِ بِفَضْلِهِ
 إِنَّ السُّوَابِقَ وَالْخَوَاتِمَ حُجِّبَتْ
 فَالْعَارِفُونَ بِذَا عَلَى خَوْفٍ وَإِنْ

نَقْصُوهُ بِالْكَفَرَانِ وَالطُّغْيَانِ
 يَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ وَالشُّقْلَانِ
 شَأْنُ كَمَا فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ
 يَدِيهِ كُلُّ مُمْئٍ وَكُلُّ أَمَانٍ
 لِعِظَائِمِ آلَامٍ وَالْحَذَثَانِ
 بَابُ الْمُجِيزِ الْمُطْعِمِ الْمَنَانِ
 الْوَاسِعِ الرَّحْمَى الْعَظِيمِ الشَّانِ
 بَلْ كُلُّ شَيْءٍ نَصٌّ فِي الْقُرْآنِ
 خَصَّ بِأَهْلِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ
 مَا كَانَ مِنْ شَرٍّ وَمِنْ إِحْسَانٍ
 عَبَثاً تَعَالَى دَائِمَ الْإِحْسَانِ
 وَاحْذَرُهُ لَا تَقْطَعْ بَنِيْلَ أَمَانٍ
 حُكْمٌ وَلَا يَنْجُو مِنَ الْعِصْيَانِ
 إِلَّا الْمَبْشُرُ قَبْلُ بِالْغَفْرَانِ
 فِي الْخَلْقِ نَصٌّ لَيْسَ بِالْإِدْعَانِ
 يَلْقَى الْكَرِيمَ الْبَرَّ بِالْيَدِيَوَانِ
 نَجْوَى لَيْسَتْ كُلُّ عِبْدٍ جَانٍ
 يُخْزِي صَيِّحِ لَيْسَ بِالْبُهْتَانِ
 لَا قَبْلَهَا فَاعْمَلْ بِغَيْرِ أَمَانٍ
 لِدَوَامِ خَوْفِ اللَّهِ وَالْهَيْمَانِ
 عَمَلُوا وَسُمُّوا مِنْهُ بِالزُّهْدَانِ
 نَجْوَى لَيْسَتْ كُلُّ عِبْدٍ جَانٍ
 يُخْزِي صَيِّحِ لَيْسَ بِالْبُهْتَانِ
 لَا قَبْلَهَا فَاعْمَلْ بِغَيْرِ أَمَانٍ
 لِدَوَامِ خَوْفِ اللَّهِ وَالْهَيْمَانِ
 عَمَلُوا وَسُمُّوا مِنْهُ بِالزُّهْدَانِ

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ فِي هَذَا الزَّمَنِ لَمْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمْ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَوْ عَرَفُوهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الْحَالِ لِأَنَّهُ مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخَوْفَ إِنَّ الْعَارِفَ بِاللَّهِ يَخْشَاهُ فَتَعَقُّلُهُ هَذِهِ الْخَشْيَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَمَّا لَا يَنْبَغِي مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

الْعَارِفُ بِاللَّهِ لَا يَجْرُؤُ أَنْ يُحَرِّكَ لِسَانَهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ أَفْعَالٍ أَوْ أَقْوَالٍ كَالْغِيْبَةِ وَالنِّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالْقَذْفِ وَالْفِسْقِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْمِلُ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ فِي عَمَلٍ لَيْسَ بِحَلَالٍ بَلْ يَكُفُّ بَصَرَهُ وَسَمْعَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ لِأَنَّهُ يَوْمُنَ حَقَّ الْإِيمَانِ بَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا مَهْمَا تَخْفَى وَتَسْتَرَّ الْعَبْدُ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ .

وَالْعَارِفُ بِاللَّهِ لَا يَنْطَوِي عَلَى رَذِيلَةٍ كَالْكِبْرِ وَالْجَفْدِ وَالْحَسَدِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ الْمَمْقُوتَاتِ لِأَنَّهُ يُصَدِّقُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّهُ الصُّدُورُ ، كَمَا يَعْلَمُ الْعَلَانِيَةَ ، فَلَا يَسْتَرِيحُ الْعَارِفُ حَتَّى يَكُونَ بَاطِنُهُ كَظَاهِرِهِ مُطَهَّرًا مِنْ كُلِّ فَحْشَاءٍ وَكَذَلِكَ لَا تَسْمَعُ مِنْ قَمَرِ الْعَارِفِ عِنْدَ نُزُولِ الْمَصَائِبِ وَالْبَلَايَا وَالشَّدَائِدِ إِلَّا الْحَسَنَ الْجَمِيلَ فَلَا يَغْضَبُ لِمَوْتِ عَزِيزٍ أَوْ فَقْدِ مَالٍ أَوْ مَرَضٍ شَدِيدٍ طَوِيلٍ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ غَضَبَهُ وَتَسَخُّطَهُ يُقَوِّتُ عَلَيْهِ أَجْرَهُ وَلَا يَرُدُّ مَا فَاتَ كَمَا قِيلَ :

لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِبٍ
مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
فَمَا يَدُومُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ
وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ

وَلَا يَنَاسُ الْعَارِفُ مِنْ زَوَالِ شِدَّةِ مَهْمَا اسْتَحْكَمَتْ فَإِنَّ الْفَرَجَ بِيَدِ
اللَّهِ الَّذِي قَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَلَا يَنَاسُ
مِنْ حُصُولِ خَيْرٍ مَهْمَا سَمَا وَابْتَعَدَ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الْأَمْرَ بِيَدِ مَنْ إِذَا أَرَادَ
شَيْئًا قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ وَإِنْ بَدَأَ مُحَالًا فِي نَظَرِ الْجُهْلَاءِ وَلَا يَقْنَطُ الْعَارِفُ
وَلَا يَقْنَطُ مُؤْمِنًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ
أَمْثَالَ الْجِبَالِ وَالرُّمَالِ وَلَا يُؤْمِنُ الْعَارِفُ مُسْتَقِيمًا مِنَ الْعَذَابِ مَهْمَا كَانَ
الْعَمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ لِأَنَّهُ يُصَدِّقُ أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَأَنَّهُ لَهُ الْحُجَّةُ
الْبَالِغَةُ وَأَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ جَلَّ وَعَلَا فَلَا تَغْفُلْ عَنْ ذَلِكَ
وَإِنْ أَهْمَلَهُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ

★ ★ ★

اللَّهُمَّ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا تَقْوَاكَ وَاهْدِنَا بِهِدَاكَ وَلَا
تَكِلْنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا ، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ
مَخْرَجًا اللَّهُمَّ اغْذِنَا بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَاحْفَظْ
جَوَارِحَنَا مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

١ - زكاة الفطر وما ورد من الآثار في شرعيتها :

زكاة الفطر واجبة بالفطر من رمضان ، لما روى ابن عمر - رضي الله عنهما - « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر في رمضان على الناس صاعاً من تمر ، أو صاعاً من أقط ، أو صاعاً من شعير على كل حر وعبد ذكر وأنثى من المسلمين » متفق عليه .

وعنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » .

وعن أبي سعيد الخدري : كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام ، أو صاعاً من تمر ، أو صاعاً من أقط ، أو صاعاً من زبيب . متفق عليه .

قال سعيد بن المسيب ، وعمر بن عبد العزيز - رحمهما الله - في قوله تعالى : ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ هو زكاة الفطر .
وأضيفت هذه الزكاة إلى الفطر لأنها تجب بالفطر من رمضان ، وهذه يراد بها الصدقة عن البدن والنفس ومصرفها كزكاة المال لعموم :
﴿ إنما الصدقات للفقراء ... ﴾ الآية .

ولا يمنع وجوبها دين إلا مع طلب ، وهي واجبة على كل حر وعبد ذكر وأنثى من المسلمين ، فضل له عن قوته ، ومن تلزمه مؤنته يوم العيد وتليته صاع لأن النفقة أهم فيجب البداءة بها ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إبدأ بنفسك » رواه مسلم .

وفي رواية : (. وإبدأ بمن تعول) رواه الترمذي .

وَيُعْتَبَرُ كَوْنُ ذَلِكَ الصَّاعِ فَاضِلًا عَمَّا يَحْتَاجُهُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ تَلَزَّمَهُ
مُؤُونَتُهُ مِنْ مَسْكَنِ وَخَادِمٍ وَذَابَةِ وَثِيَابٍ بِذَلَّةٍ وَنَحْوِهِ ، وَكُتِبَ يَحْتَاجُهَا لِنَظَرٍ
لأن هَذِهِ حَوَائِجُ أَصْلِيَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا كَالنَّفَقَةِ ، وَتَلَزَّمَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ مَنْ
يَمُونُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَزَوْجَةٍ وَعَبْدٍ وَوَلَدٍ ، لِعُمُومِ حَدِيثِ ابْنِ عُمرَ - رَضِيَ
اللهُ عَنْهُمَا - « أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَدَقَةِ الْفَطْرِ عَنْ
الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِمَّنْ تَمُونُونَ » رواه الدَّرَاقُطْنِي .

فَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ لِجَمِيعِهِمْ بَدَأَ بِنَفْسِهِ ، فَزَوْجَتِهِ ، فَرَقِيقَتِهِ ، فَأَمِّهِ ،
فَأَبِيهِ . فَأَقْرَبَ فِي مِيرَاثٍ ، وَيُفْرَعُ مَعَ الْاِسْتِواءِ .

أَمَّا دَلِيلُ الْبَدَاءَةِ بِالنَّفْسِ فَلِحَدِيثِ « اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ ، ثُمَّ بِمَنْ
تَعُولُ » .

وَأَمَّا الزَّوْجَةُ فَلَوْجُوبِ نَفَقَتِهَا فِي حَالَةِ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ لِأَنَّهَا عَلَى
سَبِيلِ الْمُعَاوَضَةِ .

وَأَمَّا الرَّقِيقُ فَلَوْجُوبِ نَفَقَتِهِ مَعَ الْأَعْسَارِ بِخِلَافِ الْأَقَارِبِ لِأَنَّهَا صِلَةٌ
تَجِبُ مَعَ الْيَسَارِ دُونَ الْإِعْسَارِ .

وَأَمَّا الْأُمُّ فَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَعْرَابِيِّ جِئَنَ قَالَ لَهُ :
« مَنْ أَبْرُ ؟ قَالَ أُمُّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ آقَالَ أُمُّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أُمُّكَ ،
قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَبُوكَ » وَلِأَنَّهَا ضَعِيفَةٌ عَنِ الْكَسْبِ .

وَأَمَّا الْأَبُ فَلَمَّا سَبَقَ وَحْدَيْهِ : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبْنِكَ » .

وَأَمَّا الْوَلَدُ فَلِقُرْبِهِ وَوُجُوبِ نَفَقَتِهِ فِي الْجُمْلَةِ .

وأما الأقرب في الميراث فلأنه أولى من غيره كالميراث .

وَتُسْتَحَبُّ عَنِ الْجَنِينِ لِفِعْلِ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : « يُعْجِبُهُمْ أَنْ يُعْطُوا زَكَاةَ الْفَطْرِ عَنِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ حَتَّى عَنْ الْحَمَلِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ » رواه أبو بكر .

وَلَا تَجِبُ ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : « كُلُّ مَنْ نَحَفَظُ عَنْهُ لَا يُوجِبُهَا عَنِ الْجَنِينِ ، وَتَجِبُ عَلَى الْيَتِيمِ ، وَيُخْرِجُ عَنْهُ وَلِيُّهُ مِنْ مَالِهِ » .

وَلَا يَلْزَمُ الزَّوْجَ فِطْرَةُ زَوْجَةٍ نَاشِئِ وَقْتِ الْوُجُوبِ ، وَلَا تَلْزَمُ الزَّوْجَ فِطْرَةُ مَنْ لَا تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهَا ، كَغَيْرِ الْمُدْخُولِ بِهَا إِذَا لَمْ تُسَلِّمْ إِلَيْهِ ، وَالصَّغِيرَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ الْاِسْتِمْتَاعُ بِهَا .

وَمَنْ لَزِمَ غَيْرُهُ فِطْرَتُهُ كَالزَّوْجَةِ ، فَأَخْرَجَ عَنْ نَفْسِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ أَجْزَاءُ اللَّهِ أَعْلَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

٢ - فَصْلُ فِي وَقْتِ وَجوبِ صَدَقَةِ الْفَطْرِ ، وَالْأَفْضَلُ مِنْهُ :

وَتَجِبُ زَكَاةُ الْفِطْرِ بِغُرُوبِ شَمْسِ لَيْلَةِ الْفِطْرِ ، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - « فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَةَ الْفِطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ » . رواه أبو داود ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ فَأَضَافَ الصَّدَقَةَ إِلَى الْفِطْرِ فَكَانَتْ وَاجِبَةً بِهِ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ تَقْتَضِي الْاِخْتِصَاصَ .

وَأَوَّلُ فِطْرِ يَقَعُ مِنْ جَمِيعِ رَمَضَانَ بِمَغِيبِ الشَّمْسِ مِنْ لَيْلَةِ الْفِطْرِ ،

فَمَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْغُرُوبِ ، أَوْ تَزَوَّجَ بَعْدَ الْغُرُوبِ ، فَلَا فِطْرَةَ وَإِنْ وُجِدَ ذَلِكَ ، بِأَنْ أَسْلَمَ أَوْ تَزَوَّجَ ، أَوْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ ، أَوْ مَلَكَ عَبْدًا ، أَوْ أُيَسَّرَ قَبْلَ الْغُرُوبِ وَجَبَتْ الْفِطْرَةُ لَوْجُودِ السَّبَبِ فَلَا عِتْبَارُ بِحَالِ الْوُجُوبِ .

وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ الْغُرُوبِ هُوَ ، أَوْ زَوْجَتِهِ ، أَوْ رَقِيقُهُ ، أَوْ قَرِيبُهُ وَنَحْوُهُ ، أَوْ أَعْسَرَ ، أَوْ أَبَانَ الزَّوْجَةَ ، أَوْ أَعْتَقَ الْعَبْدَ ، أَوْ بَاعَهُ أَوْ وَهَبَهُ لَمْ تَجِبِ الْفِطْرَةُ لِمَا تَقَدَّمَ .

وَلَا تَسْقُطُ الْفِطْرَةُ بَعْدَ وَجُوبِهَا بِمَوْتٍ وَلَا غَيْرِهِ ، وَالْأَفْضَلُ إِخْرَاجُهَا يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، لِمَا فِي الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَرْفُوعًا ، وَفِي آخِرِهِ : « وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ » .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - « مَنْ أَذَاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ » وَمَنْ أَذَاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ . وَتُكْرَهُ بَعْدَهَا خُرُوجًا مِنَ الْخِلَافِ ، وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَغْنَوْهُمْ عَنِ الطَّلَبِ فِي هَذَا الْيَوْمِ » . رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ .

فَإِذَا أَخْرَاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ لَمْ يَخْصُلِ الْإِغْنَاءُ لَهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ كُلِّهِ .

وَيُحْرَمُ تَأْخِيرُهَا عَنْ يَوْمِ الْعِيدِ مَعَ الْقُدْرَةِ ، لِأَنَّهُ تَأْخِيرٌ لِلْحَقِّ الْوَاجِبِ عَنْ وَقْتِهِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقْسِمُهَا بَيْنَ مُسْتَحِقِّهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ . فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِتَقْدِيمِهَا عَلَى الصَّلَاةِ لِلِاسْتِحْبَابِ .

وَيَقْضِيهَا مَنْ أَخْرَهَا لِأَنَّهُ حَقٌّ مَالِيٌّ وَجَبَ ، فَلَا يَسْقُطُ بِفَوَاتٍ وَتَحِيٍّ
كَالدَّيْنِ ، وَتُجْزَى قَبْلَ الْعِيدِ يَوْمَ أَوْ يَوْمَيْنِ ، لِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - : « كَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الْفِطْرِ يَوْمَ أَوْ يَوْمَيْنِ » ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .
وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى جَمِيعِهِمْ فَيَكُونُ إِجْمَاعًا ، وَلَآنَ ذَلِكَ لَا يُجْزَى
بِالْمَقْصُودِ ، إِذَا الظَّاهِرُ بَقَاؤُهَا أَوْ بَعْضُهَا ، إِلَى يَوْمِ الْعِيدِ .

وَمَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ فِطْرَةٌ غَيْرُهُ أَخْرَجَهَا مَعَ فِطْرَتِهِ مَكَانَ نَفْسِهِ ، لِأَنَّهَا
طَهْرَةٌ لَهُ ، وَفِطْرَةٌ مِنْ بَعْضِهِ حَرٌّ وَبَعْضُهُ رَقِيقٌ ، وَفِطْرَةٌ قَبْلَ مُشْتَرِكٍ . وَفِطْرَةٌ
مَنْ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ وَارِثٍ أَوْ مُلْحَقٌ بِأَكْثَرِ مِنْ وَاحِدٍ تُقْسَطُ ، وَمَنْ عَجَزَ مِنْهُمْ لَمْ
يَلْزَمْ الْآخَرُ سِوَى قِسْطِهِ .

٣ - الْوَاجِبُ فِي الْفِطْرَةِ :

الوَاجِبُ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ صَاعُ بُرٍّ ، أَوْ مِثْلُ مَكِيلِهِ مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ
زَبِيبٍ ، أَوْ أَقِطٍ ، لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ
الْفِطْرِ ، إِذَا كَانَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ ، أَوْ
صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ ، أَوْ صَاعًا مِنْ
أَقِطٍ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَيُجْزَى دَقِيقُ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ إِذَا كَانَ بِوَزْنِ الْحَبِّ ، نَصُّ عَلَيْهِ ،
وَاحتَجَّ بِزِيَادَةِ تَفَرَّدَ بِهَا ابْنُ عُيَيْنَةَ : إِنْ أَحَدًا لَمْ يَذْكُرْهُ فِيهِ ، قَالَ : بَلْ هُوَ
فِيهِ . رَوَاهُ الدَّرَاقُطْنِيُّ .

قَالَ الْمَجْدُ : بَلْ هُوَ أَوْلَى بِالْإِجْزَاءِ لِأَنَّهُ كُفِيَ مُؤَوَّنَتَهُ كَتَمَرٍ مَزْرُوعٍ

نَوَاهُ وَيُخْرِجُ مَعَ عَدَمِ ذَلِكَ مَا يَقُومُ مَقَامُهُ مِنْ حَبِّ يُقْتَاتِ كَذَرَّةٍ وَدُخْنِ
وَبَاقِلَاءٍ لِأَنَّهُ أَشْبَهُ بِالْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ ، فَكَانَ أَوَّلَى .

وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطِيَ الْجَمَاعَةُ فِطْرَهُمْ لِوَاحِدٍ ، وَأَنْ يُعْطِيَ الْوَاحِدُ فِطْرَتَهُ
لِجَمَاعَةٍ .

وَلَا يُجْزِي إِخْرَاجُ الْقِيَمَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ .

وَيَحْرُمُ عَلَى الشَّخْصِ شَرَاءُ زَكَاتِهِ وَصَدَقَتِهِ بِمَنْ صَارَتْ إِلَيْهِ .
لِحَدِيثِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - « لَا تَشْتِرِهِ ، وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ ، وَإِنْ
أَعْطَاكَ بِدَرَاهِمٍ ، فَإِنَّ الْعَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْتِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَحَسْمًا لِمَادَّةِ اسْتِرْجَاعِ شَيْءٍ مِنْهَا حَيَاءً ، أَوْ طَعَمًا فِي مِثْلِهَا ، أَوْ
خَوْفًا أَنْ لَا يُعْطِيَهُ بَعْدُ ، فَإِنْ عَادَتْ إِلَيْهِ بَارِثٌ أَوْ وَصِيَّةٌ أَوْ هِبَةٌ أَوْ أَخَذَهَا
مِنْ ذَنْبِهِ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا مُوَاطَاةٍ طَابَتْ بِهَا كَرَاهَةٌ لِعَدَمِ الْمَانِعِ .
وَلِحَدِيثِ بَرِيرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَتْهُ
امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ وَإِنُّهَا مَاتَتْ ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَجِبَ أَجْرُكَ وَرَدَّهَا عَلَيْكَ الْمِيرَاثُ » مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ . رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

وَيُجْزِي إِخْرَاجُ صَاعٍ مَجْمُوعٍ مِنْ تَمْرٍ وَزَيْبٍ وَبُرٍّ وَشَعِيرٍ وَأَقْطٍ كَمَا
لَوْ كَانَ خَالِصًا مِنْ أَحَدِهَا .

وَلَا يُجْزِي مُخْتَلِطٌ بِأَكْثَرٍ مِنْهَا لَا يُجْزِي .

وَلَا يُجْزِي إِخْرَاجُ مَعِيْبٍ كَمُسْوَسٍ ، وَمَبْلُولٍ ، وَقَدِيمٍ تَغْيَرُ
طَعْمُهُ .

والأفضل تمرّ، ليفعل ابن عمر، قال نافع: وكان ابن عمر رضي الله عنهما - يعطي التمر إلا عاماً واحداً أعوز التمر فأعطى شعيراً رواه أحمد والبخاري .

وقال له أبو مجلز: إن الله قد أوسع. والبر أفضل، فقال إن أصحابي سلكوا طريقاً، فأنا أحب أن أسلكه رواه أحمد واحتج به .

وظاهره أن جماعة الصحابة كانوا يخرجون التمر، ولأنه قوت، وأقرب تناولا وأقل كلفة، ويليه في الأفضلية الزبيب لأن فيه قوتاً وحلاوة وقلة كلفة، ثم البر، لأن القياس تقديمه على الكل، لكن ترك اقتداء بالصحابة في التمر وما شاركه في المعنى وهو الزبيب، ثم الأنفع في الاقتيات ودفع حاجة الفقير، ثم شعيره، ثم دقيق شعير، ثم سويقهما، ثم أقط والأفضل أن لا ينقص معطى من فطرة عن مدبر أو ينصف صاع من غيره ليغنيه عن السؤال في ذلك اليوم لقول النبي صلى الله عليه وسلم:

«أغنؤهم عن السؤال في ذلك اليوم»، ويسن التكبير المطلق وهو الذي لم يقيد بأدبار الصلوات والجهز به في ليلتي العيدين إلى فراغ الخطبة لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ﴾ وعن علي رضي الله عنه أنه كان يكبر حتى يسمع أهل الطريق وصفة التكبير، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر والله الحمد، وفي كل عشر ذي الحجة .

قال البخاري كان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام

الشَّيْءُ يُكَبِّرُ النَّاسَ بِتَكْبِيرِهِمَا وَالتَّكْبِيرُ الْمُقِيدُ فِي الْأَضْحَى عَقِبَ كُلِّ فَرِيضَةٍ . صَلَّاهَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى عَصْرِ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ لِحَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الصُّبْحَ يَوْمَ عَرَفَةَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ وَمَدَّ التَّكْبِيرَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ بِمَعْنَاهُ إِلَّا الْمُحْرِمَ فَيُكَبِّرُ مِنْ صَلَاةِ ظَهْرِ يَوْمِ النَّحْرِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ .

اللَّهُمَّ أَعْفُ عَنْ تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدِّمْ لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ إِلَى مَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لَأَهْلَ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقْظُنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا فِي زُمرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَافِرِ الذُّنُوبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَهُ الْمَصِيرِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أُولِي الْجِدِّ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّشْمِيرِ .

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّجُلِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَحْسَنَ فَعَلَيْهِ بِالتَّامِّ ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فَرَّطَ فِيهِ فَلْيَخْتِمْهُ بِالْحُسْنَى ، فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ ، وَبَادِرُوا رَجْمَكُمْ اللَّهُ أَوْقَاتَ شَهْرِكُمُ الْبَاقِيَّةِ ، وَاسْتَذْكُرُوا

ما مَضَى مِنْهُ بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ ، وَاخْتِمُوهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالرُّجُوعِ إِلَى صَالِحِ الْعَمَلِ .

عِبَادَ اللَّهِ ، كُنْ أَنْاسٍ صَلُّوا فِي هَذَا الشَّهْرِ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ وَأَوْقِدُوا فِي الْمَسَاجِدِ طِلْبًا لِلْأَجْرِ الْمَصَابِيحِ ، وَنَسْخُوا بِإِحْسَانِهِمْ كُلَّ فِعْلٍ قَبِيحٍ ، وَقَبْلَ التَّمَامِ سَكَنُوا الضَّرِيحَ ، وَلَمْ يَنْفَعَهُمُ الْمَالُ وَالْأَمَالُ لَمَّا نُقِلُوا ، رَحَلُوا عَنِ الدُّنْيَا قَدَمًا قَدَمًا وَنُقِصَ مَا بَنَوْهُ هَذَا هَذَا ، أَذَارَتْ عَلَيْهِمُ الْمُنُونُ رَحَاهَا وَأَحَلَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي الثَّرَى فَمَحَاهَا .

وَهَذَا خَالِكٌ عَنْ قَرِيبٍ فَتَيَقِّظْ يَا قَلِيلَ الزَّادِ ، وَحَادِي رَحِيلِهِ قَدْ حَدَى تَاهَبٌ لِلتَّلَفِ وَتَهَيَّأَ لِلرَّدَى ، ذَهَبَ عَنْكَ شَهْرُ الصِّيَامِ وَوَدَّعَكَ ، وَسَارَتْ فِيهِ قَوَافِلُ الصَّالِحِينَ ، وَجَهْلَكَ مَنَعَكَ وَالتَّوْبِيخُ مُتَوَقِّرٌ ، فَمَا أَرْجَعَكَ وَلَا أَرْعَجَكَ وَأَنْتَ تُؤْمَلُ مَنَازِلَ الْعَامِلِينَ بِأَفْعَالِ الْغَافِلِينَ فَمَا أَطْمَعَكَ .

يَا مَنْ أَصْبَحَ سَاعِيًا إِلَى مَا يَضُرُّهُ سَتَعْلَمُ مَنْ يَأْتِي غَدًا حَزِينًا مُتَنَدِّمًا ، كُنْ مِنْ صَائِمٍ يَفْضَحُهُ الْحِسَابُ وَالْعَرَضُ ، وَكُنْ مِنْ عَاصٍ فِي هَذَا الشَّهْرِ تَسْتَعِيْثُ مِنْهُ الْأَرْضُ ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنَ الْمَقْبُولِ مِنَّا فَتُهْنِيهِ عَلَى تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ بِحُسْنِ عَمَلِهِ وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنَ الْمَطْرُودِ فَتُعْزِيهِ بِسُوءِ عَمَلِهِ ، فَيَا أَيُّهَا الْمَقْبُولُ هَبْنِيئًا لَكَ بِثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرِضْوَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَغُفْرَانِهِ وَقَبُولِهِ وَاحْسَانِهِ وَغُفْوِهِ وَامْتِنَانِهِ .

وَيَا أَيُّهَا الْمَطْرُودُ بِإِضْرَارِهِ ، وَطُغْيَانِهِ وَظُلْمِهِ وَغَفْلَتِهِ وَخُسْرَانِهِ وَتَمَادِيهِ فِي عِضْيَانِهِ ، لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ وَخَسِرْتَ تِجَارَتَكَ ، وَطَالَتْ نَدَامَتُكَ ، فَيَا لَهَا مِنْ خُسَارَةٍ لَا تُشَبِّهُهَا خُسَارَةٌ ، لِلَّهِ دُرُّ أَقْوَامٍ حَرَسُوا

بالتَّقَى أَوْقَاتَهُمْ ، وَتَذَرَعُوا دُرُوعَ الْمُرَاقَبَةِ فِي صَبْرِهِمْ وَجَمَعُوا بَيْنَ الصَّدَقِ
وَالِاخْلَاصِ فِي ذِكْرِهِمْ . صَبَرُوا بِالْيَقِينِ عَلَى ظَمِ الْهَوَاجِرِ ، وَبَسَطُوا
أَفْئَادَهُمْ عَلَى بَسَاطِ الدِّيَاجِرِ وَعَمِلُوا لِيَوْمٍ فِيهِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ .

أَقْبَلُوا عَلَى خِدْمَةِ رَبِّهِمْ إِقْبَالَ عَالِمٍ ، وَمَا سَلَكَوا إِلَّا الطَّرِيقَ السَّالِمَ
تَذَكَّرُوا ذُنُوبَهُمْ الْقَدَائِمَ . فَجَدَّدُوا التَّوْبَةَ بِصَدَقِ الْعَرَائِمِ . وَعَدُّوا التَّقْصِيرَ
مِنَ الْعِظَائِمِ . وَبَذَلُوا الْمَهْجَ الْكَرَائِمَ ، فَإِذَا جَنَّ اللَّيْلُ فَسَاجِدُ وَقَائِمُ ، وَلَا
يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّا ئِمَ ، أَيْنَ أَنْتَ وَهُمْ ؟ فَهَلْ تَرَى السَّاهِرَ كَالنَّائِمِ ؟
كَلَّا ، وَلَا الْمُفْطِرَ كَالصَّائِمِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الذَّلِّ
وَالْانْكِسَارِ وَدَوَامِ اللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ وَرُؤْيَا عُيُوبِ نَفْسِهِ
وَجَهْلِيهَا وَعُدْوَانِهَا وَمُشَاهَدَةِ فَضْلِ رَبِّهِ وَإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَجُودِهِ وَبِرِّهِ وَغِنَاهُ
وَحَمْدِهِ . فَالْعَارِفُ : سَائِرٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ هَذَيْنِ الْجَنَاحَيْنِ لَا يُمَكِّنُهُ
أَنْ يَسِيرَ إِلَّا بِهِمَا فَمَتَى فَاتَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فَهُوَ كَالطَّيْرِ الَّذِي فَقَدَ أَحَدَ
جَنَاحَيْهِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْعَارِفُ يَسِيرُ إِلَى اللَّهِ بَيْنَ
مُشَاهَدَةِ الْمِنَّةِ وَمُطَالَعَةِ عَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّدُ
الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ
وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ
بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَجَمَعَ

فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي بَيْنَ
مُشَاهَدَةِ الْمِنَّةِ وَمُطَالَعَةِ عَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ .

فَمُشَاهَدَةُ الْمِنَّةِ تُوجِبُ الْمَحَبَّةَ وَالْحَمْدَ وَالشُّكْرَ لِوَلِيِّ النِّعَمِ
وَالْإِحْسَانِ وَمُطَالَعَةُ عَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ تُوجِبُ لَهُ الذُّلَّ وَالْانْكِسَارَ
وَالْإِفْتِقَارَ وَالتَّوْبَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَنْ لَا يَرَى نَفْسَهُ إِلَّا مُفْلِسًا وَأَقْرَبُ بَابٍ
يَدْخُلُ مِنْهُ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى هُوَ بَابُ الْإِفْلَاسِ . فَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ حَالًا
وَلَا مَقَامًا وَلَا سَبَبًا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَلَا وَسِيلَةً مِنْهُ يَمُنُّ بِهَا .

بَلْ يَدْخُلُ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَابِ الْإِفْتِقَارِ الصَّرْفِ وَالْإِفْلَاسِ الْمُحْضَرِ
دُخُولٌ مَنْ كَسَرَ الْفَقْرَ وَالْمَسْكِنَةَ قَلْبُهُ حَتَّى وَصَلَتْ تِلْكَ الْكَسْرَةُ إِلَى
سُوَيْدَائِهِ فَاَنْصَدَعَ وَشَمَلَتْهُ الْكَسْرَةُ مِنْ كُلِّ جِهَاتِهِ وَشَهِدَ ضَرُورَتَهُ إِلَى رَبِّهِ
عَزَّ وَجَلَّ وَكَمَالَ فَاقَتِهِ وَفَقْرِهِ إِلَيْهِ وَأَنَّ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَاتِهِ الظَّاهِرَةِ فَاقَةٌ
تَامَةٌ وَضَرُورَةٌ إِلَى رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَنَّهُ إِنْ تَخَلَّى عَنْهُ طَرْفَةٌ عَيْنٍ هَلَكَ
وَحَسِرَ خَسَارَةً لَا تُجْبَرُ إِلَّا أَنْ يَعُودَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَتَذَكَّرَهُ بِرَحْمَتِهِ
انْتَهَى .

شِعْرًا :

دَعِ الْبُكَاءَ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالذَّارِ
وَاذْكُرْ لِمَنْ بَانَ مِنْ خِلٍّ وَمِنْ جَارِ
وَأَذِرِ الدُّمُوعَ نَحِيبًا وَابْكِ مِنْ أَسْفٍ
عَلَى فِرَاقِ لَيْالٍ ذَاتِ أَنْوَارِ

عَلَى لَيْالٍ لِشَهْرِ الصَّوْمِ مَا جُعِلَتْ
 إِلَّا لِتَمَجِّصِ آثَامٍ وَأَوْزَارِ
 يَا لَأَيْمِي فِي الْبُكَاءِ زِدْنِي بِهِ كَلْفًا
 وَاسْمَعْ غَرِيبَ أَحَادِيثِي وَأَخْبَارِي
 مَا كَانَ أَحْسَنَنَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعُ
 مِنَّا الْمُصَلِّي وَمِنَّا الْقَائِتُ الْقَارِي
 وَفِي التَّرَاوِيحِ لِلرَّاحَاتِ جَامِعَةٌ
 فِيهَا الْمَصَائِيحُ تَزْهُوُ مِثْلَ أَزْهَارِي
 فِي لَيْلِهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي شَرُفَتْ
 حَقًّا عَلَى كُلِّ شَهْرِ ذَاتِ أَسْرَارِ
 تَنْزِلُ الرُّوحُ وَالْأَمْلَاقُ قَاطِبَةً
 بِإِذْنِ رَبِّ غَفُورٍ خَالِقِ بَارِي
 شَهْرٍ بِهِ يُعْتَقُ اللَّهُ الْعَصَاةَ وَقَدْ
 أَشْفُوا عَلَى جُرْفٍ مِنْ خُطَّةِ النَّارِ
 نَرْجُوا إِلَهَ مُحِبِّ الْعَفْوِ يُعْتِقُنَا
 وَيَحْفَظُ الْكُلَّ مِنْ شَرٍّ وَأَكْذَارِ
 وَيَشْمَلُ الْعَفْوُ وَالرُّضْوَانُ أَجْمَعَنَا
 بِفَضْلِكَ الْجَمِّ لَا تَهْتِكِ لَأَسْتَارِ
 فَأَبْكُوا عَلَى مَا مَضَى فِي الشَّهْرِ وَاعْتَنِمُوا
 مَا قَدْ بَقِيَ فَهُوَ حَقٌّ عَنْكُمْ جَارِي

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ جَزِيكَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَهَلَّتْهُمْ لِيُخْدَمَتِكَ
وَجَعَلَتْهُمْ مِنْ قِبَلَتِ صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

وَيَبْحَثُ فِي :

- ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .
- ٢ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ حَمْلِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ .
- ٣ - مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهُيمِهِ .
- ٤ - مَا وَرَدَ فِي اسْتِحْبَابِ تَرْتِيلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .
- ٥ - مَا وَرَدَ فِي بَيَانِ عَظَمِ بَعْضِ السُّورِ .
- ٦ - اسْتِحْبَابُ تَحْسِينِ الصَّوْتِ فِي التَّلَاوَةِ .
- ٧ - يُنَبِّغِي الْخُشُوعَ وَالْخَشْيَةَ وَالْبُكَاءَ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .
- ٨ - مَا وَرَدَ فِي تَعَاهُدِ الْقُرْآنِ وَالتَّرَهُّيبِ مِنْ نِسْيَانِهِ .

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

يُسْتَحَبُّ حِفْظُ الْقُرْآنِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ، وَالْإِكْتِنَارُ مِنْ تِلَاوَتِهِ كُلِّ وَقْتٍ
لِأَنَّ تِلَاوَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ وَأَجَلُ الطَّاعَاتِ وَفِيهَا أَجْرٌ
عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَسِيمٌ مِنَ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ ، وَلَا سَيِّمًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ قَالَ

اللَّهُ تَعَالَى أَمِيراً رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتْلَاوَةَ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَأَبْلَاغِهِ إِلَى النَّاسِ : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ .

وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَوْقَاتِ الْمَشْرُوعَةِ لَيْلاً وَنَهَاراً سِرّاً وَعَلَانِيَةً ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . رواه البخاري ، ومسلم .

٢ - ما جاء في فضل حمل القرآن :

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » رواه البخاري .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِقْرُؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ » رواه مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَاقْرَؤُوه ، فَإِنْ مَثَلَ الْقُرْآنَ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ ، كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا تَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَدَ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوْكِيَ عَلَى مِسْكٍ » رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَثْرِجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ حُلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » . رواه البخاري ومسلم .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٍ تَعَلَّمَ عِلْمًا فَهُوَ يُعَلِّمُ النَّاسَ مِنْهُ » . رواه البخاري ومسلم .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَذَكَّرُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَخَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » . أخرجه البخاري في صحيحه عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال : بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ

البَقَرَةُ وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتْ الْفَرَسُ ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَانْصَرَفَ .

وكان ابنه يحيى قريباً منها فاشفق أن تُصَيِّهَ ، فَلَمَّا أَخَذَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى يَرَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : إقرأ يا ابن حُضَيْرٍ إقرأ يا ابن حُضَيْرٍ قَالَ فَاشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى وَكَانَ مِنْهَا قَرِيباً فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ فَخَرَجْتُ حَتَّى لَا أَرَاهَا قَالَ : « وَتَدْرُونَ مَا ذَاكَ قُلْتُ لَا قَالَ تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ ذَنُتْ لِحُصُونِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحْتَ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى » .

فَالْعَاقِلُ مِنْ يُكْثِرُ تِلَاوَتَهُ وَاسْتِذْكَارِهِ لِلْإِهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ وَالِاسْتِزْشَادِ بِمَوَاعِظِهِ وَالِاعْتِبَارِ بِقَصَصِهِ وَالِالْتِقَاطِ مِنْ دُرَرِهِ وَحِكْمِهِ وَالِاسْتِضَاءَةِ بِنُورِهِ كَيْفَ لَا وَهُوَ أَسَاسُ الْفَصَاحَةِ وَيَنْبُوعُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَرَاعَةِ فَتَجِدُ الْخَطِيبَ الْمُصْقِعَ وَالشَّاعِرَ الْبَلِغَ يَقْتَبِسَانِ مِنْ آيَاتِهِ وَيُسْتَمِدَّانِ مِنْ عُذُوبَةِ الْفَاطِمَةِ وَمَعَانِيهِ مَا يُزِينَانِ بِهِ كَلَامَهُمَا وَيُحَسِّنَانِ بِهِ مَقَامَهُمَا .

وَهُوَ أَسَاسُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمِنْهُ تُسْتَمَدُّ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْمَسَائِلُ الْفَقْهِيَّةُ وَالْحَقُّ أَنَّهُ عِمَادُنَا فِي أَمْرِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَفَقْنَا اللَّهَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِلتَّمَسُّكِ بِأَهْدَابِهِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَدِّهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي أَمْثَالِهِ وَمُعْجَزِهِ وَالتَّبَصُّرُ فِي نُورِ حِكْمِهِ وَاغْفَرُ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وعن عبد الله بن عُمَرَ - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السُّجْدَةَ فَسَجَدَ ، اغْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي ، وَيَقُولُ : يَا وَيْلَهُ ! » .

وفي رواية : « يَا وَيْلِي ! أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَأُمِرْتُ بالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ » رواه مسلم وأبو داود .

وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ - رضي الله عنه - قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ » وَضُرِبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةُ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ « كَانَهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ ، أَوْ كَانَهُمَا فُرْقَانٌ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا » رواه مسلم .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ : أَلَمْ حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » رواه أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي .

وعن أَبِي ذَرٍّ - رضي الله عنه - قال قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْصِنِي ، قَالَ : « عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي ، قَالَ : « عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَدُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ » رواه ابن حبان .

وعن عبد الله بن عُمَرَ - رضيَ الله عنهما - أن رَسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُؤَخِّرُ إِلَيْهِ ، لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجِدَ مَعَ مَنْ وَجَدَ ، وَلَا يَجْهَلَ مَعَ مَنْ جَهِلَ وَفِي جَوْفِهِ كَلَامُ اللهِ » رواه الحاكم .

وروى عن علي بن أبي طالب - رضيَ الله عنهما - قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَظْهَرَهُ ، فَاحْلَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ » رواه ابن ماجه والترمذي .

وعن أبي ذرٍّ - رضيَ اللهُ عنه - قال : قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ، وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ عَمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ » رواه ابن ماجه .

اللهم اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَوَفِّقْنَا لِلْفَقْهِ فِي دِينِكَ الْقَوِيمِ ، واجعلنا مِنَ الْعَامِلِينَ بِهِ قَوْلًا ، وَفِعْلًا الدَّاعِينَ إِلَيْهِ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصلى اللهُ على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْقُرْآنِ وَتَفْهِمِهِ

يُسْتَحَبُّ التَّعَوُّدُ لِمَنْ أَرَادَ الشُّرُوعَ فِي الْقِرَاءَةِ بِأَنْ يَقُولَ « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ ﴾

الشيطان الرجيم ﴿ .

وكان جماعة من السلف يقولون : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، فان قطع القراءة قطع ترك على أن لا يعود قريباً إليها . أعاد التعود الأول وإن تركه قبل القراءة فيتوجه أن يأتي بها ثم يقرأ لأن وقتها قبل القراءة للاستحباب فلا يسقط تركها إذا ولأن المعنى يقتضي ذلك .

فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه التدبر والتحذر أن يكون مثل بعض الهمج يقرأ القرآن وعيونه تجول فيما حوله من المخلوقات يتلاعب بالقرآن ولا يهتم له ، قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ ، وقال تعالى في معرض الإنكار ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ .

٤ - مَا وَرَدَ فِي اسْتِحْبَابِ تَرْتِيلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

ويستحب لقارئ القرآن أن يرتل قراءته لقوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ .

وثبت عن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً . رواه أبو داود ، والنسائي ، والترمذي .

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنْ مَنَزَلَكْ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا . رواه أحمد ، والترمذي وأبو داود والنسائي .

وعن قَتَادَةَ قَالَ : سُئِلَ أَنَسٌ ، كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : كَانَتْ مَدًّا مَدًّا ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ يَمُدُّ بِـ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ وَيَمُدُّ بِـ ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ وَيَمُدُّ بِـ ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ رواه البخاري .

وعن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ يُرْجِعُ فِي قِرَاءَتِهِ ، رواه البخاري ومسلم .

وقد رَوَى أَبُو ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَامَ لَيْلَةً بَايَةً يَرِدُّهَا : ﴿ إِنَّ تَعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ وَقَامَ يَمِيمُ الدَّارِي بَايَةً ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ إِنِّي لَأُقِيمُ فِي الْآيَةِ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسَ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ نَهَارًا غُفِرَ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَمَنْ خَتَمَهُ لَيْلًا غُفِرَ لَهُ تِلْكَ اللَّيْلُ وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ : مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي أَيِّ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ كَانَتْ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُمَسِّي أَوْ أَيِّ سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ كَانَتْ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُصْبِحَ .

(مَوْعِظَةٌ)

قال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : عَشْرَةُ أَشْيَاءَ ضَائِعَةٌ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا عِلْمٌ لَا يُعْمَلُ بِهِ وَعَمَلٌ لَا إِخْلَاصَ فِيهِ وَلَا اقْتِدَاءَ فِيهِ بَكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ لَا يُوَفَّقُ لَهُمَا إِذَا لَمْ يُخْلِصِ الْعَمَلُ وَمَالًا لَا يُنْفَقُ مِنْهُ فَلَا يَسْتَمْتِعُ بِهِ جَامِعُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يُقَدِّمُهُ أَمَامَهُ لِآخِرَتِهِ وَقَلْبٌ فَارِغٌ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ وَالْأَنْسَ بِهِ وَبَذَنَ مُعْطَلٌ مِنْ طَاعَةِ

اللَّهُ وَخِدْمَتِهِ وَمَحَبَّةٍ لَا تَتَقَيَّدُ بِرِضَا الْمُحِبُّوبِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ .

وَوَقْتُ مُعْطَلٌ مِنْ اسْتِذْرَاكِ فَارِطٍ وَاعْتِنَامٍ بِرِ وَقُرْبَةٍ ، وَفِكْرٌ يَجُولُ
فِيمَا لَا يَنْفَعُ وَخِدْمَةٌ مَنْ لَا تُقَرِّبُكَ خِدْمَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَعُوذُ عَلَيْكَ بِصَلَاحِ
دُنْيَاكَ وَخَوْفِكَ وَرَجَاؤِكَ مِمَّنْ نَاصِيَّتُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَهُوَ أَسِيرٌ فِي قَبْضِيَّتِهِ وَلَا
يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرَرًا وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا .

وَأَعْظَمُ هَذِهِ الْإِضَاعَاتِ إِضَاعَةُ الْقَلْبِ وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ فَإِضَاعَةُ
الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ مِنْ إِثَارِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ مِنْ طُولِ
الْأَمَلِ فَاجْتَمَعَ الْفَسَادُ كُلُّهُ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى وَطُولِ الْأَمَلِ وَالصَّلَاحُ كُلُّهُ
فِي اتِّبَاعِ الْهُدَى وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْقَاءِ اللَّهِ .

إِلَى أَنْ قَالَ وَلِلَّهِ عَلَى عَبْدِهِ أَمْرٌ أَمَرَهُ بِهِ وَقَضَاءٌ يَقْضِيهِ عَلَيْهِ وَنِعْمٌ
يُنْعَمُ بِهَا عَلَيْهِ فَلَا يَنْفَكُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ وَالْقَضَاءُ نَوْعَانِ إِمَّا مَصَائِبُ وَإِمَّا
مَعَائِبُ وَلَهُ عَلَيْهِ عُبودِيَّةٌ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ كُلِّهَا فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ مَنْ عَرَفَ
عُبودِيَّتَهُ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ كُلِّهَا وَوَفَّاهَا حَقَّهَا فَهَذَا أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ
وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ مَنْ جَهِلَ عُبودِيَّتَهُ فَعَظَلَهَا عِلْمًا وَعَمَلًا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

٥ - مَا وَرَدَ فِي عِظَمِ فَضْلِ بَعْضِ السُّورِ :

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيْعَجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ قَالُوا وَكَيْفَ

يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ قَالَ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » رواه مسلم .

وعن عبد الله بن عُمَرَ - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَمْ يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ » رواه الترمذي وأبو داود والدارمي .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ » قَالُوا وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؟ قَالَ : « أَمَّا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَاكُمُ التَّكَاثُرُ » رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : « وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ . . . » الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ « لَا تَنْثَرُوهُ نَثْرَ الرَّمْلِ وَلَا تَهْدُوهُ هَذَا الشَّعْرَ قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدُكُمْ آخِرَ السُّورَةِ » رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : « لَأَنْ أَقْرَأَ سُورَةَ أُرْتِلَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ الْقُرْآنَ كُلَّهُ » وَقَدْ نَهَى عَنِ الْإِفْرَاطِ فِيهِ الْإِسْرَاعُ وَيُسَمَّى « الْهَذْرَمَةَ » ، فَتَبَتَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ رَجُلًا قَالَ لَهُ : اقْرَأِ الْمَفْصَلَ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : كَهَذَا الشَّعْرَ ، إِنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ نَفَعَ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا أَرَدْتَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ وَأَلْقِ سَمْعَكَ وَاحْضَرْ حُضُورَ مَنْ يُخَاطَبُهُ بِهِ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْهُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ خِطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ تَمَامَ التَّأثيرِ لَمَّا كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى مُؤَثِّرٍ مُقْتَضِيٍّ وَمَحَلٍّ قَابِلٍ وَشَرْطٍ لِحُصُولِ الْأَثَرِ انْتِفَاءُ الْمَانِعِ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْهُ : تَضَسُّتِ الْآيَةِ بَيَانِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وَأَبْيَنِهِ عَلَى الْمَرَادِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ أَفْضَلَ الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرَ وَالِدَعَاءَ وَالصَّلَاةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ حَالِ الرَّجُلِ فَالْقِرَاءَةُ بِتَدْبِيرٍ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ بِلا تَدْبِيرٍ وَالصَّلَاةُ بِخُشُوعٍ وَحُضُورٍ قَلْبٍ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ بِدُونِ ذَلِكَ .

٦ - اسْتِحْبَابُ تَحْسِينِ الصَّوْتِ فِي التِّلَاوَةِ :

يُسْتَحَبُّ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ أَنْ يُحَسِّنَ صَوْتَهُ بِالْقِرَاءَةِ ، لِأَنَّ تَحْسِينَ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ مُعِينٌ عَلَى حُضُورِ الْقَلْبِ وَخُشُوعِهِ وَبَاعِثٌ عَلَى حُسْنِ الْاسْتِمَاعِ وَالْإِصْغَاءِ إِلَى الْقُرْآنِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كَمَا أَذِنَ لِنَبِيِّي حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ وَيَجْهَرُ بِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

قَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ : مَعْنَى (لَمْ يَتَغَنَّ) ، أَيِ لَمْ يُحَسِّنْ صَوْتَهُ

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » رواه أحمدُ وأبو داودَ وابنُ ماجه والدرامي .

وَعَنْهُ أَيْضًا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا » رواه الدرامي .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي مُوسَى : « لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ ، لَقَدْ أُوتِيتُ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » ، قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُرَادُ بِالْمِزْمَارِ هُنَا الصَّوْتُ الْحَسَنُ .

اللَّهُمَّ قَابِلُ سَيِّئَاتِنَا بِأَحْسَانِكَ ، وَاسْتُرْ خَطِيئَتِنَا بِغُفْرَانِكَ وَأَذْهِبْ ظُلْمَةَ ظُلْمِنَا بِنُورِ رِضْوَانِكَ ، وَاقْهَرْ عَدُوَّنَا بِعِزِّ سُلْطَانِكَ ، فَمَا تَعَوَّدْنَا مِنْكَ إِلَّا الْجَمِيلَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

يُنْبَغِي الْخُشُوعُ وَالْخَشْيَةُ وَالْبُكَاءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى :

وَيُسْتَحَبُّ الْبُكَاءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ صِفَةُ الْعَارِفِينَ وَشِعَارُ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْخَاشِعِينَ مِنْ عِبَادِهِ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ، وَيَخِرُّونَ

لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿ سورة الإسراء .

وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى الْأَنْبِيَاءَ الْمُكَرَّمِينَ وَخَوَاصَّ الْمُرْسَلِينَ ، وَذَكَرَ فَضَائِلَهُمْ وَمَرَاتِبَهُمْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ (خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا) وقال الله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

وَقَدْ وَرَدَتْ فِيهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ ، وَآثَارٌ لِلْسَلَفِ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَابْكُوا ، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا » وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِقْرَأْ عَلَيَّ » قُلْتُ : أَأَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزِلُ ؟ ! قَالَ : « فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » فَقَرَأْتُ مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قَالَ : « حَسْبُكَ الْآنَ » ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَاذَا عَيْنَاهُ تَذُرْفَانِ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الْمُرْجَلِ مِنْ الْبُكَاءِ ، أَخْرَجَهُ الْخُمْسَةُ إِلَّا ابْنَ مَاجَهَ وَصَحَّحَهُ ابْنُ جِبَانَ .

وَلَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قِيلَ لَهُ الصَّلَاةُ ، فَقَالَ : « مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » ، قَالَتْ عَائِشَةُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ ، قَالَ « مُرُّوهُ فَلْيُصَلِّ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عُمَرَ - رضي الله عنه - انه صلى بالجماعة الصبح ، فمرا
سورة يونس فبكى حتى سالت دموعه ، وفي رواية : أنه كان في صلاة
العشاء ، وفي رواية : أنه بكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف .
وقرأ عمر بن عبد العزيز بالناس ذات ليلة والليل اذا يغشى فلما
بلغ فأنذرتكم نارا تلتظي خنقته العبرة فلم يستطع أن ينفذها فرجع حتى
إذا بلغها خنقته العبرة فلم يستطع أن ينفذها فقرأ سورة غيرها .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَالُ الْعُلَمَاءِ فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ
الْمُنْذِرِ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى التَّيْمِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنْ مَنْ أُوتِيَ مِنَ
الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ لَخَلِيقُ أَنْ قَدْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يَنْفَعُهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
نَعَتْ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالَ : « وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ » وقال صلى الله عليه
وسلم لَا يَلْجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ
الحديث رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ
عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رواه
الترمذي .

وَيُسْتَحَبُّ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ
عَذَابٍ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّرِّ أَوْ مِنَ الْعَذَابِ ، أَوْ يَقُولَ : « اللَّهُمَّ أَنِّي
أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ » أَوْ يَقُولَ : « أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ » أَوْ نَحْوِ
ذَلِكَ .

وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ تَنْزِيهِ نَزَّهَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ « سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى » أَوْ « تَبَارَكَ
وَتَعَالَى » أَوْ « جَلَّتْ عَظَمَةُ رَبِّنَا » ، فَقَدْ صَحَّ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رضي
الله عنه - أَنَّهُ قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ

فافتتح البقرة ، فقلت يركع عند المائة ثم مضى ، فقلت يصلي بها في ركعة فمضى ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ثم افتتح النساء فقرأها ، يقرأ مترسلاً إذا مر فيها بتسبيح سبع ، وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع . رواه مسلم .

موعظة

عَبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا تَعْظِيمَ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَذَلِكَ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ فَمَنْ اسْتَحَفَّ بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ آيَةٍ مِنْهُ أَوْ اسْتَحَفَّ بِرُسُلِهِ خَسِرَ كُلُّ الْخُسْرَانِ عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الْغَيْرَةُ الدِّينِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ نَجِدُ الْكُتُبَ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى التَّوْحِيدِ وَعَلَى الْآيَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَى الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ مُلَقَاتٍ مَعَ الْقَمَائِمِ وَفِي الْحُفْرِ الْقَدِيرَةِ تُدَاسُ بِالنُّعَالِ وَتُلَوَّثُ بِالْأَقْدَارِ تُلَوَّثُ تَلَوِثًا تَسْتَعِثُ مِنْهُ الْعَوَاطِفُ الْإِيمَانِيَّةُ أَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ لِمَاذَا لَا تُصَانُ وَتُرْفَعُ أَوْ تُقْبَرُ فِي مَحَلٍّ طَاهِرٍ .

قُولُوا لِمَنْ يُلْقِيهَا وَلِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِمْ مِنَ الْقَائِلِهَا اتَّقُوا اللَّهَ هَذِهِ حَالَةُ وَاللَّهِ تُولِمُ النُّفُوسَ وَتُشْمِتُ بِنَا الْأَعْدَاءَ قُولُوا لَهُمْ كَيْفَ تَسْمَحُ نَفُوسُكُمْ تُلْقُونَهَا هَذَا الْأَلْقَاءُ الْحَقِيرَ وَكَذَلِكَ كُتُبُ فِقْهِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا آيَاتٌ وَلَا أَحَادِيثٌ يَنْبَغِي احْتِرَامُهَا وَرَفْعُهَا .

وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَى بَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي جُمِعَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ بِهَا مَعَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ صَوَّرَ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَقَدْ تَكُونُ فَوْقَ الْآيَةِ خُصُوصًا إِذَا أَطْبِقَ الْكِتَابُ وَهَذَا وَاللَّهُ اسْتِهَانَةٌ عَظِيمَةٌ وَاسْتِخْفَافٌ بِالْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْكِتُبِ الدِّينِيَّةِ لَا يَجُوزُ السَّكُوتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ الْمَزْرِيَّةِ .

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ هُوَ عَدَمُ وَضْعِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ فِي
الْجَرَائِدِ بَلْ يَشَارُ إِلَى مَحَلَّاتِهَا وَأَرْقَامِهَا لِأَنَّ الْجَرَائِدَ صَارَتْ قِسْمَ كَبِيرٍ مِنْ
قُمَّامَةِ الْمَحَلَّاتِ وَفِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَهَذِهِ حَالَةٌ مُخِيفَةٌ إِنْ دَامَتْ مَعَ
مَا انْتَشَرَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي مَلَأَتْ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ يُخْشَى أَنْ
تُحِيطَ بِهِمْ عُقُوبَتُهَا .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُنَجِّنَا مِنْ عُقُوبَتِهَا وَأَنْ يُوقِضَ وَلَاتَنَا وَيُنَبِّهَهُمْ لِأَزَالَتِهَا
وَتَطْهِيرِ الْأَرْضِ مِنْهَا إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَرَى مَخْلِصًا لِلنَّاسِ الَّذِي
قَدْ ابْتُلِيَ بِشَرَاءِ الْجَرِيدَةِ حَمَّالَةَ الْكَذِبِ قَتَالَةَ الْوَقْتِ إِلَّا أَنَّهُ يُحْرِقُهَا مِنْ
حِينَ يَخْلُصُ مِنْ قِرَاءَتِهَا لِيَسْلَمَ مِنْ بَاقِي سُرُورِهَا وَأَوَزَارِهَا .

وَسَوْفَ يُنَاقَشُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي ضَيَّعَهُ فِيهَا وَالْمَالُ
الَّذِي أَنْفَقَهُ فِيهَا وَمَا حَصَلَ بِسَبَبِهِ عَلَى الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا مَنْ
الاسْتِهَانَةُ وَالْامْتِهَانُ وَخَرَجَ الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْمَحَلِّ الَّتِي وَضَعَهَا فِيهِ إِذَا كَانَ
فِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ حَيْثُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ .
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مِنْهَا :

أَلَا إِرْعَوَاءَ لِمَنْ كَانَتْ إِقَامَتُهُ
عِنْدَ الْمَذَائِبِ وَالتَّلَاقِ وَالطَّرَبِ
مُضَيِّعًا فِيهَا عُمْرًا مَا لَهُ عِوَضٌ
إِذَا تَصَرَّمَ وَقْتُ مِنْهُ لَمْ يَوْبِ

أَيَحْسِبُ الْعُمَرَ مَرْدُودًا تَصَرُّمُهُ
هَيْهَاتَ أَنْ يَرْجِعَ الْمَاضِي مِنَ الْحُقُبِ
أَمْ يَحْسِبُ الْعُمَرَ مَا وَلَّتْ أَوَائِلُهُ
يُنَالُ بَعْدَ ذَهَابِ الْعُمَرِ بِالذَّهَبِ
فَبَادِرِ الْعُمَرَ قَبْلَ الْفَوْتِ مُغْتَنِمًا
مَا دُمْتَ حَيًّا فَإِنَّ الْمَوْتَ فِي الطَّلَبِ
وَأَخْرِصْ وَبَادِرْ إِذَا مَا أُمَكَّنْتَ فُرْصُ
فِي كَسْبِ مَا تُحَمَّدُنْ عُقْبَاهُ عَنْ رَغَبِ
مِنْ نَفْعِ ذِي فَاقِهِ أَوْ غَوْتِ ذِي لَهْفِ
أَوْ فِعْلِ بَرٍّ وَاصْلَاحِ لِيَذِي شَغَبِ
فَالْعُمَرَ مُنْصَرِّمٌ وَالْوَقْتَ مُغْتَنِمٌ
وَالدَّهْرُ ذُو غَيْرِ فَاجْهَدْ بِهِ تُصِيبِ
فَاعْمَلْ بِقَوْلِي وَلَا تَجْنَحْ إِلَى فِئَمِ
مُخَادِعِ مُدَّعٍ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
يَرَى السَّعَادَةَ فِي كَسْبِ الْحُطَامِ وَلَوْ
حَوَاهُ مَعَ نَصَبٍ مِنْ سُوءِ مُكْتَسَبِ
فَالرَّأْيُ مَا قُلْتَهُ فَاعْمَلْ بِهِ عَجَلًا
وَلَا تُصِخْ نَحْوَ فِئَمِ غَيْرِ ذِي حَذَبِ
فَغَفْلَةُ الْمَرءِ مَعَ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
عَنْ وَاضِحٍ بَيِّنٍ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

٨ مَا وَرَدَ فِي تَعَاهِدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالتَّرْهِيْبِ مِنْ نِسْيَانِهِ ، وَالْأَعْرَاضِ عَنْهُ :

وَيُسْنُ خَتْمُهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعٍ لَيْالٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ » متفق عليه .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ - رَجَمَهُمَا اللَّهُ - كَانَ أَبِي يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي النَّهَارِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ ، يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ سُبْعًا لَا يَكَادُ يَتْرَكُهُ نَظْرًا لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : « وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعٍ » ، وَأَنْ قَرَأَ فِي ثَلَاثٍ فَحَسَنٌ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِي قُوَّةً ، قَالَ : « أَقْرَأْ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَلَا بَأْسَ فِيمَا دُونَهَا أَحْيَانًا ، وَفِي الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ كَرَمَضانَ ، خُصُوصًا اللَّيَالِيِ الَّتِي تُطْلَبُ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ .

وَيَنْبَغِي لِقَارِيءِ الْقُرْآنِ أَنْ يَتَّعِدهُ بِالْحِفْظِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى تَلَاوِيهِ ، وَلِيَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ هَجْرَانِهِ وَتَرْكِ التَّعْهَدِ لَهُ ، فَيَتَعَرَّضَ بِذَلِكَ لِنِسْيَانِهِ وَتَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَجَمَهُ اللَّهُ : هَجْرُ الْقُرْآنِ أَنْوَاعٌ :

أَحَدُهُمَا : هَجْرُ سَمَاعِهِ ، وَالْإِيْمَانُ بِهِ ، وَالْإِصْغَاءُ إِلَيْهِ .

وَالثَّانِي : هَجْرُ الْعَمَلِ بِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، وَإِنْ قَرَأَهُ

وَأَمِنَ بِهِ .

والثالث : هَجَرُ تَحْكِيمِهِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ
وَاعْتِقَادِ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ الْيَقِينَ وَأَنَّ أَدْلَتَهُ لَفْظِيَّةٌ لَا تُحْصَلُ الْعِلْمَ .

والرَّابِعُ : هَجَرُ الاسْتِشْفَاءِ وَالتَّدَاوِي بِهِ فِي جَمِيعِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ
وَأَذْوَانِهَا ، فَيَطْلُبُ شِفَاءَ دَائِهِ مِنْ غَيْرِهِ وَيَهْجُرُ التَّدَاوِي بِهِ .

والخامسُ : هَجَرُ تَدْبِيرِهِ وَتَفْهِيمِهِ وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ مِنْهُ .

وَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي
اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ : أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا مُسْتَقِيمًا عَلَى قَفَاهُ ، وَرَجُلًا قَائِمًا بِيَدِهِ
فَهَرُّ أَوْ صَخْرَةً فَيَشْدُخُ بِهَا رَأْسَهُ : فَيَتَذَهَّدُهُ ، فَإِذَا ذَهَبَ لِيَأْخُذَهُ عَادَ رَأْسَهُ
كَمَا كَانَ فَيَصْنَعُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ
الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ بِالنَّهَارِ ، فَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامِ .

وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ مَرْفُوعاً : « يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
رَجُلًا فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ فَيَتَمَثَّلُ لَهُ حُدُودِي ، فَيَقُولُ :
يَا رَبِّ ، حَمَلْتُهُ إِيَّايَ فَبَشَّرَ حَامِلٌ تَعَدَّى حُدُودِي ، وَضِيعَ فَرَائِضِي ،
وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي وَتَرَكَ طَاعَتِي ، فَمَا يَزَالُ يُقَذِّفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يَقَالَ
شَانَكَ بِهِ فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يُكَبِّهُ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ »
الْحَدِيثُ .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (« مَا مِنْ أَمْرٍ يُقْرَأُ الْقُرْآنُ ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمٌ ») رواه أبو داود .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَلَّ : « تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ - فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ مِنْ عُقْلِهَا » رواه البخاري ومسلم ، وعن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْأَبْلِ الْمُعَلَّقَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ ، متفق عليه .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَا حَشَرْتَنِي أَعْمَى ، وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ أ هـ .

وَرَوَى أَنَسُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : عَرَضْتُ عَلَى أَجُورِ أُمَّتِي حَتَّى الْقِدَاةِ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَعَرِضْتُ عَلَى ذُنُوبِ أُمَّتِي فَلَمْ أَرْ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أَوْتِيَهَا الرَّجُلُ ثُمَّ نَسِيَهَا ، ويا للأسفِ اسْتَبَدَّلُوا الْحَيْثُ بِالطَّيِّبِ أَكْبَوْا عَلَى الْجَرَائِدِ وَالْمَجَلَّاتِ وَالْكُتُبِ الْخَلِيعَاتِ بَدَلَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ : وَهُوَ حُسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
 قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ ،
 قُلْتُ : فَمَا الْمُخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ
 وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ، هُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مِنْ تَرْكِهِ مِنْ جَبَّارٍ
 قَصَمَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ
 وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ ،
 وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ مَنْ قَالَ بِهِ
 صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَى إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ » .

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ بَيَّنَّ فِيهِ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ
 مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ وَأَحْكَامِ الدَّارَيْنِ حَتَّى أَنَّهُ تَعَالَى يُثْنِي الْأُمُورَ
 الْكِبَارَ الَّتِي يَحْتَاجُ الْقَلْبُ لِمُرُورِهَا عَلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ وَإِعَادَتِهَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ
 بِالْفَاظِ مُخْتَلِفَةٍ وَأَدْلَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ لِتُسْتَقَرَّ فِي الْقُلُوبِ .

قَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ
 لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » وَقَالَ « وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
 الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ » وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلَيْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ فَفِيهِ
 بَيَانُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ وَهُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ رَحْمَةً لِمَنْ
 صَدَّقَ بِهِ وَعَمِلَ فِيهِ وَحُكْمُهُ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ رَجَعَ إِلَى
 الْقَوَائِينَ وَتَرَكَهُ فَكُلُّ حُكْمٍ سِوَى حُكْمِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ مَرْدُودٌ وَكُلُّ حَاكِمٍ
 بَغَيْرِ حُكْمِهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ فَهُوَ طَاغُوتٌ كَافِرٌ بِاللَّهِ وَمَا أَكْثَرَ فِي هَذَا الزَّمَنِ .
 الْمُحَكِّمِينَ لِلْقَوَائِينَ الْوَضْعِيَّةِ وَالْأَنْظِمَةِ الْحَالِيَّةِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الكافرون ﴿ وَهَذَا عَامٌ شَامِلٌ فَمَا مِنْ قَضِيَّةٍ إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهَا حُكْمٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، فَهَذِهِ الْآيَةُ الْجَلِيلَةُ الْقَدِيرُ عَظِيمَةُ الْمَوْقِعِ كَبِيرَةُ الْفَائِدَةِ حَسَنَةُ الْمَغْزَى اخْتَارَهَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيُخْتِمَ بِهَا كِتَابَهُ الْكَرِيمَ وَوَحْيَهُ الْمُعْجَزَ وَأَحْكَامَ شَرِيعَتِهِ السَّمْحَةَ وَدِينَهُ الْحَنِيفَ .

وَمِنْ مَزَايَا هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِهَا عَمَّا بَقِيَ مِنَ السُّورِ وَالْآيَاتِ أَنَّ اللَّهَ أَكْمَلَ بِهَا الدِّينَ بِمَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ، مِنَ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ وَالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَهَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْفَرَائِضِ وَأَتَمَّ بِهَا النِّعْمَةَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَدَايَتِهِمْ لِأَحْكَامِهِ وَتَوْفِيقِهِمْ لِمَعْرِفَةِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَانْجَاؤِهِ سُبْحَانَهُ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَلَا تُؤْتِي نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ .

فَكَانَ مِنْ تَمَامِ نِعْمَتِهِ أَنْ دَخَلُوا مَكَّةَ آمِنِينَ وَحَجُّوا مُطْمَئِنِّينَ لَمْ يَخَالِطُهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ اخْتَارَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ دِينَ الْإِسْلَامِ وَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْأَذْيَانِ كُلِّهَا بَيَانًا لِشَرَفِ هَذَا الدِّينِ وَاعْتِنَاءً بِأَمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَسْبُنَا مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وَهَذَا مَا دَعَا كَعْبُ الْأَحْبَارُ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ وَكَانَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَقُولَ لِخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةُ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَوْنَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَا تُتَّخَذُنَا هَذَا عَيْنًا وَأَقَمْنَا لَهَا مُحْتَفَلًا فِي كُلِّ عَامٍ نُجَدِّدُ ذِكْرَهَا وَتَتَدَارَسُ فَضَائِلُهَا

الكثيرة وذكرياتها العطرة .

فَيَتَذَكَّرُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِلًا : أَيُّ آيَةٍ هِيَ قَالَ كَعْبٌ : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » فَيَجِيبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِكُلِّ تَوْدَةٍ وَسَكِينَةٍ قَائِلًا قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَفِي رِوَايَةِ إِسْحَاقَ بْنِ قَبِيضَةَ نَزَلَتْ يَوْمَ جُمُعَةٍ يَوْمَ عَرَفَةَ وَكِلَاهُمَا بِحَمْدِ اللَّهِ لَنَا عِيدًا أ هـ .

وَمِنْ الْأَدَلَّةِ عَلَى وَجُوبِ الرُّجُوعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عِنْدَ التَّحَاكُمِ مَا يَلِي :

قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

وقال فإن تنازعتم في شئٍ فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله الآية وقوله « وكل شيء فصلناه تفصيلاً » .

وقال تعالى فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ الآية .

وقال تعالى اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تَرَكْتُكُم عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ » وقال فِيمَا صَحَّ عَنْهُ « مَا بُعِثَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْهَاهُمْ عَنْ

شَرُّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ » وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : لَقَدْ تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا .

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاعْتَصَصَ عَنْهُمَا بِالْقَوَائِنِ الْوَضْعِيَّةِ أَنَّهُ كَافِرٌ كُفْرٌ نَاقِلٌ عَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَذَا مَنْ اسْتَهْزَأَ بِالْقُرْآنِ أَوْ طَلَبَ تَنَاقُضَهُ أَوْ دَعَا إِلَى أَنَّهُ مُخْتَلَفٌ أَوْ مَخْتَلِقٌ أَوْ أَثْبَتَ شَيْئًا نَفَاهُ الْقُرْآنُ أَوْ نَفَاهُ مَا أَثْبَتَهُ الْقُرْآنُ فَقَدْ كَفَرَ قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ . وَقَالَ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إختِلَافًا كَثِيرًا ﴾ . وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً أَوْ كَلِمَةً أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلُّهُ .

وَكَذَا مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا وَسِعَ الْخَضِرُ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى . أَوْ زَعَمَ أَنَّ هَذِي غَيْرَ مُحَمَّدٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَحْسَنُ ؛ أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَسَعُ النَّاسُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْعُصُورِ إِلَّا الْخُرُوجُ عَنْ الشَّرِيعَةِ ، وَأَنَّهَا كَانَتْ كَافِيَةً فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ فَقَطْ وَأَمَّا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ فَالشَّرِيعَةُ لَا تُسَايِرُ الزَّمْنَ وَلَا بُدَّ مِنْ تَنْظِيمِ قَوَائِنَ بِمَا يُنَاسِبُ الزَّمْنَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْأَعْتِقَادَ إِذَا صَدَرَ مِنْ إِنْسَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ اسْتَهَانَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَنَقَّضَهُمَا ، وَلَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ وَخُرُوجِهِ مِنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْكُلِّيَّةِ .

وَكَذَلِكَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ لِلشَّرِيعَةِ فِي عِلْمِ الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ ، أَوْ فِي عِلْمِ الْبَاطِنِ فَقَطْ أَوْ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ دُونَ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ أَوْ أَنَّ

هَذِهِ الشَّرَائِعَ غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ بِدِينِ مُحَمَّدٍ ، أَوْ إِسْتِهَانٍ بِدِينِ الْإِسْلَامِ ، أَوْ تَنْقِصُهُ أَوْ هَزْلٍ بِهِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْ شَرَائِعِهِ أَوْ بِمَنْ جَاءَ بِهِ وَكَذَلِكَ الْحَقُّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْأَسْتِهَانَةَ بِحَمَلَتِهِ لِأَجْلِ حَمَلِهِ فَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا كُفْرٌ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَبَا اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ، لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَاجْعَلْنَا هَذَاهُ مُهْتَدِينَ
اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْهِنْمَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَمْنًا
مِنْ سَطَوَاتِكَ وَمَكْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وصلی اللہ علی محمد وعلی آلہ وصحبہ أجمعین .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ فِي تَحْذِيرِ أَهْلِ الْإِيْمَانِ عَنِ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أُنْزَلَ الرَّحْمَنُ بَعْدَ سِيَّاقِهِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ الْآيَتِينَ : ثُمَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فِي الزَّجْرِ عَنِ اتِّبَاعِ الْقَوَانِينِ الْبَشَرِيَّةِ غَيْرُ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لَكَفَتْ الْعَاقِلُ اللَّيِّبُ الَّذِي أُوتِيَ رُشْدَهُ وَأَهَمُّهُ صَلَاحُ قَلْبِهِ عَنْ تَطَلُّبِ غَيْرِهَا فَكَيْفَ وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ يَدْعُو إِلَى تَحْكِيمٍ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ وَعَدَمِ تَحْكِيمٍ مَا عَدَاهُ إِمَّا تَصْرِيحًا وَإِمَّا تَلْوِيحًا وَلَهُ جَاهِدٌ وَيُجَاهِدُ مَنْ يُجَاهِدُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ مِنْ لَدُنْ يُعِثَّ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ تَقُومُ السَّاعَةُ .

وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا خِلَافٌ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَأَنَّهُ قَالَ لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ ، فَعَلِمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ مِنَ الْمُمْتَنِعِ بِالسَّمْعِ أَنْ يَتَمَالَا الْعَالَمُ كُلُّهُمْ شَرْقًا وَغَرْبًا مِنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى اتِّبَاعِ الْقَوَانِينِ الْبَشَرِيَّةِ وَعَدَمِ الْمَبَالَاةِ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ وَلَوْ وَاحِدٌ يُنْكِرُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكُلِّ إِمَّا بِلِسَانِهِ أَنْ أَمْكَنَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَفْتِكُوا بِهِ وَإِمَّا بِقَلْبِهِ وَظَنَّ الْفِتْكَ بِهِ كَمَا قَدْ كَانَ أَيَّامَ الْأُسْتَبْدَادِ .

وَالْغَرَضُ بَيَانُ أَنَّ طَائِفَةً عَلَى الْحَقِّ لَا تَزَالُ تُقَاتِلُ وَتُجَاهِدُ عَلَى تَحْكِيمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِاللِّسَانِ وَالْبَيَانِ وَالْبَدَنِ وَالسَّنَنِ وَالْمَالِ وَكُلِّ مُمَكِّنٍ لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ وَأَنَّ بِهِ يَتِمُّ نِظَامُ الْعَدْلِ وَالْمُلْكِ وَالِدِينِ وَالْدُّنْيَا وَبِهِ يَسْتَقِيمُ أَمْرُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ وَتَكْمُلُ لَهُمُ الرَّاحَةُ وَالْأَمْنُ وَالْحُرِّيَّةُ التَّامَةُ وَالسِّيَاسَةُ الْعَامَةُ لِجَمِيعِ الْمَلَلِ وَالرَّعَايَا الْمُخْتَلِفَةِ الْأَصْنَافِ وَالْأَلْسِنَةِ وَالْأَمْزَجَةِ .

وَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا فَلْيَنْظُرِ الْفَرْقَ بَيْنَ حَالِ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْقُرُونِ الْمُتَأَخِّرَةِ الَّتِي عَطَلَتْ فِيهَا حُدُودُ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامُهَا وَحَالِهِ فِي الْقُرُونِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي مَا كَانَتْ عَلَى شَيْءٍ أَحْفَظَ مِنْهَا عَلَى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَأَرْغَى لَهَا يَجِدُ الْفَرْقَ كَمَا بَيْنَ الثَّرَى وَالثَّرِيَّا وَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

نَزَلُوا بِمَكَّةَ فِي قَبَائِلِ هَاشِمٍ
وَنَزَلْتُ بِالْبَيْدَاءِ أَبْعَدَ مَنْزِلِ

أَلَا تَرَى أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم فَتَحُوا مَا فَتَحُوا مِنْ أَقَالِيمِ الْبُلْدَانِ وَنَشَرُوا الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ
وَالْقُرْآنَ فِي مُدَّةٍ نَحْوِ مِائَةِ سَنَةٍ مَعَ قَلِيلَةٍ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَعُدْدِهِمْ وَضِيقِ ذَاتِ
يَدِهِمْ وَنَحْنُ مَعَ كَثْرَةِ عُدْدِنَا وَوَفَرَةِ عَدْدِنَا وَهَائِلِ ثُرُوتِنَا وَطَائِلِ قُوَّتِنَا لَا
نَزْدَادُ إِلَّا ضَعْفًا وَتَقَهُّرًا إِلَى الْوَرَى وَذُلًّا وَحَقَارَةً فِي عُيُونِ الْأَعْدَاءِ ذَلِكَ
لِأَن مَنْ لَا يَنْصُرُ دِينَ اللَّهِ لَا يَنْصُرُهُ اللَّهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ فَتَرْتَبِ نَصْرُهُمْ عَلَى نَصْرِهِ
بِإِقَامَةِ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا
يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ جَرَجًا
مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

فَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ تَحْكِيمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَقَدْ أَقْسَمَ
سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا . وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُلْتَزِمًا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِكُنْ عَصَى وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْعَصَاةِ فَمَنْ لَمْ
يَلْتَزِمْ حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى الْأُمَّةِ فِي كُلِّ مَا
تَنَازَعَتْ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الْأَعْتِقَادِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ .

فَالْأُمُورُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الْأُمَّةِ لَا يُحْكَمُ فِيهَا إِلَّا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَيْسَ
لِأَحَدٍ أَنْ يُلْزِمَ النَّاسَ بِقَوْلِ عَالِمٍ وَلَا أَمِيرٍ وَلَا شَيْخٍ وَلَا مَلِكٍ وَحُكَّامُ
الْمُسْلِمِينَ فِي الْأُمُورِ الْمُعَيَّنَةِ لَا يَحْكُمُونَ فِي الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ وَإِذَا حَكَمُوا فِي
الْمُعَيَّنَاتِ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَحْكُمُوا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا فِي سُنَّةِ
رَسُولِ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا اجْتِهَادَ الْحَاكِمِ بِرَأْيِهِ انْتَهَى .

لأنَّه صلى الله عليه وسلَّم لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ بِمَ تَحْكُمُ
 قَالَ بَكِتَابِ اللَّهِ قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَالَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه
 وسلَّم قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِي قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ
 رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَّم لِمَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله
 عليه وسلَّم .

وفي كِتَابِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُرْوَةَ كَتَبَتْ إِلَيَّ تَسْأَلُنِي عَنْ
 الْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ وَإِنْ رَأَسَ الْقَضَاءِ اتَّبَاعُ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ الْقَضَاءُ
 بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَّم ثُمَّ بِحُكْمِ أَيْمَةِ الْهُدَى ثُمَّ اسْتِشَارَةِ
 ذَوِي الْعِلْمِ وَالرَّأْيِ وَذَكَرَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ كَانَ ابْنُ شُبْرُمَةَ يَقُولُ :

مَا فِي الْقَضَاءِ شَفَاعَةٌ لِمُخَاصِمٍ
 عِنْدَ اللَّيْلِ وَلَا الْفَقِيهِ الْعَالِمِ
 هَوْنٌ عَلَيَّ إِذَا قُضِيَتْ بِسُنَّةٍ
 أَوْ بِالْكِتَابِ بِرَغْمِ أَنْفِ الرَّاعِمِ
 وَقُضِيَتْ فِيمَا لَمْ أَجِدْ أَثْرًا بِهِ
 بِنَظَائِرٍ مَعْرُوفَةٍ وَمَعَالِمِ

وَعَنْ بَنِي وَهْبٍ قَالَ : قَالَ مَالِكُ الْحُكْمُ حُكْمَانِ حُكْمُ جَاءَ بِهِ كِتَابُ
 اللَّهِ وَحُكْمُ أَحْكَمَتُهُ السُّنَّةُ قَالَ وَمُجْتَهِدُ رَأْيُهُ فَلَعَلَّهُ يُوفَّقُ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
 الْآيَةُ .

فَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِأَجَلٍ مُقَسَّمٍ بِهِ وَهُوَ نَفْسُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبُتُ

لَهُمْ إِيمَانٌ وَلَا يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِهِ حَتَّى يُحْكِمُوا الرُّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ مَوَارِدِ التَّرَاجِ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الدِّينِ فَإِنَّ لَفْظَةَ (مَا) مِنْ صِيغِ الْعُمُومِ تَقْتَضِي نَفْيَ الْإِيمَانِ أَوْ يُوجَدُ تَحْكِيمُهُ فِي جَمِيعِ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ .

وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى هَذَا حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ ائْتِزَاحُ صُدُورِهِمْ بِحُكْمِهِ حَيْثُ لَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ خَرَجًا وَهُوَ الضُّيُوقُ وَالْحَضَرُ مِنْ حُكْمِهِ بَلْ يَقْبَلُوا حُكْمَهُ بِالْاِئْتِزَاحِ وَيُقَابِلُوهُ بِالتَّسْلِيمِ لَا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهُ عَلَى إِغْمَاضٍ وَيَشْرَبُونَ عَلَى قَذَى فَإِنَّ هَذَا مُنَافٍ لِلْإِيمَانِ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَخْذُهُ بِقَبُولٍ وَرِضَا وَائْتِزَاحٍ صُدُورٍ .

وَمَتَى أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَعْلَمَ هَذَا فَلْيَنْظُرْ فِي حَالِهِ وَيُطَالِعْهُ فِي قَلْبِهِ عِنْدَ وُرُودِ حُكْمِهِ عَلَى خِلَافِ هَوَاهُ وَغَرَضِهِ فَسُبْحَانَ اللَّهِ كَمْ مِنْ خَزَازَةٍ فِي نَفُوسٍ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ وَبُودِهِمْ أَنْ لَوْ لَمْ تَرُدُّوهُمْ مِنْ خَرَارَةٍ فِي أَكْبَادِهِمْ مِنْهَا وَكَمْ مِنْ شَجَى فِي حُلُوقِهِمْ مِنْهَا وَمِنْ مُورِدِهَا سَتَبْدُو لَهُمْ تِلْكَ السَّرَائِرُ بِالَّذِي يَسُوءُ وَيَخْزِي يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ .

ثُمَّ لَمْ يَقْتَصِرْ سُبْحَانَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى ضَمَّ إِلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا فَذَكَرَ الْفِعْلَ مُؤَكَّدًا بِمُضَدِّهِ الْقَائِمِ مَقَامَ ذِكْرِهِ مَرَّتَيْنِ وَهُوَ الْخُضُوعُ لَهُ وَالْانْقِيَادُ لِمَا حَكَمَ بِهِ طَوْعًا وَرِضًا وَتَسْلِيمًا لَا قَهْرًا وَمُضَابَرَةً كَمَا يُسَلِّمُ الْمُقَهَّورُ لِمَنْ قَهَرَهُ كُرْهًا بَلْ تَسْلِيمٌ عِنْدَ مُطِيعٍ لِمَوْلَاهُ وَسَيِّدِهِ الَّذِي هُوَ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ يَعْلَمُ أَنَّ سَعَادَتَهُ وَفَلَاحَهُ فِي تَسْلِيمِهِ إِلَيْهِ وَيَعْلَمُ بَأَنَّهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَبْرَ بِهِ مِنْهَا وَأَرْحَمُ بِهِ مِنْهَا وَأَنْصَحَ لَهُ مِنْهَا وَأَعْلَمَ بِمَصَالِحِهِ مِنْهَا وَأَقْدَرَ عَلَى تَخْلِيلِهَا .

وتأمل لهذا المعنى المذكور في الآية بوجوه عديدة من التأكيد أولها تصديرها بالقسم يتضمن المقسم عليه وهو قوله لا يؤمنون وثانيها : تأكيده بنفس القسم وثالثها تأكيده بالمقسم به وهو إقسامه بنفسه لا بشيء من مخلوقاته ورابعاً تأكيده بانتفاء الحرج وهو وجود التسليم وخامسها تأكيد الفعل بالمصدر وما هذا إلا لشدّة الحاجة إلى هذا الأمر العظيم . وأنه مما يعتنى به ويقرر في نفوس العباد .

فصل

قال ابن القيم رحمه الله :

لَمَّا أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْ تَحْكِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُحَاكَمَةِ إِلَيْهِمَا وَاعْتَقَدُوا عَدَمَ الْاِكْتِفَاءِ بِهِمَا وَعَدَلُوا إِلَى الْأَرَاءِ وَالْقِيَاسِ وَالِاسْتِحْسَانِ وَأَقْوَالِ أَهْلِ الْأَرَاءِ عَرَضَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فَسَادٌ فِي فِطْرِهِمْ وَظُلْمَةٌ فِي قُلُوبِهِمْ وَكَذَرٌ فِي أَفْهَامِهِمْ وَمَخَقٌ فِي عُقُولِهِمْ فَعَمَّتَهُمْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى رَبَى فِيهَا الصَّغِيرُ وَهَرَمَ عَلَيْهَا الْكَبِيرُ فَلَمْ يَرَوْهَا مُنْكَرًا .

فَجَاءَتْهُمْ دَوْلَةٌ أُخْرَى أَقَامَتْ فِيهَا الْبِدْعَ مَقَامَ السُّنَنِ وَالْهَوَى مَقَامَ الرُّشْدِ وَالضَّلَالَ مَقَامَ الْهِدَايَةِ وَالْمُنْكَرَ مَقَامَ الْمَعْرُوفِ وَالْجَهْلَ مَقَامَ الْعِلْمِ وَالرِّيَاءَ مَقَامَ النَّصِيحَةِ وَالظُّلْمَ مَقَامَ الْعَدْلِ فَصَارَتْ الدَّوْلَةُ وَالْغَلْبَةُ لِهَذِهِ الْأُمُورِ وَأَهْلُهَا هُمُ الْمُشَارُ إِلَيْهِمْ .

فَإِذَا رَأَيْتَ هَذِهِ الْأُمُورَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَرَايَاتُهَا قَدْ نُصِبَتْ وَجُيُوشُهَا قَدْ رَكِبَتْ قَبْطُنُ الْأَرْضِ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا وَقُلُلُ الْجِبَالِ خَيْرٌ مِنَ السُّهُولِ وَمُخَالَطَةُ الْوَحْشِ أَسْلَمُ مِنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ .

اقْشَعَرَّتِ الارْضُ وَأَظْلَمَتِ السَّمَاءُ وَظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ
ظُلْمِ الْفَجْرِ وَذَهَبَتِ الْبَرَكَاتُ وَقَلَّتِ الْخَيْرَاتُ وَهَزَلَتِ الْوُحُشُ وَتَكَدَّرَتِ
الْحَيَاةُ مِنْ فِسْقِ الظُّلْمَةِ وَبَكَى ضَوْءُ النَّهَارِ وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ مِنَ الْأَعْمَالِ
الْخَبِيثَةِ وَالْأَفْعَالِ الْفِظْيِعَةِ. وَشَكَا الْكِرَامُ الْكَتَاتِيُونَ وَالْمُعَقَّبَاتُ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ
كَثْرَةِ الْفَوَاحِشِ وَغَلَبَةِ الْمُتَكَرَّاتِ وَالْقَبَائِحِ .

وَهَذَا وَاللَّهِ مُنْذِرٌ بِسَبِيلِ عَذَابٍ قَدْ انْعَقَدَ عَمَامُهُ وَمُؤِذِنٌ بَلِيلٌ قَدْ
أَذْلَهُمْ ظِلَامُهُ فَأَعْزِلُوا عَنْ طَرِيقِ هَذَا السَّبِيلِ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ مَا دَامَتِ التَّوْبَةُ
مُمَكِّنَةً وَبَابُهَا مَفْتُوحًا وَكَأَنَّكُمْ بِالْبَابِ وَقَدْ أُغْلِقَ وَبِالرُّهْنِ وَقَدْ غُلِقَ وَبِالْجَنَاحِ
وَقَدْ غُلِقَ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

وَقَالَ :

وَاللَّهِ مَا خَوْفِي الدُّنُوبَ فَإِنَّهَا
لَعَلَى سَبِيلِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاخَ الْقَلْبِ مِنْ
تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
وَرِضًا بِآرَاءِ الرِّجَالِ وَخَرَصِهَا
لَا كَانَ ذَلِكَ بِمِنَّةِ الْمَنَانِ
فَبَائِي وَجْهِ التَّقَى رَبِّي إِذَا
أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الْوَحْيِ طَوْلَ زَمَانٍ
وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أَرِيدُ لِأَجْلِهِ
عَزْلًا حَقِيقِيًّا بِلا كِثْمَانٍ

فصل

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي رَدِّهِ عَلَى مُحَكِّمِي الْقَوَانِينِ : إِنَّ مِنَ الْكُفْرِ الْأَكْبَرِ الْمُسْتَبِينَ تَنْزِيلُ الْقَانُونِ اللَّعِينِ مَنْزِلَةً مَا نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ فِي الْحُكْمِ بِهِ بَيْنَ الْعَالَمِينَ وَالرَّدُّ إِلَيْهِ عِنْدَ تَنَازُعِ الْمُتَنَازِعِينَ مَنَاقِضَةً وَمُعَانِدَةً لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » .

وَقَدْ نَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ عَنْ مَنْ لَمْ يُحَكِّمْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ نَفْيًا مُؤَكَّدًا بِتَكَرُّرِ أَدَاةِ النَّفْيِ وَبِالْقَسَمِ قَالَ تَعَالَى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

قَالَ وَتَأَمَّلْ . مَا فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الْآيَةُ كَيْفَ ذَكَرَ النِّكَرَةَ وَهِيَ قَوْلُهُ شَيْءٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ ﴾ الْمَفِيدُ الْعُمُومِ فِيمَا يُتَصَوَّرُ التَّنَازُعُ فِيهِ جِنْسًا وَقَدْرًا .

ثُمَّ تَأَمَّلْ كَيْفَ جَعَلَ ذَلِكَ شَرْطًا فِي حُصُولِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بِقَوْلِهِ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ثُمَّ قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ ذَلِكَ خَيْرٌ فَشَيْءٌ يُطْلَقُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ خَيْرٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ شَرٌّ أَبَدًا بَلْ هُوَ خَيْرٌ مَحْضٌ عَاجِلًا وَآجِلًا .

ثُمَّ قَالَ ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أَيْ عَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَيُفِيدُ أَنَّ الرَّدَّ إِلَى غَيْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ التَّنَازُعِ شَرٌّ مَحْضٌ وَأَسْوَأُ

عَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَكْسَ مَا يَقُولُهُ الْمُنَافِقُونَ « إِن أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا » وَقَوْلِهِمْ « إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ » .

وَلِهَذَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَائِلًا « أَلَا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ » وَعَكْسُ مَا يَقُولُهُ الْقَانُونِيُّونَ مِنْ حُكْمِهِمْ عَلَى الْقَانُونِ بِحَاجَةِ الْعَالَمِ بَلْ ضَرُورَتِهِمْ إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ وَهَذَا سُوءُ ظَنٍّ صِرَفٌ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَحْضَرُ اسْتِنْقَاصٍ لِبَيَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْحُكْمِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْكِفَايَةِ لِلنَّاسِ عِنْدَ التَّنَازُعِ وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ هَذَا لَازِمٌ لَهُمْ .

قَالَ وَقَدْ نَفَى اللَّهُ الْإِيمَانَ عَنْ مَنْ أَرَادَ التَّحَاكُمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى « أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا » .

فَإِنْ قَوْلُهُ « يَزْعُمُونَ تَكْذِيبٌ لَهُمْ فِيمَا أَدَّعَوْهُ مِنَ الْإِيمَانِ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ التَّحَاكُمُ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَصْلًا بَلْ أَحَدُهُمَا يُنَافِي الْآخَرَ وَالطَّاغُوتُ مُشْتَقٌّ مِنَ الطُّغْيَانِ وَهُوَ مُجَاوِزُهُ الْحَدَّ فَكُلُّ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ حَاكَمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ حَكَمَ بِالطَّاغُوتِ وَحَاكَمَ إِلَيْهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ حَقِّ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ حَكَمَ بِخِلَافِهِ أَوْ حَاكَمَ

إلى خلافه فَقَدْ طَعَى وَجَاوَزَ حَدَّهُ حُكْمًا أَوْ تَحَكِيمًا فَصَارَ بِذَلِكَ طَاغُوتًا
لِتَجَاوِزِهِ حَدَّهُ .

قَالَ وَتأملُ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ تَعْرِفُ مِنْهُ
مُعَانَدَةَ الْقَانُونِيِّينَ وَإِرَادَتَهُمْ خِلَافَ مُرَادِ اللَّهِ مِنْهُمْ حَوْلَ هَذَا الصَّدَدِ فَالْمُرَادُ
مِنْهُمْ شَرْعًا وَالَّذِي تُعْبَدُوا بِهِ هُوَ الْكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ لَا تَحَكِيمُهُ « فَبَدَّلَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ » .

ثُمَّ تَأَمَّلُ قَوْلَهُ ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ كَيْفَ دَلَّ
عَلَى أَنَّ ذَلِكَ ضَلَالٌ وَهَؤُلَاءِ الْقَانُونِيُّونَ يَرَوْنَهُ مِنَ الْهُدَى كَمَا دَلَّتِ الْآيَةُ
عَلَى أَنَّهُ مِنْ إِرَادَةِ الشَّيْطَانِ عَكْسُ مَا يَتَصَوَّرُهُ الْقَانُونِيُّونَ فَتَكُونُ عَلَى
رَءْيِهِمْ مُرَادَاتُ الشَّيْطَانِ هِيَ صَلَاحُ الْإِنْسَانِ وَمُرَادُ الرَّحْمَنِ وَمَا بَعَثَ بِهِ
سَيِّدَ وَلَدِ عَدْنَانَ مَعْزُولًا مِنْ هَذَا الْوَصْفِ وَمُنْحَى عَنْ هَذَا الشَّانِ .

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى مُنْكَرًا عَلَى هَذَا الضَّرْبِ مِنَ النَّاسِ وَمُقَرَّرًا إِبْتِغَاءَهُمْ
أَحْكَامَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَوْضِعًا أَنَّهُ لَا حُكْمَ أَحْسَنَ مِنْ حُكْمِهِ « أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ
يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » .

فَتَأَمَّلُ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ وَكَيْفَ دَلَّتْ أَنَّ قِسْمَةَ الْحُكْمِ ثُنَائِيَّةٌ وَأَنَّهُ
لَيْسَ بَعْدَ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا حُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ الْمَوْضُحُ أَنَّ الْقَانُونِيِّينَ فِي
زُمْرَةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَاؤُوا أَمْ أَبَوْا بَلْ هُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنْهُمْ وَأَكْذَبُ مِثْلَهُمْ
مَقَالًا ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ لَا تَنَافُسَ لَدَيْهِمْ حَوْلَ هَذَا الصَّدَدِ .

وَأَمَّا الْقَانُونِيُّونَ فَمُتَنَاقِضُونَ حَيْثُ يَزْعُمُونَ الْإِيمَانَ بِمَا جَاءَ بِهِ

الرسول صلى الله عليه وسلم وَيُنَاقِضُونَ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) .

ثُمَّ انْظُرْ كَيْفَ رَدَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى الْقَانُونِيِّينَ مَا زَعَمُوهُ مِنْ حُسْنِ زُبَالَةِ أَذْهَانِهِمْ وَنُحَاتَةِ أَفْكَارِهِمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ .

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : يُنَكِّرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدَلَ إِلَى مَا سِوَاهُ فِي الْأَرَآءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْإِضْطِلَاحَاتِ الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ بِلا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ مِمَّا يَضَعُونَهُ بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّارُّ مِنْ السِّيَاسَاتِ الْمَلِكِيَّةِ الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَا يُحْكَمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ قَالَ تَعَالَى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ وَعَنْ حُكْمِ اللَّهِ يَعْدِلُونَ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أَيُّ وَمَنْ أَعَدَلَ مِنَ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ لِمَنْ عَقَلَ مِنَ اللَّهِ شَرْعَهُ وَآمَنَ بِهِ وَابْتَقَنَ وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلِدِهَا فَإِنَّهُ تَعَالَى الْعَالَمِ بِكُلِّ شَيْءٍ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .

وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ .

فَانْظُرْ كَيْفَ سَجَّلَ تَعَالَى عَلَى الْحَاكِمِينَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِالْكَفْرِ
وَالظُّلْمِ وَالْفِسْقِ وَمِنَ الْمُؤْتِنِ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحَاكِمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ كَافِرًا وَلَا يَكُونُ كَافِرًا بَلْ هُوَ كَافِرٌ مُطْلَقًا إِمَّا كُفْرُ عَمَلٍ وَإِمَّا كُفْرُ
اعْتِقَادٍ .

وَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ يَذُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَاكِمَ بِغَيْرِ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ كَافِرٌ إِمَّا كُفْرُ اعْتِقَادٍ نَاقِلٍ عَنِ الْمِلَّةِ وَإِمَّا كُفْرُ عَمَلٍ لَا يَنْقُلُ عَنِ
الْمِلَّةِ .

قَالَ وَهَذِهِ الْمَحَاكِمُ الْآنَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ مُهَيَّأَةٌ مَفْتُوحَةٌ
الْأَبْوَابِ وَالنَّاسُ إِلَيْهَا أُسْرَابٌ إِثْرُ أُسْرَابٍ يَحْكُمُ حُكَّامُهَا بَيْنَهُمْ فِيمَا يُخَالِفُ
حُكْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَحْكَامِ ذَلِكَ الْقَانُونِ وَتُلْزِمُهُمْ بِهِ وَتُحْتَمُّ عَلَيْهِمْ
فَأَيُّ كُفْرٍ فَوْقَ هَذَا الْكُفْرِ وَأَيُّ مُنَاقَضَةٍ لِلشَّهَادَةِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ
هَذِهِ الْمُنَاقَضَةِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعِزَّةَ عَنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى قَوْلِهِ
الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ .

وَمِمَّا قِيلَ فِي الْحِثِّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا قَالَهُ
الصَّنْعَانِيُّ :

وَلَيْسَ إغْتِرَابُ الدِّينِ إِلَّا كَمَا تَرَى

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْإِغْتِرَابِ إِيَابُ

وَلَمْ يَتَّقِ لِلرَّاجِي سَلَامَةً دَيْنِهِ

سِوَى عُزْلَةٍ فِيهَا الْجَلِيسُ كِتَابُ

كِتَابُ حَوَى كُلِّ الْعُلُومِ وَكُلَّمَا

حَوَاهُ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ صَوَابُ

فَإِنْ رُمْتَ تَارِيخاً رَأَيْتَ عَجَائِباً
تَرَى آدَمًا إِذْ كَانَ وَهُوَ تُرَابٌ
وَلَا قِيَتَ هَابِيلاً قَتِيلَ شَقِيقِهِ
يُوَارِيهِ لَمَّا أَنْ أَرَاهُ غُرَابٌ
وَتَنْظُرُ نَوْحاً وَهُوَ فِي الْفُلِّ قَدْ طَغَى
عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ عُبابٌ
وَأَنْ شِئْتَ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ وَقَوْمَهُمْ
وَمَا قَالَ كُلُّ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا
وَجَنَاتٍ عَذْنٍ حُورَهَا وَنَعِيمَهَا
وَنَاراً بِهَا لِلْمُشْرِكِينَ عَذَابٌ
فَتِلْكَ لِأَرْبَابِ التُّقَاءِ وَهَذِهِ
لِكُلِّ شَقِيٍّ قَدْ حَوَاهُ عِقَابٌ
وَأَنْ تُرِيدَ الْوَعْظَ الَّذِي إِنْ عَقَلْتَهُ
فَأَنْ دُمُوعَ الْعَيْنِ عَنْهُ جَوَابٌ
تَجِدُهُ وَمَا تَهْوَاهُ مِنْ كُلِّ مَشْرَبٍ
وَلِلرُّوحِ مِنْهُ مَطْعَمٌ وَشَرَابٌ
وَأَنْ رُمْتَ إِبْرَارَ الْأَدِلَّةِ فِي الَّذِي
تُرِيدُ فَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ تَجَابٌ
تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ فِيهِ قَوَاطِعُ
بِهَا قُطِعَتْ لِلْمُلْجِدِينَ رِقَابُ
وَمَا مَطْلَبٌ إِلَّا وَفِيهِ دَلِيلُهُ
وَلَيْسَ عَلَيْهِ لِلذُّكِيِّ حِجَابٌ

وَفِيهِ الدَّوَاءُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فَتَقِ بِهِ
 فَوَاللهُ مَا عَنْهُ يَنْوُبُ كِتَابُ
 يُرِيكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَغَيْرُهُ
 مَفَاوِزُ جَهْلِ كُلِّهَا وَشِعَابُ
 يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الْجَدِيدَيْنِ جَدَّةً
 فَأَلْفَظُهُ مَهْمَا تَلَوْتَ عَذَابُ
 وَآيَاتُهُ فِي كُلِّ جِنِّ طَرِيقَةٌ
 وَتَبْلُغُ أَقْصَى الْعُمُرِ وَهِيَ كِعَابُ
 وَفِيهِ هُدًى لِلْعَامِلِينَ وَرَحْمَةٌ
 وَفِيهِ عُلُومٌ جَمَّةٌ وَثَوَابُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَّفْتَ
 فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ مُتَتَفِعِينَ ، وَإِلَى لَذِيذِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ ، وَلِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ
 خَاضِعِينَ وَبِالْأَعْمَالِ مُخْلِصِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

فِي فَضَائِلِ ذِكْرِ اللَّهِ

يُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَلَا سِيَّماً فِي
 رَمَضَانَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ وَقَالَ : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾
 وَقَالَ : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ
 كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَادْكُرْ

رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخَفِيَّةً ﴿١﴾ . الآية ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي
الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ
العظيم » متفق عليه .

وعنه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ
أَكْبَرُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ » رواه مسلم .

وعنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِزٌّ رِقَابٍ وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ
حَسَنَةٍ وَمَحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ جِزْرًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ
حَتَّى يُمِيسَى ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ
مِنْهُ » ، وقال : « مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ
عَنْهُ خَطَايَاهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » متفق عليه .

وعن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : « مَنْ قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ
الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ ، كَانَ كَمَنْ
اعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه

وَسَلَّمَ : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ » قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ
أُخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ ، فَقَالَ : « إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ
سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ » رواه مسلم .

وَعَنْ عُمَرُ بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ مِائَةً بِالْغَدَاةِ وَمِائَةً بِالْعِشِيِّ كَانَ كَمَنْ حَجَّ مِائَةً
حَجَّةٍ وَمَنْ حَمِدَ اللَّهَ مِائَةً بِالْغَدَاةِ وَمِائَةً بِالْعِشِيِّ كَانَ كَمَنْ حَمَلَ عَلَى مِائَةٍ
فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ قَالَ غَزَا مِائَةَ غَزْوَةٍ وَمَنْ هَلَّلَ اللَّهَ مِائَةً بِالْغَدَاةِ
وَمِائَةً بِالْعِشِيِّ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ مِائَةَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ مِائَةً
بِالْغَدَاةِ وَمِائَةً بِالْعِشِيِّ لَمْ يَأْتِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَحَدٌ بِأَكْثَرِ مِمَّا أَتَى بِهِ إِلَّا مَنْ
قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَى مَا قَالَ رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن
غريب .

وفي الصحيحين عن علي أن فاطمة أتت النبي صلى الله عليه
وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرّحى ، وبلغها أنه جاء رقيق فلم
تصادفه فذكرت ذلك لعائشة فذهبتا تقوم فقال علي مكانكما فجاء وقعد
بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه علي بطني فقال ألا أدلكما على خير
مما سألتما ، إذا أخذتما مضجعكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمداً ثلاثاً
وثلاثين وكبراً أربعاً وثلاثين فهو خير لكم من خادم .

وجاء عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكلّ الله به سبعين ألف
ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن

قَالَهَا حِينَ يُمَسِّي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ حُسْنُهُ التَّرْمِذِيُّ وَغَرَبُهُ .

اللَّهُمَّ اكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيِّدْنَا بِنُورٍ مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ اللَّهُمَّ وَافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْل)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله . صلى
الله عليه وسلم يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ (جُمْدَانُ)
فَقَالَ : « سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ » قَالُوا : وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ » رواه مسلم .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ » متفق عليه .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله ﴿ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ
ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ » متفق
عليه .

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كُنْزٍ مِنْ
كُنُوزِ الْجَنَّةِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » متفق عليه .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يَقُولُ : أنا مع عَبْدِي إذا ذَكَرَنِي » وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ » رواه البخاري .

وعن عبد الله بن بُسْرِ - رضي الله عنه - أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ ، قَالَ : « لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ » . رواه الترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وصححه ابن حبان والحاكم . وَرَوَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَاكُرُ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ مَغْفُورٌ لَهُ ، وَسَائِلُ اللَّهِ فِيهِ لَا يَخِيبُ » رواه الطبراني في (الاوسط) والبيهقي ، والاصبهاني .

وعن أبي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » أخرجه النسائي ، وصححه ابن حبان والحاكم .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى ، قَالَ ذِكْرُ اللَّهِ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ قَالَ : « جَاءَ أَعْرَابِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ فَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا

وَلِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

قال ابن القيم رحمه الله قراءة القرآن أفضل من الذكر والذكر أفضل من الدعاء هذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل وهذا كالسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن بل فيهما بل منهي عنها نهى تحريم أو كراهة .

لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال : (يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ألا وإنني نهيْتُ أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً ، أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم) رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود .

وكذا التسبيح والتحميد في مجليهما أفضل من القراءة وكذا الشهد وكذلك رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني بين السجدةين أفضل من القراءة وكذلك الذكر عقب السلام من الصلاة - ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة .

وكذلك إجابة المؤذن والقول كما يقول أفضل من القراءة وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه لكن لكل مقام مقال متى فات مقالته فيه وعدل عنه إلى غيره اختلت الحكمة وفقدت المصلحة منه .

وَهَكَذَا الْأَذْكَارُ الْمُقَيَّدَةُ بِمَحَالٍ مَخْصُوصَةٍ أَفْضَلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ
 الْمُطْلَقَةِ وَالْقِرَاءَةُ الْمُطْلَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَذْكَارِ الْمُقَيَّدَةِ بِمَحَالٍ مَخْصُوصَةٍ ،
 وَالْقِرَاءَةُ الْمُطْلَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَذْكَارِ الْمُطْلَقَةِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَغْرُضَ لِلْعَبْدِ مَا
 يَجْعَلُ الذِّكْرَى أَوْ الدُّعَاءُ أَنْفَعَ لَهُ مِنَ الْقُرْآنِ مِثَالُهُ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي ذُنُوبِهِ
 فَيُحَدِّثُ لَهُ تَوْبَةً مِنْ اسْتِغْفَارٍ أَوْ يَغْرُضُ لَهُ مَا يَخَافُ أَذَاهُ مِنْ شَيَاطِينِ
 الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَيَعْدِلُ إِلَى الْأَذْكَارِ الْمُقَيَّدَةِ بِمَحَالٍ مَخْصُوصَةٍ ، وَالْقِرَاءَةُ
 الْمُطْلَقَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَذْكَارِ الْمُطْلَقَةِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَغْرُضَ لِلْعَبْدِ مَا يَجْعَلُ
 الذِّكْرَى أَوْ الدُّعَاءُ أَنْفَعَ لَهُ مِنَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مِثَالُهُ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي ذُنُوبِهِ
 فَيُحَدِّثُ لَهُ تَوْبَةً مِنْ اسْتِغْفَارٍ أَوْ يَغْرُضُ لَهُ مَا يَخَافُ أَذَاهُ مِنْ شَيَاطِينِ
 الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَيَعْدِلُ إِلَى الْأَذْكَارِ وَالِدُّعَوَاتِ الَّتِي تُحَصِّنُهُ وَتَحُوطُهُ .

وَكَذَلِكَ أَيْضاً قَدْ يَغْرُضُ لِلْعَبْدِ حَاجَةً ضَرْوِيَّةً إِذَا اشْتَغَلَ عَنْ
 سُؤْلِهَا بِقِرَاءَةٍ وَذَكَرَ لَمْ يَخْضُرْ قَلْبُهُ فِيهَا وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى سُؤْلِهَا وَالدُّعَاءِ
 إِلَيْهَا اجْتَمَعَ قَلْبُهُ كُلُّهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَحْدَثَ لَهُ تَضَرُّعاً وَخُشُوعاً وَابْتِهَالاً
 فَهَذَا قَدْ يَكُونُ اسْتِغَالُهُ بِالدُّعَاءِ وَالْحَالَةَ هَذِهِ أَنْفَعَ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنَ الْقِرَاءَةِ
 وَالذِّكْرِ أَفْضَلَ وَأَعْظَمَ أَجْراً .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ إِنْ لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا
 قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ .

قَالَ فَيَحْفُوفُهُمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ
 أَعْلَمُ بِهِمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالَ يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيَكْبِرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ
 وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ

كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي .

قال فيقولون لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قال فيقول فَمَا يَسْأَلُونَ قَالُوا يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قال فيقول : وَهَلْ رَأَوْهَا فيقولون لَا وَاللَّهِ يَا رَبُّ مَا رَأَوْهَا قال يقول فكيف لو رَأَوْهَا .

قال يقولون لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا لَكَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قال فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ قال يقولون مِنَ النَّارِ قال فَهَلْ رَأَوْهَا قال يقولون لَا وَاللَّهِ يَا رَبُّ مَا رَأَوْهَا قال يقول فكيف لو رَأَوْهَا قال يقولون لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً .

قال فيقول فاشهدكم أَنِّي غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِمْ فَلَانُ فَلَانُ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قال هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ وَلِذَلِكَ حَثَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجُلُوسِ فِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ وَشَبَّهَهُ بِرَوْضَةِ الْجَنَّةِ .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا قَالُوا وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ قَالَ جَلَّتْ الذِّكْرُ وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جَنَفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَسَدِيِّ قَالَ لَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ

فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ
وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ ذَلِكَ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
نَكُونُ عِنْدَكَ وَتَذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ
عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَدْرُسُونَ
عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي
طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ إِذَا حَصَلَ الْإِنْسُ بِذِكْرِ اللَّهِ انْقَطَعَ عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ
وَمَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي يُفَارِقُ عِنْدَ الْمَوْتِ فَلَا يَبْقَى مَعَهُ فِي الْقَبْرِ
أَهْلٌ وَلَا مَالٌ وَلَا وَلَدٌ وَلَا وَلَايَةٌ وَلَا يَبْقَى إِلَّا عَمَلُهُ الصَّالِحُ ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا
وَلَاهُ .

فَإِنْ كَانَ قَدْ أُنْسَ بِهِ تَمَتَّعَ بِهِ وَتَلَذَّذَ بِانْقِطَاعِ الْعَوَاقِبِ الصَّارِفَةِ عَنْهُ إِذْ
ضُرُورَاتُ الْحَاجَاتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ وَلَا يَبْقَى بَعْدَ الْمَوْتِ عَائِقُ فَكَأَنَّهُ خُلِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ فَعَظُمَتْ
غِبْطَتُهُ وَتَخَلَّصَ مِنَ السَّجَنِ الَّذِي كَانَ مَمْنُوعًا بِهِ عَمَّا بِهِ أُنْسُهُ .

وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ
فِي رُوعِي « أَحِبُّ مَا أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ أَرَادَ بِهِ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا فَإِنَّ
ذَلِكَ يَفْنَى بِالْمَوْتِ فِي حَقِّهِ فَكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنْ وَبِقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْإِيمَانَ هَادِمًا لِلْسَيِّئَاتِ ، كَمَا جَعَلْتَ الْكُفْرَ عَادِمًا
لِلْحَسَنَاتِ وَوَفَّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، واجعلنا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ
فَكَفَيْتَهُ ، وَاسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ وَدَعَاكَ فَأَجَبْتَهُ ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
على محمد وآله وصحبه أجمعين

« فصل في فوائد ذكر الله تعالى »

قال ابن القيم - رحمه الله - : وفي ذكرِ الله أكثر من مائة فائدة
يرضي الرحمن ويطرُد الشيطان ويُرِيْلُ الهَمَّ وَيَجْلِبُ الرِّزْقَ وَيَكْسِبُ
الْمَهَابَةَ وَالْحَلَاوَةَ وَيُورِثُ مَحَبَّةَ اللَّهِ الَّتِي هِيَ رُوحُ الْإِسْلَامِ .

وَيُورِثُ الْمَعْرِفَةَ وَالْإِنَابَةَ وَالْقُرْبَ وَحَيَاةَ الْقَلْبِ وَذِكْرُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ وَهُوَ
قُوَّةُ الْقَلْبِ وَرُوحُهُ وَيَجْلِي صَدَاهُ وَيَحُطُّ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ وَيُحْدِثُ
الْأُنْسَ وَيُزِيلُ الْوَحْشَةَ .

وَيُذَكِّرُ بِصَاحِبِهِ وَيُنْجِي مِنَ عَذَابِ اللَّهِ وَيُوجِبُ تَنْزُلَ السَّكِينَةِ
وَعَشْيَانَ الرَّحْمَةِ وَخُفُوفَ الْمَلَائِكَةِ بِالذَّاكِرِ وَيَشْغُلُ عَنِ الْكَلَامِ الضَّارِّ
وَيُسْعِدُ الذَّاكِرَ وَيُسْعِدُ بِهِ جَلِيسَهُ وَيُؤْمِنُ مِنَ الْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مَعَ
الْبُكَاءِ سَبَبٌ لِإِظْلَالِ اللَّهِ الْعَبْدَ يَوْمَ الْحَشْرِ الْأَكْبَرِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ .

وأنه سَبَبٌ لِعَطَاءِ اللَّهِ لِلذَّاكِرِ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي السَّائِلِينَ ، وأنه أَيْسَرُ
الْعِبَادَاتِ وَهُوَ مِنْ أَجَلِّهَا ، وَأَفْضَلُهَا ؛ وأنه غِرَاسُ الْجَنَّةِ ، وَأَنَّ الْعَطَاءَ
وَالْفَضْلَ الَّذِي رُتِّبَ عَلَيْهِ لَمْ يُرْتَّبْ عَلَى غَيْرِهِ ، وَأَن دَوَامَ الذِّكْرِ لِلرَّبِّ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُوجِبُ الْأَمَانَ مِنْ نِسْيَانِهِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ شَقَاءِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ .

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُسِيرُ الْعَبْدَ وَهُوَ فِي فِرَاشِهِ وَفِي سُوقِهِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ نُورُ الذَّاكِرِ فِي الدُّنْيَا وَنُورٌ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنُورٌ لَهُ فِي مَعَادِهِ وَأَنَّ فِي الْقَلْبِ خَلَّةٌ وَفَاقَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ الْبَتَّةَ إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَنَّ الذِّكْرَ يَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ قَلْبِهِ وَإِرَادَتِهِ وَهُمُومِهِ وَعَظْمِهِ وَالذِّكْرَ يُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَحْزَانِ وَالْحَسَرَاتِ عَلَى مَوْتِ حُطُوطِهِ وَمَطَالِبِهِ وَيُفَرِّقُ مَا اجْتَمَعَ عَلَى حَرْبِهِ مِنْ جُنْدِ الشَّيْطَانِ .

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُنْبِئُ الْقَلْبَ مِنْ نَوْمِهِ وَيُوقِظُهُ ، وَالْقَلْبُ إِذَا كَانَ نَائِمًا فَاتَتْهُ الْأَرْبَاحُ وَالْمَتَاجِرُ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ شَجَرَةٌ تُثْمِرُ الْمَعَارِفَ وَالْأَحْوَالَ الَّتِي شَمَرَ إِلَيْهَا السَّالِكُونَ ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى نَيْلِ ثَمَارِهَا إِلَّا مِنْ شَجَرَةِ الذِّكْرِ .

وَأَنَّ الذَّاكِرَ قَرِيبٌ مِنْ مَذْكُورِهِ وَمَذْكُورُهُ مَعَهُ وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ يَغْدِلُ عِتْقَ الرِّقَابِ وَنَفَقَةَ الْأَمْوَالِ وَالْحَمْلَ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّ الذِّكْرَ رَأْسُ الشُّكْرِ ، وَأَنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْمُتَّقِينَ مَنْ لَا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

وَأَنَّ فِي الْقَلْبِ قَسْوَةً لَا يُذِيهِهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنَّ الذِّكْرَ شِفَاءُ الْقَلْبِ وَدَوَاؤُهُ وَالْعَقْلُ مَرَضُهُ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ أَصْلُ مُوَالَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ مَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ وَاسْتُدْفِعَتْ نِقْمُهُ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ .

وَأَنَّ الذِّكْرَ يُوجِبُ صَلَاةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَى الذَّاكِرِ وَأَنَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَسْكُنَ رِيَاضَ الْجَنَّةِ فِي الدُّنْيَا فَلْيَسْتَوِطِنْ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِنَّهَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ، وَأَنَّ مَجَالِسَ الذِّكْرِ مَجَالِسُ الْمَلَائِكَةِ .

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِالذَّاكِرِينَ مَلَائِكَتَهُ ، وَأَنَّ مُذِمِّنَ الذِّكْرِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا شُرِعَتْ إِقَامَةً لِدُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ كُلِّ عَمَلٍ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَفْضَلُ الصُّوَامِ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يُسَهِّلُ الصَّغْبَ وَيُسِيرُ الْعُسِيرَ وَيُخَفِّفُ الْمَشَاقَّ ، وَأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يَذْهَبُ عَنِ الْقَلْبِ مَخَافَتُهُ كُلَّهَا ، وَلَهُ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حُصُولِ الْأَمْنِ ، وَأَنَّ فِي الْأَشْتَغَالِ بِالذِّكْرِ اشْتِغَالًا عَنِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَاللُّغْوِ ، وَأَنَّ عُمَالَ الْآخِرَةِ كُلَّهُمْ فِي مِضْمَارِ السِّبَاقِ وَالذَّاكِرُونَ أَسْبَقُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضْمَارِ وَلَكِنَّ الْقِتْرَةَ وَالْغُبَارَ يَمْنَعَانِ مِنْ رُؤْيَا سَبْقِهِمْ .

فَإِذَا إِنْجَلَى الْغُبَارُ وَانْكَشَفَ ، رَأَاهُم النَّاسُ ، وَقَدْ حَازُوا قُصْبَ السُّبْقِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ سَبَبٌ لِتَصْدِيقِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَهُ . فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ اللَّهِ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ فَإِذَا أَخْبَرَ بِهَا الْعَبْدُ صَدَقَهُ رَبُّهُ وَمَنْ صَدَقَهُ اللَّهُ لَمْ يُحْشَرَ مَعَ الْكَاذِبِينَ وَرُجِيَ لَهُ أَنْ يُحْشَرَ مَعَ الصَّادِقِينَ .

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَوَقَّفْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ وَلَا تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ يَا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيمَا تَمَنَّيْنَاهُ يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ مَا فِي صَمَائِرِ الصَّامِتِينَ إِذْقْنَا

بَرَدُ غَفْوِكَ وَحَلَاوَةِ مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

وَمِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ أَيْضًا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَنَّ دُورَ الْجَنَّةِ تُبْنَى بِالذِّكْرِ ، فَإِذَا أَمْسَكَ الذَّاكِرُ عَنِ الذِّكْرِ أَمْسَكَتِ
الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْبِنَاءِ ، وَأَنَّ الذِّكْرَ سَدٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ جَهَنَّمَ فَإِذَا كَانَتْ لَهُ
إِلَى جَهَنَّمَ طَرِيقٌ عَمَلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ ، كَانَ الذِّكْرُ سَدًّا فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ ،
وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ لِلذَّاكِرِ كَمَا تَسْتَغْفِرُ لِلتَّائِبِ ، وَأَنَّ الْجِبَالَ وَالْبُقَاعَ
تَتَبَاهَى وَتَسْتَبْشِرُ بِمَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا ، وَأَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ أَمَانٌ مِنَ الْيَفَاقِ ، فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ قَلِيلُوا الذِّكْرَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْمُنَافِقِينَ : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وَأَنَّ
لِلذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ لَذَّةٌ لَا يُشَبِّهُهَا شَيْءٌ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ مِنْ ثَوَابِهِ إِلَّا
اللَذَّةُ الْحَاصِلَةُ لِلذَّاكِرِ ، وَأَنَّهُ يَكْسُو الْوَجْهَ نَضْرَةً فِي الدُّنْيَا وَنُورًا فِي
الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ فِي دَوَامِ الذِّكْرِ فِي الطَّرِيقِ وَالْبَيْتِ وَالْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَالْبِقَاعِ
تَكْثِيرًا لِشُهُودِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنَّ الْبُقْعَةَ وَالْدَّارَ وَالْجَبَلَ وَالْأَرْضَ تَشْهَدُ
لِلذَّاكِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَأَنَّ الذِّكْرَ يُعْطِي الذَّاكِرَ قُوَّةً حَتَّى أَنَّهُ لِفَعْلٍ مَعَ الذِّكْرِ
مَا لَمْ يَظُنْ فِعْلَهُ بِدُونِهِ ، قَالَ وَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْ قُوَّةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ
فِي سُنَنِهِ وَكَلَامِهِ وَاقْدَامِهِ وَكِتَابَتِهِ أَمْرًا عَجَبِيًّا ، فَكَانَ يَكْتُبُ فِي الْيَوْمِ مِنْ
التَّصْنِيفِ مَا يَكْتُبُهُ النَّاسِخُ فِي جُمُعَةٍ وَأَكْثَرُ .

وَقَدْ عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنْ يُسَبِّحَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا أَخَذَا مَضَاجِعَهُمَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَيُحَمِّدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَيُكَبِّرَا ، أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ، لَمَّا سَأَلَتْهُ الْخَادِمُ ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ مَا تُقَاسِيهِ مِنَ الطَّحْنِ وَالسَّعْيِ وَالْخِدْمَةِ ، فَعَلَّمَهَا ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْمَا مِنْ خَادِمٍ .

فَقِيلَ إِنَّ مَنْ دَاوَمَ عَلَى ذَلِكَ وَجَدَ قُوَّةً فِي عَمَلِهِ مُغْنِيَةً عَنْ خَادِمٍ ، قَالَ وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَذْكُرُ أَثْرًا فِي هَذَا الْبَابِ ، وَيَقُولُ : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا أُمِّرُوا بِحَمْلِ الْعَرْشِ ، قَالُوا يَا رَبَّنَا كَيْفَ نَحْمِلُ عَرْشَكَ وَعَلَيْهِ عَظَمَتُكَ وَجَلَالُكَ ، فَقَالَ : قُولُوا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

فَلَمَّا قَالُوا حَمَلُوهُ حَتَّى رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي الدُّنْيَا قَدْ ذَكَرَ هَذَا الْأَثْرَ بِعَيْنِهِ عَنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنَا مَشِيخُنَا أَنَّهُ بَلَغَهُمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَرْجًا وَجَلَ جَيْنَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ حَمَلَهُ الْعَرْشِ قَالُوا : رَبَّنَا لِمَ خَلَقْتَنَا ؟ قَالَ : خَلَقْتُكُمْ لِحَمْلِ عَرْشِي . قَالُوا : رَبَّنَا وَمَنْ يَقْوَى عَلَى حَمْلِ عَرْشِكَ وَعَلَيْهِ عَظَمَتُكَ وَجَلَالُكَ وَوَقَارُكَ ، قَالَ : لَذَلِكَ خَلَقْتُكُمْ ، فَأَعَادُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ مِرَارًا ، فَقَالَ : قُولُوا لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَحَمَلُوهُ .

قَالَ : وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي مُعَانَاةِ الْأَشْغَالِ الصَّغْبَةِ ، وَتَحْمِلِ الْمَشَاقِّ وَالذُّخُولِ عَلَى الْمُلُوكِ وَمَنْ يُخَافُ ، وَرُكُوبِ الْأَهْوَالِ ، وَلَهَا أَيْضًا تَأْثِيرٌ فِي دَفْعِ الْفَقْرِ قَالَ : وَمَبْنَى الدِّينِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ الذِّكْرُ وَالشُّكْرُ .

وليس المراد بالذكر مُجَرَّد ذِكْر اللسانِ بَلْ الذِّكْرُ القَلْبِي واللِّسَانِي ،
وذلك يَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَتَهُ والايْمَانُ بِهِ وبِصِفَاتِ كَمَالِهِ ونُعُوتِ جَلَالِهِ والثناءِ
عليه بأنواعِ المَدْحِ وذلك لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَوْحِيدِهِ فَذِكْرُهُ الحَقِيقِي يَسْتَلْزِمُ ذِكْرَ
نِعَمِهِ وآلَائِهِ وإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ .

وأما الشُّكْرُ فهو القيامُ بِطَاعَتِهِ ، فَذِكْرُهُ مُسْتَلْزِمٌ لِمَعْرِفَتِهِ وشُكْرُهُ
مُتَضَمِّنٌ لِمَعْرِفَتِهِ وهُمَا الغَايَةُ التي خُلِقَ لِأَجْلِهَا الجِنُّ والانس .

(فَائِدَةٌ) قَالَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ : مَنْ أُتْبِلِيَ بِبِلَاءٍ قَلْبٍ أَرْعَجَهُ
فَاعْظَمُ دَوَاءٍ لَهُ قُوَّةُ الِاتِّجَاءِ إِلَى اللَّهِ وَدَوَامُ التَّضَرُّعِ والدُّعَاءِ بَأَن يَتَعَلَّمَ
الْأَدْعِيَةَ الْمَأْثُورَةَ وَيَتَوَخَّى الدُّعَاءَ فِي مَظَانِ الإِجَابَةِ مِثْلَ أَجْرِ اللَّيْلِ وَأَوْقَاتِ
الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَفِي السُّجُودِ وَادْبَارِ الصَّلَوَاتِ ، وَيَضُمُّ إِلَى ذَلِكَ
الاسْتِغْفَارَ .

وَلْيَتَّخِذْ وَرْدًا مِنَ الْإِذْكَارِ طَرَفِي النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ ، وَلْيَصْبِرْ عَلَى مَا
يَعْرِضُ لَهُ مِنَ الْمَوَانِعِ وَالصَّوَارِفِ ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُؤَيِّدَهُ اللَّهُ بِرُوحٍ مِنْهُ
وَيَكْتُبَ الْإِيْمَانَ فِي قَلْبِهِ وَلْيَحْرِصْ عَلَى عَمُودِ الدِّينِ ، وَلْيَكُنْ مُجْتَرِّاهُ لَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

فَإِنَّهُ بِهَا يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ وَيُكَابِدُ الْأَهْوَالَ ، وَيَنَالُ رَفِيعَ الْأَحْوَالِ وَلَا
يَسْأَمُ مِنَ الدُّعَاءِ وَالطَّلَبِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يُسْتَجَابُ لَهُ مَا لَمْ يَعْجَلْ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ
النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، وَلَمْ يَنْلِ
أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ عَمِيمِ الْخَيْرِ إِلَّا بِالصَّبْرِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

بِذِكْرِكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى تَتَنَعَّمُ
 وَقَدْ خَابَ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلِكَ قَدْ عَمُوا
 شَهِدْنَا يَقِينًا أَنَّ عِلْمَكَ وَاسِعٌ
 فَأَنْتَ تَرَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَتَعْلَمُ
 إِلَهِي تَحْمِلُنَا ذُنُوبًا عَظِيمَةً
 أَسَانَا وَقَصَّرْنَا وَجُودَكَ أَعْظَمُ
 سَتَرْنَا مَعَاصِينَا عَنِ الْخَلْقِ غَفْلَةً
 وَأَنْتَ تَرَانَا ثُمَّ تَغْفِرُ وَتَرْحَمُ
 وَحَقِّكَ مَا فِينَا مُسِيءٌ يَسْرُهُ
 صُدُودُكَ عَنْهُ بَلْ يَخَافُ وَيَنْدَمُ
 سَكَنَّا عَنِ الشُّكُوى حَيَاءً وَهَيْبَةً
 وَحَاجَاتُنَا بِالْمُقْتَضَى تَتَكَلَّمُ
 إِذَا كَانَ ذُلُّ الْعَبْدِ بِالْحَالِ نَاطِقًا
 فَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَنْهُ وَيَكْتُمُ
 إِلَهِي فَجُدْ وَاصْفَحْ وَأَصْلِحْ قُلُوبَنَا
 فَأَنْتَ الَّذِي تُؤَلِّي الْجَمِيلَ وَتُكْرِمُ
 وَأَنْتَ الَّذِي قَرَّبْتَ قَوْمًا فَوَافَقُوا
 وَوَفَّقْتَهُمْ حَتَّى أَنْابُوا وَسَلَّمُوا
 وَقُلْتَ اسْتَقَامُوا مِنِّي وَتَكْرُمًا
 فَأَنْتَ الَّذِي قَوْمَتَهُمْ فَتَقَوُّمُوا

لَهُمْ فِي الدُّجَى أَنْسٌ بِذِكْرِكَ دَائِمًا
 فَهُمْ فِي اللَّيَالِي سَاجِدُونَ وَقُومٌ
 نَظَرَتْ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً بَتَّعُطُفٍ
 فَعَاشُوا بِهَا وَالنَّاسُ سَكْرَى وَنُومٌ
 لَكَ الْحَمْدُ عَامِلُنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
 وَسَامِعِ وَسَلَّمْنَا فَأَنْتَ الْمُسَلَّمُ
 اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ الصَّالِحِينَ مِنْ
 خَلْقِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

قَالَ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ وَلَمَّا عَلِمَ الْمَوْفِقُونَ مَا خُلِقُوا لَهُ وَمَا إِنْجَادُهُمْ
 لَهُ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَإِذَا عَلِمَ الْجَنَّةُ قَدْ رُفِعَ لَهُمْ شَمْرُوا إِلَيْهِ وَإِذَا صِرَاطُهَا
 الْمُسْتَقِيمَ قَدْ وُضِعَ لَهُمْ فَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ وَرَأَوْا مِنْ أَكْظَمِ الْغَيْبِ بَيْعَ مَا لَا عَيْنٌ
 رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .

فِي أَبَدٍ لَا يَزُولُ وَلَا يَنْقُذُ بِصُبَابَةِ عَيْشٍ إِنَّمَا هُوَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ أَوْ
 كَطَيْفٍ زَارٍ فِي الْمَنَامِ مَشُوبٍ بِالنَّعْصِ مَمْزُوجٍ بِالنَّغْصِ إِنْ أَضْحَكَ
 قَلِيلًا أَبْكَى كَثِيرًا وَإِنْ سَرَّ يَوْمًا أَحْزَنَ شَهْرًا أَلَامُهُ تَزِيدُ عَلَى لَذَائِهِ وَأَحْزَانُهُ
 أَضْعَافُ مَسْرَاتِهِ أَوَّلُهُ مَخَافٌ وَآخِرُهُ مِتَالِفٌ .

فَيَا عَجَبًا مِنْ سَفِيهِ فِي صُورَةِ حَكِيمٍ وَمَعْتَوِي فِي مِسْلَاحٍ عَاقِلٍ آثَرِ
 الْحَضُّ الْفَانِي الْخَسِيسَ عَلَى الْحَضِّ الْبَاقِي الْنَفِيسَ بَاعَ جَنَّةَ عَرْضُهَا

الأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ بِسَجْنٍ ضَيِّقٍ بَيْنَ أَرْبَابِ الْعَاهَاتِ وَالْبَلِيَّاتِ وَمَسَاكِينِ طَيْبٍ
فِي جَنَاتٍ عَذْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ بِأَعْطَانٍ ضَيِّقَةٍ آخِرَهَا الْخَرَابُ
وَالْبَوَارُ .

وَأَبْكَاراً عَرَباً أَتْرَاباً كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ بِقَدَرَاتٍ ذِنَسَاتٍ سَيَّاتٍ
الْأَخْلَاقِ مُسَافِحَاتٍ أَوْ مُتَخَذَاتٍ أَخْذَانٍ وَحُوراً مَقْصُورَاتاً فِي الْخِيَامِ
بِخَبِيثَاتٍ مُسَيَّاتٍ بَيْنَ الْأَنَامِ وَأَنْهَاراً مِنْ خَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ بِشَرَابٍ نَجَسٍ
مُذْهَبٍ لِلْعَقْلِ مَفْسِدٍ لِلدُّنْيَا وَالْدِّينِ ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ
بِالْتَمَتِجِ بِرُؤْيَايَةِ الْوَجْهِ الْقَبِيحِ الذَّمِيمِ .

وَسَمَاعِ الْخِطَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ بِسَمَاعِ الْمَعَازِفِ وَالْغِنَاءِ وَالْأَلْحَانِ
وَالْجُلُوسِ عَلَى مَنَابِرِ اللَّوْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ وَالزَّبَرْجَدِ وَيَوْمَ الْمَزِيدِ
بِالْجُلُوسِ فِي مَجَالِسِ الْفُسُوقِ مَعَ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ .

وَأِنَّمَا يَظْهَرُ الْعَبْنُ الْفَاحِشُ فِي هَذَا الْبَيْعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَتَبَيَّنُ سَفَهُ
بَائِعِهِ يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ إِذَا حُشِرَ الْمُتَّقُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَأَ وَسِيقَ
الْمُجْرِمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدَأَ وَنَادَى الْمُنَادِي عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ لِيَعْلَمَنَّ
أَهْلُ الْمَوْقِفِ مَنْ أَوْلَى بِالْكَرَمِ مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ .

فَلَوْ تَوَهَّمِ الْمُتَخَلِّفُ عَنْ هَذِهِ الرَّفَقَةِ وَمَا أَعِدَّ لَهُمْ مِنَ الْإِكْرَامِ وَأَذْخَرَ
لَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ وَمَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ لَمْ يَقَعْ عَلَى مِثْلِهَا
بَصَرٌ وَلَا سَمِعَتْهُ أُذُنٌ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ عِلِمٌ أَيْ بِضَاعَةٍ أَضَاعَ وَأَنَّهُ لَا
خَيْرَ لَهُ فِي حَيَاتِهِ وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ سَقَطِ الْمُتَنَاعِ .

وَأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ تَوَسَّطُوا مُلْكاً كَبِيراً لَا تَغْتَرِيهِ الْأَفَاتُ وَلَا يُلْحَقُهُ الزُّوَالُ

وَقَارُوا بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي جَوَارِ الرَّبِّ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ، فَهُمْ فِي رُوضَاتِ
الْجَنَاتِ يَتَقَلَّبُونَ وَعَلَى أَسْبَرَتِهَا تَحْتَ الْجِبَالِ يَجْلِسُونَ وَعَلَى الْفُرُشِ
الَّتِي بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ يَتَكَبَّرُونَ وَبِالْحُورِ الْعِينِ يَتَمَتَّعُونَ .

وَبِأَنْوَاعِ الثَّمَارِ يَتَفَكَّهُونَ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَذَانُ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابِ
وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةً مِمَّا
يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ وَالْمَكْنُونِ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا
مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ تَا اللَّهُ لَقَدْ نُودِيَ عَلَيْهَا
فِي سُوقِ الْكَسَادِ فَمَا قَلْبٌ وَلَا اسْتِمَامٌ إِلَّا أَفْرَادٌ مِنَ الْعِبَادِ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ
فِي النُّونَةِ :

بِاللَّهِ مَا عَذُرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ
حَقًّا بِهَذَا لَيْسَ بِالْيَقْظَانِ
بَلْ قَلْبُهُ فِي رَقْدَةٍ فَاذَا اسْتَفَا
قَ فَلُبُّهُ هُوَ حُلَّةُ الْكَسَلَانِ
تَا اللَّهُ لَوْ شِئْتُ لَوَجَدْتُكَ جَنَّتُ النَّعِيمِ
مِ طَلَبَتْهَا بِنَفَائِسِ الْأَثْمَانِ
وَسَعَيْتَ جُهْدَكَ فِي وَصَالِ نَوَائِمِ
وَكَوَاعِبِ يَبْضِ الْوُجُوهِ حِسَانِ
جُلَيْتَ عَلَيْكَ عَرَائِشُ وَاللَّهُ لَوْ
تُجَلَّى عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصُّوَانِ
رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَعَادَ لِوَقْتِهِ
يَنْهَالُ مِثْلَ نَقْيٍ مِنَ الْكُثْبَانِ

لَكِنَّ قَلْبَكَ فِي الْقَسَاوَةِ جَارَ حَدٍ
دَ الصَّخْرِ وَالْحَضْبَاءِ فِي أَشْجَانِ
لَوْ هَزَّكَ الشُّوقُ الْمَقِيمُ وَكُنْتَ ذَا
جَبِيٍّ لَمَّا اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَذْوَانِ
أَوْ صَادَقْتَ مِنْكَ الصِّفَاتُ حَيَاةً قَا
بِ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ بِهِذَا الشَّانِ
حُورٌ تَزَفُّ إِلَى ضَرْبِ مُقْعِدِ
يَا مِخْنَةَ الْحَسَنَاءِ بِالْعُمَيَّانِ
شَمْسٌ لِعَيْنَيْنِ تَزَفُّ إِلَيْهِ مَا
ذَا حِيلَةُ الْعَيْنَيْنِ فِي الْغَشْيَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتُ رَخِيصَةً
بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكُتْلَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا
بِالْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اثْنَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَاذَا كَفَّوْهَا
إِلَّا أَوْلُوا التَّقْوَى مَعَ الْإِيمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوقُكَ كَاسِدٌ
بَيْنَ الْأَرَاذِلِ سَفْلَةُ الْحَيَوَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيْنَ الْمَشْتَرِي
فَلَقَدْ عُرِضَتْ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ
فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ دُونَ إِمْتِكَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصْبِرُ أَلْ
 حُطَّابُ عَنْكَ وَهُمْ ذَوُّو إِيْمَانٍ
 يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوْلَا أَنَّهَا
 حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ
 مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ
 وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الْجَزَاءِ الثَّانِي
 لِكِنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
 لِيُضَدَّ عَنْهَا الْمُبْطِلُ الْمُتَوَانِي
 وَتَنَالَهَا الْهِمَمُ الَّتِي تَسْمُو إِلَى
 رَبِّ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ الْقَرَارِ ،
 اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ وَوَفَّقْنَا لِلتَّعَاوُنِ فِي
 طَاعَتِكَ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ وَحُسْنِ الْآدَابِ فِي مُعَامَلَتِكَ وَالتَّسْلِيمِ
 لِأَمْرِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ وَالصَّبْرَ عَلَى بَلَائِكَ وَالشُّكْرَ لِنِعْمَائِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

فِي فَضَائِلِ الْاسْتِغْفَارِ

يُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَيَتَأَكَّدُ فِي الزَّمَانِ
 الْفَاضِلِ ، وَالْمَكَانِ الْفَاضِلِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾
 وَقَالَ : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ

تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ؛ وقال تعالى ، مُخْبِرًا
عن نوح : ﴿ . . فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ
عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ لَكُمْ جَنَاتٍ ﴾ الآية ، وقال
تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِدُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا وَيَظْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، يَجِدِ ، اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

وَعَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، قَالَ : « سَيِّدُ الْاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ،
أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ،
فَاغْفِرْ لِي ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » (١) .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَتَبَّ عَلَيَّ ،
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الْغَفُورُ » مِائَةً مَرَّةً (١) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ : اسْتَغْفَارُ
كَثِيرٌ » (٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ
فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، أَنِّي لِي هَذِهِ ؟ فَيَقُولُ : بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ » (٣) .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَزِمَ الْاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » (٣)

وَعَنْ الْأَعْرَ الْمُزْنِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ لَيُغَانَّ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً » (٥) .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ : كُنْتُ ذَرِبَ اللِّسَانِ عَلَى أَهْلِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يُدْخِلَنِي لِسَانِي النَّارَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَأَيَّنَ أَنْتَ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ ، فَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً » أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

وَعَنْ زَيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ قَالَ : اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غَفَرَ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ » رواه أبو داود .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ : اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا » رواه الترمذي .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي

وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ وَلَا أَمَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ سَبْعُمِائَةَ ذَنْبٍ ، وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ عَمِلَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِمِائَةِ ذَنْبٍ » (٣) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَغْفِرُ لَهُمْ » رواه مُسْلِمٌ .

وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ : « فَاسْتَكَثَرُوا فِيهِ مَنْ خَصَلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ وَخَصَلَتَيْنِ لَا غِنَى لَكُمْ عَنْهُمَا ، فَأَمَّا الْخَصَلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَالِاسْتِغْفَارُ وَأَمَّا الَّتِي لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا فَتَسْأَلُونَهُ الْجَنَّةَ وَتَعُوذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ » .

فَهَذِهِ الْخِصَالُ الْأَرْبَعُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ كُلُّ مِنْهَا سَبَبٌ لِلْمَغْفِرَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، فَأَمَّا كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ وَتَمْحُوهَا مَحْوًا ، وَلَا تَبْقَى ذَنْبًا ، وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ ، وَفِي تَعْدِيلِ عِتْقِ الرِّقَابِ الَّذِي يُوجِبُ الْعِتْقَ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ أَتَى بِهَا حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَهَا خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ .

وَأَمَّا كَلِمَةُ الْاسْتِغْفَارِ فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ . فَإِنَّ الْاسْتِغْفَارَ دُعَاءٌ بِالْمَغْفِرَةِ ، وَدُعَاءُ الصَّائِمِ إِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ الشُّرُوطُ وَانْتَفَتِ الْمَوَانِعُ مُسْتَجَابٌ حَالَ صَيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : « وَيَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا لِمَنْ أَبِي ، قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَنْ يَا أَبَى ؟ قَالَ : يَا أَبَى أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهُ » .

وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عَوِّذْ لِسَانَكَ الْاِسْتِغْفَارَ ، فَإِنَّ لِلَّهِ سَاعَاتٍ لَا يَرُدُّ فِيهِ سَائِلًا ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ .

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ : أَنَّ ابْنِيسَ قَالَ : أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِالِاسْتِغْفَارِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَالِاسْتِغْفَارُ خِتَامُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كُلِّهَا فَيُخْتَمُ بِهِ الصَّلَاةُ وَالْحَجُّ وَالْقِيَامُ فِي اللَّيْلِ وَيُخْتَمُ بِهِ الْمَجَالِسُ ، فَإِنْ كَانَتْ ذِكْرًا كَانَ كَالطَّائِعِ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَتْ لَعْوًا كَانَ كَفَارَةً لَهَا ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَمَ صِيَامُ رَمَضَانَ بِالِاسْتِغْفَارِ يُرْفَعُ مَا تَخَرَّقَ مِنَ الصِّيَامِ بِاللَّغْوِ وَالرَّفَثِ « وَيَجْتَهِدُ فِي الْكَثَارَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْتِفَلُّلِ مِنْ شَوَاعِلِ الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ مَا دَامَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ » .

وَمَنْ عِظَةَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ ظَعْنٍ لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ لَهَا فِي كُلِّ حِينٍ قَتِيلٌ تَذِلُّ مَنْ أَعَزَّهَا وَتُفْقِرُ مَنْ جَمَعَهَا هِيَ كَالسَّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ وَفِيهِ خَتْمُهُ فَكُنْ فِيهَا كَالْمَدَاوِي جِرَاحُهُ يَحْتَمِي قَلِيلًا مَخَافَةً مَا يَكْرَهُ طَوِيلًا وَيَضْبِرُ عَلَى شِدَّةِ الدَّوَاءِ مَخَافَةً طَوِيلِ الدَّاءِ ، فَأَحْذَرْ هَذِهِ الدُّنْيَا الْخَدَاعَةَ الْغَدَارَةَ الْخَتَالَةَ الَّتِي قَدْ تَزَيَّنَتْ بِخَدَعِهَا وَقَتَلَتْ بِغُرُورِهَا وَتَحَلَّتْ بِأَمَالِهَا وَسَوَفَتْ بِخُطَايَاهَا .

فَأَصْبَحَتْ كَالْعُرُوسِ الْمَجْلِيَّةِ الْعُيُونُ إِلَيْهَا نَاطِرَةٌ وَالْقُلُوبُ عَلَيْهَا وَالْإِلَهَةُ وَهِيَ لِأَزْوَاجِهَا كُلِّهِمْ قَالِيَةٌ ، فَلَا الْبَاقِي بِالْمَاضِي مُعْتَبَرٌ وَلَا الْآخِرُ بِالْأَوَّلِ مُزْدَجَّرٌ ، فَعَاشِقٌ لَهَا قَدْ ظَفِرَ مِنْهَا بِحَاجَتِهِ فَاغْتَرَّ وَطَفَى وَنَسِيَ

الْمَعَادَ فَشَغَلَ فِيهَا لُبُّهُ حَتَّى زَلَّتْ بِهِ قَدَمُهُ فَعَظَمَتْ نَدَامَتُهُ وَكَثُرَتْ حَسْرَتُهُ
وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَتَأَلَّمَهُ وَحَسَرَاتُ الْقَوْتِ بِغُصْبِهِ وَرَاغِبٌ
فِيهَا لَمْ يُدْرِكْ مِنْهَا مَا طَلَبَ وَلَمْ يُرَخِّ نَفْسَهُ مِنَ التَّعَبِ فَخَرَجَ بِغَيْرِ زَادٍ وَقَدَّمَ
عَلَى غَيْرِ مِهَادٍ .

فَاخْذَرَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكُنْ أَسْرًا مَا تَكُونُ فِيهَا أَخْذَرُ لَهَا فَإِنَّ
صَاحِبَ الدُّنْيَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورِ أَشْخَصَتِهِ إِلَى مَكْرُوهٍ وَضَارٍ وَقَدْ
وَصَلَ الرَّخَاءُ مِنْهَا بِالْبَلَاءِ وَجُعِلَ الْبَقَاءُ إِلَى فَنَاءٍ فَسُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْأَحْزَانِ
أَمَانِيهَا كَاذِبَةٌ وَأَمَالُهَا بَاطِلَةٌ وَصَفْوُهَا كَذَرٌ وَعَيْشُهَا نَكْدٌ وَابْنُ آدَمَ فِيهَا عَلَى
خَطَرٍ هـ .

شعراً مقول على لسان حال الدنيا :

مَنْ لَيْسَ بِالْبَاكِي وَلَا الْمُتَبَاكِي لَقِيحٌ مَا يَأْتِي فَلَيْسَ بِزَاكِ
نَادَتْ بِي الدُّنْيَا فَقُلْتُ لَهَا : أَفْصِرِي مَا عُدَّ فِي الْأَكْيَاسِ مَنْ لَبَّاكِ
وَلَمَّا صَفَا عِنْدَ الْإِلَهِ وَلَا دَنَا مِنْهُ امْرُؤٌ صَافَاكِ أَوْ ذَانَاكِ
مَا زِلْتُ خَادِعَتِي بِبَرَقِ خُلْبٍ وَلَوْ أَهْتَدَيْتُ لَمَا انْحَدَعْتُ لِذَاكِ
قَالَتْ أَغْرَكَ مِنْ جَنَاحِكَ طَوْلُهُ وَكَأَنَّ بِهِ قَدْ قُصِّرَ فِي أَشْرَاقِي
ثَالِثُ مَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعُ رَاحَةٍ إِلَّا وَقَدْ نُصِبَتْ عَلَيْهِ شِبَاكِي
طَرُ كَيْفَ شِئْتَ فَأَنْتَ فِيهَا وَاقِعٌ عَانَ بِهَا لَا يُرْتَجَى لِفَكَاكِي
مَنْ كَانَ يَصْرَعُ قِرْنَهُ فِي مَعْرَكِ فَعَلَى صَرَعَتِهِ بَعِيرُ عِرَاكِ
مَا أَعْرِفُ الْعَضْبَ الصَّقِيلَ وَلَا الْقَنَا وَلَقَدْ بَطَشْتُ بِذِي السَّلَاحِ الشَّكَاكِي
كَمْ ضَيَّعِمَ عَقْرَتُهُ بَعْرِيهِ وَلَكَمْ فَتَكَتْ بِأَفْتَكِ الْفَتَاكِ
فَأَجَبْتُهَا مُتَعَجِّبًا مِنْ غَدْرِهَا أَجَزَيْتِ بِالْبَعْضَاءِ مَنْ يَهْوَاكِ
لَأَجْلْتُ عَيْنِي فِي بَيْتِكَ فَكُلُّهُمْ أَسْرَاكِ أَوْ جَرَحَاكِ أَوْ صَرَعَاكِ

لَوْ قَارَضُوكَ عَلَى صَنِيعِكَ فِيهِمْ
طُمِسَتْ عُقُوبَتُهُمْ وَتَوَرَّ قُلُوبُهُمْ
فَكَأَنَّهُمْ مِثْلُ الذَّبَابِ تَسَاقَطَتْ
لَا كُنْتَ مِنْ أُمَّ لَنَا أَكَّالَةً
وَلَقَدْ عَهِدْنَا الْأُمَّ تَلَطَّفَ بِأَبْنَيْهَا
مَا فَوْقَ ظَهْرِكَ قَاطِنٌ أَوْ ظَاعِنٌ
أَنْتَ السَّرَابُ وَأَنْتَ دَاءٌ كَامِنٌ
يُعْصَى الْإِلَهِ إِذَا أَطِيعْتَ وَطَاعَتِي
فَرَضٌ عَلَيْنَا بِرُّنَا أَمَاتِنَا
مَا إِنْ يَذُومُ الْفَقْرُ فِيكَ وَلَا الْغِنَى
أَيْنَ الْجَبَابُرَةُ الْأَلَى وَرِيَاشُهُمْ
وَلَطَّالَمَا رُدُّوا بِأَرْدِيَةِ الْبَهَا
كَانَتْ وَجُوهُهُمْ كَأَقْمَارِ الدُّجَا
وَعَنْتَ لِقِيَوْمِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا
وَجَلَّالِ رَبِّي لَوْ تَصَبَّحَ عَزَائِمِي
وَأَخَذْتُ زَادِي مِنْكَ مَنْ عَمَلِ التَّقَى
وَحَطَّطْتُ رَحْلِي تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى
مَهْلًا عَلَيْكَ فَسَوْفَ يُلْحَقُكَ الْفَنَاءُ
وَيُعِيدُنَا رَبُّ أَمَاتٍ جَمِيعَنَا
وَاللَّهِ مَا الْمَخْبُوبُ عِنْدَ مَلِكِهِ
هَجَرَ الْغَوَانِي وَاصِلًا لِعَقَائِلِ
إِلَيَّ أَرَقْتُ لَهُنَّ لَا لِحَمَائِمِ
لَا عَيْشَ يَصْنَفُو لِلْمُلُوكِ وَإِنَّمَا
وَمِنَ الْإِلَهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُهُ

قَطَعُوا مَدَى أَعْمَارِهِمْ بِقِلَاقِ
فَتَهَافَتُوا حِرْصًا عَلَى خَلُوكِ
فِي الْأَرْزَى حَتَّى اسْتَوْصَلُوا بِهَلَاكِ
بَعْدَ الْوِلَادَةِ ، مَا أَقَلَّ حَيَاكِ !
عَطْفًا عَلَيْهِ وَأَنْتِ مَا أَفْسَاكِ
إِلَّا سِيَهَشُمْ فِي ثِفَالِ رَحَاكِ
بَيْنَ الضَّلُوعِ فَمَا أَعَزَّ ذَوَاكِ
لِلَّهِ رَبِّي أَنْ أَشَقَّ عَصَاكِ
وَعُقُوبَتَهُنَّ مُحَرَّمٌ إِلَّاكِ
سَيِّانَ فَقْرِكَ عِنْدَنَا وَغِنَاكِ
قَدْ بَاشَرُوا بَعْدَ الْحَرِيرِ ثَرَاكِ
فَتَعَوَّضُوا مِنْهَا رِدَاءَ زِدَاكِ
فَعَدَّتْ مُسَجَّاةً بِثَوْبِ دُجَاكِ
رَبُّ الْجَمِيعِ ، وَقَاهِرُ الْأَمْلاكِ
لَزِهَدْتُ فِيكَ وَلَافْتَعَيْتُ سِوَاكِ
وَشَدَّدْتُ إِيمَانِي بِتَقْصِيرِ عُرَاكِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ تَحْتَ لِبَاكِ
فَتَرَيْتُ بِلَا أَرْضٍ وَلَا أَفْلَاكِ
لِيَكُونَ يُرْضِي غَيْرَ مَنْ أَرْضَاكِ
إِلَّا لَبِيبُ لَمْ يَزَلْ يَشْنَاكِ
يَضْحَكُنَّ حُبًّا لِلْوَلِيِّ الْبَاكِ
تَبْكِي الْهَدِيلَ عَلَى غُصُونِ أَرَاكِ
تَصْنَفُو وَتُحْمَدُ عَيْشَةُ التَّسَاكِ
عَدَدَ النُّجُومِ وَعِدَّةَ الْأَمْلاكِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ
الْغَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا لِاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا
وَذُنُوبِنَا وَلَا تَوَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَاكْتَنَتْ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ
الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

في أحكام الاعتكاف في المنجد

الإِعتكافُ لغةٌ : لزومُ الشيء ، وَحَبْسُ النَّفْسِ عَلَيْهِ بِرَأْ كَانَ أَوْ
غَيْرِهِ ، وفي الشَّرْعِ : لزومُ مُسْلِمٍ لَا غُسْلَ عَلَيْهِ ، عَاقِلٍ وَلَوْ مُمَيِّزٍ ،
مُسْجِدًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ .

وَهُوَ سُنَّةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَفِي رَمَضَانَ أَكْثَرُ ، وَأَكْثَرُهُ عَشْرَةُ الْآخِرِ ،
لِمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتكِفُ الْعَشْرَ الْآخِرَ مِنْ رَمَضَانَ .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : « كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَعْتكِفُ الْعَشْرَ الْآخِرَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَلَمْ يَعْتكِفْ عَامًا فَلَمَّا كَانَ فِي
الْعَامِ الْمُقْبِلِ إِعْتَكَفَ عِشْرِينَ » .

أَمَّا كَوْنُهُ لَا يَصِحُّ مِنَ الْكَافِرِ ، فَلِأَنَّهُ مِنْ فُرُوعِ الْإِيمَانِ ، وَلَا يَصِحُّ مِنْهُ
كَالصُّومِ ، وَأَمَّا مَنْ زَالَ عَقْلُهُ كَالْمَجْنُونِ فَلِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَاتِ
فَلَمْ يَصِحَّ مِنْهُ .

أَمَّا كَوْنُهُ لَا غُسْلَ عَلَيْهِ ، فَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : « إِنِّي لَا أَجِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جُنُبٍ » .

وَأَمَّا كَوْنُهُ فِي مَسْجِدٍ ، فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ وَلَا يَصِحُّ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ تُقَامُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ ، لِأَنَّ الْإِعْتِكَافَ فِي غَيْرِهِ يُفْضِي إِمَّا إِلَى تَرْكِ الْجَمَاعَةِ ، أَوْ تَكَرُّرِ الْخُرُوجِ إِلَيْهَا كَثِيرًا مَعَ امْتِنَانِ التَّحَرُّرِ مِنْهُ ، وَهُوَ مُنَافٍ لِلْإِعْتِكَافِ .

وَالْإِعْتِكَافُ فِي مَسْجِدٍ تُقَامُ فِيهِ الْجُمُعَةُ أَفْضَلُ ، لِثَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهَا ، وَلِأَنَّ ثَوَابَ الْجَمَاعَةِ فِي الْجَامِعِ أَكْثَرُ ، وَلِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَكَفَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ .

وَيَجِبُ الْإِعْتِكَافُ بِالنَّذْرِ ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْإِعْتِكَافَ لَا يَجِبُ عَلَى النَّاسِ قَرْضًا إِلَّا أَنْ يُوجِبَ الْمَرْءُ عَلَى نَفْسِهِ الْإِعْتِكَافَ نَذْرًا ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِيعْهُ » .

وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَعْتَكِفَ بِصَوْمٍ ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَإِنْ اعْتَكَفَ بِغَيْرِ صَوْمٍ جَازٍ ، لِحَدِيثِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قَالَ : « فَأَوْفِ بِنَذْرِكَ » . وَلَوْ كَانَ الصَّوْمُ شَرْطًا فِيهِ لَمَا صَحَّ اعْتِكَافُ اللَّيْلِ ، وَكَالصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْعِبَادَاتِ .

وَلَا يَصِحُّ اعْتِكَافُ الْأَيْبَةِ ، لِأَنَّهُ عِبَادَةٌ مَحْضَةٌ ، وَلِحَدِيثِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .

وَمَنْ نَذَرَ الْإِعْتِكَافَ أَوْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدٍ غَيْرِ الثَّلَاثَةِ ، وَهِيَ . الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ، وَمَسْجِدُ الْمَدِينَةِ ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى : جَازَ لَهُ أَنْ

يَعْتَكِفُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَا مَرِيَّةَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ .

وَأِنْ نَذَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَزِمَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِيهِ لِمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : كُنْتُ نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، قَالَ : « أَوْفِ بِنَذْرِكَ » .

وَلِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْمَسَاجِدِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسْقِطَ فَرَضُهُ بِمَا دُونَهُ .

وَأِنْ نَذَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، لِأَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْهُ .

وَأِنْ نَذَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى جَازَ لَهُ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي أَيِّ الْمَسْجِدَيْنِ أَحَبَّ لَأَنَّهُمَا أَفْضَلُ مِنْهُ . بِدَلِيلِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » .

وَلَا يَجُوزُ لِلْمُعْتَكِفِ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ لِغَيْرِ عُدْرٍ ، لِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْخُلَ عَلَيَّ رَأْسُهُ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَرْجُلُهُ ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةٍ إِذَا كَانَ مُعْتَكِفًا » .

وَعَنْهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « السُّنَّةُ عَلَى الْمُعْتَكِفِ أَنْ لَا يَعُودَ مَرِيضًا ، وَلَا يَشْهَدَ جَنَازَةً ، وَلَا يَمَسُّ امْرَأَةً وَلَا يُبَاشِرَهَا ، وَلَا يَخْرُجَ

لِحَاجَةِ إِنْسَانٍ إِلَّا مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَلَا اغْتِكَافَ إِلَّا بِصَوْمٍ ، وَلَا اغْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ .

فَإِنْ خَرَجَ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ بَطُلَ اغْتِكَافُهُ ، لِأَنَّ الْإِغْتِكَافَ : اللَّبْثُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا خَرَجَ فَقَدْ فَعَلَ مَا يُنَافِيهِ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ كَمَا لَوْ أَكَلَ فِي الصَّوْمِ ذَاكِرًا .

وَيَجُوزُ أَنْ يَخْرُجَ لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَبْطُلُ اغْتِكَافُهُ ، وَكَذَا إِنْ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ نَاسِيًا لَمْ يَبْطُلْ اغْتِكَافُهُ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ » .

وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُعْتَكِفِ التَّشَاغُلُ بِفَعْلِ الْقُرْبِ كَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ، وَالصَّلَاةِ ، وَذِكْرِ اللَّهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَسُنَّ لَهُ اجْتِنَابُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ جَدَلٍ وَمِرَاءٍ وَكَثْرَةِ كَلَامٍ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

حتى متى فوق الأسيرة تُرقد
والصُبحِ وامنضِ فَقَدْ دَعَاكَ المسجدُ

قُمْ فِي الدُّجَى يَا أَيُّهَا الْمُتَعَبِدُ
قُمْ واذْغُ مَوْلَاكَ الَّذِي خَلَقَ الدُّجَى

وَاطْلُبْ رِضَاهُ فَجُودُهُ لَا يَنْقُذُ
بِالْأَمْسِ وَادْكُرْ مَا يَجِيءُ بِهِ الْعُدُ
مِنْ دُونَ عَفْوِكَ لَيْسَ لِي مَا يَعْصِدُ
تَحْتَ الذُّنُوبِ وَأَنْتَ فَوْقَ ثَرَصِدُ
عَنْ زَلَةٍ قَدْ ذَابَ مِنْهَا الْمَوْرِدُ
بِإِزَاءِ عَيْنِي لَمْ تَزَلْ تَتَرَدَّدُ
وَلَعَلَّنِي عَنْ بَابِهِ لَا أُطْرِدُ
دِينًا عَلَيَّ بِهِ جَلَالُكَ يَشْهَدُ
بِسَلْسِلِ الْوَزْرِ الثَّقِيلِ مُقِيدُ
أَنْتَ الْمَجِيرُ لِكُلِّ مَنْ يَسْتَنْجِدُ
وَلَأَيَّ بَابٍ غَيْرَ بَابِكَ نَقْصِدُ

وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ الْعَظِيمَ بِذَلَّةٍ
وَأَنْدَمْ عَلَى مَا فَاتَ وَأَنْدَبْ مَا مَضَى
وَاضْرَعْ وَقْلَ : يَا رَبِّ عَفْوِكَ إِنِّي
أَسْفَأُ عَلَى عُمْرِي الَّذِي ضَيَّعْتُهُ
يَا رَبِّ لَمْ أَحْسِبْ مَرَارَةَ مَرَصَدِ
يَا رَبِّ قَدْ ثَقُلْتُ عَلَيَّ كَبَائِرُ
يَا رَبِّ مَالِي غَيْرَ لُطْفِكَ مَلْجَأُ
يَا رَبِّ هَبْ لِي ثَوْبَةَ أَقْضِي بِهَا
أَنْتَ الْخَبِيرُ بِحَالِ عَبْدِكَ إِنَّهُ
أَنْتَ الْمَجِيبُ لِكُلِّ دَاعٍ يَلْتَجِي
مِنْ أَيْ بَحْرٍ غَيْرَ بَحْرِكَ نُسْتَقِي ؟

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمَّا
مَنْ الْفَزَعَ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَأَدَائِهَا

وَيَبْحَثُ فِي :

- ١ - مَا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَثَوَابِهَا الْعَظِيمِ .
 - ٢ - مَا وَرَدَ فِي صِيَانَةِ الْمَسَاجِدِ عَنِ الْأَقْدَارِ وَتَنْظِيفِهَا .
 - ٣ - مَا وَرَدَ فِي تَجَنُّبِ آكْلِ الْبَصْلِ وَالثُّومِ الصَّلَاةَ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَإِبْعَادِ الصَّغِيرِ وَالْمَجْنُونِ .
 - ٤ - يَنْبَغِي تَجَنُّبُ الْمَسَاجِدِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ وَتَشْدَانِ الضَّالَّةِ فِيهَا .
 - ٥ - حُرْمَةُ الْمِبَالِغَةِ فِي زَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ .
 - ٦ - كَرَاهَةُ الْإِتِّزَامِ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ لِغَيْرِ الْإِمَامِ .
- ١ - مَا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ ، وَثَوَابِهَا الْعَظِيمِ :
- بِنَاءُ الْمَسَاجِدِ فِي الْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالْمَحَالِّ وَنَحْوِهَا حَسَبِ الْحَاجَةِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ وَيُسْتَحَبُّ إِتِّخَاذُ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّوْرِ ، وَتَنْظِيفُهَا وَتَطْيِيبُهَا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ . . ﴾ الْآيَةُ ، وَلِإِمَامِ رَوْتِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّوْرِ ، وَأَنْ تُنْظَفَ وَتُطَيَّبَ .
- وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ » .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصٍ قَطَاهُ بَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا يُذَكِّرُ فِيهِ اللَّهَ ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ بَنَى بَيْتًا يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ ، مِنْ مَالٍ حَلَالٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وَرَوَى عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لَا يُرِيدُ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ : عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ ؛ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ ، تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ » .

وَأَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا ، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَشْوَاقُهَا ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

« أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا ، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا » .

٢ - مَا وَرَدَ فِي صِيَانَةِ الْمَسَاجِدِ وَتَنْظِيفِهَا :

وَيُسَنُّ صِيَانَةُ الْمَسَاجِدِ عَنْ كُلِّ وَسَخٍ ، وَقَذَرٍ ، وَقَذَاةٍ ، وَمُخَاظٍ ،
وَبُصَاقٍ ، وَتَقْلِيمِ أَظْفَارٍ ، وَقَصِّ شَارِبٍ ، وَحَلْقِ رَأْسٍ ، وَتَنْفِثِ إِبْطٍ ، لِمَا
وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « عُرِضَتْ عَلَيَّ أَجُورُ أَعْمَالِ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ
الْمَسْجِدِ » .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُ
الْمَسْجِدَ فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَ عَنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ ،
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا مَاتَتْ ، فَقَالَ : « فَهَلَا أَذْنُومُونِي » ؟ فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى
عَلَيْهَا .

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَّخِذَ الْمَسَاجِدَ فِي دِيَارِنَا ، وَأَمَرَنَا أَنْ نُنْظِفُهَا .
وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَوْمًا ، إِذْ رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَتَغَيَّظَ عَلَى
النَّاسِ ، ثُمَّ حَكَّهَا ، - قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ - : فَدَعَا بِزَعْفَرَانٍ فَلَطَخَهُ بِهِ ،
وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبَلَ وَجْهِ أَحَدِكُمْ إِذَا صَلَّى ، فَلَا يُبْصِقُ بَيْنَ
يَدَيْهِ » .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ تَقَلَّ تَجَاةَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَقْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَعَنْ أَبِي سَهْلَةَ السَّائِبِ بْنِ خَلَادٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا أَمَّ قَوْمًا فَبَصَقَ فِي الْقِبْلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ يَنْظُرُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ فَرَغَ : « لَا يُصَلِّي لَكُمْ هَذَا ، فَأَرَادَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّيَ لَهُمْ فَمَنْعُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : « أَنْتَ آذَيْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » .

٣- ما وَرَدَ فِي تَجَنُّبِ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالثُّومِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ

يُسَنُّ صِيَانَةُ الْمَسَاجِدِ عَنْ رَائِحَةِ كَرِيهَةٍ مِنْ بَصَلٍ وَثُومٍ وَكُرَاثٍ وَنَحْوِهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبَنَا وَلَا يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا » .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا » .

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا ، فَلْيَعْتَزِلْنَا - أَوْ ، فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : « مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَاثَ ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا تَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ،

فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ ، ثُمَّ أَنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَيْبَتَيْنِ ، الْبَصَلُ وَالثُّومُ وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى سَالَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ فَأَخْرَجَ إِلَى الْبَقِيعِ ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيَمِيتْهُمَا طَبْخًا .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبَلِكَ أَهْلَ السَّعَادَةِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ لَهُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

يُسْنُ أَنْ يُصَانَ الْمَسْجِدُ عَنْ صَغِيرٍ لَا يُمَيِّزُ لِغَيْرِ مَضْلَحَةٍ ، وَأَنْ يُصَانَ عَنْ مَجْنُونٍ حَالَ جُنُونِهِ ، وَعَنْ لَغَطٍ ، وَخُصُومَةٍ وَكَثْرَةِ حَدِيثٍ لَأَغٍ ، وَرَفْعِ صَوْتٍ بِمَكْرُوهٍ ، وَعَنْ رَفْعِ الصَّبْيَانِ أَصْوَاتِهِمْ بِاللَّعِبِ وَغَيْرِهِ ، وَيُمنَعُ فِيهِ اخْتِلَاطُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَإِذَاءُ الْمُصَلِّينَ وَغَيْرِهِمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ، وَيُمنَعُ السُّكْرَانُ مِنْ دُخُولِهِ ، وَعَنْ وَاثِلَةِ بَنِ الْأَسْقِعِ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « جَنَّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَنَسَلُ سُيُوفِكُمْ ، وَاتَّخِذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ وَجَمَرُوهَا فِي الْجُمُعِ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ » .

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ جِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم : « لا تَقَامُ الحدودُ في المَسَاجِدِ ، ولا يُسْتَفَادُ فيها » .

وَعَنْ الْحَسَنِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مُرْسَلًا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ فَلَا تُجَالِسُوهُمْ فَلَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ » .

وَعَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ قَالَ : « كُنْتُ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَحَصَّبَنِي رَجُلٌ فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : إِذْهَبْ فَأَتِنِي بِهِذَيْنِ ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا ، فَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتَما - أَوْ مَنْ أَيْنَ أَنْتَما ؟ قَالَا ، مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ ، قَالَ : لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَأَوْجَعْتُكُمَا ، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

وَعَنْ مَالِكٍ قَالَ : بَنِي عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَحْبَةً فِي نَاحِيَةٍ تُسَمَّى « الْبَطْحَاء » ، وَقَالَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَلْغَطَ أَوْ يُنْشِدَ شِعْرًا ، أَوْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ فَلْيَخْرُجْ إِلَى هَذِهِ الرَّحْبَةِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا اتَّخَذَ الْفِيءُ دُولًا وَالْأَمَانَةُ مُغْنَمًا وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا ، وَتُعَلِّمَ لِغَيْرِ الدِّينِ ، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ ، وَأَذْنَى صَدِيقَهُ وَأَقْصَى أَبَاهُ ، وَظَهَرَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ وَسَادَ الْقَبِيلَةَ فَاسِقُهُمْ ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْدَلَهُمْ ، وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ ، وَظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَارِزُ ، وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا ، فَارْتَقَبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ وَرَزَلَةً وَخُسْفًا وَمَسْخًا ، وَقَدَفًا وَآيَاتٍ تَتَابِعُ كِنِظَامٍ قُطِعَ سُلُوكُهُ فَتَتَابِعُ » .

فصل

٤ - يَنْبَغِي تَجَنُّبُ الْمَسَاجِدِ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ ، وَرَفْعِ الصَّوْتِ وَنُشْدَانِ الضَّالَّةِ فِيهَا :

وَيَحْرَمُ فِي الْمَسْجِدِ الْبَيْعُ وَالشَّرَاءُ ، فَإِنْ فَعَلَ فَالْبَيْعُ بَاطِلٌ لِحَدِيثِ عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتیاع وعن تناشد الأشعار في المساجد » رواه أحمد وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي وحسنه .

وَيُسْنُ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ بَاعَ أَوْ اشْتَرَى فِي الْمَسْجِدِ : لَا أُرِيحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَتَّاعُ فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا : لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ » رواه الترمذي والدرامي .

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّفَطُّنُ لَهُ ، وَالتَّحْذِيرُ عَنْهُ وَابْعَادُهُ عَنِ الْمَسَاجِدِ الْكُتُبِ الَّتِي فِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ ، كَالْهَجَاءِ لِلْسُّنَةِ الْأُولَى الْإِبْتِدَائِيَّةِ ، وَكَالْمُطَالَعَةِ لِسَائِرِ السَّنَوَاتِ ، وَكَالْعُلُومِ ، فَإِنَّ بَعْضَ التَّلَامِيذِ يَأْتُونَ بِهَا إِلَى الْمَسَاجِدِ لِيُطَالِعُوا فِيهَا وَإِذَا تَخَلَّقَتْ وَضَعَهَا فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : وَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ جِبْرِيلُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَرَأَتْ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جِبْرِيلُ ، فَشَكَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : « إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ » رواه البخاري .

وَيُسْنُ صَوْنُ الْمَسْجِدِ عَنْ أَنْشَادِ شِعْرِ قَيْسَجٍ ، وَأَنْشَادِ ضَالَّةٍ وَنُشْدَانِهَا ، وَيُسْنُ لِسَامِعِ نُشْدَانِ الضَّالَّةِ أَنْ يَقُولَ : لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسَلَّمَ : « مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يُنْشِدُ فِي الْمَسْجِدِ ضَالَّةً فَلْيَقُلْ : لَا أَدَاهَا
 اللَّهُ إِلَيْكَ . فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لَهُذَا » رواه أَحْمَدُ ومُسْلِمٌ وابنُ مَاجَه .
 وَعَنْ بُرَيْدَةَ : أَنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : مَنْ دَعَا إِلَى
 الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا وَجَدْتُ ، إِنَّمَا
 بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ » رواه أَحْمَدُ ومُسْلِمٌ وابنُ مَاجَه .

فصل

• حُرْمَةُ الْمُبَالَغَةِ فِي زَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ :

وَتَحْرِمُ زَخْرَفَتَهَا بِنُقُشٍ وَصَنِيعٍ وَكِتَابَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُلْهِي الْمُصَلِّي
 عَنْ صَلَاتِهِ غَالِبًا ، وَإِنْ فُعِلَ ذَلِكَ مِنْ مَالِ الْوَقْفِ حَرَمٌ فَعَلُهُ ، وَوَجَبَ
 ضَمَانُ مَالِ الْوَقْفِ الَّذِي صُرِفَ فِيهِ لَا لِمَصْلَحَةٍ فِيهِ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ » قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمَا - لَتُزَخَّرَ فَنَهَا كَمَا زُخْرِفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى » رواه أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ » رواه الْخَمِيسَةُ إِلَّا
 التِّرْمِذِي .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : كَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ
 مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ ، وَأَمَرَ عُمَرُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ : أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ
 الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحْمَرُ أَوْ تُصْفَرَفَتَفَتِنَ النَّاسَ . وَتَبْغِي أَنْ لَا يَسْتَعْمِلَ
 النَّاسُ حُصْرَ الْمَسْجِدِ وَقَنَادِيلَهُ وَسَجَاجِيدَهُ وَيُسْطَهَ وَسَائِرَ مَا وَقَفَ لِمَصَالِحِهِ
 فِي مَصَالِحِهِمْ ، كَالْأَعْرَاسِ وَيَجِبُ صَرْفُ الْوَقْفِ لِلْجِهَةِ الَّتِي عِيْنَهَا

٦ - كراهة التَّزَامِ مَوْضِعِ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ ، لِغَيْرِ الْإِمَامِ :
وَيَكْرَهُ لِغَيْرِ الْإِمَامِ مُدَاوِمَةُ مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ لَا يُصَلِّي إِلَّا
فِيهِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُبَلٍ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَقَرَةِ الْغُرَابِ ، وَافْتِرَاشِ السَّبْعِ وَأَنْ يُوطَّنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ
فِي الْمَسْجِدِ كَمَا يُوطَّنُ الْبَغِيرُ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ وَالدَّرَامِيُّ . فَإِنْ
لِغَيْرِهِ الْجُلُوسُ فِيهِ ، لِحَدِيثِ (مَنْ سَبَقَ إِلَى مَبَاحٍ فَهُوَ لَهُ) قَالَ فِي
الِاخْتِيَارَاتِ الْفَقْهِيَّةِ وَإِذَا فَرَشَ مُصَلًّى وَلَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ وَلِغَيْرِهِ
رَفَعُهُ فِي أَظْهَرِ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ قُلْتُ وَمِثْلُهُ وَضَعُ خِرْقَةٍ أَوْ عَصَا أَوْ نَعْلٍ أَوْ
تَقْدِيمِ خَادِمٍ أَوْ وَلَدٍ ثُمَّ إِذَا حَضَرَ قَامَ عَنْهُ وَجَلَسَ فِيهِ فَهَذَا لَا يَجُوزُ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

وَقَالَ فِي إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ وَلَمْ يُصَلِّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى سُجَادَةٍ قَطُّ وَلَا كَانَتْ السُّجَادَةُ تُفَرِّشُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَلْ كَانَ يُصَلِّي عَلَى
الْأَرْضِ وَرُبَّمَا سَجَدَ عَلَى الطِّينِ وَكَانَ يُصَلِّي عَلَى الْحَصِيرِ فَيُصَلِّي عَلَى مَا
اتَّفَقَ بَسْطُهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ صَلَّى عَلَى الْأَرْضِ .

قَالَ النَّاطِظُ لِاخْتِيَارَاتِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَوَضَعَ الْمُصَلِّي فِي الْمَسَاجِدِ بِذَعَةً
وَلَيْسَ مِنَ الْهَذْيِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدِ
وَتَقْدِيمُهُ فِي الصَّفِّ حَجَرٌ لِرَوْضَةٍ
وَعَصْبٌ لَهَا عَنْ دَاخِلٍ مُتَعَبِّدٍ

وَيُشَبِّهُهُ وَضْعُ الْعَصَا وَحُكْمُهَا
كَحُكْمِ الْمُصَلَّى فِي ابْتِدَاعِ التَّعْبُدِ
بَلَى مُسْتَحَبٌّ أَنْ يُمَاطَا وَيُرْفَعَا
عَنِ الدَّاخِلِينَ الرَّكَعِينَ بِمَسْجِدِ
لَيْتَن لَمْ يَكُنْ هَذَا بِنَصْرِ مُقَرَّرٍ
وَلَا فِعْلُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَخَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَى الْهَدَى
وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحْدَثَاتُ فَبَعْدُ

اللَّهُمَّ الْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارَ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا ، وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

فِي الْأَيَّامِ الَّتِي يُسَنَّ أَوْ يُكْرَهُ صِيَامُهَا

وَيَتَبَحَّثُ فِي :

- ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي صَوْمِ بَعْضِ الْأَيَّامِ .
- ٢ - بَيَانُ الْأَيَّامِ الَّتِي يُكْرَهُ أَوْ يَحْرُمُ صِيَامُهَا ، وَالنَّهْيُ عَنِ التَّشْبِيهِ
بِالْغَيْرِ .

- ١ - مَا وَرَدَ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فِي صَوْمِ بَعْضِ الْأَيَّامِ :
- يُسَنَّ صِيَامُ أَيَّامِ الْبَيْضِ ، وَهِيَ الثَّلَاثُ عَشَرَ وَالرَّابِعُ عَشَرَ وَالْخَامِسُ

عشر . لما ورد عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثًا ، فَصُمْ : ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ » رواه الترمذي .

وَعَنْ قَتَادَةَ بْنِ مِلْحَانَ - رضي الله عنه - قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ أَيَّامِ الْبَيْضِ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ ، رواه أبو داود .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قال : أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَكَعَتَا الضُّحَى ، وَأَنْ أُوتَرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ « متفق عليه .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قال أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ ، لَنْ أَدْعُهُنَّ مَا عِشْتُ : بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَصَلَاةِ الضُّحَى وَبِأَنْ لَا أَنَامَ حَتَّى أُوتَرَ رواه مُسْلِمٌ .

وَيُسَنُّ صِيَامُ أَيَّامِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ ، وَسَبَّ مِنْ شَوَّالٍ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ فَقَالَ : « ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمٌ أُوْلِدْتُ فِيهِ ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ فِيهِ ، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ » رواه مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تُغْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُغْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ » رواه الترمذي وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ بِغَيْرِ صَوْمٍ .

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْاَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ » رواه مُسْلِمٌ .

وَاسْتَحَبَّ صِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَطَاوُوسٍ وَالشَّعْبِيِّ ، وَمَيْمُونِ بْنِ مَهْرَانَ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ : عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ صِيَامُهَا مُتَتَابِعَةً أَوَّلَ الشَّهْرِ ثَانِي الْفِطْرِ ، وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ مَرْقُوعٍ : « مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ مُتَتَابِعَةً فَكَأَنَّمَا صَامَ السَّنَةَ » أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَفِي حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ : « إِذَا أَفْطَرْتَ فَصُمْ » وَإِنَّمَا كَانَ صِيَامُ رَمَضَانَ وَإِتْبَاعُهُ بِسِتِّ مِنْ شَوَّالٍ يَعْدِلُ صِيَامَ الدَّهْرِ لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا .

وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مُفَسَّرًا مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : « صِيَامُ رَمَضَانَ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بِشَهْرَيْنِ ، فَذَلِكَ صِيَامُ السَّنَةِ ، يَعْنِي صِيَامَ رَمَضَانَ وَسِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَهُ » أَخْرَجَهُ : الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ . وَهَذَا لَفْظُهُ . وَخَرَجَهُ : ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ . وَصَحَّحَهُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ .

وَيُسَنُّ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ لِغَيْرِ حَاجٍ بِهَا ، وَشَهْرُ الْمُحَرَّمِ وَآكُدُهُ الْعَاشِرُ ، ثُمَّ التَّاسِعُ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ . » رواه مُسْلِمٌ .

وفي حديث أبي قتادة قال : قال عُمر - رضي الله عنه - يا رسول الله . كَيْفَ مَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ ؟ قَالَ : « لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ » وقال : « لم يصم وَلَمْ يُفْطِر » قَالَ : كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيَفْطِرُ يَوْمًا ؟ قَالَ : « وَيُطِيقُ أَحَدٌ » قَالَ : « كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطِرُ يَوْمًا » ذَلِكَ صَوْمُ دَاوُدَ ، قَالَ : كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيَفْطِرُ يَوْمَيْنِ ؟ قَالَ وَدِدْتُ أَنِّي طَوَّقْتُ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ احْتِسَبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ احْتِسَبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ » رواه مُسْلِمٌ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ . متفق عليه .

وَعَنْهُ - رضي الله عنهما - : لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ ، لَأُصُومَنَّ التَّاسِعَ « متفق عليه .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نَهَى عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ » رواه أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ .

وَيُسَنُّ صِيَامُ تِسْعِ ذِي الْحِجَّةِ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ » يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : « وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ » رواه

البخاري .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ ، وَإِنْ صِيَامَ يَوْمٍ فِيهَا لَيَعْدِلُ صِيَامَ سَنَةٍ ، وَلَيْلَةٍ فِيهَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ » رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث غريب .

اللَّهُمَّ انا نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ وَدَوَامَهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَأَسْبَابِهَا ، اللَّهُمَّ أَفْضِرْ عَلَيْنَا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وَعَوْنِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ وَبَالِهَا وَارْأَفْ بِنَا رَأْفَةً الْحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَنُزُولِهَا ، وَارْحَمْنَا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَغُمُومِهَا بِالرُّوحِ وَالرِّيحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا ، وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ : مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

في بيان الأيام التي يُكْرَهُ أَوْ يُحْرَمُ صِيَامُهَا
والنهي عن التشبيه بالغير

وَيُكْرَهُ إِفْرَادُ رَجَبٍ بِالصَّوْمِ ، وَالْجُمُعَةُ وَالسَّبْتُ ، أَمَّا رَجَبٌ : فَلَمَّا رَوَى أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ خُرْشَةَ بِنِ الْحَرِّ قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ يَضْرِبُ أَكْفَ الْمُتَرَجِّينَ حَتَّى يَضَعُوهَا فِي الطَّعَامِ ، وَيَقُولُ كُلُّوا ! فَإِنَّمَا هُوَ شَهْرٌ كَانَتْ تُعَظَّمُهُ الْجَاهِلِيَّةُ .

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى النَّاسَ
وَمَا يُعِدُّونَهُ لِرَجَبٍ كَرِهَهُ وَقَالَ : « صُومُوا مِنْهُ وَأَفْطَرُوا » .

وَأَمَّا الْجُمُعَةُ ، فَلَمَّا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَخْصُوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ
اللَّيَالِي ، وَلَا تَخْصُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي
صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ » رواه مُسْلِمٌ .

وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا
بَعْدَهُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا السَّبْتُ فَلَمَّا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ عَنْ أُخْتِهِ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَصُومُوا يَوْمَ
السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا أَفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا لِحَاءَ عِنَبَةٍ ، أَوْ
عُودَ شَجَرَةٍ فَلْيَمْضِغْهُ » رواه الخُمَيْسِيُّ إِلَّا النَّسَائِيُّ .

وَيُكْرَهُ تَقَدُّمَ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، لَمَّا وَرَدَ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« لَا تَقْدِمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا
فَلْيَصُمْهُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَيُكْرَهُ صَوْمُ الدَّهْرِ ، لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَلِلْمُسْلِمِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِلَفْظِ « لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ » .

وَيُكْرَهُ صَوْمُ النَّيُّوزِ وَالْمَهْرَجَانِ وَكُلِّ عِيدٍ لِلْكَفَّارِ ، أَوْ يَوْمٍ يُفْرَدُونَهُ بِالْتَعْظِيمِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ مُوَافَقَةِ الْكَفَّارِ فِي تَعْظِيمِهَا ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : مَنْ تَأَسَّى بِإِلَادِ الْأَعَاجِمِ نَيُّوزِهِمْ وَمَهْرَجَانِهِمْ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ حُشِرَ مَعَهُمْ .

قَالَ الشَّيْخُ وَغَيْرُهُ : مَا لَمْ يُوَافِقْ عَادَةً أَوْ يَصُفُّهُ عَنْ نَذْرٍ وَنَحْوِهِ ، قَالَ : وَكَذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيسِ الَّذِي يَكُونُ فِي آخِرِ صَوْمِهِمْ كَيَوْمِ (عِيدِ الْمَائِدَةِ) وَيَوْمِ الْأَحَدِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ (عِيدَ الْفُصْحِ) وَ (عِيدِ النَّوْرِ) وَ (الْعِيدِ الْكَبِيرِ) وَنَحْوَ ذَلِكَ ، لَيْسَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُشَابِهَهُمْ فِي أَصْلِهِ وَلَا فِي وَصْفِهِ .

وَقَالَ : لَا يَجِلُّ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا فِي شَيْءٍ مِمَّا يَخْتَصُّ بِأَعْيَادِهِمْ ، لَا مِنْ طَعَامٍ ، وَلَا مِنْ لِبَاسٍ ، وَلَا اغْتِسَالٍ ، وَلَا إِيقَادِ نِيرَانٍ ، وَلَا تَبْطِيلِ عَادَةٍ مِنْ مَعِيشَةٍ أَوْ عِبَادَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَا تُمْكُنُ الصَّبْيَانِ وَنَحْوَهُمْ مِنَ اللَّعِبِ الَّتِي فِي الْأَعْيَادِ ، وَلَا إِظْهَارِ زِينَةٍ .

وَبِالْجُمْلَةِ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَخْصُوا أَعْيَادَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ شَعَائِرِهِمْ بَلْ يَكُونُ يَوْمٌ عِنْدَهُمْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ كَسَائِرِ الْأَيَّامِ ، لَا يَخُصُّهُ الْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِمْ .

وَتَخْصِيصُهُ بِمَا تَقْدَمُ فَلَا نِزَاعَ فِيهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، بَلْ قَدْ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى كُفْرِ مَنْ يَفْعَلُ هَذِهِ الْأُمُورَ : لِمَا فِيهَا مِنْ تَعْظِيمِ شَعَائِرِ الْكُفْرِ .

وَقَدْ اشْتَرَطَ عُمَرُ وَالصُّحَابَةُ وَسَائِرُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ لَا يُظْهِرُوا
أَعْيَادَهُمْ فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ فَكَيْفَ إِذَا أَظْهَرَهَا الْمُسْلِمُونَ ؟ حَتَّى قَالَ عُمَرُ
بُنُ الْخَطَّابِ : لَا تَتَعَلَّمُوا رِطَانَةَ الْأَعَاجِمِ ، وَلَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمَشْرِكِينَ
فِي كُنَائِسِهِمْ يَوْمَ عِيدِهِمْ ، فَإِنَّ السُّخْطَةَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ،
فَكَيْفَ بِمَنْ يَفْعَلُ مَا يُسْخِطُ اللَّهَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُوَ مِنْ شَعَائِرِهِمْ ؟ وَقَالَ
عُمَرُ : مَا تَعَلَّمَ رَجُلٌ الْفَارِسِيَّةَ إِلَّا خَبٌ وَلَا خَبٌ إِلَّا نَقَصَتْ مَرْوَتُهُ .

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا
يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ قَالَ : أَعْيَادُ الْكُفَّارِ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي شَهْرِيهَا مِنْ غَيْرِ
فِعْلٍ ، فَكَيْفَ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِهَا ؟ !

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ أَنَّهُ
قَالَ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » ، وَفِي لَفْظٍ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ
بِغَيْرِنَا » وَهُوَ حَدِيثٌ جَيِّدٌ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي التَّشْبِيهِ - وَإِنْ كَانَ مِنَ
الْعَادَاتِ - فَكَيْفَ التَّشْبِيهِ بِهِمْ فِيمَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ ؟ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ اعْتِيَادُ اللَّغَةِ يُؤَثِّرُ فِي الْعَقْلِ وَالْخُلُقِ
وَالَّذِينَ تَأْثِيرًا قَوِيًّا بَيِّنًا بِحَسَبِ تِلْكَ اللَّغَةِ وَقَالَ فِي اقْتِضَاءِ الصَّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : مَنْ يُحْسِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ فَلَا يَتَكَلَّمُ بِالْعُجْمَةِ فَإِنَّهُ يُورَثُ
النِّفَاقَ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَلَى حَدِيثٍ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ
مِنْهُمْ » أَيُّ بِالْإِنْدِمَاجِ وَتَلَاشَتْ شَخْصِيَّتُهُ فِيهِمْ فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ

تَعْظِيمَ وَإِكْبَارِ لَهُمْ ، فَهُوَ لِذَلِكَ يُلْغِي شَخْصِيَّتَهُ وَيَتَلَأْسَى فِي شَخْصِيَّةِ
الْآخَرِينَ ، فَمَنْ تَشَبَّهَ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ بِالْعَاءِ
شَخْصِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ السُّفِيَّةِ ، وَانْدَمَجَ فِي مَعْنَوِيَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ عِلْماً وَعَمَلاً وَاعْتِقَاداً وَأَدْباً ، فَهُوَ بِلا شَكٍّ مِنْهُمْ .

وَمَنْ تَشَبَّهَ بِالْإِفْرَنْجِ فِي لِبَاسِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَنُظُمِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ فَهُوَ
بِلا شَكٍّ إِفْرَنْجِي غَيْرَ مُسْلِمٍ ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، فَلِهَذَا
التَّشْبِيهِ وَنَتَائِجِهِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ نَرَى الْمُعْظَمِينَ لِلنَّصَارَى وَالرُّومِيِّينَ
الْحَرِيصِينَ عَلَى التَّشْبِيهِ بِهِمْ وَالانْدِمَاجِ فِيهِمْ يُعَاوَنُونَهُمْ عَلَى الضَّرَرِ بِدِينِهِمْ
وَبِلَادِهِمْ وَأُمَمِهِمْ عَنْ قَصْدٍ وَعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ أَهـ .

وَيُكْرَهُ وَصَالٌ إِلَّا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ
الْوِصَالِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ :
« وَأَيُّكُمْ مِثْلِي إِنِّي أُبَيِّتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِيْنِي » فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنْ
الْوِصَالِ وَاصْلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا ، ثُمَّ رَأَوْا الْهَيْلَالَ فَقَالَ : « لَوْ تَأَخَّرَ الْهَيْلَالُ
لَزِدْتُمْ » كَالْمُنْكَلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَلَا يَجُوزُ صَوْمُ الْعِيدَيْنِ عَنْ فَرَضٍ أَوْ تَطَوُّعٍ ، وَإِنْ قَصَدَ صِيَامَهَا
كَانَ غَاصِباً ، وَلَا يُجْزئُ عَنْ الْفَرَضِ .

وَلَا يَجُوزُ صِيَامُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ إِلَّا عَنْ دَمٍ مُتَعَةٍ وَقِرَانٍ ، لِمَا وَرَدَ عَنْ
أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « أَنَّهُ نَهَى عَنْ صَوْمِ يَوْمَيْنِ : يَوْمِ الْفِطْرِ ، وَيَوْمِ النَّحْرِ » مُتَّفَقٌ

عَلَيْهِ .

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ مَوْلَى أَرْهَرٍ ، قَالَ : شَهِدْتُ الْعَبِيدَ مَعَ عُمَرَ ابْنِ
الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ : « هَذَانِ يَوْمَانِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صِيَامِهِمَا : يَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ ، وَالْيَوْمُ الْآخِرُ
تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا أَيَّامُ التَّشْرِيقِ ، فَلَمَّا رُوِيَ عَنْ نُبَيْشَةَ الْهَذَلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلِ
وَشُرْبٍ وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ « نَهَى عَنْ صَوْمِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ فِي السَّنَةِ : يَوْمَ الْفِطْرِ ، وَيَوْمَ
النَّحْرِ ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ التَّشْرِيقِ » رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ .

اللَّهُمَّ اسْلِكْ بِنَا مَسْلَكَ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ ، وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ
الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ، وَأَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ .

اللَّهُمَّ أَخِي قُلُوبًا أَمَاتَهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا تُعَذِّبْنَا بِإِلِيمِ عِقَابِكَ يَا
أَكْرَمَ مَنْ سَمَحَ بِالنُّوَالِ وَجَادَ بِالْإِفْضَالِ ، اللَّهُمَّ أَيْقِضْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِطُفْلِكَ
وَإِحْسَانِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

فِي الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

عِبَادَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فَمَا مِنْ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ
سَبِيلٌ مُوَصَّلٌ إِلَيْهِ ، وَوَسِيلَةٌ مُبْلِغَةٌ لَهُ ، وَمَا مِنْ شَرٍّ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ
ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جِرْزٌ مَتِينٌ وَجُضُنٌ حَصِينٌ
لِلسَّلَامَةِ مِنْهُ وَالنَّجَاةِ مِنْ ضَرَرِهِ .

وَكَمْ عَلَّقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَلَى التَّقْوَى مِنْ خَيْرَاتٍ
عَظِيمَةٍ وَسَعَادَاتٍ جَسِيمَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلْحِفْظِ
وَالْعِنَايَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَحَبَّةِ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَا
اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ
اللَّهُ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ نَفْيُ الْخَوْفِ وَالْحُزَنِ عَنِ الْمُتَّقِي الْمُضْلِحِ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وَمِنْ
ذَلِكَ الْفَرْقَانُ عِنْدَ الْإِسْتِيَاءِ وَوُقُوعِ الْأَشْكَالِ وَالْكَفَارَةِ لِلْسَّيِّئَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ
لِلذُّنُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ
فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ النُّجَاةُ مِنَ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا
كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ وَنُجِّيَ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
وَمِنْ ذَلِكَ الْمَخْرَجُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ قَالَ تَعَالَى :
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْيُسْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى . ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ
يُسْرًا ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ عِظْمُ الْأَجْرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى :
﴿ جَنَّاتٌ عِدْنُ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ الْآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ مَنْ
كَانَ تَقِيًّا .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾

وَمِنْ ذَلِكَ الْكَرَامَةُ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ
اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ امْتِثَالُ الْأَوَامِرِ
وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي ، فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَرَاهُمُ اللَّهُ حَيْثُ أَمَرَهُمْ وَلَا
يُقَدِّمُونَ عَلَى مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ .

الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَهُ
وَيُؤَدُّونَهُ ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاطِلَ وَيَجْتَنِبُونَهُ وَيَخَافُونَ الرَّبَّ الْجَلِيلَ الَّذِي لَا
تُخْفِي عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، الْمُتَّقُونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَيُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَهُ
وَيُحِلُّونَ مَا أَحَلَّهُ .

وَلَا يَخُونُونَ فِي أَمَانَةٍ وَلَا يَرْضَوْنَ بِالذُّلِّ وَالْأَهَانَةِ وَلَا يَعْقُونَ وَلَا

يَقْطَعُونَ ، وَلَا يُؤْذُونَ جِيرَانَهُمْ وَلَا يَضْرِبُونَ إِخْوَانَهُمْ ، يَصِلُونَ مَنْ
قَطَعَهُمْ ، وَيُعْطُونَ مَنْ حَرَمَهُمْ ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمُ الْخَيْرَ عِنْدَهُمْ
مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْ جَانِبِهِمْ مَأْمُونٌ لَا يَغْتَابُونَ وَلَا يَكْذِبُونَ وَلَا يُنَافِقُونَ .

وَلَا يَنْمُونَ وَلَا يَحْسِدُونَ وَلَا يُرَاؤُونَ وَلَا يُرَابُونَ وَلَا يَقْذِفُونَ وَلَا
يَأْمُرُونَ بِمُنْكَرٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ مَعْرُوفٍ ، بَلْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ ، تِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ حَقًّا الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ .

إخواني ، لَوْ تَحَلَّى كُلٌّ مِنَّا بِالتَّقْوَى لَحَسُنَ عَمَلُهُ ، وَخَلَصَتْ نَيْتُهُ ،
وَاسْتَقَامَ عَلَى الْهُدَى ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالرَّدَى ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مِنَ النَّاجِينَ .

وَصَفُ الْمُؤْمِنِ الْمُتَّقِي لِلْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الْمُتَّقُونَ هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ
وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَّفُوا أَسْمَاعَهُمْ
عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَمَا نَزَلَتْ فِي
الرَّخَاءِ وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
طَرَفَةً عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ .

عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ
كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعِمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذِّبُونَ
قُلُوبُهُمْ مَخْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَجِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ

وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ وَتِجَارَةٌ مُرِيحَةٌ
يَسْرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ .

أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَّتْهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلُ
فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُونَهُ تَرْتِيلًا يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ
وَيَسْتَشِيرُونَ بِهِ دَوَاءً دَائِهِمْ .

فَإِذَا مَرُّو بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وَتَطَلَّعَتْ نَفْسُهُمْ إِلَيْهَا
شَوْقًا وَظَنُّوا أَنَّهَا نَصَبٌ أَعْيَنَهُمْ وَإِذَا مَرُّو بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا
مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَيْيَرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أَصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ
حَائُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مَفْتَرِشُونَ لِجَبَاهِهِمْ وَأَكْفِهِمْ وَرُكْبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ
يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَالِكَ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَزْرَارُ
أَتَقِيَاءُ .

قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِّي الْقَدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّازِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى
وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ خَوَّلَطُوا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ؟ لَا
يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَهَمُونَ
وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا رُكِبَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ
بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ
وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ .

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْمًا فِي لَيْلٍ وَإِيمَانًا
فِي يَقِينٍ ، وَجِرْصًا فِي عِلْمٍ ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ وَقُصْدًا فِي غِنَى وَخُشُوعًا
فِي عِبَادَةٍ وَتَحَمُّلًا فِي فَاقَةٍ وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ وَنَشَاطًا فِي
هَذَى وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ .

يَعْمَلُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ عَلَىٰ وَجَلٍ ، يُمَسِّي وَهْمُهُ الشُّكْرُ ،
وَيُضَيِّحُ وَهْمُهُ الذِّكْرُ يَبِيْتُ حَذِرًا وَيُضَيِّحُ فَرِحًا ، حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنْ
الْغَفْلَةِ ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ ، إِنْ اسْتَضْعَبَتْ عَلَيْهِ
نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ ، لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ .

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى ، يَمْزِجُ الْحِلْمَ
بِالْعِلْمِ ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ . تَرَاهُ قَرِيْبًا أَمَلُهُ ، قَلِيْلًا زَلَلُهُ ، خَاشِعًا قَلْبُهُ ،
قَانِعَةً نَفْسُهُ ، مَتَزَوِّرًا أَكَلُهُ سَهْلًا أَمْرُهُ ، حَرِيْزًا دِيْنُهُ ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُومًا
غَيْظُهُ . الْحَيَّرَ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرَّ مِنْهُ مَأْمُونٌ .

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ يَعْفُو عَنْ ظَلَمِهِ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ،
بَعِيدًا فُحْشُهُ ، لَبِنًا قَوْلُهُ غَائِبًا مُنْكَرُهُ ، حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ ، مُقْبِلًا خَيْرُهُ ،
مُذْبِرًا شَرُّهُ ، فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ .

لَا يَخْيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ
قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يُضَيِّعُ مَا اسْتُحْفِظَ ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِرَ ، وَلَا يُنَابِزُ
بِالْأَلْقَابِ ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ ، وَلَا يَشْتُمُ بِالْمُصَافِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي
الْبَاطِلِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ .

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ صَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بُغِيَ
عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءِ النَّاسِ
مِنْهُ فِي رَاحَةٍ ، أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرَجَتْهُ ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ .

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوهُ يَمْنٌ دَنَا مِنْهُ لَيْنٌ وَرَحْمَةٌ ،
لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

قَالَ فَصَعِقَ هَمَامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ
الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : فَمَا بِأَلْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ وَنَحَكَ ، إِنْ
لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ وَسَبِيًّا لَا يَتَجَاوَزُهُ أَهٌ .

عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ لَا تَتْرُكُونَهَا
فَإِنَّ التَّقَى أَقْوَى وَأَوْلَى وَأَعْدَلُ
لِبَاسُ التَّقَى خَيْرُ الْمَلَابِسِ كُلِّهَا
وَأَبْهَى لِبَاسًا فِي الْوُجُودِ وَأَجْمَلُ
فَمَا أَحْسَنَ التَّقْوَى وَأَهْدَى سَبِيلَهَا
بِهَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانُ مَا كَانَ يَفْعَلُ
فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَادِرْ إِلَى التَّقَى
وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ مَا دُمْتَ مُمَهِّلُ
وَأَكْثِرْ مِنَ التَّقْوَى لِتَحْمِدَ غِبَّهَا
بِذَاكَ الْجَزَاءُ دَارٍ بِهَا سَوْفَ تَنْزِلُ
وَقَدِّمْ لِمَا تَقْدِمُ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
غَدًا سَوْفَ تُجْزَى بِالَّذِي سَوْفَ تَفْعَلُ
وَأَحْسِنْ وَلَا تُهْمِلْ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا
فَدَارُ بَنِي الدُّنْيَا مَكَانُ التَّرَحُّلِ

وَأَدِّ فُرُوضَ الدِّينِ وَاتَّقِنِ أَدَاءَهَا
كَوَامِلَ فِي أَوْقَاتِهَا وَالتَّنْفِلِ
وَسَارِعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ لَا تَهْمِلْنَهَا
فَإِنَّكَ إِنْ أَهْمَلْتَ مَا أَنْتَ مُهْمَلُ
وَلَكِنْ سَتُجْزَى بِالَّذِي أَنْتَ عَامِلُ
وَعَنْ مَا مَضَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سَتُسْأَلُ
وَلَا تُلْهِكَ الدُّنْيَا فَرُبَّكَ ظَالِمٌ
لِرِزْقِ الْبَرَايَا ظَالِمٌ مُتَكَفِّلُ
وَدُنْيَاكَ فَاغْبُرْهَا وَآخِرَاكَ زِدْ لَهَا
عَمَاراً وَإِثَاراً إِذَا كُنْتَ تَعْقِلُ
فَمَنْ آثَرَ الدُّنْيَا جَهُولٌ وَمَنْ يَبْغِ
لِآخِرَاهُ بِالْدُّنْيَا أَضْلٌ وَأَجْهَلُ
وَلَذَائُهَا وَالْجَاهُ وَالْعِزُّ وَالْغِنَى
بِأَضْدَادِهَا عَمَّا قَلِيلٍ تَبَدَّلُ
فَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عُمرُهُ
فَلَا بُدَّ عَنْهَا رَاغِماً سَوْفَ يُنْقَلُ
وَيُنْزَلُ دَاراً لَا أُنَيْسَ لَهُ بِهَا
لِكُلِّ الْوَرَى مِنْهُمْ مَعَادٌ وَمَوْئِلُ
وَيَبْقَى زَهِيناً بِالتَّرَابِ بِمَا جَنَى
إِلَى بَعْثِهِ مِنْ أَرْضِهِ حِينَ يَنْسِلُ
يُهَالُ بِأَمْوَالٍ يَشِيبُ بِبَعْضِهَا
وَلَا هَوْلَ إِلَّا بَعْدَهُ الْهَوْلُ أَهْوَلُ

وَفِي الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَشْرُ صَحَائِفٍ
 وَمِيزَانُ قِسْطٍ طَائِشٍ أَوْ مُثْقَلُ
 وَخَشَرُ يَشِيبُ الْطِفْلُ مِنْهُ لِهَوْلِهِ
 وَمِنْهُ الْجِبَالُ الرَّاكِبَاتُ تَزْلُزَلُ
 وَنَارُ تَلْطِئُ فِي لُضَامَا سَلَاسِلُ
 يُغْلُ بِهَا الْفُجَارُ ثُمَّ يُسَلْسَلُ
 شَرَابُ ذَوِي الْإِجْرَامِ فِيهَا حَمِيمُهَا
 وَزُقُومُهَا مَطْعُومُهُمْ حِينَ يُؤْكَلُ
 حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَآخِرُ مِثْلُهُ
 مِنْ الْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ وَيَشْعَلُ
 يَزِيدُ هَوَاناً مِنْ هَوَاها وَلَا يَزَلُ
 إِلَى قَعْرِهَا يَهْوِي دَوَاماً وَيَنْزِلُ
 وَفِي نَارِهِ يَبْقَى دَوَاماً مُعَذَّباً
 يَصِيحُ ثُبُوراً وَنَحَهُ يَتَوَلَّوْ
 عَلَيْهَا صِرَاطٌ مَذْحَضٌ وَمَزْلَةٌ
 عَلَيْهِ الْبَرَايَا فِي الْقِيَامَةِ تُحْمَلُ
 وَفِيهِ كَلَالِيْبٌ تَعْلُقُ بِالْوَرَى
 فَهَذَا نَجَا مِنْهَا وَهَذَا مُخْرَدَلُ
 فَلَا مُذْنِبٌ يَفْدِيهِ مَا يَفْتَدِي بِهِ
 وَإِنْ يَعْتَذِرُ يَوْمَاً فَلَا الْعُذْرُ يُقْبَلُ
 فَهَذَا جَزَاءُ الْمَجْرَمِينَ عَلَى الرَّدَى
 وَهَذَا الَّذِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْصَلُ

أَعُوذُ بِرَبِّي مِنْ لَظَى وَعَذَابِهَا
وَمِنْ حَالٍ مَنْ يَهْوِي بِهَا يَتَجَلَّجَلُ
وَمِنْ حَالٍ مَنْ فِي زَمْهِرٍ مُعَذَّبٍ
وَمَنْ كَانَ فِي الْأَغْلَالِ فِيهَا مُكْبَلُ
وَجَنَاتُ عَذْنٍ زُخْرِفَتْ ثُمَّ أُزْلِفَتْ
لِقَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى دَوَامًا تَبْتَلُ
بِهَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي
وَقُرَّةُ عَيْنٍ لَيْسَ عَنْهَا تَرْحَلُ
مَلَإِسُهُمْ فِيهَا خَرِيرٌ وَسُنْدُسُ
وَإِسْتَبْرَقٌ لَا يَغْتَرِيهِ التُّحَلُّ
وَمَاكُولُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهُونَهُ
وَمِنْ سَلْسِيلٍ شَرِبُهُمْ يَتَسَلَّلُ
وَأَزْوَاجُهُمْ حُورٌ جَسَانٌ كَوَاعِبُ
عَلَى مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَشْكَلُ
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالَّذِي يَشْتَهُونَهُ
إِذَا أَكَلُوا نَوْعًا بَاخِرَ بُدْلُوا
فَوَاكِهُهَا تَذْنُوا إِلَى مَنْ يُرِيدُهَا
وَسُكَّانُهَا مَهْمَا تَمْنُوهُ يَحْصُلُ
وَأَنْهَارُهَا الْأَلْبَانُ تَجْرِي وَأَغْسَلُ
تَنَاوَلُهَا عِنْدَ الْإِرَادَةِ يَسْهُلُ
بِهَا كُلُّ أَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ كُلِّهَا
وَحَمَرٌ وَمَاءٌ سَلْسِيلٌ مُعَسِّلُ

يُقَالُ لَهُمْ طِبْتُمْ سَلِمْتُمْ مِنَ الْأَذَى
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِالسَّلَامَةِ فَأَدْخُلُوا
بِأَسْبَابِ تَقْوَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ الَّذِي
يُجِبُّ إِلَى جَنَاتِ عَذْنٍ تَوْصَلُوا
إِذَا كَانَ هَذَا وَالَّذِي قَبْلَهُ الْجَزَاءُ
فَحَقٌّ عَلَى الْعَيْنَيْنِ بِالدَّمْعِ تَهْمِلُ
وَحَقٌّ عَلَى مَنْ كَانَ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا
يُقَدِّمُ لَهُ خَيْرًا وَلَا يَتَعَلَّلُ
وَأَنْ يَأْخُذَ الْإِنْسَانُ زَادًا مِنَ التَّقَى
وَلَا يَسَامُ التَّقْوَى وَلَا يَتَمَلَّلُ
وَإِنْ أَمَامَ النَّاسِ خَشَرٌ وَمَوْقِفٌ
وَيَوْمٌ طَوِيلٌ أَلْفُ عَامٍ وَأَطْوَلُ
فَيَاكَ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كُلِّ مُبْطِلٍ
فَضِيحٌ وَأَهْوَالُ الْقِيَامَةِ تُغْضِلُ
تَكُونُ بِهِ الْأَطْوَادُ كَالْعِهْنِ أَوْ تَكُنْ
كَثِيبًا مَهِيلاً أَهْيَلًا يَنْهَلُ
بِهِ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ تُقْبَلُ وَخَدَمَا
وَلَا غَيْرُهَا مِنْ أَيِّ دِينٍ فَيَبْطُلُ
بِهِ يُسْأَلُونَ النَّاسَ مَاذَا عِبَدْتُمُوا
وَمَاذَا أَجَبْتُمْ مَنْ دَعَاؤُهُوَ مُرْسَلُ
حِسَابُ الَّذِي يَنْقَادُ عَرْضُ مُخَفَّفُ
وَمَنْ لَيْسَ مُنْقَادًا حِسَابُ مُنْقَلُ

أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوءِ صُنْعِنَا
وَأَسْأَلُكَ التَّشْيِيتَ أُخْرَى وَأَوَّلُ
إِلَهِي فَتَيْتَنِي عَلَى دِينِكَ الَّذِي
رَضِيتَ بِهِ دِينًا وَإِيَّاهُ تَقَبَّلُ
وَهَبْ لِي مِنَ الْفِرْدَوْسِ قَصْرًا مُشِيدًا
وَمَنْ بِخَيْرَاتِ بِهَا أَتَعَجَّلُ
وَلِلَّهِ حَمْدٌ دَائِمٌ بِدَوَامِهِ
مَدَى الدَّهْرِ لَا يَفْنَى وَلَا الْحَمْدُ يَكْمَلُ
يَزِيدُ عَلَى وَزْنِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا
وَأَزْجَحُ مِنْ وَزْنِ الْجَمِيعِ وَأَثْقَلُ
وَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْحَمْدِ أَبْتَدِي
وَأُنْهِئُ بِحَمْدِ اللَّهِ قَوْلِي وَأَبْتَدِي
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا وَأُزَكِّي تَحِيَّةً
تَعْمُ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ وَتَشْمَلُ
وَأُزَكِّي صَلَاةَ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
عَلَى الْمُصْطَفَى أَزَكِّي الْبَرِيَّةَ تَنْزِيلُ

اللهم وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنُّومِ
وَارْزُقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبُحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللهم وعاملنا
بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ واجعلنا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللهم ارحم دُلْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجعل رَغْبَتَنَا فِيْمَا
لَدَيْكَ ، وَلَا تَحْرِمْنا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، واغفر لنا ولوالدينا .

وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ يَوْمَ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مِرَاءَ ، يَقَعُ فِيهِ
الْفِرَاقُ وَتَنْفَصِمُ فِيهِ الْعُرَى ، فَتَذَبُّرُوا أَمْرَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَحْضُرُوا ، وَأَنْظُرُوا
لَأَنْفُسِكُمْ نَظَرَ مَنْ قَدْ فَهَمَ وَدَرَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا
عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ﴾ يَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ يَشِيبُ فِيهِ الْوِلْدَانُ ، وَتَسِيرُ فِيهِ
الْجِبَالُ ، وَتَظْهَرُ فِيهِ الْخَفَايَا ، وَتَسْطِقُ فِيهِ الْأَعْضَاءُ ، شَاهِدَةٌ
بِالْأَعْمَالِ ، فَانْتَبِهْ يَا مَنْ قَدْ وَهَى شَبَابُهُ ، وَامْتَلَأْ بِالْأَوْزَارِ كِتَابِهِ ، عِبَادَ
اللَّهِ ، أَمَّا بَلَّغُكُمْ أَنَّ النَّارَ لِلْكَفَّارِ وَالْعُصَاةِ أُعِدَّتْ ، إِنَّهَا لَتُحْرَقُ كُلُّ مَا
يُلْقَى فِيهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ
تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ ، كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ
صُفْرٌ ﴾ عِبَادَ اللَّهِ ، أَمَّا بَلَّغُكُمْ أَنَّ طَعَامَ أَهْلِهَا الرِّقْمُ ، وَشَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ ،
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الرِّقْمِ قَطَرَتْ فِي الْأَرْضِ
لَأَمْرَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ » فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طَعَامُهُ ، لَا طَعَامَ لَهُ
غَيْرُهُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ أَنْ شَجَرَةَ الرِّقْمِ طَعَامُ الْإِثْمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي
الْبُطُونِ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴾ .

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا
بَشِيرُ بْنُ طَلْحَةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ الدَّرِيكِ عَنْ يَعْلَى بْنِ مُنِيَّةٍ رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « يُنْشَرُّ اللَّهُ لِأَهْلِ النَّارِ سَحَابَةٌ سَوْدَاءُ
مُظْلِمَةٌ ، فَيُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ أَيُّ شَيْءٍ تَطْلُبُونَ ، فَيَذْكُرُونَ بِهَا سَحَابَةَ
الدُّنْيَا ، فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا الشَّرَابَ ، فَتُمْطَرُ أَغْلَالًا تَزِيدُ فِي أَغْلَالِهِمْ ،

رَسَالِسَ تَزِيدُ فِي سَلَامِهِمْ ، وَجَمْرًا يَلْتَهُبُ عَلَيْهِمْ » .

اللَّهُمَّ توفِنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِلوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣١ كتاب الزكاة

ويبحث في :

- ١ - الأموال التي تجب فيها الزكاة .
- ٢ - نصاب الزكاة .
- ٣ - مصارف الزكاة .
- ٤ - تعريف أهل الزكاة وبيان مقدار ما يعطاه كل صنف .

١ - الأموال التي تجب فيها الزكاة :

إِعْلَمَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ الزُّكُورِيَّةَ زَكَاةً لِمَنْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، وَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ
وَرَتَّبَ الثَّوَابَ عَلَى أَدَائِهَا ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَنَعِهَا ، وَقَرَّنَهَا بِالصَّلَاةِ فِي
مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهَا ، وَتَنْبِيْهًُا بِذِكْرِهَا ، وَحَثًّا عَلَى
أَدَائِهَا لِتُطَهِّرَ النَّفْسَ مِنْ دَرَنِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ ، وَدَفْعَ النَّفْسِ إِلَى
الْجُودِ ، وَالتَّصَدَّقِ وَالْإِنْفَاقِ فِي مَرَاضِي اللَّهِ تَعَالَى : لِتَحْصِيلِ النَّمَاءِ
وَالزِّيَادَةِ وَالْبَرَكَةِ وَالْفَلَاحِ وَالطُّهَارَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ .

فَالزَّكَاةُ تُطَهِّرُ الْمُزَكِّيَّ مِنْ أَنْجَاسِ الذُّنُوبِ ، وَتُزَكِّيهِ مِنْ أَوْسَاجِهَا
وَتُزَكِّيْ أَخْلَاقَهُ بِالتَّحَلِّيِّ بِالْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَتُزَكِّيهِ عَلَى السَّخَاءِ الَّذِي يُجِبُّهُ

كُلُّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَتَبِعُهُ عَنِ الشُّحِّ الَّذِي هُوَ مَذْمُومٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ وَتُطَهَّرُ
الْقُلُوبُ عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا بِبَذْلِ الْيَسِيرِ . فَالْيَسِيرُ هُوَ الْوَاجِبُ وَهُوَ بِذَلِّ الْقَلِيلِ
مِنَ الْكَثِيرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ . إِنْ يَسْأَلْكُمْ فِيمَا فِيخَفِيكُمْ
تَبَخَّلُوا وَبُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَتُجِبُونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ وَقَالَ
﴿ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ .

فَالشَّارِعُ الْحَكِيمُ اللَّطِيفُ بِعِبَادِهِ أَوْجَبَ شَيْئًا يَسِيرًا بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ
إِذَا اعْتَادَ الْإِنْسَانُ إِخْرَاجَهُ مِنَ الْمَالِ الْمَحْبُوبِ طَبْعًا امْتِنَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ اسْتِفَادَ حُبِّ خَالِقِهِ الَّذِي رَزَقَهُ آيَاهُ وَوَعَدَهُ أَنْ يَخْلِفَ عَلَيْهِ مَا
أَنْفَقَهُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَانْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنْزَلَانِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا
اللَّهُمَّ اعْطِ مُتَفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ اعْطِ مُمَسِيكًا تَلَفًا) وَعَنْ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَنْفَقْ يَا بَنَ
آدَمُ يُنْفَقْ عَلَيْكَ ﴾ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الزَّكَاةَ هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَمَبَانِيهِ
الْعِظَامِ الْمَشَارُ إِلَىهَا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى
خَمْسٍ » ذَكَرَ مِنْهَا إِيْتَاءُ الزَّكَاةِ . وَتَجِبُ الزَّكَاةُ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ :

١ - بِهِيمَةِ الْأَنْعَامِ وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ .

٢ - الخارج من الأرض وما في معناه كالعسل الخارج من النحل .

٣ - عروض التجارة .

٤ - الأثمان .

٥ - الثمار .

ولا زكاة في شيء من ذلك حتى يبلغ نصاباً، ولا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول، إلا في الخارج من الأرض لقوله تعالى : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ والأنتاج السائمة، وربح التجارة فإن حولهما حول أصليهما إن كان نصاباً، والا فابتداء الحول من حين كمل نصاباً .

ومن كان عنده مال وعليه دين فإن كان بمقدار ما عنده فلا زكاة فيه، فإن كان عنده عشرة آلاف وعليه دين عشرة آلاف فاضبح ما يملك شيئاً وإن كان عنده عشرون ألفاً وعليه عشرة زكى عشرة وإن كان عليه عشرون وعنده عشرة فليس عليه شيء وله الأخذ من الزكاة لأنه من الفقراء ولأنه غارم .

ويضم المستفاد إلى نصاب يديه من جنسه، أو في حكمه في وجوب الزكاة لا في الحول، فيزكي كل واحد إذا تم حوله .

وتجب الزكاة فيما زاد على النصاب بحسابه إلا في السائمة فلا زكاة في وقصها لما روى أبو عبيدة في غريبه : (وليس في الأوقاص صدقة) ، وقال : « الوقص ما بين الفرضين » .

أما عروض التجارة، فهو كل ما أعد للبيع والشراء لأجل الربح .

والتَّكْسِبِ مِنْ جَمِيعِ السَّلْعِ التِّجَارِيَّةِ : كَالْمُجَوَهَرَاتِ وَالْأَطْعِمَةِ وَالْأَقِمْشَةِ
وَالسِّيَّارَاتِ وَالْمَكَائِنِ ، وَالثَّابِتَاتِ : كَالْعَقَارَاتِ مِنْ أَرْضٍ وَبُيُوتٍ
وَنَحْوِهَا ، إِذَا تَمَلَّكَهَا بِفِعْلِهِ بِنَيَّْةِ التِّجَارَةِ وَبَلَغَتْ قِيَمَتُهَا نِصَاباً ، لِمَا وَرَدَ
عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَمَرَنَا أَنْ نُخْرِجَ الصَّدَقَةَ مِمَّا نَعُدُّهُ لِلْبَيْعِ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

فَتَقُومُ الْمَرْغُوضُ إِذَا حَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ ، وَأَوَّلُهُ مِنْ حِينِ بُلُوغِ الْقِيَمَةِ
نِصَاباً بِالْأَخْضِ لِلْفُقَرَاءِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، وَلَا يُعْتَبَرُ مَا اشْتَرَيْتَ بِهِ ،
وَتُخْرَجُ رُبْعُ عَشْرِ قِيَمَتِهَا . وَمَنْ اسْتَفَادَ مَالاً خَارِجاً عَنْ رِبْحِ التِّجَارَةِ
كَالْأَجْرَةِ وَالرَّاتِبِ وَنَحْوِهَا ، فَانْهَ يَتَبَدَّى حَوْلًا مِنْ حِينِ الْاِسْتِفَادَةِ إِنْ كَانَ
نِصَاباً ، وَالْأَقِيمِ كَمَالِهِ وَيُزَكِّيهِ إِذَا تَمَّ حَوْلُهُ .

وَأَمَّا الْأَثْمَانُ ، وَهِيَ النُّقُودُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهَا
مِنْ فُلُوسٍ أَوْ أَوْرَاقٍ نَقْدِيَّةٍ ، وَكَذَلِكَ حُلِيِّ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ إِذَا بَلَغَ نِصَاباً
بِنَفْسِهِ ، أَوْ بِمَا يَضُمُّ إِلَيْهِ مِنْ جَنْبِهِ أَوْ فِي حُكْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ مُعَدَّاً
لِلْاِسْتِعْمَالِ أَوْ لِلْإِعَارَةِ ، فَإِنْ أُعِدَّ لِلْاِسْتِعْمَالِ أَوْ لِلْإِعَارَةِ فَلَا زَكَاةَ فِيهِ .

وَأَقْلُ نِصَابِ الذَّهَبِ عِشْرُونَ مِثْقَالاً ، وَفِيهَا نِصْفُ مِثْقَالٍ وَهُوَ رُبْعُ
الْعُشْرِ ، لِحَدِيثِ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - مَرْفُوعاً :
« أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ عِشْرِينَ مِثْقَالاً نِصْفَ مِثْقَالٍ » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ .

٢ - نِصَابُ الزَّكَاةِ :

وَالنِّصَابُ مِنَ الذَّهَبِ بِالْجَنِيِّ السُّعُودِيِّ أَحَدَ عَشَرَ جُنْهًا وَنِصْفُ
جُنْهِ تَقْرِيْبًا ، وَكَذَلِكَ بِالْجَنِيِّ الْإِفْرَنْجِيِّ أَحَدَ عَشَرَ جُنْهًا وَنِصْفُ جُنْهِ

تَقْرِيْباً وَأَقْلُ نِصَابُ الْفِضَّةِ مَائَتَا دِرْهَمٍ ، وَبِالرِّيَالِ الْعَرَبِيِّ سِتَّةٌ وَخَمْسُونَ رِيَالاً تَقْرِيْباً ، وَبِالرِّيَالِ الْفَرَنْسِيِّ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ رِيَالاً تَقْرِيْباً .

وَأَمَّا الْأَوْرَاقُ الْمَوْجُودَةُ فَإِذَا مَلَكَ مِنْهَا مَا يُقَابِلُ نِصَاباً مِنَ الْفِضَّةِ وَحَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ فَإِنَّهُ يُخْرِجُ مِنْهَا رُبْعَ الْعُشْرِ .

وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فِضَّةٌ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ زَكَاتَهَا مِنَ الْأَوْرَاقِ الْمَوْجُودَةِ الْمُتَعَامَلِ فِيهَا نَظَرَ إِلَى قِيَمَةِ الْفِضَّةِ مِنَ الْأَوْرَاقِ وَأَخْرَجَ رُبْعَ عَشْرِ الْمُقَابِلِ لَهَا فَمَثَلًا إِذَا كَانَ عِنْدَهُ أَلْفُ رِيَالٍ مِنَ الْفِضَّةِ يُسَاوِي ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِنَ الْأَوْرَاقِ أَخْرَجَ عَنِ الْفِضَّةِ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ رِيَالاً هِيَ مُقَابِلُ زَكَاةِ الْأَلْفِ مِنَ الْفِضَّةِ وَهِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ .

وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ذَهَبٌ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ زَكَاتَهُ مِنَ الْأَوْرَاقِ الْمُتَعَامَلِ فِيهَا نَظَرَ إِلَى قِيَمَةِ الذَّهَبِ مِنَ الْأَوْرَاقِ وَأَخْرَجَ رُبْعَ عَشْرِ الْمُقَابِلِ لَهَا فَمَثَلًا إِذَا كَانَ عِنْدَهُ مِائَةُ جُنْيَةٍ وَكَانَ الْجُنْيَةُ يُسَاوِي خَمْسِينَ رِيَالاً (٥٠) فَتَكُونُ الْمِائَةُ فِي خَمْسَةِ آلَافِ رِيَالٍ فَزَكَاتُهَا مِنَ الْأَوْرَاقِ مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ رِيَالاً هُوَ مُقَابِلُ زَكَاةِ مِائَةِ الْجُنْيَةِ وَهُوَ جُنْيَتَانِ وَنِصْفُ جُنْيَةٍ مِنَ زَكَاةِ الْمِائَةِ وَهُوَ جُنْيَتَانِ وَنِصْفٌ .

وَتَجِبُ الزَّكَاةُ فِي مَالِ الصَّبِيِّ وَالْمَجْنُونِ لِعُمُومِ حَدِيثِ مُعَاذٍ لَمَّا بَعَثَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ ، وَيُخْرِجُ عَنْهُمَا وَلِيُّهُمَا فِي مَالِهِمَا مِنْ مَالِهِمَا .

اللَّهُمَّ الْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِلْقِيَامِ بِحَقِّكَ ، وَخَلَّصْنَا مِنْ حَقُوقِ خَلْقِكَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي الْحَلَالِ مِنْ رِزْقِكَ ، وَلَا تَقْضِخْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ ،

يا خَيْرَ مَنْ دَعَاهُ دَاعٍ وَأَفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ يا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ ، وَمُجِيبَ
الدَّعَوَاتِ ، هَبْ لَنَا مَا سَأَلْنَاهُ ، وَحَقِّقْ رَجَاءَنَا فِيما تَمَنَّيْنَاهُ ، يا مَنْ يَمْلِكُ
خَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ ما فِي صُدُورِ الصَّامِتِينَ أَذَقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةَ
مَغْفِرَتِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فصل)

٣ - وَأَمَّا زَكَاةُ الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ فَتَجِبُ فِي كُلِّ مَكِيلٍ مُدْخَرٍ مِنَ
الْحَبِّ كَالْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ وَالذَّرَّةِ وَمِنَ الثَّمَرِ كَالْتَمَرِ وَالزَّيْبِ قَالَ اللهُ تَعَالَى
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ
الْأَرْضِ ﴾ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ
غَيْرِهَا الْعُشْرُ وَفِيما سُقِيَ بِالنُّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ) رواه البخاري .

وإنما تَجِبُ فِيهِ بِشَرْطَيْنِ الْأَوَّلُ : أَنْ يَبْلُغَ نِصَاباً وَقَدْرُهُ بَعْدَ تَصْفِيَةِ
الْحَبِّ وَجَفَافِ الثَّمَرِ خَمْسَةُ أَوْسُقٍ وَالْوَسْقُ سِتُونَ صَاعاً نَبَوياً فَتَكُونُ خَمْسَةُ
الْأَوْسُقِ (٣٠٠) ثَلَاثُمِائَةِ صَاعٍ بِالصَّاعِ النَّبَوِيِّ وَبِالصَّاعِ الْحَالِيِّ مِائَتَيْنِ
وِثْمَانِيَّةٍ وَعِشْرِينَ صَاعاً وَوَزْنُ الصَّاعِ النَّبَوِيِّ بِالرِّيَالِ الْفَرَنْسِيِّ ثَمَانُونَ رِيالاً
(٨٠) وَوَزْنُ الصَّاعِ الْحَالِيِّ بِالرِّيَالِ الْفَرَنْسِيِّ مِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ (١٠٤) فَيَكُونُ
زَائِداً عَلَى الصَّاعِ النَّبَوِيِّ بِخُمْسٍ وَخُمْسِ الْخُمْسِ تَقْرِيباً .

والشرط الثاني : أَنْ يَكُونَ مَالِكاً لِلنِّصَابِ وَقَتَ وُجُوبِهَا فَوَقْتُ
الْوُجُوبِ فِي الْحَبِّ إِذَا اشْتَدَّ وَفِي الثَّمَرِ إِذَا بَدَأَ صَلَاحُهَا لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يُقْصَدُ

لِلْأَكْلِ وَالْإِقْتِيَاتِ بِهِ فَأَثَبَهُ الْيَاسِرَ وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى يَهُودَ فَيُخْرِصُ عَلَيْهِمُ النَّخْلَ حِينَ يَطِيبُ قَبْلَ أَنْ يُؤْكَلَ مِنْهُ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَيَجِبُ فِيمَا سُقِيَ بِلَا مَوْنَةٍ الْعُشْرُ وَفِيمَا سُقِيَ بِكُلْفَةٍ نِصْفُ الْعُشْرِ لِحَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ مَرْفُوعاً فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ وَفِيمَا سُقِيَ بِالنُّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَالٍ وَابْنُ دَاوُدَ وَأَبْنُ مَاجَهَ فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْأَنْهَارُ وَالْعِيُونُ أَوْ كَانَ بَعْلًا الْعُشْرُ وَفِيمَا سُقِيَ بِالسَّوَانِي وَالنُّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ .

وَيَجِبُ اخْرَاجُ زَكَاةِ الْحَبِّ مُصَفًى مِنْ قِشْرِهِ وَالتَّمْرِ يَابِساً لِمَا وَرَدَ عَنْ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَنْ يُخْرِصَ الْعَنْبُ زَبِيباً كَمَا يُخْرِصُ التَّمْرُ وَلَا يُسَمَّى زَبِيباً وَلَا تَمراً حَقِيقَةً إِلَّا الْيَابِسُ وَقِيسَ الْبَاقِي عَلَيْهِمَا . وَلَا يَسْتَقِرُّ وَجُوبُهَا إِلَّا بِجَعْلِهَا فِي الْجَرَيْنِ أَوْ فِي الْبَيْدَرِ أَوْ فِي الْمِسْطَاحِ وَنَحْوِهِ .

فَإِنْ تَلَفَتِ الْحُبُوبُ وَالْثِمَارُ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ قَبْلَ الْوَضْعِ بِالْجَرَيْنِ وَنَحْوِهِ بِغَيْرِ تَعَدٍّ مِنْهُ سَقَطَتْ خُرُصَتُهَا أَوْ لَمْ تُخْرِصْ وَإِنْ تَلَفَتْ الْبَعْضُ مِنَ الزَّرْعِ وَالتَّمْرِ قَبْلَ الْاسْتِقْرَارِ زَكَى الْبَاقِي إِنْ كَانَ نِصَاباً وَالْأُخْرَى فَلَا زَكَاةَ فِيهِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ) .

وَلَا تَتَكَرَّرُ زَكَاةُ الْمُعْشَرِ إِذَا لَمْ يَقْصُدْ بِهِ التِّجَارَةَ فَإِنْ كَانَتْ مُعَدَّةً لِلتِّجَارَةِ كَالَّذِي يَشْتَرِي الْبُرَّ أَوْ الْأُرْزَ أَوْ الزَّيْتَ يَتَرَبَّصُّ بِهِ أَوْ يَقْطَعُهُ فَهَذِهِ

تُعْتَبَرُ عُرُوضاً إِذَا كَانَتْ تَبْلُغُ نِصَاباً كُلَّمَا دَارَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ قَوْمَهَا بِالْأَنْفَعِ
لِلْفُقَرَاءِ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرْقٍ وَلَا يُعْتَبَرُ مَا اشْتَرَيْتَ بِهِ .

وَيُسْتَحَبُّ لِلْإِمَامِ بَعَثُ خَارِصٍ لِثَمَرِ النَّخْلِ وَالكَرْمِ إِذَا بَدَأَ
صَلَاحُهَا . وَشُرْطُ كَوْنِهِ مُسْلِمًا أَمِينًا خَبِيرًا لِحَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى الْيَهُودِ يَخْرِصُ عَلَيْهِمُ
النَّخِيلَ قَبْلَ أَنْ يُؤْكَلَ مِنْهُ عَلَيْهِ .

وَفِي حَدِيثِ عَتَابِ بْنِ أُسَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
يَبْعَثُ عَلَى النَّاسِ مَنْ يَخْرِصُ عَلَيْهِمْ كُرُومَهُمْ وَثِمَارَهُمْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
وَابْنُ مَاجَةَ وَصَحَّحَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ خَرَصَ عَلَى امْرَأَةٍ بِوَادِي
الْقُرَى حَدِيقَةً لَهَا وَحَدِيثُهَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ .

وَيَجِبُ أَنْ يَتْرَكَ الْخَارِصُ لِرَبِّ الْمَالِ الثُّلُثَ أَوِ الرَّبْعَ فَيَجْتَهِدُ
السَّاعِي بِحَسَبِ الْمَصْلَحَةِ لِحَدِيثِ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخْرَصْتُمْ فَخُذُوا وَدَعُوا الثُّلُثَ فَإِنْ لَمْ تَدْعُوا
الثُّلُثَ فَدَعُوا الرَّبْعَ رَوَاهُ الْخَمْسَةَ .

موعظة

أَيُّهَا الْغَافِلُ رَاقِبْ مَنْ يَرَاكَ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَطَهِّرْ سِرِّكَ فَهُوَ عَلِيمٌ
بِمَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ ، إِلَى مَتَى تَمِيلُ مَعَ الزَّخَارِفِ وَإِلَى كَمْ تَرَعْبُ لِسَمَاعِ
الْمَلَاهِيِ وَالْمَعَارِفِ وَالْمُحَرَّمَاتِ أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تُجَالِسَ صَاحِبَ الدِّينِ
وَالصَّلَاحِ الْعَاكِفِ عَلَى عَمَلِهِ يَقْطَعُ لَيْلَهُ بِالْقِيَامِ حَتَّى الصُّبَّاحِ وَنَهَارَهُ
بِالصِّيَامِ لَا يَمِيلُ وَلَا يَتَوَانَى رَجَاءُ الْفَوْزِ بِالْأَرْبَاحِ وَأَنْتَ فِي غَمْرَةِ هَوَاكَ

مَفْتُونًا فِي الْأَنْهَمَاكِ بِدُنْيَاكِ وَكَأَنِّي بَكَ وَقَدْ هَجَمَ عَلَيْكَ مَا بَدَّدَ شَمْلَكَ
وَأَوْهَنَ قُوَاكَ وَافْتَرَسَكَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَأَخْلَأْتُكَ وَتَخَلَّى عَنْكَ
خَلِيلُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ مَا نَزَلَ بِكَ وَلَا تَجِدُ لَهُ كَاشِفًا فَانْتَبِهْ مَا
دَامَ جِسْمُكَ صَاحِحًا وَالْعَمَلُ مِنْكَ فِي إِمْكَانٍ .

اللهم وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَنَجِّنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ وَأَمِنَّا مِنْ
الْفَزَعِ وَالرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٣٣ - فَصْلٌ فِي بَيَانِ مَصَارِفِ الزَّكَاةِ :

وَيُسْتَرْطُ لِأَخْرَاجِهَا نِيَّةٌ مِنْ مُكَلِّفٍ ، لِحَدِيثٍ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ
بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » ، فَيَنْوِي الزَّكَاةَ ، أَوِ الصَّدَقَةَ الْوَاجِبَةَ ،
أَوْ صَدَقَةَ الْمَالِ .

وَيُسْنُ أَنْ يُفَرِّقَ زَكَاتَهُ عَلَى أَقَارِبِهِ الَّذِينَ لَا تَلْزَمُهُ مَوْثِقَتُهُمْ لِمَا وَرَدَ
عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّجْمِ اثْنَانِ :
صَدَقَةٌ وَصَلَةٌ » رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةٍ
وَالدَّارِمِيُّ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ الْمُخْرِجُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَمًا ، وَلَا تَجْعَلْهَا
مَغْرَمًا . وَيَحْمَدُ اللَّهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ لِإِدَائِهَا ، لِمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أُعْطِيتُمُ الزَّكَاةَ

فلا تَنْسُوا ثَوَابَهَا أَنْ تَقُولُوا اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا مَغْنَمًا وَلَا تَجْعَلْهَا مَغْرَمًا . رواه ابن ماجه .

وَيَقُولُ الْآخِذُ وَهُوَ الْفَقِيرُ أَوِ الْمُسْكِينُ أَوْ أَحَدُ الْأَصْنَافِ آجَرَكَ اللَّهُ فِيمَا أُعْطِيتَ وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أُبْقِيتَ وَجَعَلَهُ لَكَ طَهُورًا .

قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنْ صَلَاتُكَ سَكَنَ لَهُمْ ﴾ أَيِ ادْعُ لَهُمْ ، كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُتِيَ بِصَدَقَةِ قَوْمٍ صَلَّى عَلَيْهِمْ . فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى » .

وَلِلْمُزَكِّيِ دَفْعُهَا إِلَى الْإِمَامِ وَإِلَى السَّاعِي ، وَيَبْرَأُ بِذَلِكَ ، وَلَا يُجْزِي دَفْعُهَا إِلَى كَافِرٍ غَيْرِ مُؤَلَّفٍ ، وَلَا حَظٌّ فِيهَا لِغَنِيِّ وَلَا لِقَوِيٍّ . مُكْتَسِبٌ لَمَّا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ رِزْقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَخْبَرَاهُ أَنَّهُمَا أُتِيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلَانِيهِ مِنَ الصَّدَقَةِ فَقَلَّبَ فِيهِمَا الْبَصَرَ وَرَأَاهُمَا جُلْدَيْنِ فَقَالَ لَهُمَا إِنْ شِئْتُمَا أُعْطِيْتُكُمَا وَلَا حَظٌّ لِغَنِيِّ وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ فَالْوَاجِبُ تَأْمُلُ حَالَ السَّائِلِ وَالتَّفَرُّسُ فِيهِ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يَدْعِي الْفَقْرَ وَهُوَ غَنِيٌّ .

وَكَمْ مِنْ مُتَعَارِجٍ وَمَا بِهِ عَرَجٌ وَلَكِنْ لِأَمْرِ مَا تَعَارَجُهُ .

وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ وَرَقَةٍ يَأْكُلُ بِهَا لَا يَذِرِي مَا فِيهَا وَلَوْ بَرَّقَتْ وَسَبَرَتْ بِدَقَّةٍ لَوَجَدَتْ الْعَجَائِبَ ، لِأَنَّ الْوَازِعَ الدِّينِيَّ قَدْ ضَعُفَ جِدًّا وَاخْتَلَطَ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ فَلَا يُمَيِّزُ الْفَقِيرَ وَالْمُسْتَحِقَّ لِلزَّكَاةِ إِلَّا إِنْسَانٌ مُتَبَصِّرٌ بَعْدَ

التأمل والبحث التام والحريص على إبراء ذمته وإيصال زكاته إلى المستحق لها يعرف كيف يجد موضعها تماماً ممن لا يسألون الناس إلحافاً المحتاجين المختفين الحيين الأراميل ذوي العوائل وروى أن عمر رضي الله عنه سمع سائلاً يسأل بعد المغرب فقال لرجل من قومه عش السائل فعشاه ثم سمعه ثانياً يسأل فقال ألم أقل لك عش السائل قال قد عشيت ففطر عمر له فاذا تحت يده مخللة مملوءة خبزاً فقال لست سائلاً لكنك تاجر ثم أخذ المخللة ونثرها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالذرة وقال لا تعد .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تجل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي » . رواه أحمد وأبو داود .

ولا يدفع بالزكاة مذمة ، ولا يقي بها ماله ، ولا يستخيم بها ، ويلزم الإنسان الذي يريد إبراء ذمته صحيحاً أن يفحص على أهل العوائد ويسأل عنهم بدقة من يعرف حالهم من جيران وأقارب حتى يتأكد هل هم أغنياء فلا يدفعها إليهم لأن دفعها لهم مع الغنى وجوده كعدمه فلا تبرأ ذمته وتبقى الزكاة في ذمته ولا يحمله الحياء فيعطي صاحب الغنى قبل أن يبحث عنه هل هو على فقره .

لأن كثيراً من الفقراء في وقتنا انفتح لهم أبواب الرزق من أولاد أو بنات أو عقار أو شؤون ولا يبالي بغضب من منعه عادته مع استغنايه ويلتمس رضا الله جل وعلا وسواء كانوا أقرباء أو غير أقرباء .

ولا يجوز صرف الزكاة لغير الأصناف الثمانية المذكورين في

الآية ، قال الله تعالى : ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ .

فلا يجوز صرفها في بناء المدارس أو المساجد ، ولا وقف مصاحف ، ولا كتب علم . ولا تكفين موتى ، ولا توقيف مقابر ولا غيرها من جهات الخير ، لأن الله تعالى تولى الحكم فيها بنفسه ، فقد ورد عن زياد ابن الحارث الصدائي - رضي الله عنه - قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته ، فذكر حديثاً طويلاً ، فاتاه رجل فقال : اعطني من الصدقة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات ، حتى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك » .

فياخذ الفقير وهو من لا يجد شيئاً أو يجد بعض الكفاية من الزكاة تمام كفايته مع عائلته سنة لأن وجوب الزكاة يتكرر بتكرر الحول .

وياخذ المسكين وهو من يجد الكفاية أو يصفها تمام كفايته مع عائلته سنة لأن وجوب الزكاة يتكرر بتكرر الحول .

ويعطى من الزكاة العايل وهو كجاء وحافظ . وكاتب وقاسم . وجامع المواشي وعددها وكيال ووزان وساع وراع وحمال وجمال قدر أجرته وإن تلفت في يده بلا تفريط منه فيعطى أجرته من بيت المال لأن للإمام رزقه على عمله من بيت المال .

وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ الْمُؤَلَّفُ وَهُوَ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ فِي عَشِيرَتِهِ مَا يَحْصُلُ
بِهِ التَّالِيفُ لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ .

٥ - وَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ الرِّقَابُ وَهُمْ الْمَكَاتِبُونَ وَقَاءُ دَيْنِ الْكِتَابَةِ
وَيَجُوزُ أَنْ يُفِيدِي مِنَ الزَّكَاةِ أَسِيرًا مُسْلِمًا فِي أَيْدِي الْكُفَّارِ .

٦ - وَيُعْطَى الْغَارِمُ مِنَ الزَّكَاةِ وَهُوَ مَنْ تَدَيْنَ لِإِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنٍ أَوْ
تَحْمَلِ بِسَبَبِ اتِّلَافِ نَفْسٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَهْبٍ أَوْ مَالًا لِيَتَسَكَّنَ فِتْنَةً وَقَعَتْ بَيْنَ
طَائِفَتَيْنِ وَيَتَوَقَّفُ صَلَاحُهُمَا عَلَى مَنْ يَتَحْمَلُ ذَلِكَ أَوْ تَدَيْنَ لِشِرَاءِ نَفْسِهِ مِنْ
كُفَّارٍ أَوْ لِنَفْسِهِ فِي مُبَاحٍ وَأَعْسَرَ وَقَاءُ دَيْنِهِ كُمُكَاتِبٍ ، وَدَيْنُ اللَّهِ كَدَيْنِ
الْأَذْمِيِّ .

٧ - وَيُعْطَى الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا يَخْتَاجُ لِعَزْوِهِ ذَهَابًا وَإِيَابًا
وإِقَامَةً فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَنَحْوِ ثَمَنِ سِلَاحٍ وَدِرْعٍ وَفَرَسٍ لِفَارِسٍ وَيُعْطَى
مِنَ الزَّكَاةِ ابْنُ السَّبِيلِ وَهُوَ الْمُسَافِرُ الْمُتَقَطِّعُ بِهِ بِغَيْرِ بَلَدِهِ مَا يُبْلِغُهُ بَلَدَهُ أَوْ
مُنْتَهَى قَصْدِهِ وَعَوْدِهِ إِلَيْهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ سَفَرُهُ مُحَرَّمًا أَوْ مَكْرُوهًا .

موعظة

عباد الله إنَّ وُجُودَ الْمَوْتِ بَيْنَ النَّاسِ مَوْعِظَةٌ كُبْرَى لَوْ كَانُوا يَعْقِلُونَ
فَإِنَّهُ بِلِسَانِ الْحَالِ يَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا : سَأَنْزِلُ بِكَ يَوْمًا أَوْ لَيْلَةً كَمَا تَرَى
النَّاسَ بَعْثِيكَ يَمُوتُونَ وَقَدْ يَكُونُ لِأَحَدِهِمْ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْقُوَّةِ
وَالْجَمَالِ وَالْعِلْمِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْمَرْكَزِ الدُّنْيَوِيِّ مَا يُدْهَشُ النَّاظِرِينَ لَهُ ،
وَقَدْ يَكُونُ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ وَطَالَ أَمَلُهُ حَتَّى مَلَ وَمُلَّ مِنْهُ . وَبَيْنَ مَا هُوَ فِي
حَالٍ مِنَ النُّشَاطِ قَوِيٍّ مُشْدُودٍ أَسْرُهُ ، ذُو هِمَّةٍ تَضِيقُ بِهَا الدُّنْيَا ، قَدْ أَقْبَلَتْ

عليه الدنيا من كل جهة ، وزهت له ، إذا ترأه جثة هامدة أشبه بأعجاز النخل الخاوية لا جس له ولا حركة ولا أقوال ولا أفعال قد ضيق على من حوله وإذا لم يسرعوا به إلى الدفن يكون جيفة من الجيف تؤذي رائحتها الكريهة كل من قرب منها ، هذا كله يكون بعد ذلك النشاط والقوى لأن هادم اللذات نزل به .

وبعد نزوله لا تسأل كان له ما كان ، وفي الحال تصبح زوجته أرملة ويصبح أولاده أيتاماً . وفي الحال تقسم أمواله التي جمعتها وقاسى على جمعها الشدائد . لأن الموت يُزِيلُ مُلْكَهُ وَيُنْقُلُهُ إِلَى مُلْكٍ وَرَثَتِهِ نَقْلًا تَعْجَزُ عَنْ نَقْضِهِ الْأَيَّامُ ، نعم إنه بالموت يزول ماله كله وهي أكبر مصيبة مالية .

وأكثر منها أنه يسأل عنه كله داخلاً وخارجاً من حلال أم من حرام وبعد مدة يسيرة ينسى هو وينسى ماله وينسى جاهه وينسى مركزه ومكانته ولو كان ملكاً أو وزيراً وما كانه رآته العيون ولا سمعت كلامه الأذان ، كما قيل :

كأنهم قط ما كانوا ولا وجدوا
ومات ذكروهموا بين الورى ونسوا

إن الناس يرون الموت كل يوم بأعينهم في بيوتهم أو في المستشفيات ، ويرون ماله من آثار ومع ذلك فانهم بمجرد أن يموت بينهم ميت يكون منهم مع موته هذا ما يدهش الأفكار فترى من أقاربه من يتسابقون إلى البحث عما خلف وانتهاب ما اتصلت إليه أيديهم من

ماله ، وربما شُتبت بين ورثته الحروب من أجل أن يتميز كل واحد منهم في التركة عمن سواه وقد تشدد بهم تلك العداوة تعمل عملها ما بقيت تلك .

يَفْعَلُونَ هَذَا كُلَّهُ عَقِبَ مَنْ يَمُوتُ بَدَلِ أَنْ يَغْتَبِرُوا وَيَتَعَطَّوْا بِهِ فَيَزِيدُهُمْ هَذَا التَّفَكِيرُ وَالْإِعْتِبَارُ فِي ذَلِكَ الْمَالِ الْفَانِي الدَّاهِبِ عَنْ أَيْدِيهِمْ عَنْ قَرِيبٍ كَمَا ذَهَبَ عَنْهُ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ طَرِيقِهِ لَقَدْ سَبَقَ أَقْوَامٌ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْمَوْتِ حَقَّ الْإِيمَانِ فَكَانُوا يُقَدِّرُونَ الدُّنْيَا حَقَّ التَّقْدِيرِ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّهَا فَانِيَةٌ وَأَنَّهَا غَرَارَةٌ خَدَاعَةٌ وَأَنَّهُمْ تَارِكُوهَا يَوْمًا رَغِمَ أَنْفُسُهُمْ لَا رُجُوعَ بَعْدَهُ لِقَلِيلٍ مِنْهَا وَلَا كَثِيرٍ قَرَأُوا قَوْلَهُ تَعَالَى : كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ فَاسْتَعِدُّوا وَأَقْرَأُوا قَوْلَهُ تَعَالَى : مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ فَكَانُوا إِذَا حَصَلَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا صَرَفُوا ذَلِكَ لِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ . وَإِذَا سَمِعَتْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا فَلِمَا ذَكَرْنَا .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ فَقَالُوا مُرَائِي وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ فَقَالُوا إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعٍ هَذَا فَنَزَلَتْ الْآيَةُ : ﴿الَّذِينَ يُلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .﴾

وَمِنْ طَرِيقِي آخَرَ حَثَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّدَقَةِ يَعْنِي فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَالِي ثَمَانِيَّةُ آلَافٍ جِثَّتْ بِنَصْفِهَا وَأَمْسَكْتُ بِنَصْفِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ وَفِيمَا أَعْطَيْتَ وَجَاءَ

أَبُو عَقِيلٍ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ صَاعَيْنِ مِنْ تَمْرٍ صَاعٍ أَفْرَضْتُهُ لِرَبِّي وَصَاعٍ لِعِيَالِي قَالَ فَلَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا : مَا أُعْطِيَ ابْنُ عَوْفٍ إِلَّا رِيَاءً وَقَالُوا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ غَنِيَيْنِ عَنْ صَاعٍ هَذَا وَهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَجْعَلُونَ مَا نَالُوا مِنَ الدُّنْيَا وَسِيلَةً إِلَى الْآخِرَةِ :

شعرا :

إِذَا اكْتَسَبَ الْمَالُ الْفَتَى مِنْ وُجُوهِهِ
وَأَحْسَنَ تَدْبِيرًا لَهُ حِينَ يَجْمَعُ
وَمَيَّزَ فِي إِنْفَاقِهِ بَيْنَ مُصْلِحٍ
مَعِيشَتِهِ فِيمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
وَأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الْحُقُوقِ وَلَمْ يُضِغْ
بِهِ الذُّخْرَ زَادًا لِيَلْتِي هِيَ أَنْفَعُ
فَذَاكَ الْفَتَى لَا جَامِعَ الْمَالِ ذَاخِرًا
لِلْأَوْلَادِ سُوءٍ حَيْثُ حَلَّوْا وَأَوْضَعُوا
اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا يَسِيرَ الْأَعْمَالِ ، وَهَبْ لَنَا إِسَاءَتَنَا فِي الْأَقْوَالِ
وَالْأَفْعَالِ وَسَامِحْنَا عَنِ الْغَفْلَةِ وَالْإِهْمَالِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

٣٤ - فِيمَا وَرَدَ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ عَلَى تَرْكِ الزَّكَاةِ :

إذا فهِمْتَ ما تَقَدَّمَ مِمَّا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ وَبَيَّانِ نِصَابِ الزَّكَاةِ وَمُضَرِّفِهَا وما يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ الدَّافِعُ والمدفوعُ إِلَيْهِ . فاعْلَمْ أَنَّهَا ما خَالَطَتْ مَالاً إِلَّا أَفْسَدَتْهُ ومَحَقَّتْ بَرَكَتَهُ وَأَيَّ خَيْرٍ وَنَفْعٍ فِي مالٍ مَمْحُوقِ الْبَرَكََةِ بَاقٍ شَرُّهُ وَفِتْنَتُهُ وَشُغْلُ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ وَإِتْعَابُهُمَا ؟

وَالْمَحْقُوقُ : مِنْهُ ما هُوَ ظَاهِرٌ ، وَهُوَ ذَهَابُ صُورَةِ الْمَالِ وَرُجُوعُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْإِسْتِغْنَاءِ فَقِيْرًا ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لِخَلْقٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمَتَسَاهِلِينَ بِأَمْرِ الزَّكَاةِ .

وَمِنَ الْمَحْقُوقِ : مَحْقُوقٌ بَاطِنٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَالُ فِي الصُّورَةِ مَوْجُوداً وَكَثِيراً وَلَكِنْ لَا يَنْتَفِعُ فِيهِ صَاحِبُهُ لَا فِي دِينِهِ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْمَشَارِيعِ الْخَيْرِيَّةِ وَبَذْلِ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا يَنْتَفِعُ فِيهِ فِي نَفْسِهِ وَمَرْوَعَتِهِ بِالسُّتْرِ وَالصِّيَانَةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَتَضَرَّرُ بِهِ تَضَرُّراً كَثِيراً بِامْسَاكِهِ عَنْ حَقِّهِ وَوَضْعِهِ فِي غَيْرِ جِهَتِهِ إِمَّا بِإِنْفَاقِهِ بِالْمَعَاصِي وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ . وَإِمَّا فِي الشَّهَوَاتِ الْبَهِيمِيَّةِ الَّتِي لَا نَفْعَ فِيهَا وَلَا حَاصِلَ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي مَنْعِ الزَّكَاةِ عَنِ اللَّهِ وَرُسُولِهِ تَشْدِيدَاتٌ هَائِلَةٌ وَتَهْدِيدَاتٌ عَظِيمَةٌ وَيُخْشَى عَلَى مَانِعِ الزَّكَاةِ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ وَالتَّعَرُّضِ لَوَعِيدِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَمِمَّا جَاءَ مِنَ الْوَعِيدِ فِي حَقِّ مَنْ بَخِلَ بِهَا أَوْ قَصَرَ فِي إِخْرَاجِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ ، هَذَا مَا كَنْزُكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ۝﴾ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ ، كلما بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ : إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَا يَلُ؟ قَالَ : « وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا - وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَوْمَ وَرْدِهَا - إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُطَحُّ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا : تَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رَدَّ عَلَيْهِ أَخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ : إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .

قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ ؟ قَالَ : « وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُطَحُّ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقَصَاءٌ وَلَا خَلَجَاءٌ وَلَا عَضْبَاءٌ ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطْوُهُ بِأَظْلَافِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا رَدَّ عَلَيْهِ آخِرَهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ : إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ ،

ولمّا إلى النار .

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُ مَا كَانَتْ ، وَقَعْدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ تَسْتَنْ عَلَيْهِ بِقَوَائِمِهَا وَأَخْفَافِهَا ، وَلَا صَاحِبَ بَقَرٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْفَرُ مَا كَانَتْ وَقَعْدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ فَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، وَتَطْوُهُ بِأُظْلَافِهَا ، لَيْسَ فِيهَا جَمَاءٌ وَلَا مُنْكَسِرٌ قُرْنُهَا وَلَا صَاحِبٌ كَنْزٍ لَا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلَّا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا ، أَفْرَعٌ يَتَّبِعُهُ فَاتِحًا فَاهُ ، فَإِذَا أَتَاهُ فَرَمْنُهُ ، فَيُنَادِيهِ خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي خَبَأْتَهُ فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لَا بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَيَقْضِيهَا قَضَمَ الْفَحْلُ » .

وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعٌ مِنْ نَارٍ فَتُكْوَى بِهَا جَنْبَتُهُ وَجَنْبُهُ وَظَهْرُهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ أَنْ آدِيَ الرَّجُلُ زَكَاةَ مَالِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ آدَى زَكَاةَ مَالِهِ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ » .

وَعَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى مَلَأٍ

مِنْ قُرَيْشٍ فَجَاءَ رَجُلٌ خَشَنُ الشَّعْرِ وَالْيَتَابِ وَالْهَيْئَةِ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ
ثُمَّ قَالَ : بَشِّرِ الْكَافِرِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُوضَعُ
عَلَى حَلْمَةِ ثَدْيٍ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نَغْصِ كَتِفِهِ وَيُوضَعَ عَلَى نَغْصِ
كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلْمَةِ ثَدْيِهِ فَيَتَرَلَّزَلُ .

ثُمَّ وَلَّى ، فَجَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ ، وَتَبِعْتُهُ وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، وَأَنَا لَا أُدْرِي
مَنْ هُوَ ، فَقُلْتُ : لَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا قَدْ كَرِهُوا الَّذِي قُلْتُ ، قَالَ إِنَّهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ شَيْئاً ، قَالَ لِي خَلِيلِي ، قُلْتُ مَنْ خَلِيلُكَ ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتَبْصِرُ أَحَداً ؟ قَالَ : فَتَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ
وَأَنَا أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسِلُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ قُلْتُ :
نَعَمْ ، قَالَ : مَا أُحِبُّ أَنْ لِي بِمِثْلِ أَحَدٍ ذَهَباً أَنْفَقَهُ كُلُّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ ،
وَإِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ ، لَا وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا وَلَا
اسْتَفْتِيَهُمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ ، أَنَّهُ قَالَ : « بَشِّرِ الْمَكَايِرِينَ بِكَيْ فِي ظُهُورِهِمْ
فَيَخْرُجُ مِنْ جُنُوبِهِمْ ، وَبِكَيْ مِنْ قَبْلِ أَفْقَائِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ جَبَاهِهِمْ
قَالَ : ثُمَّ تَنْحَى فَتَقَعْدُ ، قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هَذَا قَالُوا : هَذَا أَبُو ذَرٍّ ، قَالَ :
فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : مَا شَيْءٌ سَمِعْتُكَ تَقُولُ قُبِيلُ ؟ قَالَ : مَا قُلْتُ إِلَّا شَيْئاً
قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قُلْتُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الْعَطَاءِ قَالَ
خُذْهُ . فَإِنَّ فِيهِ الْيَوْمَ مَعُونَةً فَإِذَا كَانَ ثَمناً لِدِينِكَ فَدَعَهُ » .

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ مِنْ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَدِيثاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ ، وَكُنْتُ أَكْثَرَهُمْ لُزُوماً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

قال عُمرُ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تَلَفَ مَالٌ في بَرٍ ولا بَحْرٍ الا بحبسِ الزكاة » .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما خَالَطَتِ الصَّدَقَةُ - أو قال الزكاة - مَالاً إلا أَفْسَدَتْهُ » .

وعن الحسنِ : أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « حَصِنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالْدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ » .

فَتَأْمَلْ يَا أَخِي آيَاتِ الْكَرِيمَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَاتِ ..

وَانْظُرْ كَيْفَ يُؤْتَى بِالْمَالِ الَّذِي كَانَ يُجِبُهُ مَانِعُ الزَّكَاةِ حُبًّا شَدِيداً وَيُعْزُهُ الْعِزُّ الَّذِي يَصِلُ بِهِ إِلَى أَنْ يُنْسِكُهُ وَيَجْمَعُهُ وَيُوعِيهِ وَلَا يُفْرِطُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ ، حَتَّى مَا كَانَ مِنْهُ حَقًّا لِلْفُقَرَاءِ الْبُؤْسَاءِ الْمَسَاكِينِ يُؤْتَى بِهِ بِعَيْنِهِ وَيُجْعَلُ صَفَائِحَ وَمَعَ أَنْ هَذِهِ الصَّفَائِحَ مِنْ نَارٍ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ لَتَشْتَدَّ حَرَارَاتُهَا وَتَزْدَادَ لِيَكُونَ الْمُهَا الْوَاقِعُ عَلَى بَدَنِ مَانِعِ الزَّكَاةِ بِالْغَايَةِ الْبِهَائَةِ فِي الشَّدَةِ حِينَ يُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ .

وَتَخْصِيصُ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الثَّلَاثَةِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِأَنَّ الْمُعَذِّبَ وَهُوَ مَانِعُ الزَّكَاةِ إِذَا جَاءَهُ الْفَقِيرُ يَسْأَلُهُ شَيْئاً مِنْ حَقِّهِ عَبَسَ وَجْهُهُ وَعَقَدَ جَبِينَهُ عُبُوساً وَتَعَقِيداً يَدُلُّ عَلَى كَرَاهَتِهِ لِهَذَا السُّؤَالِ .

فَإِذَا أَلَحَّ الْفَقِيرُ عَلَيْهِ زَادَ فِي عُبُوسِهِ أَنْ يَضُنَّ بِمُوَاجَهَةِ ذَلِكَ الْفَقِيرِ فَيَتَنَقَّلُ مِنَ الْمُوَاجَهَةِ إِلَى الْأَنْجَرِافِ عَنْهُ وَيَجْعَلُ جَنْبَهُ فِي وَجْهِ الْمَسْكِينِ السَّائِلِ مُبَالَغَةً فِي إظهارِ الْكَرَاهِيَةِ لِسُؤَالِهِ .

فإذا ارْدَادَ الْفَقِيرُ واشْتَدَّ فِي الطَّلَبِ وَالْإِلْحَاحِ بَالِغِ الْمَسْئُولِ فِي
الغَضَبِ فَانْصَرَفَ عَنْهُ وَوَلَاهُ ظَهْرَهُ مَاشِياً مِنْ مَكَانِهِ وَتَارِكاً لَهُ يَهُوِي فِي هَوَاتِ
اِحْتِيَاجِهِ بِدُونِ أَيِّ اكْتِرَافٍ فَلَمَّا كَانَ هَذَا حَالُ تِلْكَ الْأَعْضَاءِ الثَّلَاثَةِ فِي
الدُّنْيَا خُصِّصَتْ فِي الْآخِرَةِ بِالْكَيِّْ بِتِلْكَ الصَّفَائِحِ الَّتِي هِيَ مَالُهُ وَبِذَلِكَ
يَعْرِفُ أَنَّهُ يُهَانُ بِالْمَالِ الَّذِي كَانَ يُعِزُّهُ فِي دُنْيَاهُ .

ولو كَانَ يُهَيِّنُهُ بِالدُّنْيَا بِمُفَارَقَةِ مَا كَانَ يَحِبُّ عَلَيْهِ مِنْهُ لَكَانَ سَبِيلاً
لِإِكْرَامِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيْبِ الْمُفْرِعِ .

وَانْظُرْ كَيْفَ تَأْتِي نِعْمَةُ إِبْلِهِ وَبَقَرُهُ وَغَنَمُهُ الَّتِي لَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا
أَقْوَى مَا كَانَتْ وَأَوْفَرَهُ فَتَطْوُهُ الْإِبِلُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بَأَنْيَابِهَا الْحَادَّةِ وَتَطْوُهُ
الْبَقَرُ وَالْغَنَمُ بِأُظْلَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا السَّلِيمَةِ لِيَكُونَ النُّطْحُ بِهَا أَوْجَعَ وَالْمَ
وَلَا تَجِيءُ بِقَرَّةٍ وَلَا نَعْجَةٍ إِلَّا وَلَهَا قُرْنَاهَا لَيْسَ بِهِمَا أَيُّ مَانِعٍ يَمْنَعُ مِنْ
تَوْجِيهِهِمَا إِلَيْهِ وَطَعْنِ الْمَانِعِ بِهِمَا الطُّعْنُ الْأَلِيمُ . وَإِنَّمَا كَانَتْ أَقْوَى مَا
كَانَتْ لِيَكُونَ وَطْوُهَا وَنَطْحُهَا وَعَضُّهَا بِمُنْتَهَى الْقُوَّةِ . وَإِذَا كَانَ مَبْطُوحاً لَهَا

وَهِيَ تَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ بِالْوَطْءِ كَانَ أَمْكَنَ لَهَا فِي فِعْلٍ مَا تُعَذِّبُهُ بِهِ وَهَذَا الْعَذَابُ
لَا يَكُونُ زَمَنُهُ قَلِيلاً وَلَكِنَّهُ يَدُومُ مَا دَامَ الْمَوْقِفُ .

وَمِقْدَارُ الْمَوْقِفِ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ وَنَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْعَذَابِ خَاصٌّ
بِمَانِعِ الزَّكَاةِ وَهُوَ أَنْ يُوضَعَ حَجَرٌ مُحْمَى عَلَيْهِ وَقَدْ زِيدَ فِي حَرَارَتِهِ فَأُحْمِيَ
عَلَيْهِ كَذَلِكَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَلَا يَتَحَمَّلُ اللَّحْمُ شِدَّةَ حَرَارَتِهِ فَيَذُوبُ ذَوْبَاناً
فَيَدْخُلُ الْحَجَرُ الْجِسْمَ وَاللَّحْمُ يَذُوبُ أَمَامَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْقِطْعَةِ الرَّقِيقَةِ
الَّتِي فِي طَرَفِ الْكَتِفِ .

ثُمَّ يُوضَعُ عَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ الرَّقِيقَةُ وَقَدْ عَادَ الْجِسْمُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ
فَيُفْعَلُ بِهِ كَمَا تَقْدَمُ يَخْرُجُ مِنْ حَلْمَةٍ تَذِيهِ وَيَزِيدُ فِي الْأَلَمِ حَالُ التَّعْذِيبِ
أَنَّ الْحَجَرَ يَنْزَلُ لَا يَمُرُّ فِي الْبَدَنِ مُسْتَقِيمًا وَقَدْ نُفُوذِهِ .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَامِلَنَا بِعَفْوِهِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ لَا يَكُونُ هَذَا
الْعَذَابُ كَافِيًا فَيَكُونُ سَبِيلَهُ إِلَى النَّارِ الَّتِي فِيهَا أَلْوَانُ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ مِنْ
رُقُومٍ وَحَمِيمٍ وَغَسَاقٍ وَضَرِيعٍ وَوَيْلٍ وَغَسِيلِينَ .

وَلَمَنْعِ الزَّكَاةِ شَكْلَ آخَرٍ مِنَ الشُّؤْمِ الدُّنْيَوِيِّ غَيْرَ مَا تَقْدَمُ كَمَا فِي
حَدِيثٍ مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِحَبْسِ الزَّكَاةِ فَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى
أَنَّهُ أَيُّ مَالٍ يَضِيعُ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ سَبَبُ تَلْفِهِ تَرْكُ الزَّكَاةِ .
وَهِيَ عُقُوبَةٌ تَعَكِّسُ عَلَى الْمَانِعِ قَصْدَهُ ، إِذْ هُوَ يَقْصِدُ بِمَنْعِهِ لَهَا تَكْثِيرُ
الْمَالِ وَالْهَرُوبِ مِنْ نَقْصِهِ بِإِخْرَاجِ الْقَدْرِ الْوَاجِبِ مِنْهُ . وَلَوْ أَخْرَجَ الْقَدْرَ
الْوَاجِبَ وَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، لَحَفِظَ مَالَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَكَانَ لَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ
هُوَ ثَوَابُ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، وَلَكَانَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ عَلَى الْمُعْطَى مَا
لَا يَنْسَاهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ .

أَمَّا الْعُقُوبَةُ الْآخَرُوتُ فَالنَّارُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا
لَظَى نَزَاعَةً لِلنَّسَوَى تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ .

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَاقِلُ ، أَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ بِدَقَّةٍ وَتُقَوِّمَ مَا أَعْدَدَتْهُ لِلْبَيْعِ
وَالشِّرَاءِ وَأَنْ تُبْرِئَ ذِمَّتَكَ بِبَيِّقِينَ ، بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ كُلِّهَا إِذَا تَمَّ الْحَوْلُ ،
وَأَنْ لَا تَذْفَعَهَا إِلَّا لِمَنْ تَعْلَمُ أَنَّهُ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّهَا يَقِينًا أَوْ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ
أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا .

وَاحْذَرُ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ التَّهَانِ بِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا أَوْ التَّسْوِيفِ بِهَا أَوْ
سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُتَوَسِّطَةِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ أَذَائِهَا أَوْ التَّحَايِلِ عَلَى تَرْكِ شَيْءٍ مِنْهَا
فَكُلُّ حِيلَةٍ تُسْتَعْمَلُ لِتَضْيِيعِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ أَوْ حُقُوقِ عِبَادِهِ أَوْ تَبْسُخِ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ أَوْ تَحَرِّمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَهِيَ مِنَ الْحِيلِ الْمُحَرَّمَةِ الَّتِي سَيُجَازَى
عَلَيْهَا أَشَدُّ الْجَزَاءِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ .

وَيَجُوزُ تَعْجِيلُ الزَّكَاةِ لِخَوْلَيْنِ فَأَقْلَّ إِذَا كَمُلَ الْبَصَابُ لِمَا وَرَدَ عَنْ
عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي تَعْجِيلِ صَدَقَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ فَرَخَّصَ لَهُ فِي ذَلِكَ رَوَاهُ الْخَمْسَةُ
إِلَّا النَّسَائِيَّ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ
عَلَى الصَّدَقَةِ فَقِيلَ مَنْعَ ابْنِ جَمِيلٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْعَبَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلَمُونَ خَالِدًا وَقَدْ حَبَسَ أَدْرَاعُهُ وَأَعْتَادَهُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ حَقٌّ عَلَيَّ وَمِثْلُهَا مَعَهَا ثُمَّ قَالَ يَا عُمَرُ أَمَا
شِعِرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَطَعَ قُلُوبَنَا عَنْ ذِكْرِكَ وَاعْفُ عَنْ تَقْصِيرِنَا فِي
طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدِّمْ لَنَا لَزُومَ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ
وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ أَهْلِ مَرْضَاتِكَ واقْطَعْ عَنَّا كُلَّ مَا يُبْعِدُنَا عَنْ سَبِيلِكَ وَيَسِّرْ
لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَالْهَمْنَا رُشْدَنَا وَحَقِّقْ
بِكَرَمِكَ قَصْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ
وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عباد الله إن العاقل اللبيب الفطن الرشيد من يسعى في نفع نفسه وأهله ودفع الضرر عنهم ، وإنا نرى في زمننا الذي كثرت فيه المنكرات وإنحطت فيه الأخلاق وقَلَّ فيه الورع وكثُر فيه النفاق والرياء .

ترى الناس يخشون الناس ولا يخافون رباً قهاراً بطشه شديد وعذابه أليم ترى الرجل يفعل المنكر جهاراً ولا تنهاه وتنسى أو تتناسى قول الله تعالى : « أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » وقوله « فلا تخشوهم واخشون » .

وقوله ﷺ (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسان فإن لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) .

فقل للذي يرى تارك الصلاة ولا ينهه لا يجوز لك ذلك إنصح أخاك المسلم وقل للذي قد عميت بصيرته فأق بكمفار خدامين أو سواقين أو مربين أو طباطخين أو خياطين وأمنهم على محارمه .

خف الله وإحذر من عقوبة الدنيا قبل عقوبة الآخرة كيف تأتي بأعداء الله ورسوله والمؤمنين ، لقد أسأت إلى نفسك وأهلك والمسلمين .

أما سمعت قول النبي ﷺ (من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله) . أو ما بلغك قصة الثلاثة الذين هجرهم المسلمون نحواً من خمسين ليلة بأيامها حين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك .

أو ما بلغك أن أبا هريرة أقسم (لا يظله سقف هو وقاطع رحم) وأنت وأعداء الله الكفار متصل بعضكم في بعض في البيت والسوق والسيارة عياداً بالله من ذلك « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

وإذا رأيت من يخلق لحيته ويبقى شاربته متشبهاً بالجنوس فقل له أما سمعت حديث (أكرموا الله) وحديث (وفروا لله) وقول الله تعالى « فليحذر الذين يخالون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقوله ﷺ (كل أمتي معاني إلا المجاهرين) وعملك هذا مجاهرة .

وإذا رأيت شارب الدخان فإنصحه وبين له مضاره في الدين والبدن والدينا .

وإذا رأيت من يقتل وقتله أمام الملامي والمنكرات فإنصحه وبين له المضار التي منها ترك الصلاة جماعة أو إهمالها بتاتا والعياذ بالله .

وإذا رأيت الذي يطارد النساء في الأسواق فقل بالله هل ترضى أن الفسقة مثلك يطاردون نساءك إتق الله وتب إليه من هذا الخلق الرذيل .

وإذا رأيت الذي يغش المسلمين فقل له إتق الله أما بلغك حديث المصطفى ﷺ « من غشنا فليس منا » .

وإذا رأيت من يعامل بالربا فقل كيف تحارب ربك الذي أعطاك المال خف الله وإحذر أن يمحقك الله ويمحق مالك .

وإذا رأيت من يسافر إلى بلاد الكفر فإنصحه وقل أما سمعت قول النبي ﷺ « أنا بريء من مسلم بين أظهر المشركين لا ترى نارهما » وكان ﷺ يأخذ على أصحابه عند البيعة يأخذ على يد أحدهم « أن لا ترى نار المشركين إلا أن تكون حربا لهم » .

وإذا رأيت من يصور أو يبيع صور ذوات الأرواح فإنصحه وقل له أما بلغك أن أشد عذاباً يوم القيامة المصورون ، أما بلغك أن من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافع ، وقل له أما سمعت حديث كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فيعذبه في جهنم إتق الله قبل أن تقف بين يديه حافياً عارياً أعزلاً .

وإذا رأيت من يبيع الصور أو آلات اللهو كالتلفزيون والكورة والمذياع والفيديو والسيما والورق الملهية عما خلق الانسان له وأبا الخبائث الدخان ونحو هذه البدع المحرمة التي ضاع العمر والمال بسببها وقضت على الأخلاق

والغيرة الدينية فقل له أترضى لنفسك أن تتجر بالمحرمات وأن تكون ممن يعين على المعاصي وينشر الفساد إتيق الله قبل أن يفاجئك هادم اللذات فتندم ولا يفيدك الندم . ويصدق عليك قول الشاعر :

ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مصرعه وخيم المصراع

وإذا رأيت من يطفف في المكيال والميزان أو يأخذ راتبه كاملاً ولا يؤدي العمل كاملاً قل له إتيق الله أما تقرؤ قول رب العالمين « ويل للمطففين الذين إذا إكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوا هم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

وإذا رأيت المفتابين نهاشة الأعراض أكالة لحوم الغوافل فقل لهم أما قرأتم قول الملك الديان « ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » الآية .

وإذا رأيت النمام فقل له أما سمعت قول النبي ﷺ (لا يدخل الجنة نمام) وهكذا تفعل عندما تريد أن تنصح أهل المعاصي نحو هؤلاء من منافقين ومتملقين وكذابين .

ولقد تضاعفت الغيبة والتميمة والكذب أضعافاً كثيرة بعد ظهور التلفزيون والتلفون والمسجلات فقد كانت بالأول لا توجد إلا مع اجتماع الأبدان والآن توجد ولو كان بينهم مسافات بعيدة نسأل الله العافية لنا ولاخواننا المسلمين إنه على كل شيء قدير وبكل شيء علیم .

والله أعلم وصلى الله على محمد .

موعظة

قال ابن القيم رحمه الله :

ما ضُرِبَ عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ من قسوةِ القلبِ والبعيدِ عن الله حُلِقَتِ النارُ لإذابةِ القلوبِ القاسيةِ أبعدَ القلوبِ من الله القلبُ القاسي ، إذ قَسَى قُحْطِ العَيْنِ .

قسوةُ القلبِ من أربعةِ أشياءَ إذا جَاوَزَتْ قَدَرَ الْحَاجَةِ : الأَكْلُ ، والنومُ والكلامُ ، والمخالطةُ ، كما أن البدن إذا مَرَضَ لم يَنْفَعِ فِيهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ فَكَذَلِكَ القلبُ إذا مَرَضَ بالشهواتِ لم تنجح فيه الموعظُ .

من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهواته .

القلوبُ المتعلقة بالشهواتِ محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها . شغلوا قلوبهم بالدنيا ، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لحالت في معاني كلامه وآياته المشهودة ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وطرف الفوائد .

إذا غدَى بالتذكر ، وسقى بالتفكر ، ونقى من الدغل ، رأى العجائب وأهم الحكمة ، خراب القلب من الأمن والغفلة ، وعماراته من الخشية والتذكر .

إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة ، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد .

والقلب يمرض كما يمرض البدن وشفاؤه في التوبة والحمية ويصدأ كما تصدأ المرأة وجلأؤه بالذكر ، ويعرى كما يعرى الجسم وزينته التقوى ، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن ، وطعامه وشرابه المعرفة والهمة والتوكل والإنابة والخدمة .

للقلب ستة مواطن يحول فيها لا سابع لها : ثلاثة سافلة وثلاثة عالية .
فالسافلة : دنيا تتزين له ونفس تحدثه وعدو يوسوس له ، فهذه مواطن
الأرواح السافلة لا تزال تحول فيها .
والثلاثة العالية : علم يتبين له ، وعقل يرشده ، وإله يعبه ، والقلوب جواله
في هذه المواطن .

وقال رحمه الله : ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما
وجلاؤه بالذكر فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء ، فإذا ترك صدئ ، فإذا ذكر
بجلاله .

وصدأ القلب بأمرين : بالغفلة والذنب ، وجلاؤه بشيئين : بالاستغفار
والذكر . فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكماً على قلبه ، وصدأه بحسب
غفلته ، وإذا صدأ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في
صورة الحق والحق في صورة الباطل ، لأنه لما تراكم عليه الصدأ وأسود وركبه الران
فسد تصوّره وإدراكه ، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً . وهذا أعظم
عقوبات القلب .

وأصل ذلك من الغفلة وإتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان
بصره ، قال تعالى « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وإتبع هواه وكان أمره فرطاً »
فإذا أراد العبد أن يقتدى برجل فليُنظر :

هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين . وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي .
فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً . ومعنى الفرط
قد فسر بالتضييع ، أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به ، وبه رشده
وفلاحه ضائع قد فرط فيه . وفسر بالإسراف ، أي قد أفرط ، وفسر بالإهلاك ،
وفسر بالخلاف للحق . وكلها أقوال متقاربة .

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات ، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه فإن وجده كذلك فليبعد منه وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله عز وجل وإتباع السنة ، وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليتمسك بغيره . ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر ، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت . وفي المسند مرفوعاً أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون اهـ .

شعرا :

يا أيها المُعْتَرُ بالله	فِرَّ من الله إلى الله
ولذِّ به واسأله من فضله	فَقَدْ نَجَا من لاذَّ بالله
وقم له والليل في جنبه	فَحَبَّذا من قام لله
وأتل من الوحي ولو آية	تُكْسَى بها ثورا من الله
وعفر الوجه له ساجداً	فَعَزَّ وَجْهَ ذل لله
فما نعيم كمناجاته	لقائت يخلص لله
وابعد عن الذُّب ولا تاتيه	فبُعدُه قُرب من الله
يا طالباً جاهلاً بغير التقى	جهلت ما يُذني من الله
لا جاه إلا جاء يوم القضا	إذ ليس حُكم لبسوى الله
وصار من يُسعد في حنة	غالية في رَحمة الله
يسكن في الفردوس في قبة	من لؤلؤ في جيرة الله
ومن يكن يقضى عليه الشقا	في جاحم في سخط الله
يسحب في النار على وجهه	يسابق الحُكم من الله
يا غجباً من موقن بالجزا	وهو قليل الخوف لله
كأنه قد جاءه مُخبر	بأمنه من قبل الله
يا رب جبار شديد القوى	أصابه سهم من الله

فَأَلْفَدُ الْمَقْتَلَ مِنْهُ وَكَمْ أَصَمْتُ وَتُصْنِي أَسْهُمُ اللَّهُ
وَاسْتَلَّ قَسْرًا مِنْ قُصُورِ إِلَى الـ أَجْدَاثِ وَاسْتَسْلَمَ اللَّهُ
مُرْتَهَنًا فِيهَا بِمَا قَدْ جَنَى يُخْشَى عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ
لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ اللَّهُ
يَا صَاحِبَ سِرِّ الْأَرْضِ كَيْمَا تَرَى مَا فَوْقَهَا مِنْ عِبَرِ اللَّهِ
وَكَمْ لَنَا مِنْ عِبْرَةٍ تَحْتَهَا فِي أُمَمٍ صَارَتْ إِلَى اللَّهِ
مِنْ مَلِكٍ مِنْهُمْ وَمِنْ سَوْفَةٍ خَشَرَهُمْ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ
وَالْحَظُّ بِعَيْنَيْكَ أَدِيمَ السَّمَاءِ وَمَا بِهَا مِنْ جَكَمَةِ اللَّهِ
تَرَى بِهَا الْأَفْلَاكَ دَوَّارَةً شَاهِدَةٌ بِالْمُلْكِ اللَّهُ
مَا وَقَفْتُ مَذْ أُجْرِيَتْ لَمْحَةً - أَوْ دُونَهَا - خَوْفًا مِنَ اللَّهِ
وَمَا غَلَبَهَا مِنْ جَسَابٍ وَلَا تُخْشَى الَّذِي يُخْشَى مِنَ اللَّهِ
وَهِيَ وَمَا غَابَ وَمَا قَدْ بَدَا مِنْ آيَةٍ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ
تَوَحَّدَ اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ فِي غَيْبِهِ فَالْأَمْرُ لِلَّهِ
وَمَا تَسْمَى أَحَدٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ غَيْرُ اللَّهِ بِاللَّهِ
إِنَّ حَمَى اللَّهِ مُنِيعٌ فَمَا يَقْرُبُ شَيْءٌ مِنْ حَمَى اللَّهِ
لَا شَيْءٌ فِي الْأَفْوَاهِ أَحْلَى مِنَ التَّـ وَحِيدٍ وَالتَّمْجِيدُ لِلَّهِ
وَلَا اطمأنَّ القلبُ إلَّا لمنْ يَغْمُرُهُ بِالذِّكْرِ اللَّهُ

وإن رأى في دينه شبهة
أو عرضته فاقّة أو غنى
ومن يكن في هديه هكذا
وكان في الدنيا وفي قبره
وفي غيد تبصره آمنا
ما أقبح إذا ما صبا
وهو من العمر على بازل
هلا إذا أشقى رأى شينة
كأما رين على قلبه
ما يُغذّر الجاهل في جهله
داران لا بُد لنا منهما
ولست أدري منزلي منهما
فاعجب لعبد هذه حاله
واسوأنا إن حاب ظني غدا
وكنث في النار أخصوبة
كم سوءة مستورة عندنا
في مشهد فيه جميع الوزى
وكم ترى من فائز فيهم
فالحمد لله على نعمة الـ

أمنك عنها خشية الله
لاقاهما بالشكر لله
كان خليقا برضى الله
وبعده في ذمة الله
لخوفه اليوم من الله
وعاقه الجهل عن الله
يحمّله حتّا إلى الله
ينعاه فاستخى من الله
فصار مخجوبا عن الله
فضلا عن العالم بالله
بالفضل والعلى من الله
لكن توكّلت على الله
كيف بنا عن طاعة الله
ولم تسعني رحمة الله
نعود من ذلك بالله
يكشفها الغرض على الله
قد نكسوا الأذقان لله
جلّله ستر من الله
إسلام ثم الحمد لله

(فصل)

* في بعض آداب الزكاة :

قال في منهاج القاصدين إعلم أن على مُريد الزكاة وظائف :
الوظيفة الأولى : أن يفهم المراد من الزكاة ، وهو ثلاثة أشياء :
إبتلاء مُدعي محبة الله تعالى ، باخراج محبوبه والتزُّة عن صفة البخل
المُهْلِك ، وشكرُ نعمة المال .

الوظيفة الثانية : الأسرارُ باخراجها لقوله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُوا
الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا ، وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾
وحديث السبعة وعدَّ منهم رجلاً تصدَّق بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ
شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ لِكُونِهِ أَبْعَدَ عَنِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ ، وفي الإظهارِ إِذْلالُ
لِلْفَقِيرِ أَيْضاً ، فَإِنْ خَافَ أَنْ يُتَهَمَ بِعَدَمِ الْإِخْرَاجِ أَعْطَى مَنْ لَا يُبَالِي مِنَ
الْفُقَرَاءِ بِالْأَخْذِ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ عَلَانِيَةً وَأَعْطَى غَيْرَهُ سِرّاً .

الوظيفة الثالثة : أَنْ لَا يُفْسِدَهَا بِالْمَنِّ وَالْأَذَى . وذلك أن الإنسانَ
إذا رَأَى نَفْسَهُ مُحْسِناً إِلَى الْفَقِيرِ مُنْعِماً عَلَيْهِ بِالْإِعْطَاءِ ، رَبَّماً حَصَلَ مِنْهُ
ذَلِكَ ، وَلَوْ حَقَّقَ النَّظَرَ لَرَأَى الْفَقِيرَ مُحْسِناً إِلَيْهِ ، بِقَبُولِ حَقِّ اللَّهِ الَّذِي هُوَ
طَهَّرَ لَهُ ، وإذا اسْتَحْضَرَ مَعَ ذَلِكَ أَنْ إِخْرَاجَهُ لِلزَّكَاةِ شُكْرٌ لِنِعْمَةِ الْمَالِ ،
فَلَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَقِيرِ مُعَامَلَةٌ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَقِرَ الْفَقِيرَ بِفَقْرِهِ لِأَنَّ
الْفَضْلَ لَيْسَ بِالْمَالِ وَلَا النِّقْصَ بِعَدَمِهِ .

الوظيفة الرابعة : أَنْ يَسْتَصْغِرَ الْعَطِيَّةُ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعْظِمَ لِلْفِعْلِ
مُعْجَبٌ بِهِ ، وَقَدْ قِيلَ : لَا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثٍ : بِتَصْغِيرِهِ وَتَعْجِيلِهِ
وَسْتِرِهِ .

الوظيفة الخامسة : أَنْ يَتَّقِيَ مِنْ مَالِهِ أَحْلَهُ وَأَجُودَهُ وَأَحَبَّهُ إِلَيْهِ ، أَمَا
الْحِلُّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا . وَأَمَّا الْأَجُودُ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا
بِخَيْرٍ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُهُ فِيهَا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أُصِبْ مَالًا فَطُ هُوَ أَنْفُسُ عِنْدِي مِنْهُ ، فَمَا
تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : إِنْ شِئْتَ حَبَسْتُ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا . قَالَ : فَتَصَدَّقُ بِهَا
عُمَرُ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا وَلَا يُورَثُ وَلَا يُوهَبُ . قَالَ : فَتَصَدَّقُ بِهَا
عُمَرُ فِي الْفُقَرَاءِ وَذَوِي الْقُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ
وَالضَّيْفِ ، لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يُطْعِمَ
صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ ، وَفِي لَفْظٍ غَيْرِ مُتَأْتِلٍ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ - رضي الله عنه -
أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءُ ،
وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْرَبُ
مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٌ . قَالَ أَنَسُ : فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى
تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى
تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وَإِنْ أَحَبُّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ وَأَنَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى

أَرْجُو بَرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَضَعَّهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَخٍ بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، وَقَدْ
سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ :
أَفْعَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ مُتَّفِقٍ عَلَيْهِ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يُلَاحِظَ فِي ذَلِكَ أَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : حَقُّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّعْظِيمِ لَهُ ، فَإِنَّهُ أَحَقُّ مَنْ
اخْتِيرَ لَهُ ، وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدَّمَ إِلَى ضَيْفِهِ طَعَاماً رَدِيئاً لَأَوْغَرَ صَدْرَهُ .

وَالثَّانِي : حَقُّ نَفْسِهِ فَإِنَّ الَّذِي يُقَدِّمُهُ هُوَ الَّذِي يَلْقَاهُ غَدًا فِي الْقِيَامَةِ
فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْأَجُودَ لِنَفْسِهِ ، وَأَمَّا أَحَبُّهُ إِلَيْهِ ، فَلَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَنْ
تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾ .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إِذَا اشْتَدَّ حُبُّ لَيْشِيٍّ مِنْ مَالِهِ
قَرَّبَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَرَوَى أَنَّهُ نَزَلَ الْجُحْفَةَ وَهُوَ شَاكٍ ، فَقَالَ : إِنِّي
لَأَسْتَهِي حَيَاتَانَا فَالْتَمَسُوا لَهُ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ إِلَّا حُوتاً فَأَخَذَتْهُ امْرَأَتُهُ فَصَنَعَتْهُ ،
ثُمَّ قَرَّبَتْهُ إِلَيْهِ فَاتَى مُسْكِينٌ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - خُذْهُ ،
فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ قَدْ عَنَيْنَا وَمَعَنَا زَادَ نُعْطِيهِ ، فَقَالَ : إِنْ عَبْدَ
اللَّهُ يُحِبُّهُ .

وَرَوَى أَنْ سَأَلُوا وَقَفَ بَابِ الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ :
أَطْعِمُوهُ سُكْرًا ، فَإِنَّ الرَّبِيعَ يُحِبُّ السُّكْرَ .

الْوِظِيفَةُ السَّادِسَةُ : أَنْ يَطْلُبَ لِصَدَقَتِهِ مَنْ تَزْكُو بِهِ ، وَهُمْ خُصُوصٌ
مِنْ عُمُومِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ ، وَلَهُمْ صِفَاتٌ :

الأولى : التَّقْوَى ، فَلْيُخَصَّ بِصَدَقَتِهِ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّهُ يَرُدُّ بِهَا هَمَّهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْعَمُوا الْأَنْفِيَاءَ وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ كَانَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ يَتَخَيَّرُ الْعِبَادَ وَهُمْ سُجُودٌ فَيَأْتِيهِمْ بِالصُّرَّةِ فِيهَا الدَّنَانِيرُ وَالْدِرَاهِمُ فَيَضَعُهَا عِنْدَ نِعَالِهِمْ بَحِثٌ يُحْسِنُونَ بِهَا وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَكَانِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُرْسِلَ بِهَا إِلَيْهِمْ ؟ فَيَقُولُ أَكْرَهُ أَنْ يَتَمَعَّرَ وَجْهُ أَحَدِهِمْ إِذَا نَظَرَ إِلَى رَسُولِي .

الصفة الثانية : الْعِلْمُ فَإِنَّ إعْطَاءَ الْعَالِمِ إِعَانَةً عَلَى الْعِلْمِ وَنَشْرَ الدِّينِ ، وَذَلِكَ تَقْوِيَةٌ لِلشَّرِيعَةِ .

الصفة الثالثة : أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَرَى الْإِنْعَامَ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْأَسْبَابِ إِلَّا بِقَدَرٍ مَا تُدَبُّ إِلَيْهِ مِنْ شُكْرِهَا ، فَأَمَّا الَّذِي عَادَتُهُ الْمَدْحُ عِنْدَ الْعَطَاءِ فَإِنَّهُ سَيَذُمُّ عِنْدَ الْمَنْعِ .

الصفة الرابعة : أَنْ يَكُونَ صَائِنًا لِفَقْرِهِ ، سَاتِرًا لِحَاجَتِهِ ، كَاتِمًا لِلشُّكْرِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ .

وَمِنْ آدَابِ الْمُزَكِّيِّ الَّتِي تَتَأَكَّدُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ طَيِّبَ النَّفْسِ بِإِخْرَاجِهَا فَرِحًا مَسْرُورًا مُسْتَبْشِرًا بِقَبُولِ الْفَقِيرِ الْمُسْتَجِيعِ لِرِكَابِهِ ، وَلِيَحْذَرَ مَنْ أَنْ يَكُونَ كَارِهًا لِإِخْرَاجِهَا فَإِنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُنَافِقَ يُصَلِّي وَلَكِنْ لَا يَأْتِيهَا إِلَّا وَهُوَ كَسْلَانٌ وَقَدْ يُزَكِّي وَلَكِنْ مَعَ الْكَرَاهَةِ ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » وَفِي لَفْظٍ : « لَيْسَ مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا » وَهُوَ حَدِيثٌ جَيِّدٌ .

موعظة

عبادَ الله! أن كُنتُمْ في سَعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ فَاحْمَدُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ جَعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسَارِ وَأَدِيمُوا شُكْرَهُ يُدِمَّ عَلَيْكُمْ النِّعْمَةَ وَيَزِدَّهَا ، وهو الكريمُ الجوادُ . وَمِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ أَنْ تَنْسَخُوا مِنَ الزَّكَاةِ بِإِخْرَاجِهَا كَامِلَةً إِلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ لَعَلَّكُمْ أَنْ تَفُوزُوا بِالْخَلْفِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ مِنْ فَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، أَحْسِنُوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَرَاعُوا عِنْدَ الْإِحْسَانِ الْأَدَبَ فَلَا تَمْنُوا عَلَى الْفَقِيرِ وَلَا تُؤْذُوهُ فَإِنْ ذَلِكَ مُحِيطٌ لِلْأَعْمَالِ وَاسْتَرَوْا عَطَاءَكُمْ مُخْلِصِينَ مُتَيَقِّنِينَ أَنَّ حَاجَتَكُمْ إِلَى الثَّوَابِ وَتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ أَشَدُّ مِنْ حَاجَةِ الْفَقِيرِ إِلَى مَا تُخْرِجُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ إِحْسَانَكُمْ إِنَّمَا هُوَ لِأَنْفُسِكُمْ وَاعْصُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْبُخْلِ وَيَنْهَى عَنِ الْعَطْفِ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، يُخِيفُكُمْ إِنْ تَصَدَّقْتُمْ أَنْ يَذْهَبَ مَالُكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نَصِيحَةَ الْعَدُوِّ مَهْلَكَةٌ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَا مِنْ يَوْمٍ يَصْبِحُ الْعِبَادُ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا . رواه البخاري ومسلم .

اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا عَنِ الْمَخَالِفَةِ وَالْعَصْيَانِ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

* فَضْلٌ فِيمَنْ تَجَلَّى لَهُ الصَّدَقَةُ :

إِعْلَمْ وَقَفْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ . أَنَّ مِمَّا

يَتَعَيَّنُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَصُونَ نَفْسَهُ عَنْهُ ، مَسْأَلَةُ النَّاسِ إِلَّا عِنْدَ
الضَّرُورَةِ أَوْ الْحَاجَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا وَلَا غِنَى لَهُ عَنْهَا ، وَذَلِكَ
لِإِذَا وَرَدَ عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهَلَالِيِّ قَالَ : تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً ، فَأَتَيْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا ، فَقَالَ : أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا
الصَّدَقَةُ فَأَمَرَ لَكَ بِهَا ثُمَّ قَالَ يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ
رَجُلٍ تَحْمِلُ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصَيِّبَهَا ثُمَّ يُنْسِكُ . أَوْ رَجُلٌ
أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاخَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصَيِّبَ قَوْمًا مِنْ
عَيْشٍ ، أَوْ قَالَ سَدَادًا مِنْ عَيْشٍ وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةَ
مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ يَقُولُونَ لَقَدْ أَصَابَتْ فَلَانًا فَاقَةً ، فَحَلَّتْ لَهُ
الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصَيِّبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ : سَدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا
سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سَحَتْ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا

* التحذيرُ من أخذِ الصدقةِ لمن لا تحِلُّ له :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا ، فَلْيَسْتَقْبِلْ
أَوْ لْيَسْتَكْثِرْ » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ
فِي وَجْهِهِ مَرْعَةٌ لَحْمٍ » .

وعن معاوية - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « لَا تُلْجِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ . فَوَاللَّهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا

فَتَخْرُجُ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئاً أَنَا كَارِهِ لَهُ ، فَيُبَارِكُ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ » .

وعن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعُهَا - يَكْفِ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ - خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ : أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ » .

وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنَّمَا الْمَسَائِلُ كُدُوحٌ يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَجِدُ مِنْهُ بُدَّ » .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ : جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَسْأَلَتُهُ خُمُوشٌ أَوْ خُدُوشٌ أَوْ كُدُوحٌ » ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا يُغْنِيهِ ؟ قَالَ : « خَمْسُونَ دِرْهَمًا أَوْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ » .

ولأبي داود عن سهل بن الحنظلية ، قِيلَ : وَمَا الْغِنَى الَّذِي لَا يَنْبَغِي مَعَهُ الْمَسْأَلَةُ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدَرُ مَا يُغْدِيهِ أَوْ يُعْشِيهِ » .

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ ، فَقَالَ : « مَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ » . قَالَ : بَلَى ، جِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَتَبْسُطُ بَعْضُهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ ، قَالَ : اثْنَيْنِي بِهِمَا ، فَأَتَاهُ بِهِمَا ، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ وَقَالَ : مَنْ

يَشْتَرِي هَذِينَ ؟ قَالَ رَجُلٌ :

أَنَا أَخَذُهُمَا بِدِرْهَمٍ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَزِيدُ عَلَى
دِرْهَمٍ ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ؟ قَالَ رَجُلٌ : أَنَا أَخَذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ ! فَأَعْطَاهُمَا
إِيَّاهُ ، فَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا
فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأَتَيْتَنِي بِهِ ، فَأَتَى بِهِ فَشَدَّ فِيهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عوداً بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبُ فَاحْتَطِبْ ، وَبِغْ وَلَا أَرِيَنَّكَ
خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فَذْهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ
دَرَاهِمٍ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، إِنْ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةِ : لِذِي فَقْرٍ مُذْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ
مُقْطِعٍ ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ » .

وَلِلْتَرَمِذِيِّ نَحْوُهُ عَنْ حَبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ ، فِيهِ : « وَمَنْ سَأَلَ النَّاسَ
لِيُثَرِّيَ بِهِ مَالَهُ كَانَ خُمُوشًا فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَرَضْفًا يَأْكُلُهُ فِي جَهَنَّمَ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَقِلِّ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْثِرْ » .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « مَنْ نَزَلَتْ فَاقَةٌ بِهِ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ ، وَمَنْ
نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ » .

وعن أَبِي كَبْشَةَ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ثَلَاثَةٌ أَقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأَحْدِثُكُمْ
حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ
عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا ، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ

فَقِرْ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا -

وَعَنْ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ يَتَكْفَلْ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا أَتَكْفُلُ لَهُ الْجَنَّةَ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا ! فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا » .

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ « يَا حَكِيمُ ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، قَالَ حَكِيمٌ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرَى أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا » .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ أَنْ يَعِيشَ الْمَرْءُ قَانِعًا بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَلَا يَمُدُّ بَصَرَهُ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَلَا تَتَطَلَّعُ نَفْسُهُ إِلَى سَلْبِ حُقُوقِ النَّاسِ أَوْ ظُلْمِهِمْ وَالْاِعْتِدَاءِ عَلَى مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ نِعَمٍ جَسَامٍ فَإِنَّ الْقَانِعَ يَشْعُرُ وَيُحْسِنُ بِسَكِينَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ كَمَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ الْخَلْقِ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا قَنُوعًا
فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءٌ

وَذَلِكَ أَنَّ لَهُ نَفْسًا رَاضِيَةً بِمَا قَسَمَ اللَّهُ آيَةً مُطْمَئِنَّةً لَمْ يَتَسَرَّبْ إِلَيْهَا الْجَشَعُ وَالطَّمَعُ اللَّذَانِ هُمَا مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ وَأَسْوَأِ الشَّمَائِلِ وَلَا يَزَالُ

صَاحِبُ هَذَيْنِ أَوْ أَحَدَهُمَا إِلَّا وَهُوَ مَذْمُومٌ وَيَأْقِجِ الصِّفَاتِ مُوسُومٌ لَا
تَعْرُضُ لَهُ الْقَنَاعَةُ وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا لَهُ . قَدْ مَلَأَ حُبُّهَا قَلْبَهُ وَغَمَزَ
مَحَبَّتُهَا وَالتَّفَانِي فِي طَلِبِهَا قَلْبَهُ وَصَارَ لَا يَرْضَى مِنْهَا بِالْيَسِيرِ وَلَا يَقْنَعُ
بِالْكَثِيرِ وَقَلَّمَاتِجِدُ مُتَّصِفًا بِهَذَا الْوَصْفِ إِلَّا وَهُوَ مُتَشَتُّ الْفِكْرِ قَلِيلُ الرَّاحَةِ
عِنْدَهُ مِنَ الْحَسَدِ وَالْهَلَعِ وَضَعْفُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ الشَّيْءِ الْكَثِيرِ الَّذِي
يُخْشَى عَلَيْهِ مَعَ اسْتِدَامَتِهِ مَعَهُ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ .

أَمَّا الْقَانِيعُ ذُو النَّفْسِ الْأَبْيَةِ الرَّاضِيَةِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْمُتَوَكِّلَةِ عَلَى اللَّهِ
فَيُرْجَى لَهَا أَنْ تَنَالَهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى
رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الْآيَةُ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافَى فِي بَدَنِهِ
مَعَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يُنَادِي فِيهِ مَلَكٌ
مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يَا ابْنَ آدَمَ قَلِيلٌ يَكْفِيكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْغِيكَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : أَطْيَبُ الْعَيْشِ الْقَنَاعَةُ وَأَنْكَدُ الْعَيْشِ الْجَشْعُ
وَمِنْ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ بَخِيلًا بِمَا فِي يَدِهِ مُتَطَلِعًا لِمَا
فِي أَيْدِي النَّاسِ الْجِرْصُ وَالْإِفْرَاطُ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ
إِلَى اهْتِدَارِ الْكَرَامَةِ وَارَاقَةِ مَاءِ الْوَجْهِ فَالْحَذَرُ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ الْجِرْصِ عَنِ
الدُّنْيَا فَإِنَّ حُبَّهَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ .

شِعْرًا :

وَأَنِّي أَمْرُؤٌ بِالطَّبْعِ الْغَنِيِّ مَطَامِعِي
وَأَزْجُرُ نَفْسِي طَائِعاً لَا تَطْبَعَا
وَعِنْدِي غِنَى نَفْسٍ وَفَضْلُ قَنَاعَةٍ
وَلَسْتُ كَمَنْ إِنْ ضَاقَ ذَرْعاً تَضَرَّعَا
وَإِنْ مَدَّ نَحْوَ الزَّادِ قَوْمٌ أَكْفَهَا
تَأَخَّرْتُ بَاعاً إِنْ دَنَا الْقَوْمُ أَضْبَعَا
وَمُذْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَدَيَّ دَيْثَةً
تَعَرَّضْتُ لِلْإِعْرَاضِ عَنْهَا تَرْفَعَا
وَذَاكَ لِعِلْمِي إِنَّمَا اللَّهُ رَازِقٌ
فَمَنْ غَيْرُهُ أَرْجُو وَأَخْشَى وَأَجْزَعَا
فَلَا الضَّعْفُ يُقْصِي الرِّزْقَ إِنْ كَانَ دَانِياً
وَلَا الْحَوْلُ يُذْنِبُهُ إِذَا مَا تَجَزَّعَا
فَلَا تَبْطِرُنْ إِنْ نِلْتَ مِنْ دَهْرِكَ الْغِنَى
وَكُنْ شَامِخاً بِالْأَنْفِ إِنْ كُنْتَ مُدْقِعاً
فَقَدَّرَ الْفَتَى مَا حَازَهُ وَأَفَادَهُ
مِنْ الْعِلْمِ لَا مَالٌ حَوَاهُ وَجَمَّعَا
فَكُنْ عَالِماً فِي النَّاسِ أَوْ مُتَعَلِّماً
وَإِنْ فَاتَكَ الْقِسْمَانِ أَضْغِرْ لِتَسْمَعَا
وَلَا تَكُ لِلْأَقْسَامِ مَا اسْتَطَعْتَ رَابِعَا
فَتَذَرَا عَنْ وَرْدِ النَّجَاةِ وَتُدْفَعَا

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تُوفِّقَنَا
لِمَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا وَأَكْرِمْ مَثْوَانَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ تِسْعَةَ أَوْ ثَمَانِيَةَ أَوْ سَبْعَةَ ، فَقَالَ : « أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ وَكُنَّا
حَدِيثِي عَهْدٍ بِبَيْعَةِ ، فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَلَا
تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، فَعَلَّامَ تَبَايَعُكَ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ،
وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَتُطِيعُوا اللَّهَ وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً ، وَلَا تَسْأَلُونَ النَّاسَ
شَيْئًا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا
يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ : شَرِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
لَبَنًا فَأَعْجَبَهُ ، فَسَأَلَ الَّذِي سَقَاهُ : مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى
مَاءٍ - قَدْ سَمَاهُ - فَإِذَا نَعَمٌ مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ وَهُمْ يَسْقُونَ ، فَحَلَبُوا مِنَ اللَّبَانِهَا
فَجَعَلَتْهُ فِي سِقَائِي فَهُوَ هَذَا فَأَدْخَلَ عُمَرُ يَدَهُ فِيهِ فَاسْتَقَاءَ . أَيِ أَخْرَجَهُ
مِنْ جَوْفِهِ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ ، فَأَقُولُ أَعْطِهِ أَفْقَرُ مِنِّي ، فَقَالَ : خُذْهُ

فَتَمَوَّلُهُ وَتَصَدَّقَ بِهِ ، فَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرَ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ ، فَخُذْهُ ، وَمَالًا فَلَا تُتْبِعُهُ نَفْسَكَ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ ابْنِ السَّاعِدِيِّ قَالَ : اسْتَعْمَلَنِي عُمَرُ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْهَا وَأَذَيْتُهَا إِلَيْهِ أَمَرَ لِي بِعَمَالَةٍ . فَقُلْتُ أَنَّمَا عَمِلْتُ لِلَّهِ ، قَالَ : خُذْ مَا أُعْطِيتَ فَإِنِّي قَدْ عَمِلْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَمَلَنِي ، فَقُلْتُ : مِثْلَ قَوْلِكَ . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أُعْطِيتَ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَهُ فَكُلْ وَتَصَدَّقْ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ : أَنَّ أَنَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَقِدَ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : « مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أُدْخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُ يُعْفُهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » رَوَاهُ الْخَمْسَةُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا .

وَقَدْ اشْتَمَلَ الْحَدِيثَانِ الْأَخِيرَانِ عَلَى جُمْلٍ جَامِعَةٍ نَافِعَةٍ :

الْأَوَّلَى : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ يَسْتَغْفِرُ يُعْفُهِ اللَّهُ » فِيهَا الْحَثُّ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى انْصِرَافِهَا عَنْ التُّعَلُّقِ بِالْمَخْلُوقِينَ ، وَذَلِكَ بِالِاسْتِغْفَافِ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ ، فَلَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيْئًا لَا

بِلِسَانِ الْحَالِ وَلَا بِلِسَانِ الْمَقَالِ ، بَلْ يَكُونُ مَعْتَمِدًا عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ .

وَفِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ : وَهِيَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ » الْحَثُّ عَلَى الْاِسْتِغْنَاءِ بِاللَّهِ وَالثَّقَّةُ بِهِ وَالْاِعْتِمَادُ عَلَيْهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ .

وَالثَّالِثَةُ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ » فَفِيهَا أَيْضًا الْحَثُّ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى الصَّبْرِ الَّذِي هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا وَعَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَتْرَكَهَا لِلَّهِ ، وَإِلَى الصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ فَلَا يَتَسَخَّطُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ . . . الْخ » بَيَانُ أَنَّ الْغِنَى لَيْسَ بِسَعَةِ الثَّرْوَةِ وَوَفَرَةِ الْمَالِ وَكَثْرَةِ الْمَتَاعِ ، وَلَكِنْ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، فَمَنْ اسْتَغْنَى بِمَا فِي يَدِهِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَلَمْ تَشْرُفْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَلَمْ تَتَطَلَّعْ إِلَيْهِ فَهُوَ الْغِنَى الْجَدِيدُ بَلَقِبِ الْغِنَى ، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ مِقْلًا ، إِذْ رِضَاهُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ ، وَعِفَّتُهُ وَزُهْدُهُ وَقَنَاعَتُهُ جَعَلَتْهُ فِي دَرَجَةٍ مِنَ الْغِنَى دُونَهَا بِطَبَقَاتِ أَهْلِ الثَّرَاءِ الَّذِينَ حُرِّمُوا الزُّهَادَةُ وَالْقَنَاعَةُ وَالرِّضَا بِمَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ ، الَّذِينَ تَذَهَبُ أَنْفُسُهُمْ حَسْرَةً إِذَا فَاتَتْهُمْ صَفْقَةٌ أَوْ ضَاعَتْ عَلَيْهِمْ فُرْصَةٌ . بَلْ مَا جَاءَهُ رِضَا بِهِ وَقَبِيعَ بِخِلَافٍ مَنْ كَثُرَ مَالُهُ وَتَشَعَّبَتْ أُمْلَاكُهُ وَصَارَ قَلْبُهُ مُوزَعًا بَيْنَ ضَيْعَتِهِ وَعِمَارَاتِهِ وَذَهَبِهِ وَفِضَّتِهِ وَأَوْرَاقِهِ وَسَائِرِ أَمْوَالِهِ وَلَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا جَمْعُ الْمَالِ فَهُوَ مَعْشُوقُهُ يَحْرِصُ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْحَرْصِ ، وَيَتَمَيَّزُ غَيْظًا إِذَا فَاتَهُ مِنْهُ الْقَلِيلُ وَبُودَهُ لَوْ ضَمَّ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ إِلَى مَا فِي يَدِهِ فَصَارَ لَا

يَتَلَذُّ بِمَا كُلُّ وَلَا يَمْشُرُ وَلَا يَرْتَاخُ لِمَنَادِمَةِ جَلِيسٍ لَا شَتِغَالٍ قَلْبِهِ بِهِ فَهَذَا
هُوَ الْفَقِيرُ حَقًّا الْمَحْرُومُ صِدْقًا وَصَدَقَ مَنْ قَالَ :

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ
مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا أَمْرَ الرِّزْقِ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْجِرْصِ وَالتَّعَبِ فِي طَلَبِهِ
وَمِنْ شُغْلِ الْقَلْبِ وَتَعَلُّقِ الْهَمِّ بِهِ ، وَمِنْ الذُّلِّ لِلْخَلْقِ بِسَبَبِهِ وَمِنْ التَّفَكُّيرِ
وَالْتَّدْبِيرِ فِي تَحْصِيلِهِ ، وَمِنْ الشُّحِّ وَالْجِرْصِ عَلَيْهِ بَعْدَ حُصُولِهِ ، وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلَامِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ
الَّذِي لَا يَنَامُ وَأَوْصِيَكُمْ فِي مُعَامَلَتِهِ بِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ فِي الْأَقْدَامِ
وَالْأَحْجَامِ وَالْفَرْعِ إِلَيْهِ عِنْدَ تَفَاقُمِ الشَّدَائِدِ وَاشْتِبَاهِ الْأَحْكَامِ ، وَالْاعْتِمَادِ
عَلَيْهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ فِي النُّقْصِ وَالْإِبْرَامِ ، وَالرَّغْبَةِ
فِيمَا لَدَيْهِ فَبِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ ، وَمُقَابِلَتُهُ قَضَائِهِ بِحَقِيقَةِ
الرِّضَى وَالْإِسْتِسْلَامِ ، أَمَا خَلَقَكُمْ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَهُوَ
جَزِيلُ الْأَنْعَامِ ، أَمَا شَرَّفَكُمْ وَفَضَّلَكُمْ بِجَزِيلِ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ ، أَمَا
أَوْضَحَ لَكُمْ الطَّرِيقَ الْمُوَصِّلَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، أَمَا بَعَثَ إِلَيْكُمْ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَبْلِيغِ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ ، أَمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ
لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أَوْدَعَهُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ، أَمَا دَعَاكُمْ إِلَى

التَّوَكَّلِ عَلَيْهِ وَالْاِعْتِصَامِ ، أَمَا حَثَّكُمْ إِلَى الْعَمَلِ فِيمَا يُقَرِّبُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، أَمَا حَذَّرَكُمْ عَوَاقِبَ مَعَاصِيهِ وَنَهَاكُمْ عَنِ الْآثَامِ ، أَمَا أَنْذَرَكُمْ هَوْلَ يَوْمٍ أَطْوَلَ الْأَيَّامِ ، الْيَوْمَ الَّذِي يَشِيبُ فِيهِ الْوِلْدَانُ ، وَتَنْفِطِرُ فِيهِ السَّمَاءُ ، وَتَنْكَدِرُ فِيهِ النُّجُومُ ، وَتُظْهَرُ فِيهِ أُمُورٌ عِظَامٌ ، أَمَا خَوَّفَكُمْ مَوَارِدَ الْجَمَامِ ، أَمَا ذَكَّرَكُمْ مَصَارِعَ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْآثَامِ ، أَمَا أَمَدَّكُمْ بِالْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَصِحَّحَ الْأَجْسَامِ ، أَمَا وَعَدَكُمْ بِقَبُولِ تَوْبَةِ التَّائِبِينَ رَحْمَةً مِنْهُ جَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ ، فَوَاللَّهِ لَحَقَّ لِهَذَا الرَّبِّ الْعَظِيمِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى عَلَى الدَّوَامِ ، فَيَا أَيُّهَا الشُّيُوخُ بَادِرُوا فَمَا لِلزَّرْعِ إِذَا أَحْصَدَ إِلَّا الصَّرَامُ ، وَيَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ جُدُّوا فِي الْعَمَلِ قَرُبُ امْرِئٍ مَا بَلَغَ التَّمَامَ ، وَاحْذَرُوا عِقَابَ رَبِّكُمْ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ، يَوْمَ مَا أَطْوَلَ الْوُقُوفَ فِيهِ وَأَثْقَلَهُ عَلَى كُلِّ مُجْرِمٍ جَبَّارٍ يَوْمَ الْمُنَاقَشَةِ فِيهِ عَنِ الْفَتِيلِ وَالنَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ وَصَغَائِرِ الْأَعْمَالِ وَالْكِبَائِرِ ، فَتَأَهَّبُوا لِذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَاسْتَعِدُّوا لَهُ أَتَمَّ اسْتِعْدَادٍ .

شِعْرًا :

لَكَ الْحَمْدُ وَالنُّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا
وَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَأَمَجْدُ
مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيِّمُ
لِعِزَّتِهِ تَعْنُوا الْوُجُوهَ وَتَسْجُدُ
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَقْدُرُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ
وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ قَرْدٌ مُوَحَّدُ

وَمَنْ لَمْ تُتَازَعْهُ الْخَلَائِقُ مُلْكُهُ
وَإِنْ لَمْ تُفَرِّدْهُ الْعِبَادُ فَمُفَرِّدُ
مَلِيكُ السَّمَوَاتِ الشَّدَادِ وَأَرْضِهَا
وَلَيْسَ بِشَيْءٍ عَنْ قَضَائِهِ تَأَوُّدُ
هُوَ اللَّهُ بَارِي الْخَلْقِ ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ
إِمَاءٌ لَهُ طَوْعاً جَمِيعاً وَأَعْبُدُ
وَأَتَى يَكُونُ الْخَلْقُ كَالْخَالِقِ الَّذِي
يُمِيتُ وَيُحْيِي دَائِباً لَيْسَ يَهْمُهُ
تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الْجَوَائِحُ فِي الْخَفَا
وَإِذَا هِيَ فِي جَوْ السَّمَاءِ تُصَعَّدُ
وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا
وَسَبَّحَهُ الْأَشْجَارُ وَالْوَحْشُ أَبَدُ
وَسَبَّحَهُ النَّيْنَانُ وَالْبَحْرُ زَاجِراً
وَمَا ظَمَّ مِنْ شَيْءٍ وَمَا هُوَ مُقَلِّدُ
أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُقِيمُ عَلَى الْهَوَى
إِلَى أَيِّ جِنٍّ مِنْكَ هَذَا التَّصَدُّدُ
عَنِ الْحَقِّ كَالْأَعْمَى الْمُحِيطُ عَنِ الْهُدَى
وَلَيْسَ يَرُدُّ الْحَقُّ إِلَّا مُفَنِّدُ
وَحَالَاتُ دُنْيَا لَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا
فَتَبَيَّنَ الْفَتَى فِيهَا مَهْيَبٌ مُسَوِّدُ
إِذَا انْقَلَبَتْ عَنْهُ وَزَالَ نَعِيمُهَا
وَأَضْبَحَ مِنْ تُرْبِ الْقُبُورِ يُوسِّدُ

وَفَارَقَ رُوحاً كَانَ بَيْنَ جَنَانِهِ
 وَجَاوَرَ مَوْتَى مَا لَهُمْ مُتَرَدِّدُ
 فَأَيُّ فَتَى قَبْلِي رَأَيْتَ مُخْلِداً
 لَهُ فِي قَدِيمِ الدُّمْرِ مَا يَتَوَدَّدُ
 فَلَمْ تَسْلَمْ الدُّنْيَا وَإِنْ ظَنَّ أَهْلُهَا
 بِصِحَّتِهَا وَالدُّمْرِ قَدْ يَتَجَرَّدُ
 أَلَسْتَ تَرَى فِيمَا مَضَى لَكَ عِبْرَةً
 فَمَهْ لَا تَكُنْ يَا قَلْبُ أَغْمَى يُلْدُدُ
 فَكُنْ خَائِفاً لِلْمَوْتِ وَالْبَغْثِ بَعْدَهُ
 وَلَا تَكُ مِمَّنْ غَرَّهُ الْيَوْمُ أَوْ غَدُ
 فَإِنَّكَ فِي دُنْيَا غُرُورٍ لِأَهْلِهَا
 وَفِيهَا عَدُوٌّ كَاشِحُ الصَّدْرِ يُوقِدُ

اللَّهُمَّ أَرْحَمْ غُرَبَتَنَا فِي الْقُبُورِ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْبَغْثِ وَالنُّشُورِ وَاغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ

يَبْحَثُ فِي :

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْأَثَارِ الشَّرْعِيَّةِ فِي فَضْلِهَا .

٢ - أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ .

٣ - بَيَانُ عِظَمِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَفِي الْحَرَمَيْنِ .

٤ - الْأَوَّلِيَّةُ فِي الصَّدَقَةِ لِلْأَقْرَبَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ .

١ - مَا وَرَدَ مِنَ الْأَثَارِ الشَّرْعِيَّةِ فِي فَضْلِهَا :

تُسَنُّ صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً . . . الْآيَةُ ﴾ ، وَعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنِ جَابِرٍ قَالَ : كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ قَوْمٌ عُرَاءُ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ، غَامَتُهُمْ مِنْ مُضَرِّ بَلِّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ . فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ - إِلَى آخِرِ الْآيَةِ - إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعٍ بُرِّهِ مِنْ صَاعٍ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَيْفُهُ تَعْجُزُ عَنْهَا ، بَلِّ قَدْ عَجَزَتْ .

ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مَذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوزَارِهِمْ شَيْءٌ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَهَذَا الْكَلَامُ الْبَلِيغُ دَعْوَةٌ إِلَى التَّنَافُسِ فِي الْخَيْرِ وَالتَّسَابُقِ فِي افْتِتَاحِ مَشْرُوعَاتِهِ .

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ . فَقَالَ : هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ » .

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا : « إِنَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَتُدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ .
وَكَمَا أَنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهِيَ تُطْفِئُ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ .

وَعَنْ مِرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَقُولُ : « إِنَّ ظِلَّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَصَدَقَةُ السِّرِّ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ تَبَدُّوا

الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴿٤﴾ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » وَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِينًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ شِعَارُ الصَّالِحِينَ . ثُمَّ تَلَا ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا .

وَفِي حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَكُنَّا فِي صُفَّةٍ بِالْمَدِينَةِ فَقَامَ عَلَيْنَا فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَجَاءَهُ بِرُّهُ بِوَالِدِيهِ فَرَدَّ مَلَكُ الْمَوْتِ عَنْهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ فَجَاءَهُ وَضُوءُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اخْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَرَدَ الشَّيَاطِينُ عَنْهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اخْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْتَهُبُ وَفِي رِوَايَةٍ يَلْتَهُبُ عَطَشًا كُلَّمَا دَنَا مِنْ حَوْضٍ مُنِعَ وَطَرَدَ فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ فَسَقَاهُ وَأَرَاوَاهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ جُلُوسًا جِلْقًا

جَلَقًا كُلَّمَا دَنَا إِلَى حَلْقِهِ طُرِدَ فَجَاءَهُ غُسْلُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِي ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ ظُلْمَةٌ وَمِنْ قَوْعِهِ ظُلْمَةٌ وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِيهَا فَجَاءَهُ حُجُّهُ وَعُمُرَتُهُ فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَدْخَلَاهُ فِي النُّورِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي بِوَجْهِهِ وَهَجَ النَّارِ وَشَرَرَهُ فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ سُتْرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ وَظَلَّلَتْ عَلَى رَأْسِهِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا يُكَلِّمُونَهُ فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ لِرَحِمِهِ فَقَالَتْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ كَانَ وَصُولًا لِرَحِمِهِ فَكَلِّمُوهُ فَكَلَّمَهُ الْمُؤْمِنُونَ وَصَافَحُوهُ وَصَافَحَهُمْ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اخْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَدْخَلَهُ فِي مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ فَجَاءَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَى اللَّهِ .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ ذَهَبَتْ صَحِيفَتُهُ مِنْ قِبَلِ شِمَالِهِ فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَوَضَعَهَا فِي يَمِينِهِ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي خَفَّ مِيزَانُهُ فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ فَثَقَلُوا مِيزَانَهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَجَاءَهُ رَجَاؤُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ وَمَضَى .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ أَهْوَى فِي النَّارِ فَجَاءَتْهُ دَمَعَتُهُ الَّتِي بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذَلِكَ .

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَائِمًا عَلَى الصُّرَاطِ يَرْعُدُ كَمَا تَرْعُدُ السَّعْفَةُ فِي رِيحٍ عَاصِفٍ فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَكَنَ رِعْدَتَهُ وَمَضَى ،

وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصَّرَاطِ وَيَحِبُّوْ أَحْيَانًا وَيَتَعَلَّقُ أَحْيَانًا
فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَأَقَامَتْهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَأَنْقَذَتْهُ وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى
أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَعُلِقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ فَجَاءَتْهُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَفُتِحَتْ لَهُ الْأَبْوَابُ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةُ رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو
مُوسَى الْمَدِينِيُّ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ
قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ يُعَظِّمُ شَأْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَيَلْغِي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ
شَوَاهِدُ الصَّحَّةِ عَلَيْهِ انْتَهَى .

وَبِمُنَاسَبَةِ سِيَاقِهِ هُنَا قَوْلُهُ فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ سِتْرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ
وَوَلَّلْتُ عَلَى رَأْسِهِ : قَالَ : رَحِمَهُ اللَّهُ وَفِي تَمَثِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِلصَّدَقَةِ بِمَنْ قُدِّمَ لِيُضْرَبَ عَنْقُهُ فَافْتَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِمَالِهِ كِفَايَةً فَإِنَّ
الصَّدَقَةَ تَقْدِي الْعَبْدَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ تَقْتَضِي
هَلَاكَهُ فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ تَقْدِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَتَفُكُّهُ مِنْهُ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ لَمَّا خَطَبَ النِّسَاءَ يَوْمَ الْعِيدِ : « يَا
مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » وَكَأَنَّهُ
حَضَهُنَّ وَرَغَّبَهُنَّ عَلَى مَا يَفْدِيَنَ بِهِ أَنْفُسَهُنَّ مِنَ النَّارِ .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

وَصَدَقَةُ التَّطَوُّعِ بِطَيِّبِ نَفْسٍ أَفْضَلُ مِنْهَا بِدُونِهِ ، لِمَا فِي حَدِيثِ

مُعَاوِيَةَ الْغَاصِرِي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ : مَنْ عَبْدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَالصَّدَقَةُ فِي الصَّحَّةِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا ؟ قَالَ : « أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمَلُ الْغِنَى ، وَلَا تُهْمِلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلُقُومُ قُلْتَ : لِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ يُسَاقِ فِي مَيِّدَانِ الْخَيْرَاتِ بِمَا يُقَدِّمُهُ مِنَ الصَّلَةِ وَالْإِحْسَانِ لِإِخْوَانِهِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَنَاخَ الْفَقْرُ عَلَيْهِمْ وَعَضُّهُمْ الْبُؤْسُ بِنَابِهِ وَأَوْجَعَهُمْ بِكَلَابِهِ الَّذِينَ لَا مَوَارِدَ لَهُمْ لَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ الَّذِينَ لَوْ رَأَيْتَهُمْ لَطَنَّتْهُمْ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَأَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالْمَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُقَاسُونَهُ مِنَ الدُّيُونِ لِمَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الصَّغَارِ وَالْكَبَارِ وَمَا يُقَاسُونَ مِنْ أَلَمِ الْجُوعِ وَالْفَقْرِ وَالشَّدَةِ وَالْعُسْرِ لَكِنْ يَمْنَعُهُمُ الْحَيَاءُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ أَنْ يَمْدُوا أَيْدِيَهُمْ لِلسُّؤَالِ وَأَنْ يَطْلُبُوا الرِّزْقَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالَى الرِّزَاقِ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَنْبَغِي الْأَعْتِنَاءُ بِهِمْ وَالْبَحْثُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ جِرَائِنِهِمْ وَأَقْرَبَائِهِمْ حَتَّى تَقَعَ الصَّدَقَةُ مَوْقِعَهَا وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَصْفُهُمْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ .

وَأَوْصَى بِهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلَكِنْ

الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ
فَيَسْأَلُ النَّاسَ .

وَلَمَّا كَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ حَرِيصِينَ جِدًّا عَلَى
مَا يُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ سَأَلَ أَحَدُهُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ فَأَجَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ «أَنْ تَصَدَّقَ
وَأَنْتَ صَاحِبُهَا» أَيُّ الْجِسْمِ مُعَافَاً فِي الْبَدَنِ تَتَمَتَّعُ بِقَوَاكِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْجَسْمِيَّةِ
شَجِيحٌ تَأْمُلُ الْغِنَى أَيْ تَطْمَعُ فِيهِ لِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ عَنْ طَرِيقِ الْمَكَاسِبِ
وَالْأَرْبَاحِ وَتَخْشَى الْفَقْرَ «وَأِنَّمَا كَانَتْ الصَّدَقَةُ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَفْضَلَ لِمَا
تَسْتَدْعِيهِ مِنْ شِدَّةِ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ عَلَى إِخْرَاجِ الْمَالِ مَعَ قِيَامِ الْمَانِعِ
وَهُوَ الشُّعْ فَأَخْرَاجُهُ حِينَئِذٍ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَحُسْنِ النِّيَّةِ
وَصِحَّةِ الْقَصْدِ وَشِدَّةِ الرُّغْبَةِ فِيمَا يُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وَلَا تُهْمَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ
الْحُلُقُومُ» أَيِ بَلَغَتْ الرُّوحُ مَجْرَى النَّفْسِ وَذَلِكَ عِنْدَ الْغُرْغَرَةِ «قُلْتَ لِفُلَانٍ
كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا» وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الْمُوصِي وَالْمُوصَى لَهُ فَالْحَدِيثُ يُرْشِدُنَا
إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُؤَخِّرَ الصَّدَقَةَ إِلَى وَقْتِ مُعَايِنَةِ الْمَوْتِ وَالْإِثْدَانِ
بِالْإِنْصِرَافِ عَنِ الدُّنْيَا وَمُفَارَقَةِ نَعِيمِهَا وَقَدْ نَبَّهَنَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى هَذَا
حَيْثُ يَقُولُ : ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ
يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا
وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ
الْغُرَقَى وَيَا مُنْجِيَ الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلِنَا مِنْ

كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلُ)

رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ؟ »
قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَمَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ . قَالَ : « فَإِنْ مَالُهُ مَا
قَدَّمَ وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَقُولُ الْعَبْدُ : مَالِي ، مَالِي ، وَإِنَّمَا مَالُهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثُ : مَا
أَكَلَ فَأَفْنَى ، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى ، أَوْ أُعْطِيَ فَأَفْتَى ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ ذَاهِبٌ
وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٢ - وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ :

وَكَانَ السَّلَفُ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَقْدُمُونَ الْمَحَاحِيصَ عَلَى حَاجَةِ
أَنْفُسِهِمْ وَيَبْذُلُونَ بِالنَّاسِ قَبْلَهُمْ فِي حَالِ احتِيَاجِهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

وَبُتِيَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ » وَهَذَا الْمَقَامُ أَعْلَى مِنْ حَالِ الَّذِينَ
وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا ﴾ وَقَوْلِهِ :

﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ فَإِنْ هَؤُلَاءِ تَصَدَّقُوا وَهُمْ يُحِبُّونَ مَا تَصَدَّقُوا بِهِ وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهُمْ حَاجَةٌ إِلَيْهِ وَلَا ضَرُورَةٌ وَهَؤُلَاءِ آثَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ خَصَاصَتِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَا أَنْفَقُوهُ ، وَمَنْ هَذَا الْمَقَامِ تَصَدَّقَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِجَمِيعِ مَالِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَبْقَيْتُ لِأَهْلِكَ ؟ فَقَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَهَكَذَا الْمَاءُ الَّذِي عُرِضَ عَلَى عِكْرِمَةَ وَأَصْحَابِهِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فَكُلُّ مِنْهُمْ يَأْمُرُ بِدَفْعِهِ إِلَى صَاحِبِهِ وَهُوَ جَرِيحٌ مُثْقَلٌ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى الْمَاءِ فَرَدَّ الْآخَرُ إِلَى الثَّالِثِ فَمَا وَصَلَ إِلَى الثَّالِثِ حَتَّى مَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَلَمْ يَشْرَبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ .

٣ - بَيَانُ عِظَمِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي الْحَرَمَيْنِ :

وَالصَّدَقَةُ فِي رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهِ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ - وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ » .

وَلِأَنَّ الصَّدَقَةَ فِي رَمَضَانَ إِعَانَةٌ عَلَى آدَاءِ فَرِيضَةِ الصَّوْمِ ، وَفِي أَوْقَاتِ الْحَاجَاتِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ .

وَالصَّدَقَةُ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَاضِلَةٌ كَالْعَشْرِ ، أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ فِيهَا أَحَبُّ

إلى الله من هذه الأيام ، يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ » .

وَالصَّدَقَةُ فِي الْحَرَمَيْنِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي غَيْرِهِمَا لِتَضَاعُفِ الْحَسَنَاتِ بِالْأَمْكِنَةِ الْفَاضِلَةِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » . وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ : « فَإِنِّي خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ مَسْجِدِي خَيْرُ الْمَسَاجِدِ » .

وَزَادَ « صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ » .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَبَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

٤ - الْأَوْلَوِيَّةُ فِي الصَّدَقَةِ لِلْأَقْرَبَاءِ وَالْبَارِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ :

وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّجْمِ أَفْضَلُ مِنْهَا عَلَى غَيْرِهِ لَا سِيَّمَا مَعَ عَدَاوَةٍ ، أَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهَا فِي الْقَرَابَةِ فَلِحَدِيثِ سَلْمَانَ الْمُتَقَدِّمِ « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الرَّجْمِ اثْنَانِ : صَدَقَةٌ ، وَصِلَةٌ » .

وَلَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَلْحَةَ :

« وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ » فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ .

وَأَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى التَّأَكُّدِ مَعَ الْعَدَاوَةِ فَلَمَّا وَرَدَ عَنْ أُمِّ كُثَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّجْمِ الْكَاشِخَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : إِنْ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنْ الصَّدَقَاتِ أَيُّهَا أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « عَلَى ذِي الرَّجْمِ الْكَاشِخِ » .

ثُمَّ الصَّدَقَةُ عَلَى الْجَارِ أَفْضَلُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ » .

وَعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ » .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُخَصَّنَ بِالصَّدَقَةِ مَنْ اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْ بِسَكِينَتَا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ ، وَكَوْنُهَا عَلَى عَالِمٍ أَفْضَلُ ، لِأَنَّ فِي إِعْطَائِهِ اعَانَةً عَلَى الْعِلْمِ وَنَشْرَ الدِّينِ وَذَلِكَ لِتَقْوِيَةِ الشَّرِيعَةِ ، وَكَوْنُهَا عَلَى صَاحِبٍ

دَيْنٍ أَفْضَلُ ، وَكَذَا عَلَى ذِي عَائِلَةٍ أَفْضَلُ مِمَّنْ لَيْسَ كَذَلِكَ .

وَالْمَنَ بِالصَّدَقَةِ كَبِيرَةً ، وَيَبْطُلُ الثَّوَابُ بِهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ .

وَمَنْ أَخْرَجَ شَيْئًا يَتَصَدَّقُ بِهِ ، أَوْ وَكَّلَ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ أَنْ لَا يَتَصَدَّقَ بِهِ اسْتُحِبَّ أَنْ يُمِضِيَهُ ، وَلَا يَجِبُ ، وَقَدْ صَحَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَخْرَجَ طَعَامًا لِسَائِلٍ فَلَمْ يَجِدْهُ عَزَلَهُ حَتَّى يَجِيءَ آخَرُ . وَقَالَ الْحَسَنُ : وَيَتَصَدَّقُ بِالْجِدِّ وَلَا يَقْصِدُ الْخَيْثَ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ وَأَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعًا « قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ » .

مَوْعِظَةٌ

اِخْوَانِي إِنَّكُمْ فِي دَارٍ هِيَ مَحَلُّ الْعِبَرِ وَالْآفَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَالطَّرِيقُ كَثِيرَةُ الْمَخَافَاتِ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ قَبْلَ الْمَمَاتِ ، وَتَذَارَكُوا هَفْوَاتِكُمْ قَبْلَ الْفَوَاتِ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الْخُلُوتِ ، وَتَفَكَّرُوا فِيمَا أَرَاكُمْ مِنَ الْآيَاتِ ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَاسْتَكْثِرُوا فِي أَعْمَارِكُمُ الْقَصِيرَةِ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُنَادِيَ بِكُمْ مُنَادِ الشَّنَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكُمْ هَادِمُ اللَّذَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَصَاعَدَ مِنْكُمْ الْأَنْبِيْنُ وَالزُّفَرَاتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ قُلُوبُكُمْ عِنْدَ فِرَاقِكُمْ حَسَرَاتٍ ، قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ مِنْ غَمِّ الْمَوْتِ الْغَمَرَاتُ ، قَبْلَ أَنْ تُرْعَجُوا مِنَ الْقُصُورِ إِلَى بُطُونِ

الفلوات ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تَشْتَهُونَ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ
تَتَمَنَّوْا رُجُوعَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا وَهِيَ هَاهُنَا .

شِعْرًا :

أَيَا لَاهِيًا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى
صَرِيحًا عَلَى فُرْشِ الرَّدَى يَتَقَلَّبُ
تَأْمُلُ هَذَاكَ اللَّهَ مَا تُمْ وَأَنْتَبَهُ
فَهَذَا شَرَابُ الْقَوْمِ حَقًّا يُرْكَبُ
وَتَرْكِيئُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَنْ تَفُتْ
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْمَنِيَةِ مَطْلَبُ
فِيَا عَجَبًا مِنْ مُعْرِضٍ عَنْ حَيَاتِهِ
وَعَنْ حَظِّهِ الْعَالِي وَيَلْهُو وَيَلْعَبُ
وَلَوْ عَلِمَ الْمَحْرُومُ أَيَّ بَضَاعَةٍ
أَضَاعَ لِأَمْسَى قَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
فَلِمَنْ كَانَ لَا يَذَرِي فِتْلَكَ مُصِيبَةً
وَأَنْ كَانَ يَذَرِي فَالْمُصِيبَةُ أَضْعَبُ
بَلَى سَوْفَ يَذَرِي حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
وَيُضَيِّحُ مَسْلُوبًا يَنْوُحُ وَيَنْدِبُ
وَتَعَجَّبُ مِمَّنْ بَاعَ شَيْئًا بِدُونِ مَا
يُسَاوِي بِلَا عِلْمٍ وَأَمْرُكَ أَعْجَبُ
لَأَنَّكَ قَدْ بَعْتَ الْحَيَاةَ وَطَيْبَهَا
بِلَذَّةِ حُلْمٍ عَنْ قَلِيلٍ سَيَذْهَبُ

فَهَلَّا عَكَسْتَ الْأَمْرَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا
وَلَكِنْ أَضَعْتَ الْحَزْمَ وَالْحُكْمُ يَغْلِبُ
تَصُدُّ وَتَنَأَى عَنْ حَبِيبِكَ دَائِمًا
فَأَيْنَ عَنِ الْأَحْبَابِ وَنَحَكَ تَذْهَبُ
سَتَعْلَمُ يَوْمَ الْحَشْرِ أَيَّ تَجَارَةٍ
أَضَعْتَ إِذَا تِلْكَ الْمَوَازِينُ تُنْصَبُ

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ الْأَبْرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُصْطَفَيْنَ
الْأَخْيَارِ ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِالْعَفْوِ وَالْعِتْقِ مِنَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلُ)

فِي ذِكْرِ طَرَفٍ مِنَ الْفَوَائِدِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى آدَاءِ الزُّكَاةِ

وَبَذْلِ صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ وَالْمَضَارِّ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى مَنَعِ الزُّكَاةِ : -

١ - امْتِنَالُ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

٢ - تَقْدِيرُ مَا يُجِبُّهُ اللَّهُ عَلَى مَحَبَّةِ الْمَالِ .

٣ - أَنَّ الصَّدَقَةَ بُرْهَانٌ عَلَى إِيْمَانِ صَاحِبِهَا كَمَا فِي الْحَدِيثِ
وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ .

٤ - شُكْرُ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُتَفَضِّلِ عَلَى الْمُخْرِجِ بِمَا أَعْطَاهُ مِنْ

- ٥ - السَّلامَةُ مِنْ وَبَالِ الْمَالِ فِي الْآخِرَةِ .
- ٦ - تَنْمِيَةُ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَالْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ الصَّالِحَةِ .
- ٧ - التَّطَهِيرُ مِنْ ذَنْسِ الذُّنُوبِ وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ .
- ٨ - اضْعَافُ مَادَّةِ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالْبُغْضِ أَوْ قَطْعُهَا كُلِّيًا .
- ٩ - تَخْصِينُ الْمَالِ وَحِفْظُهُ لِحَدِيثِ حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ .
- ١٠ - أَنَّ الصَّدَقَةَ دَوَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ لِحَدِيثِ « دَاوُوا مَرْضَاكُمْ
بِالصَّدَقَةِ » .
- ١١ - الْإِتِّصَافُ بِأَوْصَافِ الْكُرَمَاءِ .
- ١٢ - إِنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ الْبَلَاءِ .
- ١٣ - التَّمَرُّنُ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ .
- ١٤ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ جَمِيعِ الْأَسْقَامِ لِحَدِيثِ « بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ
فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا » .
- ١٥ - أَنَّهَا سَبَبٌ لَجَلْبِ الْمَوَدَّةِ لِأَنَّهَا إِحْسَانٌ ، وَالنَّفُوسُ مَجْبُورَةٌ عَلَى
حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا .
- ١٦ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِلدُّعَاءِ مِنَ الْقَابِضِ لِلدَّافِعِ وَتَقَدَّمَتِ الْأَدِلَّةُ .

١١٧ - أَنَّ مَنَعَ الزَّكَاةَ سَبَبٌ لِمَنْعِ الْقَطْرِ لِحَدِيثٍ « وَلَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ
الْأَحْسَنَ عَنْهُمْ الْقَطْرُ » .

١٩ - الْفَوْزُ بِالْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَرْهُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وَقَدْ فُسِّرَ الْفَلَاحُ بِأَنَّهُ الْفَوْزُ
بِالْمَطْلُوبِ وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَرْهُوبِ وَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ .

٢٠ - أَنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « أَنَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِئُ
غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ » .

٢١ - أَنَّ الْمُتَصَدِّقَ يَكُونُ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ
« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ وَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى
لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ » الْحَدِيثُ وَتَقَدَّمَ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ « وَأَمَّا
يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ » .

٢٢ - الْفَوْزُ بِالثَّنَاءِ مِنَ اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ مَدَحَ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقِينَ .

٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ - الْفَوْزُ بِالْآخِرِ مِنَ اللَّهِ وَالْأَمْنُ مِمَّا يُخَافُ مِنْهُ وَنَفَى
الْحَزْنَ عَنْهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

٢٦ - أَنَّ أَدَاءَ الزَّكَاةِ سَبَبٌ لِنُزُولِ الْقَطْرِ كَمَا أَنَّ مَنَعَهَا سَبَبٌ لِحَبْسِهِ .

٢٧ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ لِأَنَّ الْمُتَصَدِّقَ مُحْسِنٌ عَلَى الْمُتَصَدِّقِ
عَلَيْهِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

٢٨ - السَّلَامَةُ مِنْ كُفْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ .

٢٩ - الْخُرُوجُ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ الضُّعَفَاءِ .

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِلرِّزْقِ وَالنَّصْرِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « وَكَثْرَةُ الصَّدَقَةِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ تُرَزَقُوا وَتُنَصَرُوا وَتُجَبَّرُوا » .

٣٣ - أَنَّهَا تُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ » .

٣٤ - أَنَّهَا تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ « أَنْ صَدَقَ الْمُسْلِمُ تَزِيدَ فِي الْعُمْرِ » .

٣٥ - السَّلَامَةُ مِنَ اللَّعْنِ الْوَارِدِ فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ لِمَا رَوَى الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَشَاهِدَهُ وَكَاتِبَهُ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَمَانِعَ الصَّدَقَةِ وَالْمُحْلَلَ وَالْمُحْلَلُ لَهُ .

٣٦ - الْفَوْزُ بِالْقُرْبِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنْ رَحِمَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . وَقَالَ : ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ الْآيَةَ .

٣٧ - الْوَعْدُ بِالْخَلْفِ لِلْمُنْفِقِ لِحَدِيثِ « اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا » .

٣٨ - الظَّفَرُ بِدُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُنْفِقِ .

٣٩ - أَنَّ فِي اخْرَاجِ الزَّكَاةِ حُلًّا لِلْأَزْمَاتِ الْأَقْتِصَادِيَّةِ وَسُوءِ الْحَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْأَمْوَالِ الزَّكَوِيَّةِ تَنَسَّخُوا مِنْهَا وَوَضَعُوهَا فِي مَوَاضِعِهَا لَقَامَتْ الْمَصَالِحُ الدِّيْنِيَّةُ وَالْدُّنْيَوِيَّةُ وَزَالَتِ الضَّرُورَاتُ وَانْدَفَعَتْ

شُرُورُ الْفُقَرَاءِ وَكَانَ ذَلِكَ أَكْثَرَ حَاجِزٍ وَسَدٍّ يَمْنَعُ عِبَثَ الْمُفْسِدِينَ ،
وَفِي الْحَدِيثِ « وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ
سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ .

٤٠ - أَنَّ اللَّهَ يُعِينُ الْمُتَصَدِّقَ عَلَى الطَّاعَةِ وَيُهَيِّئُ لَهُ طَرِيقَ السَّادِ
وَالرَّشَادِ وَيُدْلِلُّ لَهُ سُبُلَ السَّعَادَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ .

٤١ - أَنَّ مَنْعَ الزَّكَاةِ يُخَبِّثُ الْمَالَ الطَّيِّبَ لِحَدِيثِ « مَنْ كَسَبَ طَيِّبًا
خَبِثَتْهُ مَنْعُ الزَّكَاةِ ، وَمَنْ كَسَبَ خَبِيثًا لَمْ تُطَيِّبْهُ الزَّكَاةُ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي
الْكَبِيرِ مُوقُفًا بِإِسْنَادٍ مُنْقَطِعٍ .

٤٢ - أَنَّ مَنْعَ الزَّكَاةِ سَبَبٌ لِنَلْفِ الْمَالِ لِحَدِيثِ « مَا نَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ
وَلَا بَحْرٍ إِلَّا يَحْبَسُ الزَّكَاةُ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَهُوَ حَدِيثٌ
غَرِيبٌ .

٤٣ - أَنَّ مَنْعَ الزَّكَاةِ سَبَبٌ لِلْإِبْتِلَاءِ بِالسُّنَنِ لِمَا فِي الْحَدِيثِ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَنْعَ قَوْمَ الزَّكَاةِ إِلَّا ابْتِلَاهُمُ اللَّهُ
بِالسُّنَنِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرَوَاتُهُ ثَقَاتٌ .

٤٤ - أَنَّ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ أَنَّهُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ هُمْ
أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرِضَ عَلَى أَوَّلِ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَالشَّهِيدُ وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ
أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ
يَدْخُلُونَ النَّارَ فَأَمِيرٌ مُسْلَطٌ وَذُو ثَرَوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ

وَفَقِيرٌ فَخُورٌ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ وَابْنُ جِبَانَ مُفَرَّغاً فِي مَوْضِعَيْنِ .

٤٥ ، ٤٦ - أَنَّ الصَّدَقَةَ يُذْهَبُ اللَّهُ بِهَا الْكِبَرُ وَالْفَخْرُ لِحَدِيثِ « إِنَّ صَدَقَةَ الْمُسْلِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ وَتَمْنَعُ مَيِّتَةَ السُّوءِ وَيَذْهَبُ بِهَا الْكِبَرُ وَالْفَخْرُ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

٤٧ - السَّلَامَةُ مِنَ التَّطَوُّقِ بِالشُّجَاعِ الْأَقْرَعِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ : « مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا مَثَلُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعٌ يَطُوقُ بِهِ عُنُقَهُ » .

٤٨ - السَّلَامَةُ مِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ لَمَا فِي الْحَدِيثِ « ظَهَرَتْ لَهُمُ الصَّلَاةُ فَقَبِلُوهَا ، وَخَفِيََتْ لَهُمُ الزَّكَاةُ فَأَكَلُوهَا أُولَئِكَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ » رَوَاهُ الْبَزَارُ .

٤٩ ، ٥٠ - إِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ وَأَنَّهَا تُسَدُّ سَبْعِينَ بَاباً مِنَ السُّوءِ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفاً عَلَى أَنَسٍ وَلَعَلَّهُ أَشْبَهُ .

٥١ - أَنَّ الصَّدَقَةَ حِجَابٌ مِنَ النَّارِ لِمَنْ اخْتَسَبَهَا لِمَا رُوِيَ عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ سَعْدٍ أَنَّهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا عَنْ الصَّدَقَةِ فَقَالَ إِنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ لِمَنْ اخْتَسَبَهَا يَتَغَيَّرُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

٥٢ - أَنَّ اخْرَاجَ الصَّدَقَةِ يُؤْلِمُ سَبْعِينَ شَيْطَاناً لِمَا وَرَدَ عَنْ بُرَيْدَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُخْرِجُ شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهَا لِحْيِي سَبْعِينَ شَيْطَانًا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ .

٥٣ - أَنَّ اللَّهَ يُسَخِّرُ لِلْمُتَصَدِّقِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِنُفُوسٍ مَالِهِ كَبَرَكَةٍ فِي ظَمَاءٍ نَهْرٍ وَسَقْيٍ أَرْضٍ كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْنِي رَجُلٌ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حُورَةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَعَ الْمَاءُ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَةٍ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فُلَانٌ لِلْإِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ سَأَلْتَنِي عَنْ اسْمِي قَالَ سَمِعْتُ فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلَاثِهِ وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثَلَاثَهُ وَأَرُدُّ فِيهَا ثَلَاثَهُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٥٤ - أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْقُصُ الْمَالَ خِلَافًا لِمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْجُهَالِ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٥٥ - أَنَّ الصَّدَقَةَ إِذَا كَانَتْ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِبَيْمِينِهِ ثُمَّ يُرْبِيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَذْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِبَيْمِينِهِ ثُمَّ يُرْبِيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرْبِي أَحَدُكُمْ فَلُوهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ مُتَفَقٌ عَلَيْهِ .

٥٦- أَنَّ الصَّدَقَةَ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ لِأَنَّ الْمُتَصَدِّقَ مُحْسِنٌ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

٥٧- أَنَّ الْمُصَدِّقِينَ يُضَاعَفُ لَهُمُ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنْ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ .

٥٨- أَنَّ الصَّدَقَةَ لِيُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَذْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ « رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ جُبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

٥٩- أَنَّ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ كُلِّ سَنَةٍ يَرَى الْفُقَرَاءُ أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيْهِمْ فَيُذَاغُونَ عَنْهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا أَمَّا كَفَّ الْيَدَ عَنْهُمْ وَمَنَعَ مَعْرُوفِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ فَإِنَّهُ يُؤْغِرُ صُدُورَهُمْ وَيَمْلَأُهَا حِقْدًا عَلَيْهِمْ وَيَجْتَهِدُونَ فِي سَلْبِ حَيَاتِهِمْ لِلْوُصُولِ إِلَى أَمْوَالِهِمُ الْمَخْزُونَةِ فَتَكُونُ الْحَيَاةُ مُهَدَّدَةً وَالْأَمْنُ مَفْقُودًا .

٦٠- أَنَّ مَنَعَ الصَّدَقَاتِ يُزِيلُ النِّعَمَ وَيُخَرِّبُ الدِّيَارَ الْعَامِرَةَ وَتَأْمَلُ قِصَّةَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ نُ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ قَالَ تَعَالَى ﴿ فَتَنَادُوا مُصَبِّحِينَ أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَإِنْ تَطَلَّقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مُسْكِينٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ . وَتَأْمَلُ قِصَّةَ ثَعْلَبَةَ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا يَنْتَهِوا عَنْ مَا كَانُوا يُعْصُونَ فَلَمَّا آتَاهُمُ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا

بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٤﴾

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِاللَّهِ حَقًّا يَتَّعِدُ عَنِ الْمَعَاصِي كَمَا يَتَّعِدُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا زَلَّ مَرَّةً بَيْنَ الْمَرَاتِ اضْطَرَبَتْ أَعْصَابُهُ وَجَعَلَ قَلْبُهُ يَخْفِقُ وَأَصَابَهُ نَدَمٌ عَظِيمٌ وَكُلَّمَا تَذَكَّرَ تِلْكَ الْهَفْوَةَ احْمَرَّ وَجْهُهُ خَجَلًا وَهَاجَتْ عَلَيْهِ أَحْزَانُهُ وَتَذَكَّرَ عِصْيَانَهُ لِسَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ وَلَا يَزَالُ مُوجِعَ الْقَلْبِ مِنْكَسِرُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا وَيُوَارَى فِي التُّرَابِ .

هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عَنِ الْمُؤْمِنِ ، وَلَا يُعْرِفُ سِوَاهُ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ لِأَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ تَمَامًا أَنَّهُمْ إِنْ عَصَوْا خَالِقَهُمْ وَرَازِقَهُمْ أَنَّهُمْ سَيَنْدُمُونَ وَيُعَاقِبُونَ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَى مَوْلَاهُمْ ، هَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ ، وَانْظُرْ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ الْيَوْمَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمُظْلِمِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى انْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللَّهِ تَتَمَثَّلُ أَمَامَكَ حَالُهُمْ بِحَالَةِ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ تَرَاهُمْ قَدْ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَأَصْرُوا عَلَى مَنَعِ الزَّكَاةِ إِلَّا النَّوَائِرَ مِنْهُمْ تَرَاهُمْ يُطَارِدُونَ النِّسَاءَ فِي الْأَسْوَاقِ وَيَشْرَبُونَ الدُّخَانَ عَلَنًا وَيَخْلِقُونَ اللَّحَا كَذَلِكَ وَيَغْشَوْنَ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ تَرَاهُمْ أَمَامَ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، تَرَاهُمْ يُوَالُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَيُعْظُمُونَ تَرَاهُمْ لَمْ يَكْتَفُوا بِالْمَعَاصِي فِي بِلَادِهِمْ بَلْ يَذْهَبُونَ إِلَى الْبِلَادِ الْأُخْرَى ، بِلَادِ الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ وَالْحُرِّيَةِ وَيُنْفِقُونَ فِيهَا الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ فِي مَا يُغْضِبُ اللَّهَ الَّذِي أَغْنَى وَأَقْنَى وَلَكِنْ لِيَعْلَمَ هَؤُلَاءِ الْفَسَقَةُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفُلُ عَنْ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ وَسَوْفَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ، وَلَا تَبْكِي عَلَيْهِمْ لَا

هَذِهِ وَلَا هَذِهِ يَوْمَ يَتَجَرَّعُونَ كَأْسَ الْمَمَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمُ الْمَلَكَانِ
كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمُ الْحَفَظَةُ الَّذِينَ
يَتَعَقَّبُونَ عَلَى حِفْظِهِمْ تَعاقِبَ الحُرَّاسِ وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمُ جَوَارِحُهُمُ الَّتِي
بَاشَرَتْ فِعْلَ الْمَعَاصِي وَيَشْهَدُ بِهَا خَيْرُ شَاهِدٍ وَهُوَ مَوْلَاهُمْ جَلٌّ وَعَلَا الَّذِي
تَسْتَوِي الشَّهَادَةُ عِنْدَهُ وَالْغُيُوبُ ، وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ كُتُبُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي
كُلُّ مَا فَعَلُوا بِهَا مَكْتُوبٌ حَتَّى إِذَا رَأَوْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ
لَهُمْ فِي حِسَابٍ فَرَعُوا وَقَالُوا يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ، كُلُّ
هَؤُلَاءِ يَشْهَدُونَ عَلَى الْعَاصِينَ بِالْمَعَاصِي فَيُسْجَلُونَ عَلَيْهِمْ مَا قَدَّمَتْهُ
أَيْدِيهِمْ وَلَيْسَ لِذَلِكَ نَتِيجَةٌ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَّا غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ ،
وَالْقَاوُهُمْ فِي دَارِ الْمُجْرِمِينَ الْجَانِينَ جَهَنَّمَ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَلِمَاذَا
يَفْرَحُ الْعَصَاةُ ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ الَّتِي لَا تَبْقَى وَلَا تَذُرُ . الَّتِي تَرْمِي
بِشَرِّ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ .

شِعْرًا :

وَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْيُنُهُمْ
أَوْ اسْتَلَذُّوا لَذِيذَ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا
وَالْمَوْتُ يُنْذِرُهُمْ جَهْرًا عَلَانِيَةً
لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَوْرِدُهُمْ
وَلَيْسَ يَنْذِرُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ

آخِرُ :

وَكَيْفَ يَلْذُ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا
بِأَنَّ الْمَنَائِبَ بَغْتَةً سَتَّاعِجَةٌ
وَكَيْفَ يَلْذُ الْعَيْشَ مَنْ كَانَ مُوقِنًا
بِأَنَّ إِلَهَ الْخَلْقِ لَا بُدَّ سَائِلُهُ

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى النِّجَاةَ مِنْهَا وَأَنْ يُؤَفِّقَنَا لِلْأَعْمَالِ الْمُؤَهِّلَةِ لِذَارِ
الْخُلْدِ وَأَنْ يُوفِّقَ وَلَاتَنَا لِلْقِيَامِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَجْرِمِينَ ، وَرَدِّعِهِمُ وَالزَّامِهِمُ
سُلُوكَ طَرِيقِ الْحَقِّ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَتَوَلَّنَا بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ
حَتَّى نَتَوَكَّلَ عَلَيْكَ وَارْزُقْنَا حَلَاوَةَ التَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

« مَوْعِظَةٌ فِي التَّحْذِيرِ عَنِ الْإِنْهَمَاكِ »

« فِي الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا »

عِبَادَ اللَّهِ إِنْ مَنْ نَظَرَ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ أَيْقَنَ أَنَّ نَعِيمَهَا
ابْتِلَاءٌ ، وَحَيَاتُهَا عَنَاءٌ وَعَيْشُهَا نَكَدٌ ، وَصَفْوَهَا كَدَرٌ وَأَهْلُهَا مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ
إِمَّا بِنِعْمَةٍ زَائِلَةٍ ، أَوْ بِبَلِيَّةٍ نَازِلَةٍ أَوْ مَنِيَّةٍ قَاضِيَةٍ .

مُسْكِينٌ مَنْ أَطْمَأَنَّ وَرَضِيَ بِدَارِ حَلَالِهَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ،
إِنْ أَخَذَهُ مِنْ حَلَالٍ حُوسِبَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَخَذَهُ مِنْ حَرَامٍ عُذِبَ بِهِ ، مَنْ
اسْتَغْنَى فِي الدُّنْيَا فِتْنٌ ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنٌ ، مَنْ أَحَبَّهَا أَذَلَّتْهُ ، وَمَنْ
الْتَفَتَ إِلَيْهَا وَنَظَرَهَا أَعْمَتْهُ .

« لَوْ كُنْتُ رَايِدَ قَوْمٍ ظَاعِنِينَ إِلَى

دُنْيَاكَ هَذِي لَمَا أُلْفَيْتَ كَذَابًا »

« لَقُلْتَ يَلْكَ بَلَاءٌ نَبَتْهَا سَقَمٌ

وَمَاؤُهَا الْعَذْبُ سُمٌّ يَلْفَتِي ذَابًا »

وَكَمْ كُشِفَ لِلْسَّامِعِينَ عَنْ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَبَيَّنَ لَهُمْ قِصَرَ مُدَّتِهَا
وَانْقِضَاءَ لَذَّتِهَا بِمَا يُضْرَبُ مِنَ الْأَمْثَالِ الْحِسِّيَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ اَعْلَمُوا
أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعَبٌّ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ
حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

شَرَحَ لَنَا الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حَالَ الدُّنْيَا الَّتِي افْتَنَّ النَّاسُ

بِهَا الَّذِينَ قَصَرَ نَظَرُهُمْ وَبَيَّنَّ أَنَّهَا مِنْ مُحَقَّرَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَرْكُنُ إِلَيْهَا الْعُقَلَاءُ فَضْلاً عَنِ الْاِفْتِتَانِ بِهَا وَالْاِنْهَمَاكِ فِي طَلِبِهَا وَقَتْلِ الْوَقْتِ فِي تَحْصِيلِهَا بِأَنَّهَا لَعِبٌ لَا ثَمَرَةَ فِيهِ سِوَى التَّعَبِ ، وَلَهُوَ تَشْغُلُ صَاحِبِهَا وَتُلْهِيهِ عَمَّا يَنْفَعُهُ فِي آخِرَتِهِ ، وَزِينَةٌ لَا تُفِيدُ الْمَفْتُونَ بِهَا شَرْفاً ذَاتِياً كَالْمَلَابِسِ الْجَمِيلَةِ وَالْمَرَاكِبِ الْبَهِيَّةِ وَالْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ الْوَاسِعَةِ ، وَتَفَاخُرُ بِالْأَنْسَابِ وَالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ وَمُبَاهَاتٍ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِظَمِ الْجَاهِ .

ثُمَّ أَشَارَ جَلَّ شَأْنُهُ إِلَى أَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ ، قَرِيبَةُ الْاِضْمِحْلَالِ ، كَمَثَلِ غَيْثِ رَاقِ الزَّرَّاعِ نَبَاتُهُ النَّاشِئُ بِهِ ، ثُمَّ يَنْهَجُ وَيَتَحَرَّكُ وَيَنْمُو إِلَى أَقْصَى مَا قَدَرَهُ اللَّهُ لَهُ فَسَرْعَانَ مَا تَرَاهُ مُصْفَراً مُتَغَيِّراً ذَابِلاً بَعْدَ مَا رَأَيْتَهُ أَخْضَرَ نَاضِراً ، ثُمَّ يَصِيرُ مِنَ الْيَسْرِ هَشِيماً مُتَكْسِراً ، فَفِيهِ تَشْبِيهُ جَمِيعِ مَا فِي الدُّنْيَا مِنَ السِّنِينَ الْكَثِيرَةِ بِمُدَّةِ نَبَاتِ غَيْثٍ وَاحِدٍ يَفْنَى وَيَضْمَجُلُ وَيَتَلَاشَى فِي أَقَلِّ مِنْ سَنَةٍ .

إِشَارَةٌ إِلَى سُرْعَةِ زَوَالِهَا وَقُرْبِ فَنَائِهَا وَبَعْدَ ، مَا بَيَّنَّ جَلَّ وَعَلَا حَقَارَةَ الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ زَوَالِهَا تَرْهِيْداً فِيهَا ، وَتَنْفِيْراً وَتَحْذِيْراً مِنَ الْاِنْهَمَاكِ فِي طَلِبِهَا أَشَارَ إِلَى فَخَامَةِ شَأْنِ الْآخِرَةِ وَقَطَاعَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْآلَامِ وَعِظَمِ مَا فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ تَرْهِيْياً مِنْ عَذَابِهَا الْآلِيمِ ، وَتَرْغِيْياً فِي تَحْصِيلِ النِّعَمِ الْمُقِيمِ وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ مِمَّا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ شَرِّ .

وَالنَّاسُ فِيهَا قِسْمَانِ فُطْنَاءٌ قَدْ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا ظِلٌّ زَائِلٌ وَنَعِيمٌ حَائِلٌ وَأَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، بَلْ فَهِمُوا أَنَّهَا نِعَمٌ فِي طَلِبِهَا نِقَمٌ ، وَعَرَفُوا أَنَّهَا حَيَاةٌ فَايِنَةٌ ، وَأَنَّهَا مَغْبَرٌ وَطَرِيقٌ إِلَى الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ ، فَزُفُوا مِنْهَا بِالْيَسِيرِ ،

وَقِنْعُوا مِنْهَا بِالْقَلِيلِ ، فَاسْتَرَاخَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ هَمِّهَا وَأَحْزَانِهَا وَاسْتَرَاخَتْ
أَبْدَانُهُمْ مِنْ نَصَبِهَا ، وَعَنَائِهَا ، وَسَلِمَ لَهُمْ دِينُهُمْ ، وَكَانُوا عِنْدَ اللَّهِ هُمُ
الْمَحْمُودِينَ ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ دُنْيَاهُمْ عَنْ طَاعَةِ مَوْلَاهُمْ .

جَعَلُوا النَّفْسَ الْأَخِيرَ وَمَا وَرَاءَهُ نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ ، وَتَدَبَّرُوا مَاذَا يَكُونُ
مَصِيرُهُمْ ، وَفَكَّرُوا كَيْفَ يَخْرُجُونَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِيمَانُهُمْ سَالِمٌ لَهُمْ وَمَا
الَّذِي يَبْقَى مَعَهُمْ مِنْهَا فِي قُبُورِهِمْ ، وَمَا الَّذِي يَتْرُكُونَهُ لِأَعْدَائِهِمْ فِي
الدُّنْيَا ، وَمَنْ لَا يُغْنِيهِمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ،
﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلاً عَنْ مَوْلاً شَيْئاً ﴾ ، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ
وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ وَيَبْقَى عَلَيْهِمْ وَيَالِ مَا جَمَعُوا وَمَا عَمَرُوا فِي غَيْرِ
طَاعَةِ اللَّهِ .

أَذْرَكُوا كُلَّ هَذَا فَتَاهَبُوا لِلسَّفَرِ الطَّوِيلِ وَأَعَدُّوا الْجَوَابَ لِلْحِسَابِ ،
وَقَدَّمُوا الزَّادَ لِلْمَعَادِ وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى ، فَطُوبَى لَهُمْ خَافُوا فَأَمِنُوا وَأَحْسَنُوا
فَفَازُوا وَأَفْلَحُوا .

شعراً :

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً قُطَنًا
طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا
أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ سَكَنًا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا
صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنًا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَعِزَّنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَأَيُّسِهِ مِنَّا
كَمَا أَيْسَّيْتَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ يَا رَحْمَانُ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِلْوَالِدَيْنَا وَلِلْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ النَّاسِ جُهَالٌ عُمِّيُّ الْبَصَائِرِ لَمْ يَنْظُرُوا فِي أَمْرِهَا
وَلَمْ يَكْشِفُوا سُوءَ حَالِهَا وَمَالِهَا ، بَرَزَتْ لَهُمْ بَزِيَّتُهَا فَفَتَنَتْهُمْ ، فَالِيَهَا
أَخْلَدُوا ، وَبِهَا رَضُوا ، وَلَهَا اطمأنوا ، حَتَّى أَلْهَتْهُمْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَشَغَلَتْهُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَطَاعَتِهِ ، نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ .

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ وَاطْمَأْنَأُوا بِهَا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَاوَاهُم النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

نَعَمْ إِنَّهُمْ نَسُوا اللَّهَ وَأَهْمَلُوا حَقُّوقَهُ وَمَا قَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلَمْ
يُرَاعُوا لِأَنَّهُمَا كَيْفَ فِي الدُّنْيَا وَتَهَالِكُهُمْ عَلَيْهَا مَوَاجِبُ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ حَقَّ
رِعَايَتِهَا ، فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْسَاهُمْ مَصَالِحَهُمْ وَأَغْفَلَهُمْ عَنْ مَنَافِعِهَا
وَفَوَائِدِهَا فَصَارَ أَمْرُهُمْ فُرْطًا فَرَجَعُوا بِخَسَارَةِ الدَّارَيْنِ ، وَغَبِنُوا غَبْنًا لَا
يُمْكِنُ تَذَارُكُهُ وَلَا يُجْبَرُ كَسْرُهُ ، وَسَيَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ مَا
يُنْشِئُهُمْ أَرْوَاحَهُمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ حَيَارَى ذَاهِلِينَ يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَنْ مَا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ
بِسُكَارَى وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ .

وفي مثلِ هَذَا يَقُولُ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ اجْتَهِادُكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ مَعَ تَقْصِيرِكَ فِيمَا طُلِبَ مِنْكَ دَلِيلُ انْطِمَاسٍ بِصِيرَتِكَ ، أَقَامُوا الدُّنْيَا فَهَدَمْتُهُمْ ، وَاعْتَزَّوْا بِهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَذَلَّتْهُمْ ، أَكْثَرُوا فِيهَا مِنَ الْأَمَالِ وَأَحْبَبُوا طُولَ الْأَجَالِ وَنَسُوا الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الشَّدَائِدِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ قَالَ تَعَالَى ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ .

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمُّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَأَتَتْ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ .

وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمُّهُ جَعَلَ فَقْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ ، فَلَا يُمَسِّي إِلَّا فَقِيرًا وَلَا يُصْبِحُ إِلَّا فَقِيرًا .

وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ تَنْقَادُ إِلَيْهِ بِالْوِدِّ وَالرَّحْمَةِ ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ خَيْرٍ إِلَيْهِ أَسْرَعَ أَهـ .

وَقَالَ فِي عِدَّةِ الصَّابِرِينَ ، وَقَدْ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا لَوْ سَاوَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ ، وَأَنَّهَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنَ السُّخْلَةِ الْمَيْتَةِ عَلَى أَهْلِهَا .

وَأَنَّ مَثَلَهَا فِي الْآخِرَةِ كَمَثَلِ مَا يَعْلَقُ بِأَصْبَعٍ مَنْ أَدْخَلَ أَصْبَعَهُ فِي الْبَحْرِ وَأَنَّهَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَلَاهُ ، وَعَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ وَأَنَّهَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِينَ .

وَأَمَرَ الْعَبْدَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا كَأَنَّهُ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَيَعُدُّ نَفْسَهُ مِنْ

أَهْلَ الْقُبُورِ وَإِذَا أَصْبَحَ فَلَا يَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ وَإِذَا أَمْسَى فَلَا يَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ .

وَنَهَى عَنِ اتِّخَاذِ مَا يُرْغَبُ فِيهَا ، وَلَعَنَ عَبْدَ الدِّينَارِ وَعَبْدَ الدِّرْهَمِ
وَدَعَا عَلَيْهِ مَالِئَ عَسٍ وَالْإِنْتِكَاسَ وَعَدِمَ إِقَالَةَ الْعَثْرَةِ بِالْإِنْتِقَاشِ .

وَأَخْبَرَ أَنَّهَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ أَيْ تَأْخُذُ الْعُيُونَ بِخُضْرَتِهَا وَالْقُلُوبَ
بِحَلَاوَتِهَا ، وَأَمَرَ بِاتِّقَائِهَا وَالْحَذَرِ مِنْهَا كَمَا يُتَّقَى النِّسَاءُ وَيُحْذَرُ مِنْهُنَّ وَأَخْبَرَ
أَنَّ الْجِرْصَ عَلَيْهَا ، وَعَلَى الرِّيَاسَةِ وَالشَّرَفِ يُفْسِدُ الدِّينَ .

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ فِي يَوْمِ صَائِفٍ ،
ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا ، وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ حَالُ سُكَانِ الدُّنْيَا كُلِّهِمْ ، وَلَكِنْ هُوَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِدَ هَذِهِ الْحَالَ ، وَعُمِيَ عَنْهَا بَنُو الدُّنْيَا .

وَمَرَّ بِهِمْ وَهُمْ يُعَالِجُونَ خُصَالَهُمْ قَدْ وَهِيَ ، فَقَالَ مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا
أَعَجَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِسِتْرِ عَلَى بَابِهِ فَتَزَعَّ وَقَالَ إِنَّهُ يُذَكِّرُنِي الدُّنْيَا ،
وَأَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ حَقٌّ فِي سِوَى بَيْتٍ يَسْكُنُهُ ، وَثَوْبٍ
يُوَارِي عَوْرَتَهُ وَقَوْتٍ يُقِيمُ صَلْبَهُ .

وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمَيِّتَ يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ
وَبَقِيَ عَمَلُهُ ، وَكَانَ يَقُولُ : الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ ،
وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا تُطِيلُ الْهُمُومَ ، وَالْحُزَنُ ، وَكَانَ يَقُولُ مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ
كُلُّهَا هَمًّا وَاحِدًا ، كَفَاهُ اللَّهُ سَائِرَ هُمُومِهِ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي
أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ .

وَأَخْبَرَ أَنَّ بَذَلَ الْعَبْدِ مَا فَضَلَ عَنْ حَاجَتِهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَامْسَاكُهُ شَرٌّ لَهُ

وَأَنَّهُ لَا يُلَاحَظُ عَلَى الْكَفَافِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ لِيُسُوا بِالْمَتَعِيمِينَ فِيهَا فَإِنَّ
أَمَامَهُمْ دَارَ النِّعَمِ فَهُمْ لَا يَرْضُونَ بِنِعِيمِهِمْ فِي الدُّنْيَا عَوَضاً مِنْ ذَلِكَ
النِّعَمِ .

وَفِي حَدِيثِ مُنَاجَاةِ مُوسَى : وَلَا تُعْجِبَنَّكُمْ زِينَتُهُ وَلَا مَا مُتَّعَ بِهِ وَلَا
تُمَدِّانِ إِلَى ذَلِكَ أَعْيُنُكُمْ ، فَإِنَّهَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا ، وَزِينَةُ الْمَتَرَفِينَ وَإِنِّي لَوْ
شِئْتُ أَنْ أُرِيَنَّكُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَرِيْنَةً يَعْلَمُ فِرْعَوْنُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَنَّ مَقْدِرَتَهُ
تَعْجِزُ عَنْ مِثْلِ مَا أُوتِيْتُمْمَا فَعَلْتُ .

وَلَكِنْ أَرْغَبُ بِكُمْ عَنْ نَعِيمِهَا ذَلِكَ ، وَأُرْوِيهِ عَنْكُمْ ، وَكَذَلِكَ أَفْعَلُ
بِأَوْلِيَائِي ، وَقَدِيماً مَا أَخَّرْتُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ فَإِنِّي لَأَذُودُهُمْ عَنْ نَعِيمِهَا
وَرَخَائِهَا كَمَا يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ عَنْ مَرَاعِي الْهَلَكَةِ وَإِنِّي لَأُجَنِّبُهُمْ
سَلَوَتَهَا ، وَعَيْشَهَا كَمَا يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ إِبِلَهُ عَنْ مَبَارِكِ الْغَرَةِ .

وَمَا ذَلِكَ لِهُوَائِهِمْ عَلَيَّ ، وَلَكِنْ لِيَسْتَكْمِلُوا نَصِيْبَهُمْ مِنْ كَرَامَتِي
سَالماً مُوفَّراً لَمْ تَكَلِّمُهُ الدُّنْيَا وَلَمْ يُطْغِهِ الْهَوَى .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَتَزَيَّنْ لِي الْعِبَادُ بِزِينَةٍ هِيَ أَبْلَغُ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا
فَإِنَّهَا زِينَةُ الْمُتَّقِينَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا لِبَاسٌ يُعْرَفُونَ بِهِ مِنَ السَّكِينَةِ ، وَالْخُشُوعِ
سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .

أُولَئِكَ أَوْلِيَائِي حَقّاً فَإِذَا لَقِيْتُهُمْ فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، وَذَلِّلْ لَهُمْ
قَلْبَكَ ، وَلِسَانَكَ ، وَقَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا
خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ؟ .

قَالَ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا ، حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى عَاجِلِهَا

فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا يَخْشَوْنَ أَنْ يُعِيتَهُمْ ، وَتَرَكُوا مَا عَلِمُوا أَنْ سَيَتْرُكُهُمْ ، فَصَارَ
اسْتِكْثَارُهُمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا ، وَذَكَرُهُمْ إِيَّاهَا قَوَاتًا ، وَفَرَحُهُمْ بِمَا أَصَابُوا مِنْهَا
حَزَنًا ، فَمَا عَارَضَهُمْ مِنْ نَائِلِهَا رَفُضُهُ ، وَمَا عَارَضَهُمْ مِنْ رِفْعَتِهَا بَغِيرِ
الْحَقِّ وَضَعُوهُ .

خَلَقْتَ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ فَلْيُسُوا يُجَدِّدُونَهَا ، وَخَرِبْتَ بَيْنَهُمْ فَلْيُسُوا
يَعْمُرُونَهَا ، وَمَاتَتْ فِي صُدُورِهِمْ ، فَلْيُسُوا يُخَيُّونَهَا ، يَهْدُمُونَهَا فَيَبْنُونَ بِهَا
آخِرَتَهُمْ ، وَيَبْنِعُونَهَا ، فَيَشْتَرُونَ بِهَا مَا يَبْقَى لَهُمْ .

رَفُضُوهَا فَكَانُوا بِهَا هُمُ الْفَرَحِينَ ، وَنَظَرُوا إِلَى أَهْلِهَا صَرَغَى قَدْ
حَلَّتْ بِهِمُ الْمَثَلَاتُ ، فَأَحْيَا ذِكْرَ الْمَوْتِ وَأَمَاتُوا ذِكْرَ الْحَيَاةِ .

يُحِبُّونَ لِلَّهِ ، وَيُحِبُّونَ ذِكْرَهُ ، وَيَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ ، وَيُضِيئُونَ بِهِ لَهُمْ
خَبْرٌ عَجِيبٌ وَعِنْدَهُمُ الْخَبْرُ الْعَجِيبُ ، بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ ، وَبِهِ قَامُوا وَبِهِمْ
نَطَقَ الْكِتَابُ ، وَبِهِ نَطَقُوا ، وَبِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ ، وَبِهِ عَمِلُوا لَيْسُوا يَرُونَ
نَائِلًا مَعَ مَا نَالُوا ، وَلَا أَمَانًا دُونَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ .

وَقَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ كَمَنَازِلِ الْأَصْيَافِ فَمَا لَكُمْ
فِي الْعَالَمِ مِنْ مَنَزَلٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا غَابِرِي سَبِيلٍ .

وَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ أَتَيْكُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْنِيَ فَوْقَ مَوْجِ الْبَحْرِ
دَارًا ، قَالُوا يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْدُّنْيَا فَلَا
تَتَّخِذُوهَا قَرَارًا .

وَقَالَ حَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ ، وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا ، حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ .

وَقَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ تَهَاوَنُوا بِالْدُّنْيَا ، تَهْنُ عَلَيْكُمْ ، وَأَهْمِنُوا الدُّنْيَا

تَكْرُمَ عَلَيْكُمُ الْآخِرَةُ ، وَلَا تُكْرِمُوا الدُّنْيَا ، تَهُنَّ عَلَيْكُمُ الْآخِرَةُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا
لَيْسَتْ بِأَهْلٍ لِلْكَرَامَةِ ، وَكُلُّ يَوْمٍ تَدْعُوا إِلَى الْفِتْنَةِ وَالْخَسَارَةِ .

قَالُوا وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا رَأْسُ الْخَطَايَا ، وَأَصْلُهَا

وَقِيلَ إِنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ رَأْسُ الْخَطِيئَةِ حُبُّ الدُّنْيَا ،
وَالنِّسَاءُ حُبَالَةُ الشَّيْطَانِ ، وَالْخَمْرُ جِمَاعُ كُلِّ شَرٍّ .

شعراً : قال الإمام الشافعي رحمه الله :

حَبَبْتُ نَارَ نَفْسِي بِاشْتِعَالِ مَفَارِقِي
وَأَظْلَمَ لَيْلِي إِذْ أَضَاءَ شَهَابُهَا
أَيَا بُؤْمَةً قَدْ عَشَشْتُ فَوْقَ هَامَتِي
عَلَى الرُّغْمِ مِنِّي حِينَ طَارَ غُرَابُهَا
رَأَيْتُ خَرَابَ الْعُمْرِ مِنِّي فَزُرْتِنِي
وَمَاوَاكٍ مِنْ كُلِّ الدِّقَارِ خَرَابُهَا
أَأَنَعَمَ عَيْشًا بَعْدَ مَا حَلَّ عَارِضِي
طَلَائِعُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغْنِي خِضَابُهَا
إِذَا اصْفَرَ لَوْنُ الْمَرْءِ وَابْيَضَّ شَعْرُهُ
تَنَغَّصَ مِنْ أَيَامِهِ مُسْتَطَابُهَا
وَعِزَّةُ عُمْرِ الْمَرْءِ قَبْلَ مَشِيِّهِ
وَقَدْ فَنِيَتْ نَفْسٌ تَوَلَّى شَبَابُهَا
فَدَعِ عَنْكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا
حَرَامٌ عَلَى نَفْسِ التَّقِيِّ ارْتِكَابُهَا

وَأَدِّ زَكَاةَ الْجَاهِ وَاعْلَمْ بِأَنَّهَا
كَمِثْلِ زَكَاةِ الْمَالِ تَمْ نَصَابُهَا
وَأَحْسِنْ إِلَى الْأَحْرَارِ تَمْلِكْ رِقَابَهُمْ
فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الرِّجَالِ اكْتِسَابُهَا
وَلَا تَمْشِينَ فِي مَنْكِبِ الْأَرْضِ فَاجِرًا
فَعَمَّا قَلِيلٍ يَخْتَبِرُكَ تُرَابُهَا
وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فإني طَعَمْتُهَا
وَسِيقَ إِلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا
فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَيَاطِلًا
كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْفَلَاةِ سَرَابُهَا
وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ
عَلَيْهَا كِلَابٌ هُمُحُنُّ اجْتِدَابُهَا
فَإِنْ تَجْتَنِبَهَا كُنْتَ سَلَامًا لِأَهْلِهَا
وَإِنْ تَجْتَذِبَهَا نَارُ عَنَّا كِلَابُهَا
إِذَا انْسَدَّ بَابُ عَنَّا مِنْ دُونِ حَاجَةٍ
فَدَعَا لِأُخْرَى يَنْفَتِحُ لَكَ بَابُهَا
فَإِنَّ قُرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْؤُهُ
وَيَكْفِيكَ سَوَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
فَطُوبَى لِنَفْسٍ أَوْطَنْتْ قَعْرَ بَيْتِهَا
مُغْلَقَةً الْأَبْوَابِ مُرْخِي حِجَابُهَا
فَيَارَبِّ هَبْ لِي تَوْبَةً قَبْلَ مَهْلِكِ
أُبَادِرُهَا مِنْ قَبْلِ إِغْلَاقِ بَابِهَا

فَمَا تَخْرَبُ الدُّنْيَا بِمَوْتِ شِرَارِهَا
وَلَكِنْ بِمَوْتِ الْأَكْرَمِينَ خَرَابُهَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ
وَأَيِّدْنَا بِنَصْرِكَ وَأَرْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ،
وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَعَنْ سُفْيَانَ قَالَ كَانَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَقُولُ حُبُّ الدُّنْيَا أَضَلُّ كُلِّ
خَطِيئَةٍ وَالْمَالُ فِيهِ دَاءٌ كَثِيرٌ ، قَالُوا وَمَا دَاوَاهُ قَالَ لَا يَسْلُمُ مِنَ الْفَخْرِ
وَالْمُخِيلَاءِ ، قَالُوا فَإِنْ سَلِمَ ، قَالَ يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالُوا وَذَلِكَ مَعْلُومٌ بِالتَّجَرُّبَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ ، فَإِنْ حُبُّهَا يَدْعُوا إِلَى خَطِيئَةٍ
ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ ، وَلَا سِيَّمَا خَطِيئَةُ يَتَوَقَّفُ تَحْصِيلُهَا عَلَيْهَا ، فَيُسَكِّرُ عَاشِقُهَا
حُبُّهَا عَنْ عِلْمِهِ بِتِلْكَ الْخَطِيئَةِ ، وَقُبْحِهَا وَعَنْ كَرَاهَتِهَا وَاجْتِنَابِهَا .

وَحُبُّهَا يُوقِعُ فِي الشُّبُهَاتِ ، ثُمَّ فِي الْمَكْرُوهَاتِ ، ثُمَّ فِي
الْمُحَرَّمَاتِ ، وَطَالَمَا أَوْقَعَ فِي الْكُفْرِ ، بَلْ جَمِيعُ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِأَنْبِيَائِهِمْ
إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَهَلَاقِهِمْ حُبُّ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الرِّسْلَ لَمَّا نَهَوْهُمْ
عَنِ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي كَانُوا يَكْتَسِبُونَ بِهَا الدُّنْيَا ، حَمَلَهُمْ حُبُّهَا عَلَى
مُخَالَفَتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ .

فَكُلُّ خَطِيئَةٍ فِي الْعَالَمِ أَضَلُّهَا حُبُّ الدُّنْيَا ، وَلَا تَنْسَ خَطِيئَةَ الْأَبْوَيْنِ
قَدِيمًا ، فَإِنَّمَا كَانَ سَبَبُهَا حُبُّ الْخُلُودِ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا تَنْسَ ذَنْبَ ابْلِيسَ

وَسَبَبُهُ حُبُّ الرِّيَاسَةِ ، التي مَحَبَّتُهَا شَرُّ مِنْ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا .

وَبَسَبَبِهَا كَفَرَ فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَجُنُودُهُمَا ، وَأَبُو جَهْلٍ وَقَوْمُهُ ،
وَالْيَهُودُ ، فَحُبُّ الدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ هُوَ الَّذِي عَمَرَ النَّارَ بِأَهْلِهَا .

وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَالزُّهْدُ فِي الرِّيَاسَةِ هُوَ الَّذِي عَمَرَ الْجَنَّةَ بِأَهْلِهَا .

وَالسُّكْرُ بِحُبِّ الدُّنْيَا أَعْظَمُ مِنَ السُّكْرِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ بِكَثِيرٍ ،
وَصَاحِبُ هَذَا السُّكْرِ لَا يُفِيقُ مِنْهُ ، إِلَّا فِي ظُلْمَةِ اللَّحْدِ ، وَلَوْ انْكَشَفَ عَنْهُ
غِطَاؤُهُ فِي الدُّنْيَا لَعَلِمَ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ السُّكْرِ ، وَأَنَّهُ أَشَدُّ مِنَ سُّكْرِ الْخَمْرِ
وَالدُّنْيَا تَسْحَرُ الْعُقُولَ أَعْظَمَ سِحْرِ .

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا سَيَّارُ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ قَالَ سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ
دِينَارٍ يَقُولُ اتَّقُوا السَّحَارَةَ ، اتَّقُوا السَّحَارَةَ ، فَإِنَّهَا تَسْحَرُ قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ

لو كُنْتُ فِي دِينِي مِنَ الْبَطَالِ مَا كُنْتُ بِالْوَانِي وَلَا الْبَطَالِ
وَلَيْسَتْ مِنْهُ لَأَمَةٌ فَضْفَاضَةٌ مُسْرُودَةٌ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ

لَكُنِّي عَظَلْتُ أَقْوَاسُ الثَّقَى مِنْ نَيْلِهَا فَرَمْتُ بِغَيْرِ نَيْالِ
وَرَمَى الْعَدُوَّ بِسَهْمِهِ فَأَصَابَنِي إِذْ لَمْ أَحْصُنْ جُنَّةً لِنِضَالِ

فَأَنَا كَمَنْ يَلْقَى الْكُتَيْبَةَ أَغْزَلًا فِي مَازِقٍ مُتَعَرِّضًا لِنِزَالِ
لَوْلَا رَجَاءُ الْعَفْوِ كُنْتُ كَنَاقِعِ بَرَحِ الْغُلِيلِ بِرُشْفٍ لَمَعَ الْآلِ

شَابَ الْقَذَالُ فَإِنْ لِي أَنْ أَرْعُوِي لَوْ كُنْتُ مَتَّعِظًا بِشَيْبِ قَذَالِ
وَلَوْ أَتَنِي مُسْتَبْصِرًا إِذْ حَلَّ بِي لَعَلِمْتُ أَنَّ حُلُوكَهُ تَرْحَالِي

فَنَظَرْتُ فِي زَادِ لِدَارِ إِقَامَتِي وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَحُلَّ عِقَالِي
فَلَكُمْ مَنَمْتُ بِتَوْبَةٍ فَمُنِعْتُهَا إِذْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لَهَا، وَبَدَالِي

وَيَعِزُّ ذَاكَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي مُنْقَلَبٌ فِي قَبْضَةِ الْمُتَعَالِي
وَوَصَلْتُ دُنْيَا سَوْفَ تَقْطَعُ شَأْنِي بِأَفْوَلِ أَنْجُمِهَا وَخَسَفِ هِلَالِي

شَغَلْتُ مَفْسَنَ أَهْلِهَا بِفُتُوبِهَا وَمِنَ الْمُحَالِ تَشَاغُلَ بِمُحَالِ
لَا شَيْءَ أَخْمَرَ صَفْقَةً مِنْ عَالِمٍ لَعَيْتُ بِهِ الدُّنْيَا مَعَ الْجُهَالِ

فَقَدْ أَيْفَرَقُ دِينَهُ أَيْدِي سَبَا وَيُزِيلُهُ جِرْصًا لِيَجْمَعَ الْمَالِ
لَا خَيْرَ فِي كَسْبِ الْحَرَامِ وَقَلَمَا يُرْجَى الْخَلَاصُ لِكَاسِبِ لِحْلَالِ

١٥
بِالنَّارِ جَنَّتْهُ عَلَى الْإِقْلَالِ
فَاقْرَأْ عَقِيْبَهُ سُوْرَةَ الْأَنْعَالِ

مَا إِنْ سَمِعْتَ بِعَائِلٍ تُكْوِيْ غَدَاً
وَإِذَا أَرَدْتَ صَحِيْحَ مَنْ يُّكْوِيْ بِهَا

قَدْ خَفَّ كَاهِلُهُ مِنَ الْأَثْقَالِ
فَالْفَضْلُ تُسَالُ عَنْهُ أَيُّ سُؤَالِ
وَاقْنَعْ بِأَطْمَارٍ وَلُبْسٍ نِعَالِ
لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يَدُومُ بِحَالِ
قَدْ كَانَ يُمْلِكُهَا مِنَ الْأَقْيَالِ
ذُرُّوْا الرِّياحَ الْهَوِجَ حَقْفَ رِمَالِ
تُبْتَثْ وَكَانُوا قُوْفَهَا كَجِبَالِ
وَاحْذَرْ عَلَيْكَ بِهَا مِنَ الْأَغْوَالِ
قَدْ كَانَ فِيهَا مِنْ مَّهْأَ وَغَزَالِ
لِلْحَرْبِ يَقْدُمُهَا أَبُو الْأَشْبَالِ
وَلَقَبْلُ مَا كَانُوا كَنْظَمَ لَالِ
عَمَّا لَقُوا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ
بِعِبَارَةٍ كَالْوَحْيِ لَا بِمَقَالِ
بِجَرَائِمِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
تُبْتَثْ يَدَاهُ وَمَا لَهُ مِنْ وَالِ

مَا يَثْقُلُ الْمِيزَانُ إِلَّا بِأَمْرِيْ
فَخُذِ الْكَفَافَ وَلَا تَكُنْ ذَا فَضْلَةٍ
وَدْعِ الْمَطَارِفَ وَالْمَطْيِيْ لِأَهْلِهَا
فَهُمْ وَأَنْتَ وَفَقْرُنَا وَغَنَاهُمْ
وَطَفِ الْبِلَادَ لَكِي تَرَى آثَارَ مَنْ
عَصَفَتْ بِهِمْ رِيْحُ الرَّدَى فَذَرْتَهُمْ
وَتَزَلْزَلَتْ بِهِمْ الْمَنَابِرُ بَعْدَ مَا
وَاحَسَ قُلُوبُكَ سَاعَةَ بَطْلُوْلِهِمْ
فَلَكُمْ بِهِمْ مِنْ أَرْقَمِ صِلٍ وَكَمْ
وَلَكُمْ غَدَتْ مِنْهَا وَرَاحَتْ خَلْبَةٌ
فَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهُمْ وَتَمَزَّقَتْ
وَإِذَا أَتَيْتَ قُبُورَهُمْ فَاسْأَلْهُمْ
فَسِيْخِرْ وَنَكَ إِنْ فَهِمْتَ بِحَالِهِمْ
إِنَّا بِهَا رَهْنٌ إِلَى يَوْمِ الْجَزَا
مَنْ لَا يُرَاقِبُ رَبَّهُ وَيَخَافُهُ

اللهم ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَوَفِّقْنَا
لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ مِنْ امْتِنَالٍ أَوْامِرِكَ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيكَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَأَقْلُ مَا فِي حُبِّهَا أَنَّهُ يُلْهِى عَنْ حُبِّ اللَّهِ ، وَذِكْرِهِ ، وَمَنْ أَلْهَاهُ مَا لَهُ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، قَالُوا وَإِنَّمَا كَانَ حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ الْخَطَايَا
وَمُفْسِدُ الدِّينِ مِنْ وَجْهِهِ ، أَحَدُهَا أَنَّهُ يَقْتَضِي تَعْظِيمَهَا وَهِيَ حَقِيرَةٌ عِنْدَ
اللَّهِ .

وَمِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ تَعْظِيمُ مَا حَقَرَهُ اللَّهُ ، وَثَانِيهَا أَنَّ اللَّهَ لَعَنَهَا ،
وَمَقَتَهَا ، وَأَبْغَضَهَا إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِيهَا ، وَمَنْ أَحَبَّ مَا لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَمَقَتَهُ
وَأَبْغَضَهُ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْفِتْنَةِ ، وَمَقَتَهُ وَغَضِبِهِ .

وثَالِثُهَا أَنَّهُ إِذَا أَحَبَّهَا صَيَّرَهَا غَايَةً ، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهَا بِالْأَعْمَالِ الَّتِي
جَعَلَهَا اللَّهُ وَسَائِلَ إِلَيْهِ ، وَإِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ ، فَعَكَسَ الْأَمْرَ وَقَلَبَ الْحِكْمَةَ
فَانْتَكَسَ قَلْبُهُ ، وَانْعَكَسَ سَيْرُهُ إِلَى وَرَاءِ .

فَهَا هُنَا أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا جَعَلَ الْوَسِيلَةَ غَايَةً ، وَالثَّانِي التَّوَسُّلَ
بِأَعْمَالِ الْآخِرَةِ إِلَى الدُّنْيَا ، وَهَذَا شَرٌّ مَعْكُوسٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، وَقَلْبُ
مَعْكُوسٌ غَايَةُ الْإِنْتِكَاسِ .

وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ حَدُّو الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ مَنْ كَانَ
يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُتَخَسَّرُونَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وَقَوْلُهُ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ

جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا ﴿١٠﴾ وَقَوْلُهُ ﴿١١﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿١٢﴾ .

فهذه ثلاث آيات يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ،
وَهُوَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا دُونَ اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ ، فَحُطَّتْ مَا
أَرَادَ ، وَهُوَ نَصِيبُهُ ، لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ غَيْرُهُ .

وَالْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُطَابِقَةٌ لِذَلِكَ
مُفَسَّرَةٌ لَهُ ، كَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ
مَنْ تُسْعَرُ بِهِمُ النَّارُ ، الْغَازِي وَالْمَتَصَدِّقُ ، وَالْقَارِيءُ الَّذِينَ أَرَادُوا بِذَلِكَ
الدُّنْيَا وَالنَّصِيبَ وَهُوَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ .

وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : رَجُلٌ غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ
وَالذِّكْرَ ، مَا لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا شَيْءَ لَهُ ،
فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا شَيْءَ لَهُ
ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ .

فَهَذَا قَدْ بَطَلَ أَجْرُهُ وَحَبِطَ عَمَلُهُ مَعَ أَنَّهُ قَصَدَ حُصُولَ الْأَجْرِ لِمَا ضَمَّ
إِلَيْهِ قَصْدَ الذِّكْرِ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمْ يُخْلِصْ عَمَلَهُ لِلَّهِ فَبَطَلَ كُلُّهُ ، قَالَ وَرَابِعُهَا
أَنَّ مَحَبَّتَهَا تَعْتَزُّ بَيْنَ الْعَبْدِ ، وَبَيْنَ فِعْلٍ مَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي الْآخِرَةِ ،
لَا شَيْغَالِهِ عَنْهُ بِمَحْبُوبِهِ وَالنَّاسِ هَاهُنَا مَرَاتِبٌ .

فَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ مَحْبُوبُهُ عَنِ الْإِيمَانِ ، وَشَرَائِعِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ عَنِ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي تَجِبُ عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلِخَلْقِهِ فَلَا يَقُومُ بِهَا ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ حُبُّهَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ عَنِ وَاجِبٍ يُعَارِضُ تَحْصِيلَهَا وَإِنْ قَامَ بِغَيْرِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ عَنِ الْقِيَامِ بِالوَاجِبِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي فَيَقْرَظُ فِي وَقْتِهِ ، وَفِي حُقُوقِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْغَلُهُ عَنِ عُبودِيَّةِ قَلْبِهِ فِي الْوَاجِبِ ، وَتَفْرِيعِهِ لِلَّهِ عِنْدَ آدَائِهِ ، فَيُؤَدِّيهِ ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا ، وَأَيِّنَ هَذَا مِنْ عُشَاقِ الدُّنْيَا وَمُحِبِّهَا هَذَا مِنْ أَنْدَرِهِمْ ، وَأَقْلُ دَرَجَاتِ حُبِّهَا أَنْ يُشْغَلَ عَنِ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَهُوَ تَفْرِيعُ الْقَلْبِ لِحُبِّ اللَّهِ ، وَلِسَانِهِ لِذِكْرِهِ وَجَمْعِ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَجَمْعِ لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ عَلَى رَبِّهِ ، فَعِشْقُهَا وَمَحَبَّتُهَا تُضِرُّ بِالْآخِرَةِ ، وَلَا بُدَّ ، كَمَا أَنَّ مَحَبَّةَ الْآخِرَةِ تُضِرُّ بِالدُّنْيَا .

وَخَامِسُهَا أَنْ مَحَبَّتَهَا تَجْعَلُهَا أَكْثَرَ هَمِّ الْعَبْدِ .

وَسَادِسُهَا أَنْ مُحِبَّهَا أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا بِهَا ، وَهُوَ مُعَذَّبٌ فِي دَوْرِهِ الثَّلَاثِ ، يُعَذَّبُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْصِيلِهَا ، وَفِي السَّعْيِ فِيهَا وَمُنَازَعَةِ أَهْلِهَا وَفِي دَارِ الْبَرْزَخِ أَيْ فِي الْقَبْرِ بِفَوَاتِهَا ، وَالْحَسْرَةِ عَلَيْهَا ، وَكَوْنِهِ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحَبُّوبِهِ عَلَى وَجْهِ لَا يَرْجُو اجْتِمَاعَهُ بِهِ أَبَدًا وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ هُنَاكَ مَحَبُوبٌ يُعَوِّضُهُ عَنْهُ .

فَهَذَا أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا فِي قَبْرِه ، يَعْمَلُ الْهَمُّ ، وَالْغَمُّ ، وَالْحَزَنُ
وَالْحَسْرَةُ ، فِي رُوحِهِ مَا تَعْمَلُ الدِّيدَانُ وَهَوَامُّ الْأَرْضِ فِي جِسْمِهِ .

وَسَابِعُهَا أَنَّ عَاشِقَهَا وَمُحِبَّهَا الَّذِي يُؤْثِرُهَا عَلَى الْآخِرَةِ مِنْ أَسْفِهِ
الْخَلْقِ وَأَقْلَبِهِمْ عَقْلًا ، إِذْ آثَرَ الْخَيَالَ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَالْمَنَامَ عَلَى الْيَقَظَةِ
وَالظِّلَّ الزَّائِلَ عَلَى النَّعِيمِ الدَّائِمِ وَالذَّارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الدَّارِ الْبَاقِيَةِ إِنَّ
اللَّيْبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ .

ثُمَّ عَقَدَ فَضْلًا وَذَكَرَ فِيهِ أُمُثْلَةً تُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا : الْمَثَالُ الْأَوَّلُ :
لِلْعَبْدِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ ، حَالَةٌ لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْئًا ، وَهِيَ مَا قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ ،
وَحَالَةٌ أُخْرَى وَهِيَ مِنْ سَاعَةِ مَوْتِهِ ، إِلَى مَالَا نِهَآيَةَ لَهُ فِي الْبَقَاءِ السُّرْمَدِيِّ
فَلِنَفْسِهِ وَجُودٌ بَعْدَ خُرُوجِهَا مِنَ الْبَدَنِ ، إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا فِي النَّارِ .

ثُمَّ تُعَادُ إِلَى بَدَنِهِ ، فَيُجَازَى بِعَمَلِهِ ، وَيَسْكُنُ إِحْدَى الدَّارَيْنِ فِي
خُلُودٍ دَائِمٍ ثُمَّ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ وَهِيَ مَا بَعْدَ وَجُودِهِ وَمَا قَبْلَ مَوْتِهِ حَالَةٌ
مُتَوَسِّطَةٌ ، وَهِيَ أَيَّامُ حَيَاتِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مِقْدَارِ زَمَانِهَا ، وَيَنْسِبْهُ إِلَى
الْحَالَتَيْنِ ، يَعْلَمُ أَنَّهُ أَقَلُّ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ فِي مِقْدَارِ عُمُرِ الدُّنْيَا .

وَمَنْ رَأَى الدُّنْيَا بِهَذِهِ الْعَيْنِ لَمْ يَرْكُنْ إِلَيْهَا ، وَلَمْ يُبَالِ كَيْفَ تَقَضَّتْ
أَيَّامُهُ فِيهَا فِي ضَرْبٍ وَضِيقٍ أَوْ فِي سَعَةٍ وَرَفَاهِيَةٍ وَلِهَذَا لَمْ يَضَعْ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ ، وَقَالَ مَالِي وَلِلدُّنْيَا ،
إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا كَرَائِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا .

وَالِى هَذَا أَشَارَ الْمَسِيحُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَاعْبُرُوهَا
وَلَا تَعْمُرُوهَا » ، وَهَذَا مِثْلٌ صَحِيحٌ فَإِنَّ الْحَيَاةَ مَعْبَرٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَالْمَهْدُ

هُوَ الرُّكْنُ الْأَوَّلُ ، عَلَى أَوَّلِ الْقَنْطَرَةِ ، وَاللَّحْدُ هُوَ الرُّكْنُ الثَّانِي عَلَى آخِرِهَا .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَطَعَ نِصْفَ الْقَنْطَرَةِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَطَعَ ثُلُثَيْهَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلَّا خُطْوَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهَا وَكَيْفَمَا كَانَ فَلَا بُدَّ مِنَ الْعُبُورِ ، فَمَنْ وَقَفَ يَبْنِي عَلَى الْقَنْطَرَةِ ، وَيَزِينُهَا بِأَصْنَافِ الزَّيْنَةِ ، وَهُوَ يُسْتَحْتُّ عَلَى الْعُبُورِ فَهُوَ فِي غَايَةِ الْجَهْلِ وَالْحُمَى . الْمِثَالُ الثَّانِي شَهَوَاتُ الدُّنْيَا فِي الْقَلْبِ كَشَهَوَاتِ الْأَطْعِمَةِ فِي الْمَعِدَةِ ، وَسَوْفَ يَجِدُ الْعَبْدُ عِنْدَ الْمَوْتِ لَشَهَوَاتِ الدُّنْيَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْكَرَاهَةِ وَالنَّتَنِ وَالْقُبْحِ مَا يَجِدُهُ لِلْأَطْعِمَةِ اللَّذِيذَةِ إِذَا انْتَهَتْ فِي الْمَعِدَةِ ، غَايَتُهَا ، وَكَمَا أَنَّ الْأَطْعِمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَلَذَّ طَعْمًا وَأَكْثَرَ دَسْمًا وَأَكْثَرَ حَلَاوَةً كَانَ رَجِيْعُهَا أَقْذَرُ ، فَكَذَلِكَ كُلُّ شَهْوَةٍ كَانَتْ فِي النَّفْسِ أَلَذَّ وَأَقْوَى فَالْتَّأَذِي بِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَشَدُّ ، كَمَا أَنَّ تَفَجُّعَ الْإِنْسَانِ بِمَحْبُوبِهِ إِذَا فَقَدَهُ يَقْوَى بِقَدْرِ مَحَبَّةِ الْمَحْبُوبِ .

شِعْرًا قَالَ بَعْضُهُمْ يُخَاطَبُ نَفْسَهُ :

إِلَى مَ أَرَى يَا قَلْبُ مِنْكَ التَّسَرَّاجِيَا
وَقَدْ حَلَّ وَخَطَّ الشَّيْبُ بِالرَّأْسِ ثَاوِيَا
وَأُخْبِرَ عَنْ قُرْبِ الرَّجِيلِ نَصِيحَةً
فَدُونِكَ طَاعَاتٍ وَخَلَّ الْمَسَاوِيَا
وَعُضَّ عَلَى مَا فَاتَ مِنْكَ أُنَامِلًا
وَفَجَّرَ مِنَ الْعَيْنِ الدَّمْعَ الْهَوَامِيَا

فَكَمْ مَرَّةٍ وَافَقْتَ نَفْساً مَرِيدَةً
فَقَدْ حَمَلْتَ شَرّاً عَلَيْكَ الرَّوَاسِيَا
وَكَمْ مَرَّةٍ أَحْدَثْتَ بِدَعَا لَشَهْوَةٍ
وَعَاذَرْتَ هَذِيحاً مُسْتَقِيماً تَوَانِيَا
وَكَمْ مَرَّةٍ أَمَرَ الْإِلَهِ نَبَذْتَهُ
وَطَاوَعْتَ شَيْطَاناً عَدُوّاً مُدَاجِيَا
وَكَمْ مَرَّةٍ قَدْ خُضْتَ بَحْرَ غَوَايَةِ
وَأَسْخَطْتَ رَبّاً بِاِكْتِسَابِ الْمَعَاصِيَا
وَكَمْ مَرَّةٍ بِرَّ الْإِلَهِ غَمَضْتَهُ
وَقَدْ صِرْتَ فِي كُفْرَانِهِ مُتَمَادِيَا
وَلَا زِلْتَ بِالْذُّنْيَا حَرِيصاً وَمَوْلِعاً
وَقَدْ كُنْتَ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ سَاهِيَا
فَمَا لَكَ فِي بَيْتِ الْبَلَاءِ إِذْ نَزَلَتْهُ
عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ وَالْمَالِ نَائِيَا
فَتُسْأَلُ عَنْ رَبِّ وَدِينِ مُحَمَّدٍ
فَإِنْ قُلْتَ هَاهُ فَادِرْ أَنْ كُنْتَ هَاهُنَا
وَيَأْتِيكَ مِنْ نَارِ سُمُومِ أَلِيمَةٍ
وَتُبْصُرُ فِيهَا عَقْرَباً وَأَفَاعِيَا
وَيَأْتِي شِعْرِي كَيْفَ حَالُكَ إِذْ نُصِبَ
صِرَاطٌ وَمِيزَانٌ يُبَيِّنُ الْمَطَاوِيَا
فَمَنْ نَاقَشَ الرَّحْمَنُ نُوقِشَ بَتَّةً

وَأُلْقِيَ فِي نَارٍ وَإِنْ كَانَ وَالِيَا
هُنَالِكَ لَا تَجْزِيهِ نَفْسٌ عَنِ الرَّدَى
فَكُلُّ أَمْرٍ فِي غَمِّهِ كَانَ جَائِيَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاخْتِمْ لَنَا
بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

المثال الثالث لها ولأهلها في اشتغالهم بنعيمها عن الآخرة وما
يعقبهم من الحسرات مثل أهل الدنيا في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة
فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لِقضاء الحاجة وحذرهم
الابطاء ، وخوفهم مرور السفينة .

فتفرقوا في نواحي الجزيرة ، فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى
السفينة فصادف المكان خالياً ، فأخذ أوسع الأماكن وألینها .
ووقف بعضهم في الجزيرة ، ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة
ويسمع نغمات طيورها ، ويعجبه حسن أحجارها ، ثم حدثته نفسه بفوات
السفينة ، وسرعة مرورها ، وخطر ذهابها فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً
فجلس فيه .

وأكب بعضهم على تلك الجحارة المستحسنة ، والأزهار الفائقة
فحمل منها حمله فلما جاء لم يجد في السفينة إلا مكاناً ضيقاً ، وزاده حمله

ضَيْقًا ، فَصَارَ مَحْمُولُهُ ثِقْلًا عَلَيْهِ ، وَوَبَالًا وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى نَبْذِهِ بَلْ لَمْ يَجِدْ
مِنْ حَمْلِهِ بُدًّا وَلَمْ يَجِدْ لَهُ فِي السَّفِينَةِ مَوْضِعًا ، فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ وَنَدِمَ
عَلَى أَخْذِهِ ، فَلَمْ تَنْفَعُهُ النَّدَامَةُ ، ثُمَّ ذَبَلَتِ الْأَزْهَارُ ، وَتَغَيَّرَتْ أَرَائِجُهَا
وَأَذَاهُ نَتْنُهَا .

وَتَوَلَّجَ بَعْضُهُمْ فِي تِلْكَ الْغِيَاضِ ، وَنَسِيَ السَّفِينَةَ ، وَأَبْعَدَ فِي
نُزْهِتِهِ ، حَتَّى إِنْ الْمَلَّاحُ نَادَى بِالنَّاسِ ، عِنْدَ دَفْعِ السَّفِينَةِ ، فَلَمْ يَبْلُغْهُ
صَوْتُهُ ، لاشتِغَالِهِ بِمَلَاهِيهِ ، فَهُوَ تَارَةً يَتَنَاوَلُ مِنَ الثَّمَرِ وَتَارَةً يَشُمُّ تِلْكَ
الْأَزْهَارِ وَتَارَةً يُعْجَبُ مِنْ حُسْنِ الْأَشْجَارِ .

وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ خَائِفٌ مِنْ سَبْعٍ يَخْرُجُ عَلَيْهِ ، غَيْرَ مُنْفَكٍّ مِنْ شَوْكِ
يَتَشَبَّثُ فِي ثِيَابِهِ ، وَيَدْخُلُ فِي قَدَمِيهِ أَوْ غُصْنٍ يَجْرَحُ بَدَنَهُ أَوْ عَوْسَجٍ
يُخْرِقُ ثِيَابَهُ ، وَيَهْتِكُ عَوْرَتَهُ ، أَوْ صَوْتٍ هَائِلٍ يُفْزَعُهُ .

ثُمَّ مَنْ هَؤُلَاءِ مَنْ لَجَعَ بِالسَّفِينَةِ ، وَلَمْ يَتَّقَ فِيهَا مَوْضِعَ ، فَمَاتَ
عَلَى السَّاحِلِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَغَلَهُ لَهْوُهُ ، فَافْتَرَسَتْهُ السَّبَاعُ وَنَهَشَتْهُ الْحَيَّاتُ
وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَهَّ فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى هَلَكَ ، فَهَذَا مِثَالُ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي
اشْتِغَالِهِمْ بِحُطُوظِهِمُ الْعَاجِلَةِ ، وَنَسْيَانِهِمْ مَوْرَدَهُمْ وَعَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ ، وَمَا
أَقْبَحَ بِالْعَاقِلِ أَنْ تَغْرَهُ أَحْجَارٌ ، وَنَبَاتٌ يَصِيرُ هَشِيمًا .

المثال الرابع لاغترار الناس بالدُّنْيَا ، وَضَعْفُ إِيمَانِهِمْ بِالْآخِرَةِ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ ، إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ وَمِثْلُ
الدُّنْيَا كَمِثْلِ قَوْمٍ سَلَكَوا مَفَازَةً غُبْرَاءَ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْرُوا مَا سَلَكَوا مِنْهَا
أَكْثَرَ أَمْ مَا بَقِيَ ، أَنْفَدُوا الرَّادَّ ، وَحَسَرُوا الظُّهْرَ ، وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي

الْمَفَازَةِ ، لَا زَادَ وَلَا حَمُولَةَ ، فَأَيَّقَنُوا بِالْهَلَكَةِ .

فَبَيْنَمَا هُمْ بِكَذَلِكَ ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَةٍ يَقْطُرُ رَأْسُهُ ،
فَقَالُوا إِنَّ هَذَا قَرِيبُ عَهْدٍ بَرِيفٍ ، وَمَا جَاءَكُمْ هَذَا إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ ، فَلَمَّا
انْتَهَى إِلَيْهِمْ ، قَالَ يَا هَؤُلَاءِ عَلَامَ أَنْتُمْ ، قَالُوا عَلَى مَا تَرَى ، قَالَ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ هَدَيْتُكُمْ عَلَى مَاءٍ رُوءٍ وَرِيَاضٍ خَضِرٍ مَا تَجْعَلُونَ لِي ؟ .

قَالُوا لَا نَعْصِيكَ شَيْئًا ، قَالَ عُهودُكُمْ ، وَمَوَائِقُكُمْ بِاللَّهِ ، قَالَ
فَأَعْطُوهُ عُهودَهُمْ ، وَمَوَائِقَهُمْ بِاللَّهِ لَا يَعْصُونَهُ شَيْئًا قَالَ فَأَوْرَدَهُمْ مَاءً
وَرِيَاضًا خَضِرًا قَالَ فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ قَالَ يَا هَؤُلَاءِ الرَّحِيلَ ، قَالُوا إِلَى آيِنَ ، قَالَ إِلَى مَاءٍ لَيْسَ
كَمَائِكُمْ وَرِيَاضٍ لَيْسَتْ كَرِيَاضِكُمْ ، قَالَ فَقَالَ جُلُّ الْقَوْمِ ، وَهُمْ أَكْثَرُهُمْ
وَاللَّهُ مَا وَجَدْنَا هَذَا حَتَّى ظَنَّنَا أَنْ لَنْ نَجِدَهُ ، وَمَا نَصْنَعُ بِعَيْشٍ هُوَ خَيْرٌ مِنْ
هَذَا ؟ .

قَالَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ وَهُمْ أَقَلُّهُمْ ، أَلَمْ تُعْطُوا هَذَا الرَّجُلَ عُهودَكُمْ ،
وَمَوَائِقَكُمْ بِاللَّهِ ، لَا تَعْصُونَهُ شَيْئًا ، وَقَدْ صَدَقَكُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ ، فَوَاللَّهِ
لَيُصْدَقَنَّكُمْ فِي آخِرِهِ ، فَرَاخَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ ، وَتَخَلَّفَ بِقِيَّتِهِمْ ، فَبَادَرَهُمْ
عَدُوَّهُمْ ، فَأَضْبَحُوا بَيْنَ أَسِيرٍ وَقَتِيلٍ .

شعراً :

إِذَا عَاجَلَ الدُّنْيَا أَلَمَ بِمَفْرَحٍ
فَمِنْ خَلْفِهِ فَجَعُ سَيْتَلُوهُ آجِلُ

وَكَاثُ حَيَاةِ الْحَيِّ سَوْقاً إِلَى الرَّدَى
وَأَيَّامُهُ دُونَ الْمَمَاتِ مَرَاجِلُ
وَمَا لُبْتُ مَنْ يَغْدُو فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
لَهُ أَجَلٌ فِي مُدَّةِ الْعُمْرِ قَاتِلُ
وَلِلْمَرءِ يَوْمٌ لَا مَحَالَةَ مَا لَهُ
عَدُوٌّ وَسَطَ عَامٍ مَالُهُ الدَّهْرُ قَاتِلُ
كَفَانَا اعْتِرَافاً بِالْفَنَاءِ وَرُقْبَةً
لِمَكْرُوهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْخُلْدِ آمِلُ

اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَثَبِّتْ إِيمَانَنَا وَتَوَزَّ بِصَائِرِنَا وَاهْدِنَا سُبُلَ
السَّلَامِ وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ
وَاعْمُرْ أَوْقَاتَنَا بِتِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَأَرْزُقْنَا التَّدَبُّرَ لَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ
وَاعْفُ رَحْمَةً لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

المثال الخامسُ لِلدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، مَا مَثَلُهَا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَظِلِّ شَجَرَةٍ ، وَالْمَرْءُ مُسَافِرٌ فِيهَا إِلَى اللَّهِ ، فَاسْتَظَلَّ فِي ظِلِّ تِلْكَ
الشَّجَرَةِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا .

فَتَأَمَّلْ حُسْنَ هَذَا الْمِثَالِ ، وَمُطَابَقَتَهُ لِلْوَاقِعِ سَوَاءً ، فَإِنَّهَا فِي
خُضْرَتِهَا كَشَجَرَةٍ ، وَفِي سُرْعَةِ انْقِضَائِهَا وَقُبْضِهَا شَيْئاً فَشَيْئاً كَالظِّلِّ وَالْعَبْدُ
مُسَافِرٌ إِلَى رَبِّهِ ، وَالْمُسَافِرُ إِذَا رَأَى شَجَرَةً فِي يَوْمٍ صَائِفٍ لَا يَحْسُنُ بِهِ أَنْ

يَبْنِي تَحْتَهَا دَاراً ، وَلَا يَتَّخِذَهَا قَرَاراً ، بَلْ يَسْتَظِلُّ بِهَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ ، وَمَتَى زَادَ عَلَى ذَلِكَ انْقَطَعَ عَنِ الرَّفَاقِ .

المِثَالُ السَّادِسُ تَمْثِيلُهُ لَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمُذْخِلِ أَصْبُعِهِ فِي الْيَمِّ ، فَالَّذِي يَرْجِعُ بِهِ أَصْبُعُهُ مِنَ الْبَحْرِ هُوَ مَثَلُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ .

المِثَالُ السَّابِعُ مَا مَثَّلَهَا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّفِقِ عَلَى صِحَّتِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ ، عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ ، فَقَالَ إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا ، وَزِينَتِهَا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ، فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ قَالَ كَيْفَ قُلْتَ ؟ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبْطاً أَوْ يُلِيمُ ، إِلَّا أَكَلَتِ الْخَضِرُ ، أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا ، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسُ فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ فَعَادَتْ فَأَكَلْتُ .

فَمَنْ أَخَذَ مَالاً بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَ مَالاً بغيرِ حَقِّ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، فَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مِمَّا يَخَافُ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا ، وَسَمَاهَا زَهْرَةً ، فَشَبَّهَهَا بِالزَّهْرِ ، فِي طَيِّبِ رَائِحَتِهِ وَحُسْنِ مَنْظَرِهِ ، وَقِلَّةِ بَقَائِهِ .

فهذه الفقرة السيِّرة ، من جوامعِ كلمةِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ،
حوثُ على إنجازها بشارَةَ الصحابةِ الكرامِ بِمَا سَيَكُونُ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، من
فَتْحِ البلادِ ، وإخضاعِ العبادِ ، وَجَلْبِ الأموالِ الطائِلَةِ ، والغنائِمِ
الكثيرةِ ، وَتَحْذِيرِهِمِ مِنَ الغُرُورِ ، والرُّكُونِ إلى هذه الأشياءِ الفانيَّةِ ،
والأعْراضِ الزَّائِلَةِ .

وَضَرَبَ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَثَلَيْنِ حَكِيمَيْنِ أَحَدُهُمَا مَثَلُ المَفْرِطِ
في جَمْعِ الدنيا ، والآخرَ مَثَلُ المَقْتَصِدِ فِيهَا ، أَمَّا الأوَّلُ ، فَمَثَلُهُ مَثَلُ
الرُّبْعِ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ فَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرُّبْعُ مَا يَقْتُلُ حَبْطًا أَوْ يُلِّمُ ، بَأَنَّ
يُقَارِبُ الهَلَاكَ .

فهذا المطرُ ماءٌ ينزلهُ لإغاثةِ الخَلْقِ وإِرواءِ كُلِّ ذِي رُوحٍ فَرَعَمَ
فَوَائِدِهِ الكثيرةَ وَمَنَافِعِهِ الغزيرةَ وما يَتَسَبَّبُ عن ذلكِ مِنْ إنبَاتِ العُشْبِ
والكَلَاءِ ، يَأْكُلُ مِنْهُ الحيوانُ فَيُكَثِّرُ فيتنفخُ بَطْنُهُ ، فَيَهْلِكُ أَوْ يَقَارِبُ
الهَلَاكَ ، وكذلك الذي يُكَثِّرُ من جَمْعِ المالِ ، ويكونُ عندهُ مِنَ الجَشَعِ
والشَّرِّ ، والجِرْصِ ، ما يتجاوزُ بِهِ الحَدَّ ، ولا سِيَّما إذا جَمَعَ المالَ مِنْ
غَيْرِ حِلِّهِ ، وَمَنَعَ ذا الحَقِّ حَقَّهُ ، فَإِنَّ لَمْ يَقْتُلْهُ قَارِبٌ أَنْ يَقْتُلَهُ .

وَلِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَمْوَالِ قَتَلَتْهُمْ أَمْوَالُهُمْ فَأَنْهَمُ شَرُّهُوا فِي
جَمْعِهَا ، وَاحْتِاجَ إِلَيْهَا غَيْرُهُمْ ، فلم يَصِلُوا إلى ذَلِكَ إِلَّا بِقَتْلِهِمْ ، أَوْ ما
يُقَارِبُ ذَلِكَ مِنْ إِذْلَالِهِمْ وَقَهْرِهِمْ وَالضُّغْطِ عَلَيْهِمْ .

وَأَمَّا المَثالُ الثاني : وَهُوَ مَثالُ المَقْتَصِدِ فِي جَمْعِ الدُّنْيَا ، الطَّالِبِ

لِحِلَّهَا ، فَقَدْ مَثَلَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ « إِلَّا آكَلَةَ الْخَضِرِ » ،
فَكَانَهُ قَالَ أَلَا انظُرُوا آكَلَةَ الْخَضِرَاءِ ، وَاعْتَبِرُوا بِشَأْنِهَا « أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا
امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا » وَعَظُمَ جَنْبَاهَا ، أَقْلَعَتْ سَرِيعاً « اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ
الشَّمْسِ » تَسْتَمْرِيءُ بِذَلِكَ مَا أَكَلْتُ وَتَجْتَرُّهُ « فَتَلَطَّتْ » أَلَقْتُ مَا فِي بَطْنِهَا
مِنْ أَدَى سَهْلًا رَقِيقًا .

وفي قوله « اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ » ثلاثُ فَوَائِدَ
أَحَدُهَا أَنَّهَا لَمَّا أَخَذَتْ حَاجَتَهَا مِنَ الْمَرْعَى تَرَكَّتُهُ ، وَبَرَكْتُ مُسْتَقْبَلَةً عَيْنَ
الشَّمْسِ ، تَسْتَمْرِيءُ ، الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ أَنَّهَا أَعْرَضَتْ عَمَّا يَضُرُّهَا مِنَ الشَّرِّ
فِي الْمَرْعَى ، وَأَقْبَلَتْ عَلَى مَا يَنْفَعُهَا ، مِنْ اسْتِقْبَالِ الشَّمْسِ الَّتِي يَحْصُلُ
لِهَا بِحَرَارَتِهَا انْضَاجُ مَا أَكَلَتْهُ وَإِخْرَاجُهُ .

الثَّالِثَةُ : أَنَّهَا اسْتَفْرَغَتْ بِالْبَوْلِ وَالتَّلْطِطِ مَا جَمَعَتْهُ مِنَ الْمَرْعَى فِي
بَطْنِهَا ، فَاسْتَرَاحَتْ بِإِخْرَاجِهِ وَلَوْ بَقِيَ فِيهَا لَقَتَلَهَا ، هَكَذَا جَامِعُ الْمَالِ
مَصْلَحَتُهُ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ كَمَا فَعَلَتْ هَذِهِ الشَّاةُ فَتَنْبَهُ لِذَلِكَ أَيُّهَا الْمَغْفَلُ
الْجَمُوعُ الْمَنُوعُ .

وَإِيَّاكَ وَالْذُّنْيَا الدُّنْيَا إِنَّهَا
هِيَ السِّحْرُ فِي تَخْيِيلِهِ وَافْتِرَائِهِ
مَتَاعُ غُرُورٍ لَا يَدُومُ سُرُورُهَا
وَأَضْغَاثُ حُلُمٍ خَادِعٍ بِهِبَائِهِ
فَمَنْ أَكْرَمَتْ يَوْمًا أَهَانَتْ لَهُ غَدًا
وَمَنْ أَضْحَكَتْ قَدْ آذَنْتْ بِكُأْبِهِ

وَمَنْ تُسْقِهِ كَأْساً مِنَ الشَّهْدِ غُدُوَّةً
تُجَرِّعُهُ كَأْسَ الرَّدَى فِي مَسَائِهِ
وَمَنْ تَكْسُ تَاجَ الْمُلْكِ تَنْزَعُهُ عَاجِلاً
بِأَيْدِي الْمَنَايَا أَوْ بِأَيْدِي عِدَائِهِ
أَلَا إِنَّهَا لِلْمَرْءِ مِنْ أَكْبَرِ الْعِدَا
وَيَحْسِبُهَا الْمَغْرُورُ مِنْ أَصْدِقَائِهِ
فَلَذَّائِهَا مَسْمُومَةٌ وَوَعُودُهَا
سَرَابٌ فَمَا الظَّالِمِي رَوَى مِنْ عَنَائِهِ
وَكَمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ ذَمِّهَا
وَكَمْ ذَمُّهَا الْأَخْيَارُ مِنْ أَصْفِيَائِهِ
فَدُونُكَ آيَاتِ الْكِتَابِ تَجِدُ بِهَا
مِنْ الْعِلْمِ مَا يَجْلُوا الصَّدَا بِجَلَائِهِ
وَمَنْ يَكُ جَمْعُ الْمَالِ مَبْلَغَ عِلْمِهِ
فَمَا قَلْبُهُ إِلَّا مَرِيضاً بِدَائِهِ
فَدَعَهَا فَإِنَّ الزُّهْدَ فِيهَا مُحْتَمٌ
وَإِنْ لَمْ يَقُمْ جُلُّ الْوَرَى بِأَدَائِهِ
وَمَنْ لَمْ يَذَرَهَا زَاهِداً فِي حَيَاتِهِ
سَتَزْهَدُ فِيهِ النَّاسُ بَعْدَ فَنَائِهِ
فَتَرْكُهُ يَوْمًا صَرِيحاً بِقَبْرِهِ
رَهِيناً أَسِيراً آيِساً مِنْ وَرَائِهِ

وَيَنْسَاهُ أَهْلُوهُ الْمُفَدَّى لَدَيْهِمْ
وَتَكْسُوهُ ثَوْبَ الرُّخَصِ بَعْدَ غَلَائِهِ
وَيَنْتَهِبُ الْوَرَاثَ أَمْوَالَهُ الَّتِي
عَلَى جَمْعِهَا قَاسَى عَظِيمَ شَقَائِهِ
وَتُسَكِّنُهُ بَعْدَ الشَّوَاهِقِ حُفْرَةً
تَضِيقُ بِهِ بَعْدَ اتِّسَاعِ فَضَائِهِ
يُقِيمُ بِهَا طَوْلَ الزَّمَانِ وَمَالَهُ
أَنْ يَسُودَ سِوَى دَاوُدَ سَعَى فِي حَشَائِهِ
فَوَاهَا لَهَا مِنْ غُرْبَةٍ ثُمَّ كُرْبَةٍ
وَمِنْ تُرْبَةٍ تَحْوِي الْفَتَى لِبَلَائِهِ
وَمِنْ بَعْدِ ذَا يَوْمِ الْحِسَابِ وَهَوْلِهِ
فَيُجْزَى بِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ فِي جَزَائِهِ
وَلَا تَنْسَ ذِكْرَ الْمَوْتِ فَالْمَوْتُ غَائِبٌ
وَلَا بُدَّ يَوْمًا لِلْفَتَى مِنْ لِقَائِهِ
قَضَى اللَّهُ مَوْلَانَا عَلَى الْخَلْقِ بِالْفَنَاءِ
وَلَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ نُفُودِ قَضَائِهِ
فَخُذْ أَهْبَةً لِلْمَوْتِ مِنْ عَمَلِ التَّقَى
لِتَغْنَمَ وَقْتُ الْعُمْرِ قَبْلَ انْقِضَائِهِ
وَأَسْأَلُكَ وَالْأَمَالَ فَالْعُمْرُ يَنْقُضِي
وَأَسْبَابُهَا مَمْدُودَةٌ مِنْ وَرَائِهِ
وَحَافِظُ عَلَى دِينِ الْهَدَى فَلَعَلَّهُ
يَكُونُ خِتَامَ الْعُمْرِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ

فَدَوِّنْكَ مِنِّي فَاسْتَمِعْهَا نَصِيحَةً
تُضَارِعُ لَوْنَ التَّيْرِ حَالَ صَفَائِهِ
وَصَلِّي عَلَى طُولِ الزَّمَانِ مُسَلِّمًا
سَلَامًا يَفُوقُ الْمِسْكَ عَرْفُ شِدَائِهِ
عَلَى خَاتَمِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ مُحَمَّدٍ
وَأَصْحَابِهِ وَالْأَلِ أَهْلِ كِسَائِهِ
وَاتَّبَاعِهِمْ فِي الدِّينِ مَا اهْتَزَّ بِالرُّبَا
رِيَاضُ سَقَاهَا طَلُّهَا بِنْدَائِهِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ وَالسِّتَنَةَ رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا
مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ وَأَرْزُقْنَا الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ فَضَائِلَ عَظِيمَةً لَا يُمَكِّنُ اسْتِقْصَاؤُهَا مِنْهَا أَنَّهَا كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ وَأَنَّهَا مِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ فَيَا ذَوِي الْعُقُولِ الصَّحَاحِ وَيَا ذَوِي الْبَصَائِرِ وَالْفَلَاحِ جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ أَعْمَاقِ قُلُوبِكُمْ مُتَأَمِّلِينَ لِمَعْنَاهَا عَامِلِينَ بِمُقْتَضَاهَا .

عِبَادَ اللَّهِ مَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَا صَحَّتِ السُّنَّةُ وَالْفَرَضُ وَلَا نَجَا أَحَدٌ يَوْمَ الْعَرْضِ إِلَّا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا جُرَدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ ، وَلَا أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ إِلَى الْعِبَادِ ، إِلَّا لِيُعَلِّمُوهُمْ الْعَمَلَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

تَاللَّهِ إِنَّهَا كَلِمَةُ الْحَقِّ ، وَدَعْوَةُ الْحَقِّ وَأَنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ وَنَجَاةٌ هَذَا الْأَمْرِ وَلَاجِلِهَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ .

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ رَجِمَهُ اللَّهُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عِبْدِهِ مِنَ الْعِبَادِ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَفَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَإِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَالْمَاءِ الْبَارِدِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا وَلَاجِلِهَا أُعِدَّتْ دَارُ الثَّوَابِ ، وَدَارُ الْعِقَابِ وَلَاجِلِهَا أَمِرَتِ الرُّسُلُ بِالْجِهَادِ .

فَمَنْ قَالَهَا عَصَمَ مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَمَنْ أَبَاَهَا فَمَالُهُ وَدَمُهُ حَلَالٌ ، وَبِهَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى كِفَاحاً وَهِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ عَنْ شَدَّادٍ

بن أوس ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ ، ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّهُمَّ بَعَثْنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا وَوَعَدْتَنِي الْجَنَّةَ وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

ثُمَّ قَالَ أَبَشِّرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ وَهِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ ، وَهِيَ تَمْحُو الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا .

وفي سنن ابن ماجة عن أم هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تَتْرُكُ ذَنْبًا وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ ، وَرُوي بَعْضُ السَّلَفِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ مَا أَتَيْتُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَيْئًا وَهِيَ تُجَدِّدُ مَا دَرَسَ مِنَ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ .

وفي المسند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لِأَصْحَابِهِ جَدِّدُوا إِيْمَانَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نُجَدِّدُ إِيْمَانَنَا قَالَ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَهِيَ الْتِي لَا يَغْدِلُهَا شَيْءٌ فِي الْوَزْنِ ، فَلَوْ وُزِنَتْ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ .

كَمَا فِي الْمُسْنَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِإِبْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ أَمْرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِكَفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ كُنَّ فِي حَلَقَةٍ مُبْهَمَةٍ فَصَمَّتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَإِنَّهَا تَرَجَحُ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ
وَأَذَعُوكَ بِهِ ، قَالَ يَا مُوسَى قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ مُوسَى يَا رَبُّ كُلُّ عِبَادِكَ
يَقُولُونَ هَذَا .

قَالَ يَا مُوسَى قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئاً
تَخْصُنِي بِهِ ، قَالَ يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ
وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ .

وَكَذَلِكَ تَرْجُحُ فِي صَحَائِفِ الذُّنُوبِ ، كَمَا فِي حَدِيثِ السَّجَلَاتِ ،
وَالْبِطَاقَةِ ، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِيمَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ
وَالْتِّرِمِذِيُّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَهِيَ الَّتِي تَخْرِقُ الْحُجُبَ ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنَّهَا
لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ ، لِمَا تَقَدَّمَ وَلِمَا فِي التِّرْمِذِيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرٍو وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ
اللَّهِ حِجَابٌ .

وَأَنَّهَا تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مُخْلِصاً إِلَّا فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ .

وَيُرَوَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعاً مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ ، إِلَّا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَمَا أَنَّ شَفِيتِكَ لَا تَحْجِبُهَا
كَذَلِكَ لَا يَحْجِبُهَا شَيْءٌ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَوَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مُخْلِصاً بِهَا قَلْبُهُ يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانُهُ إِلَّا فَتَقَّ اللَّهُ لَهُ السَّمَاءُ فَتَقًّا حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَحَقَّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤَالَهُ ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يُصَدِّقُ اللَّهُ قَائِلَهَا .

كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ . وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَا أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي ، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْدُ ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي وَكَانَ يَقُولُ مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمَهُ النَّارُ .

وَهِيَ أَفْضَلُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّونَ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي دُعَاءِ عَرَفَةَ وَهِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ الْمَرْفُوعِ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَحَبُّ كَلِمَةٍ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا إِلَّا بِهَا .

وَهِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ، وَأَكْثَرُهَا تَضَعِيفًا وَتَعْدِيلُ عِتْقِ الرِّقَابِ وَتَكُونُ جِزْأً مِنَ الشَّيْطَانِ ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ

مَرَّةً ، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرٍ رِقَابٍ ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُجِيَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إِلَّا وَاحِدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

وَوَرَدَ أَنَّ مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَغْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ اسْمَاعِيلَ ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عُمَرَ مَرْفُوعاً مَنْ قَالَهَا إِذَا دَخَلَ السُّوقَ وَزَادَ فِيهَا يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَى عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ وَفِي رِوَايَةٍ يُبْنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا أَمَانٌ مِنَ وَخْشَةِ الْقَبْرِ وَهَوْلِ الْمَحْشَرِ كَمَا فِي الْمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي نُشُورِهِمْ ، وَكَأَنِّي بِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُؤُوسِهِمْ وَيَقُولُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ .

وَفِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ أَمَانًا مِنَ الْفَقْرِ ، وَأَنْسَاءً مِنَ وَخْشَةِ الْقَبْرِ ، وَاسْتَجْلِبَ بِهِ الْغِنَى ، وَاسْتَقْرِعَ بِهِ بَابُ الْجَنَّةِ وَهِيَ شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا تَفْتَحُ لِقَائِلِهَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا

إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٍ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَالنَّارَ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ، فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيَّهَا شَاءَ .

وفي حديث عبد الرحمن بن سُمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَّةِ مَنْامِهِ الطَّوِيلِ ، وَفِيهِ قَالَ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَأُغْلِقَتْ دُونَهُ ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَفَتَحَتْ لَهُ الْأَبْوَابَ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ .

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّ أَهْلَهَا وَإِنْ دَخَلُوا النَّارَ بِتَقْصِيرِهِمْ فِي حُقُوقِهِمْ ، فَانْتَهَى لَهَا بُدٌّ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا ، وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لِأَخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَهـ .

اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلْمَنَا وَبَالًا عَلَيْنَا اللَّهُمَّ قَوِّ مَعْرِفَتَنَا بِكَ وَيَأْسُمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَنَوِّرْ بَصَائِرَنَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله :

رَسَائِلُ اخْوَانِ الصِّفَا وَالتَّوَدُّدِ
إِلَى كُلِّ ذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ مُوَحِّدٍ

وَمِنْ بَعْدِ حَمْدِ اللَّهِ وَالشُّكْرِ وَالثَّنَا
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا عَلَى خَيْرِ مُرْشِدٍ
وَالِ وَصَحْبٍ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
بَعْدَ وَمِيزِ الْبَرْقِ أَهْلَ التَّوَدُّدِ
وَبَعْدَ فَقْدِ طَمِّ الْبَلَاءِ وَعَمَّنَا
مِنَ الْجَهْلِ بِالذِّينِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدِي
بِمَا لَيْسَ نَشْكُو كَشْفَهُ وَانْتِقَادَنَا
لِغَيْرِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
وَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا النَّزْرُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ
يُعَادِيهِمْ مِنْ أَهْلِهَا كُلُّ مُعْتَدٍ
فَهَبُوا عِبَادَ اللَّهِ مِنْ نَوْمَةِ الرَّدَى
إِلَى الْفِقْهِ فِي أَصْلِ الْهُدَى وَالتَّجَرُّدِ
وَقَدْ عَنَّ أَنْ تُهْدِي إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ
نَضِيداً مِنَ الْأَصْلِ الْأَصِيلِ الْمُؤَطَّدِ
فَدُونَكَ مَا تُهْدِي فَهَلْ أَنْتَ قَابِلُ
لِذَلِكَ أَمْ قَدْ غَيَّنَ قَلْبُكَ بِالْإِدِّ
تَرْوُقُ لَكَ الدُّنْيَا وَلَذَاتُ أَهْلِهَا
كَأَنَّ لَمْ تَصِرْ يَوْمًا إِلَى قَبْرِ مَلْحِدٍ
فَان رَمَتْ أَنْ تَنْجُو مِنَ النَّارِ سَالِمًا
وَتُحْطَى بِجَنَاتٍ وَخُلْدٍ مُؤَبَّدٍ
وَرَوْحٍ وَرِيحَانٍ وَأَرْفِهِ جَبْرَةٍ
وَحُورٍ حَسَانٍ كَالْيَوَاقِينِ خُرَّدٍ

فَحَقِّقْ لِتَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ مُخْلِصاً
بِأَنْوَاعِهَا لِلَّهِ قَصِداً وَجَرِّدْ
وَأَفْرِدْهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَا
وَبِالْحُبِّ وَالرُّغْبَى إِلَيْهِ وَجَرِّدْ
وَبِالنَّذْرِ وَالذَّبْحِ الَّذِي أَنْتَ نَاسِكُ
وَلَا تَسْتَغِيثُ إِلَّا بِرَبِّكَ تَهْتَدِ
وَلَا تَسْتَعِينُ إِلَّا بِهِ وَيَحْوِلْهُ
لَهُ خَاشِعاً بَلْ خَاشِعاً فِي التَّعَبُّدِ
وَلَا تَسْتَعِذْ إِلَّا بِهِ لَا بِغَيْرِهِ
وَكُنْ لَا إِثْداً بِاللَّهِ فِي كُلِّ مَقْصِدِ
إِلَيْهِ مُنِيباً تَائِباً مُتَوَكِّلاً
عَلَيْهِ وَثِقْ بِاللَّهِ ذِي الْعَرْشِ تَرْشِدِ
وَلَا تَدْعُ إِلَّا اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ
فَدَاعِ لِغَيْرِ اللَّهِ غَاوٍ وَمُعْتَدِ
وَفِي صَرْفِهَا أَوْ بَعْضِهَا الشِّرْكَ قَدْ أَتَى
فَجَانِبُهُ وَاحْذَرْ أَنْ تَجِيءَ بِمُؤَيَّدِ
وَهَذَا الَّذِي فِيهِ الْخُصُومَةُ قَدْ جَرَتْ
عَلَى عَهْدِ نُوحٍ وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
وَوَجَدَهُ فِي أَفْعَالِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ
مُقِرّاً بِأَنَّ اللَّهَ أَكْمَلُ سَيِّدِ
هُوَ الْخَالِقُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ مُدَبِّرُ
هُوَ الْمَالِكُ الرَّزَّاقُ فَاسْأَلْهُ وَاجْتَدِ

إلى غيرِ ذَا مِنْ كُلِّ أفعَالِهِ الَّتِي
أَقَرَّ وَلَمْ يَجْحَدْ بِهَا كُلُّ مُلْحِدٍ
وَوَجَّهَهُ فِي أَسمَائِهِ وَصِفَاتِهِ
وَلَا تَتَاوَلَهَا كَرَأْيِ الْمُفَنِّدِ
فَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ
سَمِيٌّ وَقُلْ لَا كُفْرَ لِلَّهِ تَهْنِدِ
وَذَا كُلُّهُ مَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّهُ
إِلَهُ الْوَرَى حَقًّا بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ
فَحَقِّقْ لَهَا لَفْظًا وَمَعْنَى فَإِنَّهَا
لِنِعْمِ الرَّجَا يَوْمَ اللِّقَا لِلْمَوْجِدِ
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى فَكُنْ مُتَمَسِّكًا
بِهَا مُسْتَقِيمًا فِي الطَّرِيقِ الْمُحَمَّدِيِّ
فَكُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ وَلِوَاحِدٍ
تَعَالَى وَلَا تُشْرِكْ بِهِ أَوْ تُنَدِّدِ
وَمَنْ لَمْ يُقَيِّدْهَا بِكُلِّ شُرُوطِهَا
كَمَا قَالَهُ لِأَعْلَامٍ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ
فَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَالِكًا
وَلَكِنْ عَلَى آرَاءِ كُلِّ مَلَدِّ
فَأَوَّلُهَا الْعِلْمُ الْمُنَافِي لِضِدِّهِ
مِنْ الْجَهْلِ إِنَّ الْجَهْلَ لَيْسَ بِمُسْعِدٍ
فَلَوْ كَانَ ذَا عِلْمٍ كَثِيرٍ وَجَاهِلٌ
بِمَذْلُولِهَا يَوْمًا فَبِالْجَهْلِ مُرْتَدٍ

وَمِنْ شَرْطِهَا وَهُوَ الْقَبُولُ وَضِدُّهُ
هُوَ الرَّدُّ فَافْهَمْ ذَلِكَ الْقَيْدَ تَرَشُّدِ
كَحَالِ قُرَيْشٍ حِينَ لَمْ يَقْبَلُوا الْهُدَى
وَرَدُّوهُ لَمَّا أَنْ عَتَوْا فِي التَّمَرُّدِ
وَقَدْ عَلِمُوا مِنْهَا الْمُرَادَ وَأَنَّهَا
تَدُلُّ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَالتَّفَرُّدِ
فَقَالُوا كَمَا قَدْ قَالَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ
بِسُورَةِ (ص) فَاغْلَمَنْ ذَاكَ تَهْتِدِ
فَصَارَتْ بِهِ أَمْوَالُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ
حِلَالاً وَأَغْنَاماً لِكُلِّ مُوَحِّدِ
وَنَالَتْهَا الْإِخْلَاصُ فَاغْلَمْ وَضِدُّهُ
هُوَ الشِّرْكَ بِالْمَعْبُودِ مِنْ كُلِّ مُلْحِدِ
كَمَا أَمَرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ نَبِيَّهْ
بِسُورَةِ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ الْمُجِيدِ
وَرَابِعُهَا شَرْطُ الْمَحَبَّةِ فَلْتَكُنْ
مُجِبّاً لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى
وَإِخْلَاصُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا
كَذَا النَّفْيُ لِلشِّرْكِ الْمُفْنِدِ وَالذِّدِ
وَمَنْ كَانَ ذَا حُبٍّ لِمَوْلَاهُ إِنَّمَا
يَتِمُّ بِحُبِّ الدِّينِ دِينَ مُحَمَّدٍ
فَقَادِ الدِّينَ عَادَى لِذَيْنِ مُحَمَّدٍ
وَوَالِ الدِّينَ وَالْآهَ مِنْ كُلِّ مُهْتَدِ

وَأَحَبُّ رَسُولِ اللَّهِ أَكْمَلَ مَنْ دَعَى
إِلَى اللَّهِ وَالتَّقْوَى وَأَكْمَلَ مُرْشِدِ
أَحَبِّ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالنَّفْسِ بَلْ وَمِنْ
جَمِيعِ الْوَرَى وَالْمَالِ مِنْ كُلِّ أَتْلِدِ
وَطَارِفِهِ وَالْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
بِأَبَائِنَا وَالْأُمَّهَاتِ فَنَفْتِدِ
وَأَحَبُّ لِحُبِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا
وَأَبْغَضُ لِبُغْضِ اللَّهِ أَهْلَ التَّمَرُّدِ
وَمَا الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ وَالْوَلَا
كَذَاكَ الْبِرَّ مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدِ
وَنَحَامِسُهَا فَالْإِنْقِيَادُ وَضِدُّهُ
هُوَ التَّرْكُ لِلْمَأْمُورِ أَوْ فِعْلُ مُفْسِدِ
فَتَقَادُ حَقًّا بِالْحُقُوقِ جَمِيعِهَا
وَتَعْمَلُ بِالْمَفْرُوضِ حَتْمًا وَتَقْتَدِ
وَتَتْرُكُ مَا قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ طَائِعًا
وَمُسْتَسْلِمًا لِلَّهِ بِالْقَلْبِ تَرْشِدِ
فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ بِالْقَلْبِ مُسْلِمًا
وَلَمْ يَكُ طَوْعًا بِالْجَوَارِحِ يَنْقَدِ
فَلَيْسَ عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَالِكًا
وَإِنْ خَالَ رُشْدًا مَا أَتَى مِنْ تَعَبُدِ
وَسَادِسُهَا وَهُوَ الْيَقِينُ وَضِدُّهُ
هُوَ الشَّكُّ فِي الدِّينِ الْقَوِيمِ الْمُحَمَّدِيِّ

وَمَنْ شَكَّ فَلْيُنْكِرْ عَلَى رَفْضِ دِينِهِ
وَيَعْلَمْ أَنَّ قَدْ جَاءَ يَوْمًا بِمَوْئِدٍ
وَيَعْلَمْ أَنَّ الشَّكَّ يَنْفِي يَقِينَهَا
فَلَا بُدَّ فِيهَا بِالْيَقِينِ الْمُؤَكَّدِ
بِهَا قَلْبُهُ مُسْتَقِينًا جَاءَ ذِكْرُهُ
عَنِ السَّيِّدِ الْمَعْصُومِ أَكْمَلَ مُرْشِدِ
وَلَا تَنْفَعُ الْمَرْءَ الشَّهَادَةُ فَاغْلَمَنْ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَقِينًا ذَا تَجَرُّدٍ
وَسَابِغُهَا الصِّدْقُ الْمَنَافِي لِضِدِّهِ
مِنْ الْكَذِبِ الدَّاعِي إِلَى كُلِّ مُفْسِدٍ
وَعَارِفٌ مَعْنَاهَا إِذَا كَانَ قَابِلًا
لَهَا عَامِلًا بِالْمُقْتَضَى فَهُوَ مُهْتَدٍ
وَطَابَقَ فِيهَا قَلْبُهُ لِلْسَانِ
وَعَنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ لَمْ يَتَبَلَّدِ
وَمَنْ لَمْ تَقُمْ هَذِهِ الشُّرُوطُ جَمِيعُهَا
بَقَائِلُهَا يَوْمًا فَلَيْسَ عَلَى الْهُدَى
إِذَا صَحَّ هَذَا وَاسْتَقَرَّ فَاثِمًا
حَقِيقَتُهُ الْإِسْلَامُ فَاغْلَمَهُ تَرْشُدِ
وَإِنْ لَهُ - فَاخْذَرْ هُدَيْتَ - نَوَاقِضًا
فَمَنْ جَاءَ مِنْهَا نَاقِضًا فَلْيَجِدِدِ
فَقَدْ نَقَضَ الْإِسْلَامَ وَارْتَدَّ وَاعْتَدَى
وَزَاغَ عَنِ السَّمْحَاءِ فَلْيَتَشَهَّدِ

فَمِنْ ذَاكَ شِرْكُ فِي الْعِبَادَةِ نَاقِضٌ
وَذَبْحُ لِغَيْرِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
كَمَنْ كَانَ يَغْدُو لِلْقَبَابِ بِذَبْحِهِ
وَلِلْجِنِ فِعْلَ الْمُشْرِكِ الْمُتَمَرِّدِ
وَجَاعِلِ بَيْنَ اللَّهِ - بَغِيًّا - وَبَيْنَهُ
وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ فَلَيْسَ بِمُهْتَدٍ
وَيَسْأَلُ مِنْهُمْ بِالْخُضُوعِ شَفَاعَةً
إِلَى اللَّهِ وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ وَيَجْتَدِ
وَتَالِثُهَا مَنْ لَمْ يُكْفِرْ لِكَافِرٍ
وَمَنْ كَانَ فِي تَكْفِيرِهِ ذَا تَرَدُّدٍ
وَصَحَّحَ عَمْدًا مَذْهَبَ الْكُفْرِ وَالرَّدَى
وَذَا كُلُّهُ كُفْرٌ بِاجْمَاعٍ مِنْ هُدًى
وَرَابِعُهَا فَلَاغْتِقَادُ بَأْنَمَا
سَيَوَى الْمُصْطَفَى الْهَادِي وَأَكْمَلِ مُرْشِدِ
لَأَحْسَنِ حُكْمًا فِي الْأُمُورِ جَمِيعِهَا
وَأَكْمَلُ مِنْ هَٰذَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
كَحَالَةِ كَعْبٍ وَابْنِ أَخْطَبَ وَالَّذِي
عَلَى هَذِهِمْ مِنْ كُلِّ غَاوٍ وَمُعْتَدٍ
وَحَامِسُهَا يَا صَاحِبَ مَنْ كَانَ مُبْغِضًا
لِشَيْءٍ أَتَى مِنْ هَٰذَا أَكْمَلِ سَيِّدِ
فَقَدْ صَارَ مُرْتَدًّا وَإِنْ كَانَ عَامِلًا
بِمَا هُوَ ذَا بُغْضٍ لَهُ فَلْيُجَدِّدِ

وَذَلِكَ بِالْأَجْمَاعِ مِنْ كُلِّ مُهْتَدٍ
وَقَدْ جَاءَ نَصُّ ذِكْرُهُ فِي (مُحَمَّدٍ)
وَسَادِسُهَا مَنْ كَانَ بِالْإِثْنِ هَازِئاً
وَلَوْ بِعِقَابِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
وَحُسْنُ ثَوَابِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ فَلَتَكُنْ
عَلَى حَذَرٍ مِنْ ذَلِكَ الْقِيلِ تَرْشُدِ
وَقَدْ جَاءَ نَصُّ فِي (بَرَاءَةِ) ذِكْرُهُ
فَرَاغَهُ فِيهَا عِنْدَ ذِكْرِ التَّهْدِيدِ
وَسَابِعُهَا مَنْ كَانَ لِلْسَّحْرِ فَاعِلاً
كَذَلِكَ رَاضٍ فِعْلُهُ لَمْ يُفْنِدِ
وَفِي سُورَةِ (الزُّهْرَاءِ) نَصٌّ مُصَرِّحٌ
بِتَكْفِيرِهِ فَاطْلُبْهُ مِنْ ذَاكَ تَهْتَدِ
وَمِنْهُ لَعَمْرِي الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ فَاغْلَمَنْ
أَخِي حُكْمَ هَذَا الْمُعْتَدِي الْمُتَمَرِّدِ
وَتَأْمِنُهَا وَهِيَ الْمُظَاهَرَةُ الَّتِي
يُعَانُ بِهَا الْكَفَّارُ مِنْ كُلِّ مَلْجِدٍ
عَلَى الْمُسْلِمِينَ الطَّائِعِينَ لِرَبِّهِمْ
عِيَاذاً بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ كُلِّ مُفْسِدٍ
وَمَنْ يَتَوَلَّى كَافِراً فَهُوَ مِثْلُهُ
وَمِنْهُ بَلَا شَكٍّ بِهِ أَوْ تَرَدُّدٍ
كَمَا قَالَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ
وَجَاءَ عَنِ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وَتَاسِعُهَا وَهُوَ اعْتِقَادُ مَضِلٍّ
 وَصَاحِبُهُ لَا شَكَّ بِالْكَفْرِ مُرْتَدٍ
 كَمُعْتَقِدٍ أَنْ لَيْسَ حَقًّا وَوَاجِبًا
 عَلَيْهِ اتِّبَاعُ الْمُضْطَّفَى خَيْرِ مُرْشِدٍ
 فَمَنْ يَعْتَقِدُ هَذَا الضَّلَالَةَ وَأَنَّهُ
 يَسَعُهُ خُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ أَحْمَدٍ
 كَمَا كَانَ هَذَا فِي شَرِيعَةِ مَنْ خَلَا
 كَصَاحِبِ مُوسَى حَيْثُ لَمْ يَتَّقِدْ
 هُوَ الْخَضِرُ الْمَقْصُوصُ فِي (الْكَهْفِ) ذِكْرُهُ
 وَمُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ فَافْهَمْ لِمَقْصِدِ
 وَهَذَا اعْتِقَادُ لِلْمَلَايِدَةِ الْأُولَى
 مَشَايِخِ أَهْلِ الْإِتِّحَادِ الْمُفْنِدِ
 كَنَحْوِ ابْنِ سِينَا وَابْنِ سَبْعِينَ وَالَّذِي
 يُسَمَّى ابْنَ رُشْدٍ وَالْحَفِيدِ الْمُلَدِّدِ
 وَشَيْخِ كَبِيرٍ فِي الضَّلَالَةِ صَاحِبُ الْ
 خُصُوصِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ فِي التَّمَرُّدِ
 وَعَاثِرُهَا الْإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ رَبَّنَا
 فَلَا يَتَعَلَّمُهُ فَلَيْسَ بِمُهْتَدٍ
 وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا مِنَ الدُّهْرِ عَامِلًا
 بِهِ فَهُوَ فِي كُفْرَانِهِ ذُو تَعَمُّدٍ
 وَلَا فَرْقَ فِي هَذِي النِّوَاقِصِ كُلِّهَا
 إِذَا رُمِيَ أَنْ تَنْجُو وَلِلْحَقِّ تَهْتَدِ

هُنَالِكَ بَيْنَ الْهَزْلِ وَالْجِدِّ فَاَعْلَمَنْ
وَلَا رَاهِبَ مِنْهُمْ لِخَوْفِ التَّهْدِيدِ
سِوَى الْمَكْرِهِ الْمَضْهُودِ إِنْ كَانَ قَدْ أَتَى
هُنَالِكَ بِالشَّرْطِ الْأَطْيَدِ الْمُؤَكَّدِ
وَحَازِرٍ ، هَذَاكَ اللَّهُ ، مِنْ كُلِّ نَاقِضٍ
سِوَاهَا ، وَجَانِبَيْهَا جَمِيعاً لِيَتَهَدَّ
وَكُنْ بَازِلاً لِلْجِدِّ وَالْجُهْدِ طَالِباً
وَسَلْ رَبَّكَ التَّشْيِيتَ أَيَّ مُوَحِّدٍ
وَإِيَّاهُ فَارْغَبْ فِي الْهِدَايَةِ لِلْهُدَى
لَعَلَّكَ أَنْ تَنْجُوَ مِنَ النَّارِ فِي غَدٍ
وَصَلِّ إِلَهِي مَا تَأَلَّقَ بَارِقُ
وَمَا وَخَذَتْ قُودُ بِمَوْرِ مُعْبَدٍ
تَوُّمٌ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَمَا سَرَى
نَسِيمُ الصَّبَا أَوْ شَاقُ صَوْتِ الْمُغْرِدِ
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَافِحُ
وَمَا انْهَلَّ صَوْبُ فِي عَوَالٍ وَوَهْدٍ
عَلَى السَّيِّدِ الْمَعْصُومِ أَفْضَلُ مُرْسَلٍ
وَأَكْرَمُ خَلْقِ اللَّهِ طُرّاً وَأَجْوَدِ
وَالٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعاً
صَلَاةً دَوَاماً فِي الرِّوَاكِ وَفِي الْغَدِ

(فَضْلٌ)

فِي ذِكْرِ نَمَازِجٍ مِنْ صَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

وَمِنْ تَحْمِيلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلشَّدَائِدِ وَالْأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى
اللَّهِ مَا وَرَدَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَقَدْ أُؤْذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذِي أَحَدٌ ، وَأَخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يَخَافُ
أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، وَمَالِي وَلِبْلَالٍ مَا يَأْكُلُهُ
ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا يُؤَارِي إِبْطَ بِلَالٍ خَرَجَهُ أَحْمَدُ .

وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا ابْنَ
أَخِي إِنْ قَوْمَكَ قَدْ جَاؤُنِي وَقَالُوا كَذَا وَكَذَا فَأَنْتَ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا
تُحْمِلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أَطِيقُ أَنَا وَلَا أَنْتَ ، فَاكْفُفْ عَنْ قَوْمِكَ مَا يَكْرَهُونَ
مِنْ قَوْلِكَ ، فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ قَدْ بَدَأَ لِعَمَلِهِ فِيهِ ،
وَأَنَّهُ خَاذِلُهُ ، وَمُسْلِمُهُ ، وَضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ مَعَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَمُّ لَوْ وُضِعَتِ الشَّمْسُ
فِي يَمِينِي وَالْقَمَرُ فِي يَسَارِي ، مَا تَرَكْتُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ ، أَوْ
أَهْلِكَ فِي طَلَبِهِ ، ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَكَى ،
فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لَهُ جِبْنٌ رَأَى مَا بَلَغَ الْأَمْرُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يا ابنِ أَخِي فَأَقْبِلْ عَلَيْهِ فَقَالَ امْضِ لِأَمْرِكَ وَافْعَلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَاللَّهِ لَا
أَسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَفِينَةٌ مِنْ سُفْهَاءِ قُرَيْشٍ فَأَلْقَى
عَلَيْهِ تُرَابًا ، فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ تَمْسُحُ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ
وَتَبْكِي ، فَجَعَلَ يَقُولُ أَيُّ بُنْيَةٍ لَا تَبْكِينَ فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ أَبَاكَ ، وَيَقُولُ مَا بَيْنَ
ذَلِكَ مَا نَأَلْتُ قُرَيْشٍ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ثُمَّ شَرَعُوا .

وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْجَلِيلَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
تَجَهَّمُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ يَا عَمُّ مَا أَسْرَعَ مَا وَجَدْتُ
فَقَدْكَ ، وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ الْحَارِثِ قُلْتُ لِأَبِي مَا هَذِهِ
الْجَمَاعَةُ قَالَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ اجْتَمَعُوا عَلَى صَاحِبِي لَهُمْ فَتَرَلْنَا فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْإِيمَانِ بِهِ
وَهُمْ يَرُدُّونَ عَلَيْهِ وَيُؤْذُونَهُ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ ، وَانْصَدَعَ النَّاسُ عَنْهُ
أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ قَدْ بَدَأَ نَحْرُهَا تَحْمِلُ قَدْحًا وَمِنْدِيلًا فَتَنَاولَهُ مِنْهَا فَشَرِبَ ،
وَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ يَا بُنْيَةَ خَمْرِي عَلَيْكَ نَحْرُكَ وَلَا تَخَافِينَ عَلَى
أَبِيكَ ، قُلْنَا مَنْ هَذِهِ قَالُوا هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ الْهَيْمِيُّ
رَجَالَهُ ثَقَاتٌ .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ لَهُ مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا كَانَتْ تُظْهَرُ مِنْ عَدَوَاتِهِ قَالَ حَضَرْتُهُمْ وَقَدْ اجْتَمَعَ
أَشْرَافُهُمْ فِي الْحَجْرِ .

فَقَالُوا مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ ، سَفَهَ
أَحْلَامَنَا ، وَشَتَمَ آبَاءَنَا ، وَعَابَ دِينَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَاتِنَا ، وَسَبَّ آلِهَتَنَا ، لَقَدْ
صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ ، أَوْ كَمَا قَالُوا .

قَالَ فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَقْبَلَ الرُّكْنَ ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ ، فَلَمَّا مَرَّ
بِهِمْ غَمَزُوهُ : - أَيِ أَشَارُوا إِلَيْهِ - بِبَعْضٍ مَا يَقُولُ قَالَ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي
وَجْهِهِ .

ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ الثَّانِيَةَ بِمِثْلِهَا فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ مَضَى
فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ الثَّالِثَةَ فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَقَالَ أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَمَّا
وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ ، فَأَخَذْتُ الْقَوْمَ كَلِمَتَهُ ،
حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانَ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَقَعَ حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ
وَضَاءَةً قَبْلَ ذَلِكَ لَيَزِفُوهُ بِأَحْسَنَ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى لَيَقُولُ انْصَرِفْ يَا
أَبَا الْقَاسِمِ ، انْصَرِفْ رَاثِدًا فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ جَهُولًا .

فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ
اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ
وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ حَتَّى إِذَا بَادَاكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ
إِذَا طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَثَبَةً رَجُلٍ
وَاحِدٍ فَأَطَافُوا بِهِ يَقُولُونَ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ مِنْ
غَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ .

قَالَ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ

ذَلِكَ ، قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَهُ يَقُولُ وَهُوَ يَكْفِي أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا بَلَغَتْ مِنْهُ قَطُّ .

وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَقَدْ ضَرَبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَعَلَ يُنَادِي وَيُلَكِّمُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ، فَقَالُوا مَنْ هَذَا فَقَالُوا أَبُو بَكْرٍ الْمَجْنُونُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَهَوَ بِأَبِي بَكْرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ قَالَتْ فَرَجَعَ إِلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ فَجَعَلَ لَا يَمَسُّ شَيْئًا مِنْ غَدَائِرِهِ - أَيِ جَدَائِلِهِ إِلَّا جَاءَ مَعَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

وَأَخْرَجَ الْبَزَارُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ خَطَبَهُمْ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَشْجَعَ النَّاسِ ، فَقَالُوا أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ أَمَّا أَنَا مَا بَارَزَنِي أَحَدٌ إِلَّا أَتَتْصَفْتُ مِنْهُ ، وَلَكِنْ هُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّا جَعَلْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشًا فَقُلْنَا مَنْ يَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِثَلَاثَةِ يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَاهِرًا بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَهْوِي إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَهْوَى إِلَيْهِ فَهَذَا أَشْجَعَ النَّاسِ .

قَالَ وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَتْهُ قُرَيْشٌ

فهذا يُحَادُّهُ وَهَذَا يُتَلْتِلُهُ وَيَقُولُونَ أَنْتَ جَعَلْتَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا فَوَاللَّهِ مَا ذُنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ يَضْرِبُ هَذَا وَيُجَاهِدُ هَذَا وَيُتَلْتِلُ هَذَا ، وَهُوَ يَقُولُ وَيَلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا يَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ .

ثم رَفَعَ عَلَى بُرْدَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ فَبَكَى حَتَّى اخْضَلَ لِحْيَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ أُنْشِدُكُمْ اللَّهَ أَمْؤِمينَ آلِ فِرْعَوْنَ خَيْرٌ أَمْ هُوَ ، فَسَكَتَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَوَاللَّهِ لَسَاعَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ ، ذَاكَ رَجُلٌ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ ، وَهَذَا رَجُلٌ أَعْلَنَ إِيْمَانَهُ الْحَدِيث .

اللهم يسر لنا سَبِيلَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ الْعُظْمَى لَنَا سَنَدًا وَاحْشُرْنَا إِذَا تَوَفَّيْتَنَا مَعَ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُرْوَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ خَنَقًا شَدِيدًا .

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ

صلى الله عليه وسلم ، وَقَالَ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ الْآيَةَ .

وَعَنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا
رَأَيْتُ قُرَيْشًا أَرَادُوا قَتْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا يَوْمًا ائْتَمَرُوا بِهِ وَهُمْ
جُلُوسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيُ عِنْدَ
الْمَقَامِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَجَعَلَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ ثُمَّ جَذَبَهُ حَتَّى
وَجَبَ لِرُكْبَتَيْهِ سَاقِطًا ، وَتَصَايَحَ النَّاسُ فَظَنُّوا أَنَّهُ مَقْتُولٌ .

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشْتَدُّ حَتَّى أَخَذَ بِضَبْعِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ « أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ
اللَّهُ » الْحَدِيثُ .

وَأَخْرَجَ الْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ وَأَبُو جَهْلٍ وَشَيْبَةُ وَعُتْبَةُ
أَبْنَاؤُ رَبِيعَةَ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَأُمَيَّةُ ابْنُ خَلْفٍ وَرَجُلَانِ آخَرَانِ كَانُوا
سَبْعَةً ، وَهُمْ فِي الْحِجْرِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيُ فَلَمَّا
سَجَدَ أَطَالَ السُّجُودَ .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ أَيُّكُمْ يَأْتِي جَزُورَ بَنِي فُلَانٍ فَيَأْتِينَا بِفَرَنَها فَنَكْفُهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاذْطَلَقَ أَشْقَاهُمْ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَاتَى بِهِ
فَالْقَاهُ عَلَى كَتِفِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَاجِدٌ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأَنَا
قَائِمٌ لَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، لَيْسَ عِنْدِي مَنَعَةٌ تَمْنَعُنِي ، إِذْ سَمِعَتْ فَاطِمَةُ
بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَتْ حَتَّى أَلْقَتْ ذَلِكَ عَنْ

عَاتِقَهُ .

ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ قُرَيْشًا تَسُبُّهُمْ فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا شَيْئًا ، وَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ كَمَا كَانَ يَرْفَعُ عِنْدَ تَمَامِ السُّجُودِ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ ، قَالَ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثًا ، عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ ، وَعُقْبَةَ ، وَأَبِي جَهْلٍ وَشَيْبَةَ .

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِيَهُ أَبُو الْبُخْتَرِيُّ بِسُوطٍ يَتَخَصَّرُ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْكَرَ وَجْهَهُ فَقَالَ مَا لَكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَّ عَنِّي قَالَ عَلِمَ اللَّهُ لَا أُخْلِي عَنْكَ ، أَوْ تُخْبِرُنِي مَا شَأْنُكَ ، فَلَقَدْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ غَيْرُ حَمَلٍ عَنْهُ أَخْبَرَهُ .

فَقَالَ إِنَّ أَبَا جَهْلٍ أَمَرَ فَطْرَحَ عَلَيَّ الْفَرثَ ، فَقَالَ أَبُو الْبُخْتَرِيُّ هَلُمَّ إِلَى الْمَسْجِدِ فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو الْبُخْتَرِيُّ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ .

ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو الْبُخْتَرِيُّ إِلَى أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَكَمِ أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَ بِمُحَمَّدٍ فَطْرَحَ عَلَيْهِ الْفَرثَ ، قَالَ نَعَمْ قَالَ فَرَفَعَ السُّوطَ فَضْرَبَ بِهِ رَأْسَهُ قَالَ فَتَارَ الرُّجَالُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ وَصَاحَ أَبُو جَهْلٍ وَيَحْكُمُ هِيَ لَهْ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُلْقِيَ بَيْنَنَا الْعَدَاوَةَ ، وَيَنْجُو هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْحَدِيثَ .

وَأُخْرِجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ حَلِيفِ بَنِي زُهْرَةَ مُرْسَلًا ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ اعْتَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّفَا فَاذَاهُ .

وَكَانَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبَ قَنْصٍ ، وَصَيْدٍ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ فِي قَنْصِهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَا أَبَا عَمَارَةَ لَوْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ تَعْنِي أَبَا جَهْلٍ بَابِنِ أَخِيكَ ، فَغَضِبَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَضَى كَمَا هُوَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ .

وَهُوَ مُعَلِّقُ قَوْسِهِ فِي عُنُقِهِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَ أَبَا جَهْلٍ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ فَلَمْ يُكَلِّمَهُ حَتَّى عَلَا رَأْسُهُ بِقَوْسِهِ ، فَشَجَّهُ فَقَامَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى حَمْزَةَ يُمَسِّكُونَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ حَمْزَةُ دِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَتَّخِذُ عَنْ ذَلِكَ ، فَاْمَنْعُونِي مِنْ ذَلِكَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ .

فَلَمَّا أَسْلَمَ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَزَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَتَبَّتْ لَهُمْ بَعْضُ أَمْرِهِمْ ، وَهَابَتْ قُرَيْشٌ وَعَلِمُوا أَنَّ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيَمْنَعُهُ ، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ وَرِجَالَهُ يُقَاتُ .

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ وَمَاتَ أَبُو طَالِبٍ وَازْدَادَ مِنَ الْبَلَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِدَّةٍ ، فَعَمِدَ إِلَى ثِقَيْفٍ يَرْجُو أَنْ يُؤْوُوهُ وَيَنْصُرُوهُ ، فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ ، سَادَةُ ثِقَيْفٍ ، وَهُمْ أَخَوَةُ عَبْدِ يَالِيلٍ بْنِ عَمْرٍو ، وَحَبِيبُ ابْنِ عَمْرٍو ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، وَشَكَا إِلَيْهِمُ الْبَلَاءَ ، وَمَا أَنتَهَكَ قَوْمُهُ مِنْهُ .

فَقَالَ أَحَدُهُمْ أَنَا أَسْرَقُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ بِعَثَاكَ بِشَيْءٍ قَطُّ ،
وَقَالَ آخَرُ وَاللَّهِ لَا أَكَلِّمُكَ بَعْدَ مَجْلِسِكَ هَذَا كَلِمَةً وَاحِدَةً أَبَدًا لِأَنَّ كُنْتَ
رَسُولًا لَأَنْتَ أَعْظَمُ شَرَفًا وَحَقًّا مِنْ أَنْ أَكَلِمُكَ . وَقَالَ الْآخَرُ أَعْجَزَ اللَّهُ أَنْ
يُرْسِلَ غَيْرَكَ .

وَأَفْشَوْا ذَلِكَ فِي ثَقِيفِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ ، وَاجْتَمَعُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَعَدُوا لَهُ صَفِّينَ عَلَى طَرِيقَةٍ ، فَأَخَذُوا
بِأَيْدِيهِمُ الْحِجَارَةَ فَجَعَلَ لَا يَرْفَعُ رِجْلَهُ وَلَا يَضَعُهَا إِلَّا رَضَخُوهَا بِالْحِجَارَةِ ،
وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَهْزِئُونَ وَيَسْخَرُونَ .

فَلَمَّا خَلَصَ مِنْ صَفِّهِمْ وَقَدَمَاهُ تَسِيلَانِ بِالدَّمَاءِ ، عَمِدَ إِلَى حَائِطٍ
مِنْ كُرُومِهِمْ فَأَتَى حَبْلَةً مِنَ الْكُرْمِ فَجَلَسَ فِي أَصْلِهَا مَكْرُوبًا مُوجِعًا تَسِيلُ
قَدَمَاهُ الدَّمَاءَ فَإِذَا فِي الْكُرْمِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةُ ابْنُ رَبِيعَةَ فَلَمَّا أَبْصَرَهُمَا
كَرِهَ أَنْ يَأْتِيَهُمَا لِمَا عَلِمَ مِنْ عَدَاوَتِهِمَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَبِهِ الَّذِي بِهِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ
غُلَامَهُمَا عَدَّاسًا بَعِيبٌ وَهُوَ نَصْرَانِي مِنْ أَهْلِ نِينَوَى ، فَلَمَّا أَتَاهُ وَضَعَ
الْعِنَبَ بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسْمِ اللَّهِ فَعَجِبَ عَدَّاسُ ،
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ
قَالَ أَنَا مِنْ أَهْلِ نِينَوَى .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ
يُونُسَ بْنِ مَتَّى ، فَقَالَ لَهُ عَدَّاسُ وَمَا يُدْرِيكَ مَنْ يُونُسُ بْنُ مَتَّى ، فَأَخْبَرَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَأْنِ يُونُسَ مَا عَرَفَ .
وَاللهُ أَهْلَمُ وَصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

دعاء ختم القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صدق الله العظيم ، صدق الله الواحد القهار ، العزيز الغفار ، المليك الجبار ، صدق الله الذي لا إله إلا هو ، المليك القدوس السلام .

صدق الله المتوحد بالألوهية والبقاء ، والعز والكبرياء . صدق الله التواب الغفور الوهاب ، الذي خضعت لعظمته الرقاب ، وذلت لجبروته الصعاب ، ولانت لقدرته الشدائد اللاب ، الحي القيوم ، الذي استدل على حكيمته بصنفته أولو الألباب ، غافر الذنب ، وقابل التوب شديد العقاب ، ذي الطول لا إله إلا هو ، إليه المصير . صدق الهادي إليه سبيلاً ، صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً ، صدق الله ذو الجلال والإكرام ، الجبار الذي لا يُرام ، العزيز الذي لا يُضام القيوم الذي لا ينام ، له الأسماء العظام ، والأفعال الكرام ، والمواهب الجسام ، والإفضال والإنعام ، تُسبِّحُ له السموات السبع والأرض ومن فيهن (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) ، لا إله إلا هو ، المليك القدوس السلام .

اللهم لك الحمد كما هديتنا للإسلام ، وعلمتنا الحكمة والقرآن ، ولك الحمد على ما أنعمت به علينا من نعيمك العظيمة ، وآلائك العجيبة ، حيث أنزلت إلينا خير كُتُبِكَ ، وأرسلت إلينا أفضل رُسُلِكَ ، وشرعت لنا أفضل شرائع دينك ، وجعلتنا من خير أمة أخرجت للناس ، وهديتنا لِمَعَالِمِ دِينِكَ ، الذي ليس به لباس . وَخَلَقْتَ عَلَيْنَا خِلْعَةَ الْإِسْلَامِ خَيْرَ لِبَاسٍ ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى تَتَابُعِ إِحْسَانِكَ ، وَتَرَادُفِ امْتِنَانِكَ ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا يَسِّرُهُ لَنَا مِنْ صِيَامِ رَمَضَانَ ، وَقِيَامِهِ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ الْقَرِيزِ ، الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتَرَلَّلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .

اللهم اجعلنا لكتابك من التالين ، ولك به من العاملين ، وبالأعمال مخلصين ، وبالقسط قائمين ، وعن النيران مُرْخَرَجِينَ فِي الْجَنَانِ مُتَعَمِّينَ ، وَإِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ نَاطِقِينَ .

اللهم وكما جعلتنا به مُصَدِّقِينَ فاجعلنا فيه مُعْتَبَرِينَ، وبِما صَرَفْتَ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ مُنْتَفِعِينَ، وَإِلَى لَذِيذِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ، وَلَا وَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ خَاضِعِينَ، وَعِنْدَ خَشْيِهِ مِنَ الْفَائِزِينَ.

اللهم أَوْجِبْ لَنَا فِيهِ الشَّرَفَ وَالْمَزِيدَ، وَالْحِقْنَا بِكُلِّ بَرٍّ سَعِيدٍ، وَوَقِّنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الرُّشِيدَ.

اللهم يَا حَيُّ، يَا قَيُّوْمُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، نَسْأَلُكَ بِكُلِّ إِسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ أُنْزِلَتْ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلِمَتْهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبْعَ قُلُوبِنَا. وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَذَهَابَ هُمُونِنَا وَغَمُونِنَا، وَدَلِيلِنَا إِلَى جَنَاتِكَ، جَنَاتِ النِّعَمِ.

اللهم يَا حَيُّ، يَا قَيُّوْمُ، يَا عَلِيُّ، يَا عَظِيمُ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لِقُلُوبِنَا ضِيَاءً، وَلِأَسْقَامِنَا دَوَاءً، وَلَا بُصَارِنَا جَلَاءً، وَلِدُنُوبِنَا مُمَحِّصاً، وَمِنَ النَّارِ مُخْلِصاً.

اللهم هَبْ لَنَا رِعَايَةَ حَقِّهِ، وَحِفْظَ آيَاتِهِ، وَعَمَلًا بِمُحْكَمِهِ، وَإِيمَانًا بِمُتَشَابِهِهِ وَهُدًى فِي تَدْبِيرِهِ، وَتَفَكُّراً فِي أَمْثَالِهِ، وَمُعْجَزَةً وَتَبَصُّراً فِي نُورِ حِكْمَتِهِ.

اللهم أَلْبِسْنَا بِهِ الْحُلُلَ، وَأَسْكِنْنَا بِهِ الظُّلُلَ، وَأَسْفِغْ عَلَيْنَا بِهِ النِّعَمَ وَادْفَعْ عَنَّا بِهِ النِّقَمَ، وَاجْعَلْنَا بِهِ عِنْدَ الْجَزَاءِ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَعِنْدَ الثَّعْمَاءِ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَعِنْدَ الْبَلَاءِ مِنَ الصَّابِرِينَ.

اللهم يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، ذَكِّرْنَا مِنْهُ مَا نَسِينَا، وَعَلِّمْنَا مِنْهُ مَا جَهِلْنَا وَارْزُقْنَا تِلَاوَتَهُ آثَارَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنَّا.

اللهم لَا تَجْعَلَ الْقُرْآنَ لَنَا مُمَاجِلًا وَلَا الصِّرَاطَ بِنَا زَائِلًا، وَلَا مُحَمَّدًا — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — عَنَّا مُغْرَضًا، وَلَا مُوَالِيًا، وَاجْعَلْهُ لَنَا شَافِعًا مُشْفِعًا، وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ وَأَسْقِنَا بِكَأْسِهِ، مَشْرَبًا رَوِيًا سَائِغًا هَنِيئًا، لَا نَقْطَعُ بَعْدَهُ.

اللهم فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ إِنَّا نَعْقُدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَشْهَدُكَ، وَكَفَى بِكَ شَهِيداً، أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْمُلْكُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَتَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، وَلِقَاءَكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ

لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنْتَ تَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَأَنْتَ إِنْ تَكَلَّمْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا تَكَلَّمْنَا إِلَى صَفْعٍ وَغَوْرَةٍ
وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، وَإِنَّا لَا نَتَّقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ، فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّكَ
أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ يَا سَامِعَ الصَّوْتِ، وَيَا سَابِقَ الْفَوْتِ، وَيَا كَاسِي الْعَظَمِ لَحْمًا بَعْدَ الْمَوْتِ، لَا
تَدْعُ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَجْتَهُ وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْثَنَّا عَلَى
قَضَائِهَا بِبُشْرٍ مِنْكَ وَعَافِيَةٍ مَعَ الْمَغْفِرَةِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَعَيْنٍ لَا تَنْفَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ،
وَذَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَغَرَائِمُ مَغْفِرَتِكَ، وَالْقَرِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَالْغَنِيمَةَ
مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَنَسْأَلُكَ الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِمَصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا
سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا،
وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا
مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمُلْكُ، تُلْقِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتُزِيلُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ
وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَكْفِينَا مَا أَهَمَّنَا وَمَا لَا
نَهْتَمُّ بِهِ، وَأَنْ تَرْحَمَ غُرَبَتَنَا فِي الْقُبُورِ، وَتُؤَمِّنَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِكَ الْعُلَى، يَا وَاحِدَ أَحَدٍ فَرْدَ صَمَدٍ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تُظَهِّرَ قُلُوبَنَا مِنَ التَّفَاقُ وَأَعْمَالَنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالْإِسْتِنَا مِنَ
الْكَذِبِ وَبِأَعْيُنِنَا مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، يَا أَوَّلَ، يَا آخِرَ، يَا ظَاهِرَ، يَا بَاطِنَ، يَا عَلِيمَ، يَا ذَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ، يَا وَدُودَ، نَسْأَلُكَ رِضَاكَ، وَالْجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ، وَنَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ
فِي الْأَمْرِ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ
شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَأَهْدِهِمْ
سُبُلَ السَّلَامِ، وَجَنِّبُهُمُ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَاجْعَلْهُمْ شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ مُشِينِينَ
بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلِيهَا، قَاتِمَهَا عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَجَمِيعِ مَوْتَى الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الَّذِينَ شَهِدُوا لَكَ بِالْوَخْدَانِيَّةِ، وَلِتَبَيِّتِكَ
بِالرِّسَالَةِ وَمَاتُوا عَلَى ذَلِكَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ، وَعَافِهِمْ وَاعْفُ عَنْهُمْ، وَأَكْرِمْ مَنَازِلَهُمْ، وَوَسِّعْ مَذَاقَهُمْ،
وَاعْسِلْهُمْ بِالْمَاءِ وَالْثَلَجِ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا يُنْقَى الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ،
وَارْحَمْنَا يَا مَوْلَانَا إِذَا صِرْنَا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ، يَا قَيُّوْمُ، يَا عَلِيُّ، يَا عَظِيمُ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُؤَفِّقَنَا لِفِعْلِ
الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تُغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ
فِتْنَةً فَتَوَفَّنَا، غَيْرَ مَبْتُونِينَ.

اللَّهُمَّ يَا غَزِيْرُ، يَا حَكِيْمُ، يَا وَدُوْدُ، يَا رَحِيْمُ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ خَيْرَ أَعْمَارِنَا أَوَاخِرَهَا، وَخَيْرَ
أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهَا، وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِكَ، وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُبُورَ بَعْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ
مَنَازِلِنَا، وَافْسَحْ بِهَا مَلَاجِدِنَا، وَارْحَمْ فِي مَوْقِفِ الْعَرْشِ عَلَيْكَ ذَلِكَ مَقَامِنَا، وَتَبَّتْ عَلَى
الصُّرَاطِ أَقْدَامُنَا، وَتَجَنَّبْنَا مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبَيَّضَ وَجْهَنَا يَوْمَ تَبْيَضُ وَجُوهٌ، وَتَسْوَدُ
وُجُوهُ.

اللَّهُمَّ يَا قَوِيَّ يَا غَزِيْرُ، يَا حَمِيْدُ، يَا مَجِيْدُ، يَا رَوْوْفُ، يَا رَحِيْمُ، نَسْأَلُكَ نَعِيْمًا لَا يَنْفَدُ،
وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَنَسْأَلُكَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا
فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ، يَا قَيُّوْمُ، يَا وَدُوْدُ، يَا بَصِيْرُ، يَا سَمِيْعُ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُظَهِّرَ بِالنُّبُوَّةِ النَّصِيْحَ
فَسَادَ قُلُوبِنَا، وَأَنْ تَجْمَعَ قُلُوبَنَا عَلَى خَشْيَتِكَ، وَأَنْ تَهْدِيَنَا إِلَى أَقْرَبِ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ، وَتَهَبَ لَنَا
فِي هَذِهِ السَّاعَةِ مِنْ مَوَاضِيْعِ الْجِسَامِ، مَا يَكُونُ سَبَبًا لَنَا إِلَى حُلُولِ دَارِ السَّلَامِ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ، يَا قَيُّوْمُ، يَا مَالِكَ الْمُلْكِ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ،
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُبْرِمَ لِهَذِهِ
الْأُمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ يُعْرِضُ فِيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ، وَيُذِلُّ فِيهِ أَهْلُ مَعْصِيَتِكَ، وَيُؤَمِّرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى
فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَنْ تُصْلِحَ وِلَاةَ الْمُسْلِمِينَ وَتَوْفَّقَهُمُ لِلْعَدْلِ فِي رِعَايَاهُمْ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ

وَالشَّفَقَةَ عَلَيْهِمْ، وَالرَّفْقَ بِهِمْ، وَالْإِغْتِنَاءَ بِمَصَالِحِهِمْ، وَأَنْ تُحِبَّهُمْ إِلَى الرَّعِيَّةِ، وَتُحِبَّ الرَّعِيَّةُ إِلَيْهِمْ، وَأَنْ تُؤَقِّمَهُمْ لِصِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ، وَالْعَمَلَ بِوَبْطَائِفِ دِينِكَ الْقَوِيمِ .

اللَّهُمَّ يَا قَوِيَّ، يَا غَزِيْرُ، يَا قَدِيْرُ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُؤَقِّقَ وَلَا تُنَاسِ، لِإِزَالَةِ الْمُنْكَرَاتِ، وَقَمْعِ أَهْلِ الشَّرِّ وَالزُّلْمِ وَالضَّلَالَاتِ، وَإِظْهَارِ الْمَحَاسِنِ وَأَنْوَاعِ الْخَيْرَاتِ، وَنَسْأَلُكَ أَنْ تُصْلِحَ أحوَالَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُرَخِّصَ أَسْعَارَهُمْ، وَأَنْ تُؤَمِّنَهُمْ فِي أوطَانِهِمْ، وَتَقْضِي دُيُونَهُمْ، وَتُعَافِي مَرْضَاهُمْ، وَتَنْصُرَ جُيُوشَهُمْ، وَتُسَلِّمَ غَيَابَهُمْ، وَتَقْأَ أَشْرَاهُمْ، وَتُسْفِي صُدُورَهُمْ، وَتُذْهِبَ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ، وَتُؤَلِّفَ بَيْنَهُمْ، وَتَجْعَلَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَالْحِكْمَةَ، وَتُبَيِّنَهُمْ عَلَى مِلَّةِ رَسُوْلِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَنْصُرَهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، وَأَنْ تَجْعَلَهُمْ آمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ . فَاعِلِينَ لَهُ، نَاهِيْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، مُجْتَنِبِينَ لَهُ، مُحَافِظِينَ عَلَى حُدُودِكَ، قَائِمِينَ عَلَى طَاعَتِكَ، مُتَنَاصِحِينَ مُتَنَاصِحِينَ .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ، يَا قَيُّوْمُ، يَا مَتِيْنُ، يَا جَبَّارُ دَمِّرِ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيُبْذِلُونَ دِيْنَكَ، وَيُعَادُونَ أَوْلِيَائِكَ الْمُوَحِّدِينَ .

اللَّهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَشَقِّتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَاجْعَلْ تَذْمِيرَهُمْ فِي تَذْيِيرِهِمْ، وَأَذِرْ عَلَيْهِمْ دَائِرَةَ السُّوءِ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ بِأَسْكَ الَّذِي لَا يُرْذُ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .

اللَّهُمَّ شَدِّدْ عَلَيْهِمْ وَطَأْتِكَ، وَارْفَعْ عَنْهُمْ عَافِيَتَكَ، وَمَرِّقْهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ، وَدَمِّرْهُمْ تَذْمِيرًا .

اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبُ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَخِيَانَا مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لَنَا وَتَوَقُّنَا مَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لَنَا، وَنَسْأَلُكَ الْقَضَاءَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ شَهْرَنَا شَاهِدًا لَنَا بِإِدَاءِ فَرَضِكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنْ تَعِبٍ وَاجْتِهَادٍ وَلَمْ يُرْضِكَ .

اللَّهُمَّ الْهِنَّا الشُّكْرَ عَلَى صِيَامِ الْيَوْمِ الْمَاضِيَةِ، وَأَعِذْ عَلَيْنَا رَمَضَانَ أَغْوَامًا مُتَتَابِعَةً، وَارْزُقْنَا الزَّهَادَةَ فِي الدَّارِ الْفَائِتَةِ، وَارْفَعْ مَنَازِلَنَا فِي جَنَّةِ عَالِيَةِ .

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِكَ أَنْ تَجْمَعَنَا فِي مِثْلِهِ قَبَارِكُ لَنَا فِيهِ، وَإِنْ قَضَيْتَ بِقَطْعِ أَجَالِنَا وَمَا يَحْوِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَأَخْسِنِ الْخِلَافَةَ عَلَى بَاقِينَا، وَأَوْسِعِ الرَّحْمَةَ عَلَى مَاضِينَا، وَعَمَّنَا جَمِيعًا بِرَحْمَتِكَ وَبِغُفْرَانِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ اجْتِمَاعَنَا اجْتِمَاعًا مَرْحُومًا وَتَفَرُّقَنَا تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَجْعَلْ فِينَا شَقِيًّا وَلَا مَغْرُومًا .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلَنَا مُؤْنِساً لَنَا فِي الْخُلُوةِ إِذَا أَوْحَشَنَا الْمَكَانَ، وَلَقَفْظَنَا الْأَوْطَانَ، وَفَارَقْنَا
الْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ، وَانْفَرَدْنَا فِي مَحَلٍّ ضَلَّكَ قَصِيرِ السَّمَكِ عَلَى غَيْرِ مِهَادٍ وَلَا وِسَادٍ، وَلَا تَقْلَمُهُ
زَادٌ وَلَا اسْتِعْدَادٌ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ
إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي لَا تُرَامُ، يَا
رَحِيمُ، يَا رَحْمَانُ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ،
وَقَدْ دَعَوْنَاكَ كَمَا أَمَرْتَنَا فَاسْتَجِبْ لَنَا كَمَا وَعَدْتَنَا، فَهَذَا الدُّعَاءُ وَمِنْكَ الْإِجَابَةُ، وَهَذَا الْجُحْدُ
وَعَلَيْكَ التَّكْلَانُ. رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا
حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، سُبْحَانَ رَبِّكَ
رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الفهرس

الرقم	اسم الصفحة	الرقم	اسم الصفحة
١١٨	موعظة	١	خطبة الكتاب
١٢٠	فصل - في صلاة التراويح	٢	الفصل الأول في شهر رمضان
١٢٤	فصل - صفة أوكيفية صلاة التراويح	١٢	الفصل الأول في التوبة من المعاصي
١٢٦	قائدة - قال ابن القيم رحمه الله	١٧	الفصل الثاني
١٢٨	فصل - ما يستحب في صلاة التراويح	٢١	الفصل الثالث
١٣٣	فصل - في صلاة الوتر	٢٦	الفصل الرابع
١٣٧	فصل - ما يستحب أن يقرأ في الركعة الأولى	٣١	الفصل الخامس
١٤١	كتاب الفضائل	٣٦	الفصل السادس
١٤٦	موعظة	٣٩	موعظة
١٤٩	ليلة القدر فضائلها وعلاقتها	٤٣	الفصل السابع
١٥٥	فصل - في ذكر بعض الأدعية الواردة	٤٨	الفصل الثامن
١٥٣	موعظة	٥١	موعظة خطبة عمر بن عبد العزيز
١٥٤	فصل - في الزكاة الفطر	٥٤	الحث على صيام الوقت وصرفه فيما فيه النفع
١٧٢	فصل - عن عزم وحيل شهر رمضان	٥٨	فصل - حكم صوم رمضان
١٧٧	فصل - في تلاوة القرآن الكريم	٦٤	فصل - حكم صوم التطوع بنية من النهار
١٨١	فصل - عن سجون سجدة القرآن	٦٦	فصل - فيمن يباح له الفطر ومن يجب عليه
١٨٢	فصل - ما ورد في فضل القرآن وتفهيمه	٦٨	موعظة
١٨٤	موعظة	٦٩	فصل - ذكر أشياء تحرم على الصائم ويفطر بها
١٨٥	فصل - ما ورد في عظم فضل بعض السور	٧٢	موعظة
١٨٨	فصل - ينبغي الخشوع والخشية والبكاء عند تلاوة كتاب الله تعالى	٧٥	فصل بعض فوائد الصيام
١٩٣	موعظة	٧٩	فصل - ذكر أشياء تخفى على بعض الناس
١٩٤	فصل - ما ورد في معاهد القرآن الكريم	٨٥	فصل - في بيان أنواع الكذب
٢٠١	فصل	٨٧	فصل - في التحذير من الغيبة
٢٠٦	فصل - لما اعرض الناس عن تحكيم الكتاب	٩٣	فصل - وأسباب الغيبة أحد عشر
٢٠٨	فصل - في رده على محكي القرآين	٩٧	فصل - النظر إلى المرأة الأجنبية
٢١٢	فصل - في فضائل ذكر الله	١٠١	فصل - عن شيخ الاسلام رحمه الله
٢١٧	فصل - المذاكرون له كثيراً والذاكرات	١٠٦	موعظة
٢٢٦	فصل - من فوائد الذكر أيضاً ما ذكره ابن القيم رحمه الله	١٠٧	موعظة
٢٣٠	فصل	١٠٨	فصل - فيها يستحب أن يقول أو يفعله
٢٣٤	فصل - في أحكام القضاء	١١٤	فصل - في أحكام القضاء
٢٤٢	قائدة	١١٦	فصل - في أحكام الاعتكاف في المسجد
٢٤٧	فصل - محاسن الصيام	١١٧	فصل - في بناء المساجد وأدائها

الرقم	اسم الصفحة	الرقم	اسم الصفحة
٣٢١	فصل - يُبَيَّنُ أَنَّ يَصَانُ الْمَسْجِدَ	٢٥١	فصل - عَنْ عَوْنِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَمِيِّ
٣٢٤	فصل - يَنْهَى تَجَنُّبَ الْمَسَاجِدِ الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ	٢٥٣	مَوْعِظَةٌ
٣٢٧	فصل - حُرْمَةُ الْمِبَالِغَةِ فِي زُخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ	٢٥٤	فصل - فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ
٣٣٥	فصل - فِي الْأَيَّامِ الَّتِي يَبْتَغَى أَوْ يَكْرَهُ صِيَامَهَا	٢٥٦	فصل - رَوَى الْبُخَارِيُّ وَأَبَاكَمُ حَالَهُ وَارِثَتَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ
٣٣٦	فصل - فِي بَيَانِ الْأَيَّامِ الَّتِي يَكْرَهُ أَوْ يَجُزِّمُ صِيَامَهَا - النَّهْيُ عَنِ التَّشْبِهِ بِالْغَيْرِ	٢٦٠	٣ - بَيَانُ عَظَمِ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي الْحَرَمَيْنِ
٣٣٧	فصل - فِي الْحَثِّ عَلَى تَقْوَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ	٢٦٦	٤ - فَصْلٌ - الْأَوَّلِيَّةُ فِي الصَّدَقَةِ لِلْأَقْرَبَاءِ وَالْجَارِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ
٣٣٩	وصف المؤمن النقي - الإمام علي رضي الله عنه	٢٦٨	مَوْعِظَةٌ
٣٤١	٣١ - كتاب الزكاة	٢٧٨	فصل - فِي ذِكْرِ طَرَفٍ مِنْ فَوَائِدِ الْمُنْتَرِبَةِ عَلَى آدَاءِ الزَّكَاةِ
٣٤٩	فصل - وأما زكاة الخواص	٢٨٣	مَوْعِظَةٌ
٣٥٢	مَوْعِظَةٌ	٢٨٥	مَوْعِظَةٌ فِي التَّحذِيرِ عَنِ الْإِهْمَاكِ فِي الدُّنْيَا وَلِذَاتِهَا وَشَهْوَاتِهَا
٣٥٥	٣٣ - فصل في بيان مصارف الزكاة	٢٨٦	فصل - الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ النَّاسِ جِهَالُ عَمَى الْبَصَائِرِ
٣٦٢	مَوْعِظَةٌ	٢٩٠	فصل - عَنْ عَمِيٍّ ابْنِ مَرْيَمَ وَحَدِيثِهِ حُبِّ الدُّنْيَا أَصْلَ كُلِّ خَطِيئَةٍ
٣٦٤	٣٤ - فصل فيها ورد من الموعد الشديد على ترك الزكاة	٢٩٣	(فصل)
٣٧٢	فصل - وعن جابر رضي الله عنه	٢٩٨	فصل - الْمَثَالُ الثَّالِثُ
٣٧٥	مَوْعِظَةٌ	٣٠٢	فصل - الْمَثَالُ الْخَامِسُ
٣٨٢	مَوْعِظَةٌ - قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ	٣٠٥	مَوْعِظَةٌ
٣٨٧	فصل - فِي بَعْضِ آدَابِ الزَّكَاةِ	٣١٠	شعر للشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله
٣٩٨	مَوْعِظَةٌ	٣١٤	مُتَّذِرٌ مِنْ سِرَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الشَّدَائِدِ
٤٠٧	التحذير من أخذ الصدقة لمن لا يحمل له	٣١٥	دعاء خاتم القرآن
	مَوْعِظَةٌ	٣١٨	